سلسلة توثيق أعمال كتبت في زمن " كورونا فيروس"



جائحة كوفيد - 19
و آثارها الاجتماعية والتربوية والنفسية



- مؤلف جماعي -

تنسيق

ربيع أوطال

تقديم

أحمد شراك



سلسلة توثيق أعمال كتبت في
زمن "كورونا فيروس"



منشورات مركز تكامل
للدراسات والأبحاث

جائحة كوفيد-19 وآثارها الاجتماعية والتربوية والنفسية

-مؤلف جماعي-

تنسيق:

ربيع أوطال

تقديم:

أحمد شراك

الكتاب: جائحة كوفيد-19 وآثارها الاجتماعية والتربوية والنفسية

التصنيف: كتاب جماعي

المؤلف: مجموعة من المؤلفين، تنسيق: ربيع أوطال، تقديم: أحمد شراك

الطبعة الأولى: 2020

الإيداع القانوني:2020MO3548

ردمك:978-9920-9412-5-9

الناشر: منشورات مركز تكامل للأبحاث والدراسات

مؤسسة باحثون للدراسات، الأبحاث، النشر والاستراتيجيات الثقافية.

ص.ب:92، تازة الجديدة تازة 35000/ الهاتف: 0662305669/ 0535672612

البريد الإلكتروني: revue.bahitoune@gmail.com

الطبع: مطبعة وراقة بلال رقم 204، شارع المدينة المنورة حي الأمل، نرجس، فاس.

الهاتف/ الفاكس: 0535618603، المحمول: 0661687055

تصميم الغلاف: عادل فهمي



الفهرس

اللجنة العلمية:

- عبد الرحيم العلام
- أحمد شراك
- عياد أبلال
- سعيد بنيس
- حفيظ هروس
- زبيدة أشهبون
- عبد الهادي الحلحولي
- عبد الغني زياني





تقديم:

هـذه الجـائحـة!؟ مُدخلات مستفزة ومُخرجات ملغزة

أحمد شـراك

جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس

لا شك بأن الاستفزاز والإلغاز "توصيفان" عموديان وأفقيان للجائحة (كوفيد 19) منذ فترة الحجر الصحي خصوصا إلى الآن وهنا.. لما يتصف به هذا الفيروس من غموض واستفزاز في التشخيص أو التشخيصات (المُدخلات) ومِن إلغاز فكري وعلمي في المُخرجات أقصد البروطوكولات العلاجية: اللقاح، الذي تتسابق على اختراعه مجموعة من المحاور والدول كأروبا (فرنسا وألمانيا بما في ذلك روسيا) وأمريكا، وآسيا بقيادة الصين.. إن الاستفزاز الفكري بالمعنى الواسع، والإلغاز الفكري أيضا، قد يتماهيان من حيث الأشلكة لأنهما ينطلقان ويلتقيان في مجموعة من الإواليات والقضايا كالآتي:

1- تشترك في مناولة هذا الفيروس كل العلوم الدقيقة والإنسانية والاجتماعية، ولربما لم تجتمع كل هذه العلوم في مناولة فيروس سابق أو حدث سابق إلا حول هذه الجائحة ولعل هذا الملمح يعكسه هذا الكتاب من حضور علم الاجتماع والأنثروبولوجيا وعلم نفس الطفل، وعلم نفس معرفي.. وعلم السياسة وطب وطب نفسي وبيولوجيا.. تتراوح فيه المناولة (المناولات) ما بين التشخيص وتفكيك المفاهيم وتحليل الخطاب، وخطاب الشهادة العلمية... فضلا عن خطاب معياري في بعض المُداخلات.

2- إقبال العلوم الإنسانية والاجتماعية بشكل يتيم واستثنائي على مقاربة تداعيات هذا الفيروس.. ولعل هذا الكتاب يحقق أغلب العلوم الإنسانية.. كما أن هذا الإقبال قد يطرح استفهامات وأسئلة جديرة بالدرس والتحليل.. منها:

♦ هل هذه الكثافة في المقاربات نتيجة دهشة تجاه الحدث؟ لكن الدهشة كانت أساس التفكر في الفكر الكلاسيكي.. أما اليوم فقد أصبحت عائقا في العقلانية

المعاصرة.. فبماذا نفسر هذه الكثافة غير المعهودة سواء على صعيد المناولات العلمية أو على صعيد الندوات والمحاضرات والحوارات.. في الفضاء الأزرق، أو الجرائد والمجلات التي "تحولت" من الورقي إلى الإلكتروني، عنوانا لعصر الجائحة... إلى حد حضور لافت لعلماء الإنسان في الفضاء العمومي، مما طرح أسئلة، ومازال هذا الحضور من التباس وجدال وسجال توزع بين مريدين ورافضين..

لا شك أن بلاغة السهل تردُّ هذه الكثافة إلى عنوان للرغبة في المعرفة والعلم.. إلا أن السؤال الإشكالي الذي يخطر بالبال، هو:

♦ أية رغبة لأية معرفة؟ وبتعبير مباشر، هل هذه الكثافة هي رغبة في البحث عن علوم إنسانية للوباء، أقصد بحث في إواليات وموضوعات (موضوعة وموضوع) في "تأسيس" سوسيولوجيا للوباء؟ انثروبولوجيا للوباء؟ سيكولوجيا للوباء؟ علم سياسة الوباء؟ ... أم مجرد سوسيولوجيا للحجر الصحي؟ وسيكولوجيا لهذا الحجر؟ .. وهو وباء لا يحمل معنى صحيا فقط، بل معنى اقتصاديا وسياسيا، فضلا عن تداعياته الاجتماعية والنفسية والتربوية كما تعالج معظم مداخلات هذا الكتاب؟ أي أنه ركز على هذه الأبعاد الثلاثة وتحديدا على جانب المفاهيم بل والمفهمات.. ومحاولات توظيفها بل ومساءلتها إلى حد القول بأنه كتاب تفكيك مفاهيم غزيرة منها الرابط الاجتماعي، والرابط الرقمي، والتغير الاجتماعي والمجال الاجتماعي والإدمان الإلكتروني والتمثلات والأزمات والعولمة والهجرة والمجتمعات الطفولية ومجتمعات المخاطر والخطر.. ولقد عبَرت هذه المفاهيم مختلف الفئات الديموغرافية والاجتماعية من رجال ونساء وأطفال وشباب... مؤلفة ما بين مناهج الوصف والتفكيك وتحليل الخطاب وكذا المحاولات الميدانية.

إن الكتاب، بالإضافة إلى قيمته العلمية، فلا شك أنه له قيمة في سوق المعرفة لسياقه وراهنية هذا السياق واستمراريته إلى اليوم، أي استمرارية الفتك الذي يمارسه الفيروس بين البشر في الكرة الأرضية.. ولعل هذه الراهنية، وإن تميزت برفع الحجر الصحي جزئيا ومجاليا.. فإن الإلغاز في المخارج يزداد تعقيدا وغموضا خاصة على صعيد مقترحات لقاحات من دول متعددة.. وما يرافق هذه المقترحات، مما يمكن تسميته بسرديات كبرى، لا بمعنى بودريار، وإنما بشحنات جديدة، حيث توزعت البشرية ما بين خيال الحقيقة وحقيقة الخيال أمام سحر العلم وجاذبيته إلى الخيال وبناء مخيال مفارق

للواقع من خلال توظيف اللقاح من سلاح وقائي، إلى سلاح تدافُعي.. والتي تحاول بعض الأصوات أن تنبه إلى خطورة هذه اللقاحات من حيث هي لقاحات تحكمية في جسد الإنسان وجيناته، وحياته ومصيره حسب إستراتيجيات الفاعلين أو المالكين للقاح ومن تم فالتدافع حول إيجاد اللقاح، هو تدافع نحو خريطة عالم جديد أساسه العلم والبحث العلمي من أجل الاستعمال التحكمي في البشرية ومصائرها.. ولذا فإن التنافس أو التدافع من أجل الإقرار بهذا اللقاح أو ذاك (حيث انتصر المغرب مثلا للتعامل مع المجموعة الوطنية الصينية سيتوفارم) هو من أجل الاستمالة (استمالة الدول والمجموعات) فضلا عن غنيمته الاقتصادية الهائلة.. لعلها سردية خيالية كبرى قد تحتاج إلى كتاب آخر..

قد يطول الحديث عن الجائحة في هذا الكتاب ويتعدد ويتنوع بتعدد وتنوع المساهمات والمشاركات للزملاء والقادمين تمتد على مجمل المؤسسات الأكاديمية في المغرب تقترح نفسها في كتاب جماعي، لا شك أنه سيثير أسئلة ومحاججات..

يساهم في هذا الجدال المفارق بين التشخيص والعلاج على صعيد تداعيات الحجر الصحي في بعدها النفسي والاجتماعي والتربوي.. في صلب جدل مفارق أكبر، وهو هذا التلبس بالتباسات ومدخلات أسئلة التفكر والاستفزاز ومخرجات الإلغاز عبر متاهات في بروطوكولات العلاج واللقاح.. ويستمران الاستفزاز والإلغاز ما بين ثنائيات غامضة كالحقيقة والخيال، والعلم والسياسة والبحث العلمي والمكر الإيديولوجي وهكذا يجد المرء نفسه أمام أشكلة مستمرة.

وأخيرا، لا شك أن الكتاب يتموضع في هذا الإطار كما أنه لا شك أنه جدير بالقراءة فهو قيمة، فتحت كثيرا من المستغلقات والكوات، وأثارت قضايا قمينة بالإشادة العلمية... قراءة ماتعة ونافعة.

فاس في 25 غشت 2020



المحور الأول:

الآثار الاجتماعية للجائحة



الرابط الاجتماعي والتحولات الاجتماعية في المغرب على ضوء جائحة كورونا مقاربة سوسيولوجية

عياد أبلال

باحث في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الثقافية
المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين فاس- مكناس

مقدمة:

لا أحد كان يمكنه أن يتكهن بما حصل جراء انتشار فيروس كورونا على المستويات الشعبية في كل بلدان العالم. وحدهم بعض العلماء من كان يتنبأ بتطورات هذا الفيروس وخطورته منذ صيغته الأولى "سارس"، وخاصة منهم المتخصصون في علم الفيروسات والأوبئة، فهم وحدهم من لم يتفاجأ بكورونا، أو ما يسمى علمياً بكوفيد 19، أما الباقي فلم يخطر له على بال، كيف يمكن لأغلبية سكان الكرة الأرضية أن يدخلوا في حجر صحي تجاوز ثلاثة شهور في عدد كبير من البلدان، وعلى رأسها الصين نفسها منشأ الفيروس، خاصة في ظل غياب معطيات علمية كافية عن الفيروس، وبالطبع غياب لقاح مضاد له، أو علاج قادر على تفكيك الفيروس والقضاء عليه، فكل ما هناك حتى الآن بروتوكولات علاجية، من قبيل بروتوكول هيدروكسي كلوروكين الذي طالما استمات البروفسور الفرنسي ديدي راوول في الدفاع عنه، حتى انتهى بإقناع المجلس العلمي الفرنسي والرئيس إمانويل ماكرون عقب زيارته للمستشفى الذي يشرف عليه راوول في مارسيليا ليتم انتقاده فيما بعد، وهو ما يخفي صراعا عالميا بين مختبرات الأدوية، التي اشتدت خلافاتها بعد تطوير الروس لعقار أفيفاير الذي أثبتت روسيا كما بعض الدول الأخرى مثل اليابان وسنغفورة والصين نجاعته في العلاج.

وإذا كانت العلوم الطبية والصيدلانية المتعدة، بكل ما يرتبط بذلك من تجارب لقاحية وأبحاث مخبرية جارية على قدم وساق، وبشكل مكثف وسريع لمحاصرة الفيروس بإيجاد علاج نهائي له، سواء في فرنسا وألمانيا على المستوى الأوروبي، أو على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا، أو على مستوى آسيا، وتحديدا الصين التي برز فيه الفيروس لأول مرة في مدينة ووهان، التي تتوفر على أكبر مختبر لعلم الفيروسات على مستوى آسيا، فإن العالم العربي والإسلامي يكاد يكون العالم الوحيد الذي لا يملك سوى الانتظار وترقب ما سوف تجود به المختبرات العالمية من علاج أو لقاح، لعدة اعتبارات على رأسها غياب بنية للبحث العلمي سواء في الطب أو في باقي العلوم الأخرى، بالرغم من مساهمة عدد من الباحثين الكبار والمنحدرين من العالم العربي، سوء في أوروبا أو في أمريكا، ومن بينهم مغاربة وتونسيون ولبنانيون، وغيرهم من الأدمغة التي لم تجد فرصة علمية في بلدانها، وهو ما أكده البروفسور ديدي راوول من خلال تأكيده على أنه لا يمكنه الحديث عن البحث العلمي في فرنسا مثلا دون الأفارقة والعرب، أو كما أكدته أمريكا من خلال تعيين البرفسور المغربي منصف السلاوي على رأس لجنة أمريكية، لتطوير لقاح ضد كورونا خلفاً للمدير السابق لهيئة البحث والتطوير الطبي الحيوي ريك برايت، والذي تم عزله من قبل الرئيس دونالد ترامب لمعارضته استخدام بروتوكول كلوركين لعلاج المصابين بكورونا.

على مستوى العلوم الاجتماعية، يعيش الباحثون في العالم أجمع مرحلة الصدمة والدهشة مما حدث في سرعة قياسية من تمظهرات خلخلت الرابط الاجتماعي، والقيم المؤسِسَة للعلاقات الاجتماعية، بحيث تحول القرب الاجتماعي إلى عامل للنفور والتوجس، ليحل محله البعد الاجتماعي، أو ما باتت تسميه الأدبيات الإعلامية والسوسيولوجية بمسافة الأمان، بحيث ترافق ذلك مع الانسحاب الاجتماعي من الخارج نحو الداخل، من الشارع نحو البيت، ومن الآخر نحو الذات، بعدما أصبح الآخر هو الفيروس، باعتباره كائنا مجهريا لا يرى بالعين المجردة، مما قلب البراديغمات والمفاهيم رأساً على عقب. كما قلب التصورات والتمثلات في سياق سيرورة زمنية ما تزال سارية المفعول، ما دام العلم لم يكتشف بعد دواءً أو لقاحاً للفيروس، دون أن نستبعد تمثلات الأفراد والشعوب بخصوص فحوى وطبيعة هذا اللقاح نفسه، والذي لا يتم استيعابه عند البعض مفصولا عن نظرية المؤامرة.

1- دور علم الاجتماع في دراسة المجتمعات في ظل الأزمات الوبائية والصحية

يعد مجال الصحة والأوبئة من المجالات المهمة لعلم الاجتماع، خاصة علم اجتماع الصحة، وفي هذا الصدد نُشِرت بالغرب الكثير من الكتب والدراسات والمقالات ذات الصلة، بيد أن الأمر مختلف في البلدان العربية والنامية، ومنها المغرب، بحيث نجد أن تخصص علم الاجتماع ما يزال تخصصا عاماً ولم يعرف تأسيس شعب وكراسي خاصة بتفرعات علم الاجتماع البحثية، لكن مع ذلك هناك بعض الأطاريح حول الصحة من منظور علم الاجتماع، كما هو الحال من منظور تخصصات قريبة، من قبيل علم النفس وعلم النفس الاجتماعي والأنثربولوجيا ، بيد أن قلة الدراسات والأطاريح في المجال الصحي يمنعنا في الحقيقة من الحديث عن تقاليد بحثية وعن تراكم معرفي في المجال، ناهيك عن أن البحث العلمي عموما، (ومنه في العلوم الاجتماعية في المغرب) مرتبط بشكل كبير بمجهودات واجتهادات الباحثين دون أن تكون هناك بنية مؤسساتية قائمة الذات، نظراً لغياب رؤية استراتيجية وطنية مرتبطة بالبحث العلمي.

إن معظم ما أنجز في المجال المرتبط بالأوبئة يندرج في سياق الأطاريح التي تمت من داخل شعب التاريخ والجغرافية السكانية، وعلم الاجتماع، وهي على قلتها لم تساهم في خلق التراكم المعرفي المطلوب، ناهيك عن غياب تخصصات من قبيل علم اجتماع الطب، علم اجتماع الأوبئة، علم اجتماع الصحة، وهنا لا بد أن نميز بين علم اجتماع الصحة الذي يدرس العلاقات والتفاعلات بين المجتمع والصحة، من خلال توضيح كيفية تأثير المرض في العلاقات والحياة الاجتماعيين، وعلم اجتماع الطب الذي يدرس علاقة الصحة بالمؤسسات الاجتماعية من قبيل الأسرة والعائلة وفضاءات العمل والإنتاج، وبالتركيز تحديدا على كل ما يخص علاقة المرض والمريض بمؤسسات الرعاية الصحية، وهناك تقاطعات بين تخصصية بين العلمين وتتجلى في علم اجتماع الأمراض، الذي يدرس بالإضافة إلى ما سبق الأوبئة والأمراض والأنظمة الطبية، بشكل يجعل التداخل كبيرا بين تخصصات علمية متعددة من قبيل البيولوجيا والإثنو فارمكولوجيا، وعلم الفيروسات من جهة، والطبيعة في بعدها الإيكولوجي وعلم الاجتماع وباقي العلوم الاجتماعية من جهة أخرى.

إن الأبحاث والدراسات بين تدخلية وبين التخصصية لم تزدهر بعد في المغرب وفي عموم البلدان النامية، بحيث لا تجد مجموعات وفرق بحث متداخلة التخصصات تضم علماء من البيولوجيا، العلوم الاجتماعية، علوم الأوبئة...إلخ، فما يميز البحث في هذه البلدان هو البعد الفردي والأحادي والتخصصي الضيق، وهو ما نجده حتى في الدراسات التاريخية التي تناولت الأوبئة والجوائح، ولم تنفتح على باقي المجالات من علم اجتماع وأنثربولوجيا وعلم النفس. ولهذا فمكتبتنا في مجالات العلوم الاجتماعية والإنسانية المتعلقة بالأمراض والصحة فقيرة للغاية. وقد كانت الأوبئة السابقة التي عرفها المغرب من نصيب الدراسات وأطاريح الدكتوراه في شعب التاريخ، التي ارتبطت منهجيا ونظريا بالدراسات الأجنبية التي اشتغلت على القرنين الثامن والتاسع عشر بشكل كبير، اعتمادا على ما راكمته هذه الدراسات من وثائق أجنبية، خاصة منها الفرنكوفونية، في حين كانت الدراسات المرتبطة بالسل والسيدا والأمراض المعدية المعاصرة من نصيب علم الاجتماع ولكن بشكل محتشم للغاية.

إن الباحث الاجتماعي مثله مثل باقي الباحثين في مختلف المجالات، مطالب بالتفكير في الوباء باعتباره موضوعاً للدراسة والتحليل، في أفق فهم واستيعاب جوهره وتجلياته وتأثيراته، خاصة فيما يتعلق بالجانب الاجتماعي، بغية المساهمة بفهم مؤسس على قاعدة علمية رصينة، وهو ما يتطلب القيام بالدراسات الميدانية التي حتما ستفيد المجتمع كما الدولة في وضع الاستراتيجيات البديلة وتجاوز الأزمة، من أجل استعادة التوازن من جديد، خاصة وأن مجالات الطب والصحة إلى جانب السكن والتعليم تعد من المواضيع الحيوية لعلم الاجتماع والعلوم المجاورة. لذلك، فالإضافة التي يمكن تقديمها سوسيولوجياً هي المساهمة في عقلنة وعلمنة الاجماع والعمران البشريين بتعبير ابن خلدون، وفهم أنساق الفعل والتفكير حتى لا يُترك المجتمع كما الدولة للاعتباطية والتدبير الاستعجالي والمزاجي، فالدولة القوية كما المدينة القوية تخضع في شرطها الوجودي للعقلانية والعلم.

ضمن هذا السياق انبثقت مجموعة من الظواهر المرتبطة أساسا بالحجر الصحي والتي تعكس تباين مستويات الفهم والوعي الصحيين، بحيث يمكن للعلوم الاجتماعية وعلى رأسها علم الاجتماع المساهمة في الفهم والتحليل، والمساعدة على التحصين الوقائي للمواطنين في حربهم ضد الفيروس، خاصة وأن الحل الأنسب في ظل خطر الوباء هو الوقاية منه، وتشخيص الواقع الاجتماعي في علاقته بالوباء، باعتباره واقعا موضوعيا

خصبا للعلوم الاجتماعية، يقودنا إلى إعادة النظر في المفاهيم والبراديغمات بإحلال سوسيولوجيا الهامش مكانة متميزة في البحث السوسيولوجي، بعد أن تبث أن مراكز البؤر التي ينشط فيها الفيروس أكثر هي أوساط الهشاشة الاجتماعية والكثافة السكانية. من هنا، فمعرفة كيفية تفكير الناس في هذه الأوساط ومشاكلها اليومية، عبر دراسة التمثلات الاجتماعية والثقافية حول المرض والفيروس سوسيولوجياً قد يساعد في سن استراتيجية مجتمعية لمحاصرة الفيروس والأوبئة عموما عبر رفع منسوب الثقافة والوعي الصحيين لهذه الأوساط، مع وضع تصورات وسيناريوهات متداخلة وعابرة للحقول والمجالات من أجل التعبئة الوطنية الشاملة، مما يجعل الإعلام وكافة وسائط التواصل الاجتماعي شريكة في هذه التعبئة.

لكن الأهم بالنسبة إلى العلوم الاجتماعية هو البناء لما بعد كورونا، بتأسيسها لمفاهيم وبراديغمات جديدة للبحث السوسيولوجي، بشكل يجعله جزءا من البنية الاستراتيجية للدولة والمجتمع، وأساس الفكر الاستراتيجي والتخطيط المستقبلي، إذ لم يعد مقبولا تدبير المجال الحضري والمدن مستقبلا في غياب العقلانية والعلم، وهما ركيزتان أساسيتان ستمكننا من فهم كل العلاقات والخرائط الممكنة والمحتملة ما بين المجال والسكن والتمثلات الاجتماعية والأمراض، بما في ذلك الأوبئة، وهنا يمكن إعادة قراءة التراث السوسيولوجي الخاص بهذا الموضوع من دوركهايم إلى يانكل فيجالكوف وكلودين هيرزليتش مروراً بماكس فيبر ورواد مدرسة شيكاغو، والاستفادة منه في الدراسات المستقبلية حول المدينة والمجال الحضري وعلاقتهما بالأمراض والأوبئة، خاصة وأن المغرب بلد حضري بنسبة تقارب٪ 70 على مستوى مجالاته الحضرية.

ولهذا، فالمباحث التي سوف تحظى بكثير من الاهتمام والبحث هي المرتبطة حتما بالمجال الصحي والسكني والتعليمي بما في ذلك الرابط الاجتماعي نظراً لارتباط هذه المستويات بالأوبئة والأمراض والأزمات، ومنها تلك التي قد تأتي على الأخضر واليابس، وتهدد الأنظمة والدول بالتصدع، ويكفي أن نعرف حجم التحولات الممكنة بعد كورونا على المستوى العالمي، حتى نتنبأ بالقادم المهول من تحولات وحركات اجتماعية وأزمات سياسية، إذ بكل تأكيد العالم قبل كورونا لن يكون هو العالم نفسه بعدها، فكم من شركات ومؤسسات تجارية سوى تختفي، وكم من نظام سوف ينهار، ومن ذلك نظام التجارة العالمية والتحالفات الاستراتيجية نفسها سوف تتصدع وتتفكك وتبنى على أنقاضها تحالفات ومؤسسات أخرى، حتى وإن كان الأمر يتطلب المزيد من الوقت، ما دامت

النيوليبرالية الحامية لهذا النظام العالمي لن تنهار بسرعة، ما دامت تصارع وتقاوم بشراسة.

2 - الرابط الاجتماعي والتغير الاجتماعي بين تحولات القيم والبنيات الاجتماعية، من المفهوم إلى التصور

تتجسد الممارسة السوسيولوجية على مستوى الخطاب كما على مستوى الكتابة والتحليل، من خلال العبور الفكري من المفاهيم صياغةً إلى بناء التصور كمدخل أساس للنظرية، وفق انعكاسية تبتغي دوما ربط الواقع الموضوعي بالفكر كبناء، ومن هنا، تمنح الممارسة السوسيولوجية حياةً للمفاهيم، مثلما تمنح هذه الأخيرة الممارسة السوسيولوجية قدرتها على التحليل والبناء، بحيث يأتي تأطير المفاهيم المشكلة للإطار العام لهذه الدراسة في سياق توضيح مداراتها وتسييج مساحات الإشكالية والفرضيات، الكائن والممكن، الواقع والفكر، من أجل استيعاب متغيرات الدراسة ونتائجها وفق نموذج مثالي نحاول أن نبنيه على أساس الواقع الموضوعي في تحولاته ما بين سياقين زمنيين رئيسيين غير منفصلين عن سياق زمني ثالث، حيث "الما قبل" مرتبط بشكل جدلي ب"الآن والهنا"، وحيث هذا "الآن والهنا" في زمكانيته موصول حتما ب"الما بعد". ولو أن سؤال/ أسئلة التعيين السوسيولوجي للسيرورة الزمنية لا ينفصل عن مفهوم مركزي في علم الاجتماع، ألا وهو مفهوم التحول الشديد الارتباط بمرجعياته الفلسفية والوجودية، مما يجعل من مهمة علم الاجتماع مهمة صعبة، خاصة إذا تعلق الأمر بضبط وتحديد التحول الاجتماعي الذي يمس البنيات المادية والرمزية على حد سواء، في ارتباط جدلي بالإنسان، وإذا كان التحول مرتبط بشكل كبير بالبنيات المادية أكثر من اشتماله على أهم بنية تميز الإنسان وهي البنية الرمزية، فإن المفهوم الأكثر انتساباً لهذا العلم هو التغيير/ التغير الاجتماعي، نظراً لكونه غير منفصل عن الوعي والرمزية بما هما في العمق أساس ونتاج الفعل الاجتماعي، باعتباره رابطاً اجتماعياً. ولهذا، فمن الصعب الحديث عن التغيير / التغير الاجتماعي دون أن نجد أنفسنا في عمق التحليل نستحضر الرابط الاجتماعي، وهو رابط غير منفصل أساساً عن البناء القيمي والأخلاقي.

لقد "أثار مفهوم القيم ويثير العديد من الالتباسات، نظرًا لأنّه ما من باحث إلا ويتخذ من مرجعيته الإيديولوجية والمعرفية موجهًا للنظر في المفهوم، ويمكن أن نقسم هذه الاتجاهات إلى صنفين: في الأوّل نجد منها تلك التي تنظر للقيم باعتبارها معايير

أخلاقية مطلقة تحدد للأفراد والجماعات مستوى سلوكهم ومواقفهم واتجاهاتهم، وهو ما يمكن أن نقرأه في التعريف التالي: "تشير القيم إلى المعايير التي تتمتع بمشروعية وفاعلية تجعلان منها قواعد يتأسس عليها الوعي والسلوك، كما يجعل منها معاني سامية ترسم غايات وجود الأفراد والمجموعات، مكونة بذلك سلمًا تترقى فيه اختياراتهم وآراؤهم ويحصل بها كمالهم في حين نجد في التصنيف الثاني، من يعتبر القيم عبارة عن "تفضيلات جماعية، تعتبر بمثابة قواعد للسلوك أو الكينونة ترتبط بمشاعر قوية، كما أنّ القيم لا تحيل على مثل نتطلع إليها، بل لها بالأساس وظائف عملية، إنّها تقود وتلهم وتوجه وتنص على أحكام وآراء وخيارات وأعمال فردية وجماعية"[1]. من هنا، نستخلص أن التحولات الاجتماعية مشروطة بالتحولات القيمية التي تعتبر جوهر الرابط الاجتماعي، خاصة في ارتباطه الجدلي بالأنساق المشكلة للفعل الاجتماعي، فكل سلوك مهما كان بسيطاً إلا ويكون نتيجة للمعايير والقيم التي يمتلكها كل فرد، وهو ما يوضح بالنهاية البعد الواعي والرمزي للإنسان في تعامله مع المحطات التاريخية الكبرى التي غيرته كما غيرت بيئته رأساً عن عقب، عبر قدرته على التكيف والتأقلم من جهة، وعلى التحول والتغير من جهة أخرى، بتوظيف ملكاته في بناء البرايغمات والإيديولوجيات التي تمكنه من استيعاب التغير الاجتماعي والوعي به كضرورة وجودية، طالما أن التغير جوهر الوجود كما قال هيراقليطس، معبراً من خلال قولته الشهيرة:" إننا لا نستحم في النهر مرتين، فلا الماء هو نفسه، ولا المستحم هو ذاته في الحالتين"، عن حتمية التغيير.

فإذا كان التغيير الاجتماعي مشروط في مرجعياته بموارد اجتماعية وثقافية وبيئية واقتصادية وسياسية، فإن هذه العوامل منفردة لا تؤدي إلى التغيير الاجتماعي، بقدر ما تؤدي مجتمعة من خلال الأحداث الكبرى التي يعرفها الإنسان إلى تغيرات وتحولات تمس كل البنيات المادية منها والرمزية، مثل الثورات الكبرى، كالثورة الفرنسية 1789، الثورة الصناعية بانجلترا 1840 الثورة السياسية البلشفية 1917، أو الثورة الثقافية السياسية بالصين مع ماوت سيتونغ 1966، أو الثورة الكوبية 1959 أو ثورة الضباط الأحرار بمصر 1952 ...إلخ من الثورات التي أدت إما عالميا أو إقليميا إلى تغيرات اجتماعية كبيرة مست البنيات المادية والبناء الاجتماعي ككل، أو الثورات المعاصرة الناعمة من قبيل العولمة التي عرفها العالم 1970-1980، أو الثورة الرقمية، التي سميت أيضاً بثورة اقتصاد

1 - Hassan Rachik et Autres, Islam au quotidien, Enquête sur les valeurs et les pratiques religieuses au Maroc, Editions Prologues, (Collection: Religion et Société), Casablanca, 2007. نقلا عن رشيد جرموني، سوسيولوجيا التحولات القيمية في عالم اليوم، منشور في موقع مؤمنون بلا حدود على الرابط: https://www.mominoun.com تم التصفح يوم 2020/06/06

المعلوميات ما بين 1990-2002...أو ثورة شبكات التواصل الاجتماعي 2004 إلى اليوم، وهي ثورات عرفت بتحولات في البناء الإيديولوجي كبناء فكري فوقي لم ينفصل عن التحولات في البناء التحتي، الذي شمل البنيات المادية ووسائل الإنتاج وتغيرت معه البراديغمات وفق قطائع إبستمولوجية بدأت تميز الخطاب التأويلي السائد بتعبير آلان تورين.

الأمر نفسه عرفته البشرية من خلال التحولات الكبرى التي عرفها العالم نتيجة الأوبئة والمجاعات منذ ليل التاريخ، مرورا بالقرون الوسطى، وليس انتهاء بالقرن الواحد والعشرين، حيث نعيش أزمة وبائية خطيرة، مثلما هو الحال بالنسبة إلى وباء كوفيد 19، أو ما يصطلح عليه شعبياً بفيروس كورونا، وطبعاً هو وباء مسبوق بأوبئة خطيرة من قبيل إيبولا، الطاعون، الكوليرا، الجذري، السل...إلخ، وإن كان أعظمها خطورة هو الطاعون الذي اجتاح العالم، وخاصة أوروبا في سنوات 1347- 1352، حتى لقب بالطاعون الأسود أو الموت الأسود، والذي عاود الظهور من القرنين السادس العشر إلى القرن التاسع عشر والعشرين إلى أن تم اكتشاف المضادات الحيوية وعلى رأسها البنسلين على يد العالم ألكسندر فليمنج سنة 1928، باعتباره أهم اكتشاف بشري ضد الأوبئة من هذا القبيل.

من هنا، فسواء تعلق الأمر بالثورات العلمية أو الاجتماعية أو الثقافية أو الاقتصادية أو السياسية، أو تعلق الأمر بالأوبئة والجوائح الخطيرة التي لا تنفصل عن المكون البيئي وعن طبيعة نظام استغلال الأرض والبيئة، فإن مرحلة "الما بعد" تتأسس على إحداث تحولات وتغيرات كبيرة تمس البناء الاجتماعي في شموليته، بكل ما يرتبط بذلك من تحولات في البنيات المادية كبناء تحتي أو الإيديولوجيات والبرايغمات كبناء فوقي، وهو ما ينتج حتماً عن التغيرات التي يعرفها الرابط الاجتماعي في سياق السيروة والوصل، حتى وإن كان يتأسس على القطيعة والفصل على المستوى البعيد، ذلك أن التغير الاجتماعي هو سيرورة قابلة للتشخيص والمعاينة في الزمان والمكان. إنه بتعبير غريغوري لازاريف " تحول قابل للملاحظة ويؤثر في بنية ووظيفة التنظيم الاجتماعي للمجتمع، ويغير مجراه بتغيير البراديغم المقبول اجتماعيا، فالتغيير من هنا، يكون مرئيا وقابلا للملاحظة والتشخيص من خلال قدرته على إحداث تغيير في البناء الاجتماعي ووظائفه[1]. وهو المعنى نفسه الذي سبق أن ذهب إليه عالم الاجتماع الفرنسي غي روشي Guy Rocher

1- Grigori Lazarev (1978).«Changement social et développement : Etudes sociologiques sur le Maroc». In : B.E.S.M. Rabat : nouvelle édition. p 130

عندما قال بأن التغير الاجتماعي يتوقف إلى حد ما على التحولات الملحوظة والقابلة للتحقق على مدى فترات زمنية قصيرة، حيث يمكن لنفس الملاحظ أثناء حياته أو حتى فترة وجيزة من حياته أن يتتبع التطور ويعرف نتيجته، أو ما يمكن اعتباره مؤقتا كنتيجة[1]، وعلاوة على ذلك، يعرف غي روشي التغير الاجتماعي باعتباره كل تحول ملحوظ في الزمن، والذي يؤثر بطريقة غير مرحلية أو سريعة الزوال، في بنية أو وظيفة التنظيم الاجتماعي لجماعة معينة ويقوم بتعديل مجرى تاريخها [2]

يشير التغير الاجتماعي كمفهوم مرتبط بعلم الاجتماع، إلى "التغير المستمر في المجتمع؛ بسبب تأثير مجموعة من العوامل ، ويعرف أيضا بأنه ظاهرة من الظواهر الاجتماعية ذات التأثير المستمر، والتي تعتمد على مجموعة من الأفكار البشرية، والنظريات المستحدثة، والآراء، والإيديولوجيات التي يتميز بها كل عصر من العصور البشرية، بحيث يكون التغير الاجتماعي إما شاملا أو جزئياً، وإما راديكالياً أو تدريجياً. وعلماء الاجتماع يختلفون في تفسيرات هذا التغير ومعرفة عوامله وأسبابه ونتائجه الكلية والجزئية على السواء. ومن هنا نشأت نظريات علم الاجتماع المختلفة، إذ يذهب بعض العلماء إلى أن التكنولوجيا هي الأساس لكل التغيرات في العلاقات الاجتماعية، كما يذهب آخرون إلى أن التنافر بين الطبقة التي تمتلك أدوات الإنتاج والطبقة التي لا تمتلك هو الأهم، واعتبر البعض أن العوامل الإيديولوجية أو الدينية تؤدي إلى التعديلات الأساسية في الدور والمكانة. كما قد ترجع أسباب التغير الاجتماعي أيضا إلى عوامل سيكولوجية في الشخصية الإنسانية، فبما أن السلوك الإنساني يقوم على أساس دافع معين، فإذا ما تغير هذا الدافع نتج عن ذلك تغير في العادات والتقاليد"[3] ، وهو ما يجعل من التغير الاجتماعي مفهوما شاملا للرابط الاجتماعي من جهة والبناء الاجتماعي من جهة أخرى، سواء من وجهة نظر وظيفية بنائية، أو من وجهة نظر تأويلية رمزية، مثلما هو الحال بالنسبة إلى نظريات علم اجتماع الفعل والحركات الاجتماعية والتفاعلية الرمزية.

1 - Guy Rocher (1968). Introduction à la sociologie générale: Le changement social.Édition HMH.Ltée. p17. 3 Ibid. p 22

Ibid. p 222 - بتصرف ، نقلا عن محمد بو النعناع، سوسيولوجيا التغير الاجتماعي، رؤية نظرية تحليلية، مجلة مركز جيل للبحث العلمي، العدد 34 سبتمبر 2017، ص، 87.

3- أنظر للمزيد من المعلومات موسوعة ويكيبيديا العالمية على الرابط: https://ar.wikipedia.org/wiki

إذا كان الرابط الاجتماعي في أبسط تعريفاته هو ما يتشكل عبر مجموع الانتماءات والتفاعلات والعلاقات الاجتماعية التي لا تنفصل عن مفاهيم الهوية والذاكرة الجماعية، مثلما لا تنفصل عن مؤسسات التنشئة الاجتماعية والفضاء العام، باعتباره فضلا للتواصل واللقاء، فإن جبرية هذا الرابط تتحدى كل نزوع نحو الفردية والانعزال، ذلك أن قسرية المجتمع كبناء فوقي لا تمر في إجباريتها لامتثال الأفراد للجماعة وللمجتمع بصفة عامة إلا عبر الرابط الاجتماعي، "فكلمة رابط تُجمَع بروابط، ورابطات، وتأخذ معانيها من فعل "ربط"، والذي يتضمن المعاني التالية: الصلة، الشد، الشدة، الصبر، التحديد، الاختفاء، المنع، القطع، التأخر، ويبدو واضحا أنها من الأفعال التي تحمل أضداها، بالرغم من تركيز أغلب المعاجم على المعنى الأول أكثر، فالرابط بالتالي في اللغة العربية: كل ما يصل طرفين بقوة مع دوام ذلك، ولو لم يكن هذان الطرفان يرغبان في هذا الرابط"[1]، بحيث حتى في حالة انفصام عرى العلاقات البينفردية، فإن تجلياتها وتمثلاتها لدى الأفراد تبقى مستمرة في الذاكرة، وتغذي من تم العلاقات والتفاعلات المستقبلية، ولذلك، فـ"الرابط الاجتماعي في تجريديته، رابط يتعالى ويسمو عن الفردانية، ليصبح بناء وموردا يُطعِم العلاقات الاجتماعية بين الأفراد كما الجماعات على حد سواء، مثلما يشير إليه المعجم الفرنسي وباقي المعاجم العالمية أيضاً، ففي معجم لاروس تفيد كلمة رابط:" السلسلة، الحبل، الحزام، وكل ما يستعمل لإبقاء الأشياء مع بعضها أو مربوطة، الإبقاء، الغلق، الرابطة التي تغلق بحزام من الجلد، وتعني أدبيا تقييد حيوان أو إنسان، فيقال: تحرر من رباطه، كما تعني الصلة بين الأشياء المجردة، منطقية كانت أو ترابطية: علاقة النتيجة بالسبب بين حدثين، الصلة بين شخصين، فرض قيود دائمة. وهنا نلاحظ وجود عناصر كثيرة متشابهة بين التعريف اللغوي العربي والتعريف اللغوي الفرنسي، ولا تختلف كثيرا اللغات اللاتينية الأخرى عن ذلك، ولعل هذه التعاريف تتقاطع عند نقاط ضرورية لوجود الرابط، ومن الواجب توفرها في التعريف اللغوي، وهي: الصلة، الشدة، الديمومة، الإجبارية، الاحتكاك[2] .

يتبدى واضحا القوة التي يتمتع بها الرابط الاجتماعي لغة واصطلاحاً، وهو ما يتضح من خلال تعريف عدد من الباحثين في علم الاجتماع، بعد أن نقلوا المفردة من صيغتها اللغوية العامة إلى صيغتها الاصطلاحية متخذين منها مفهوما سوسيولوجيا قائم الذات

1- خواجة عبد العزيز بن محمد، سوسيولوجية الرابط الاجتماعي، بناءات مفاهيمية ومسارات نظرية، الطبعة الأولى، نور للنشر، ألمانيا، 2018، ص، 9.

2- نفسه، ص،11.

وعابراً للحقول والتيارات والمدارس السوسيولوجية، بدءا من السوسيولوجيا الكلاسيكية إلى السوسيولوجيا المعاصرة، إذ " يرى بيار إيف كويسي Pierre –Yves Cusset في كتابه (الرابط الاجتماعيLe lien social)أن للرابط تعاريف متعددة أبسطها التعريف الذي يرى بأنه: مجموع العلاقات التي تربطنا بالعائلة، الأصدقاء، الجيران.... وصولا إلى الميكانيزمات الجماعية للتضامن، مرورا بالمعايير والقواعد والقيم... التي تزودنا بالحد الأدنى لمعنى الجماعي. في حين يرى فريديريك لوبارون Frédéric Lebaron في قاموسه"علم الاجتماع من الأف إلى الياء" (La sociologie de A à Z)أن الرابط يتواجد بين فردين أو أكثر حيثما تكون العلاقات الشخصية الداخلية مباشرة بينهم، والتي تستند على مختلف أشكال التفاعل، وبالتالي نستطيع تعريف الرابط الاجتماعي باعتباره تفاعلا خاصا، ومنتظما بين فردين، وإحدى ركائز الرابط الاجتماعي إجبارية التبادل كما وصفها الأنثربولوجيون أمثال مارسل موس أو برونسيلاف مالينوفسكي ، وقد اختار قاموس روبير الذي تم بإشراف كل من أندري أكون وبيار أنصار صيغة الجمع، قائلا بأن الروابط الاجتماعية هي أشكال العلاقات التي تربط الفرد بمجموعات اجتماعية وبالمجتمع، والتي تسمح له بالعملية التنشئوية والاندماج داخل المجتمع، واكتساب عناصر هويته، فسوسيولوجيا الروابط الاجتماعية بالتالي هي سوسيولوجيا أشكال التنشئة الاجتماعية وأشكال الضبط الاجتماعي في الآن ذاته، وضعف الروابط الاجتماعية تنجم عنه حالة اللامعيارية الأنومية"[1].

ضمن هذا السياق، فكل خلل وظيفي في أداء مختلف الأنساق المشكلة للفعل الاجتماعي بتعبير بارسونز، ستقود حتما إلى الخلل الوظيفي في أداء الرابط الاجتماعي، وكل خلل يصيب هذا الرابط، سيصيب حتما بالخلل والتفكك أداء الفعل الاجتماعي، ولذلك فالنسق الاجتماعي والنسق الثقافي ونسق الشخصية هي أنساق تُغذي بشكل راجع الرابط الاجتماعي، لذلك، ففي كل الأزمات والأحداث التاريخية الكبرى، لا مندوحة لعالم الاجتماع من دراسة الفعل الاجتماعي من منظور تعالقه الجدلي بالرابط الاجتماعي الذي كلما سقط في أزمة أصاب كل المجتمع، مثلما إذا أصاب الإنسان مرض تداعى له كل الجسد بالسهر والحمى، وإذا كانت موارد الرابط الاجتماعي هي الأنساق الثلاثة المشكلة للفعل الاجتماعي، فإن موارد الأزمة التي تهدد الرابط الاجتماعي حسب إيف كوسي تتجلى في

1- نفسه، ص، 13.

أزمة مؤسسة الأسرة، الانحراف والتمدن، عدم استثمار الفضاء السياسي، عدم فعالية الاندماج الاجتماعي.

هكذا إذن، يتم قياس الرابط الاجتماعي وتشخيصه ميدانياً من خلال قياس طبيعة العلاقات والتواصل والتفاعل داخل مؤسسات التنشئة الاجتماعية والسياسية، بما في ذلك الفضاء العام، باعتباره فضاء سياسيا وثقافيا واجتماعيا، وداخل مؤسسات العمل والإنتاج والخدمات من معامل ومصانع وشركات وإدارات، كما تشكل المدينة الفضاء الرحب للرابط الاجتماعي، طالما أن المدينة ليست مجرد بنايات وبنيات مادية، بقدر ما هي نمط حياة وعيش ورؤية للعالم والأشياء. ولذلك، فقياس الانحراف والأنوميا هو في العمق قياس لجوهر الحياة الاجتماعية في المجال الحضري في ارتباطه بالبراديغم المقبول اجتماعياً، وهنا نستحضر أدوات القياس وروائز الكشف السوسيومترية، وكذا طرائق وتقنيات البحث الميداني، سواء المرتبطة بالتفاعلية الرمزية أو بالدراسات الكيفية، التي تعد المجال الخصب لهذا النوع من القياسات، طالما أن الأمر يتعلق بالدرجة الأولى بالوعي والرأي الذي على أساسهما تبنى التمثلات وتوقعات الأدوار في الحياة الاجتماعية.

إن التركيز على الربط اللغوي والاصطلاحي بين هذه المفاهيم والكلمات/ المفتاح في تحليلنا السوسيولوجي، هو عملية ذهنية بنائية، تبتغي بناء الموضوع سوسيولوجياً من خلال ربط الإشكالية/الإشكاليات أو المشاكل التي يثيرها الواقع الموضوعي في مختلف تجلياته في أفق صياغة نظرية تحدد مدخلات ومخرجات البناء الاجتماعي تنظيمياً ووظيفياً، من أجل قياس وفهم حجم الانزياحات والتغيرات الكائنة والممكنة في سياق هذه الأزمة الوبائية غير المسبوقة في تاريخ المغرب المعاصر بالنظر إلى حجم التأثيرات الوخيمة التي شملت كل المجالات والبنيات.

إذا كان علم الاجتماع قد راكم الكثير من الدراسات بصيغتيها النظرية والميدانية حول الرابط الاجتماعي، فإن المكتبة العربية كما المغربية تبقى فقيرة إلى حد ما، ولو أن المغرب يعتبر نموذجياً من خلال ما راكمته الجامعة المغربية من أطاريح ذات الصلة، والتي للأسف لم تجد معظمها طريقها إلى النشر كما هو الحال في الغرب، كما يعد الأول عربياً في قيامه بدراسة ميدانية مهمة حول الرابط الاجتماعي من خلال مؤسسة علمية وبحثية ذات أبعاد وطنية واستراتيجية، كما هو الحال بالنسبة إلى المعهد الملكي للدراسات الإستراتيجية الذي قام (ما بين 2009 إلى غاية 2015) بدراسة وطنية هي الأولى من نوعها سلطت الضوء على مفاهيم الرابط الأسري ورابط الصداقة والجوار والعمل، وكذا

الرابط السياسي والمدني، بالإضافة إلى التضامن والهويات الجماعية والانتماء للمغرب، والعيش المشترك والمواطنة، فضلا عن المجالات الاجتماعية المتعلقة بالثقة / انعدام الثقة، مستخلصاً عددا من النتائج ذات الأهمية القصوى تجلت في إنجاز 3 تقارير استراتيجية و21 دراسة موضوعاتية مع متم 2015، حيث يقول المعهد في تقديمه لهذه الدراسة ونتائجها:

" تعتبر دراسة حالة الرابط الاجتماعي في المغرب، قضية ذات أهمية استراتيجية بالغة، نظرا للصعوبات الملموسة التي تطال العيش المشترك بفعل التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، على الصعيدين الوطني والدولي. إذ ساهمت أهم التحولات التي لحقت العلاقات الاجتماعية والناتجة عن ذلك، في تغير أشكال التضامن والعلاقات بين المواطنين المغاربة فيما بينهم والدولة. وانطلاقا من هذا المعطى، شرع المعهد الملكي للدراسات الاستراتيجية، خلال سنة 2009، في برنامج الدراسات " الرابط الاجتماعي بالمغرب: أي دور للدولة وكافة الفاعلين الاجتماعيين ؟" والذي كان يهدف إلى البحث في أهم مكامن تحول الرابط الاجتماعي في علاقته مع السيرورات الانتقالية للمجتمع المغربي، وإلى رسم خرائط المجالات الاجتماعية الأكثر تضررا من تدهور الرابط الاجتماعي، وفهم أفضل للعلامات التي تشير إلى انحلاله، وبالخصوص تحديد طرق تنظيمية جديدة لتعزيز العيش المشترك، بهدف فهم التطور الحاصل في العلاقات فيما بين الأفراد، وتحليل تأثيرها على التماسك الاجتماعي، بالإضافة إلى اقتراح سياسات عمومية ملائمة. وذلك عبر ثلاث مراحل، توجت نهاية سنة 2014، بإعداد أربع دراسات تكميلية".[1]

وقد "خصصت المرحلة النوعية التي امتدت من سنة2008 إلى سنة 2010 لجرد وضع الأبحاث البيبليوغرافية على المستوى الوطني والدولي، وفحص عدة قضايا متعلقة بالثقة المؤسساتية وبين الأفراد، وبالتماسك الاجتماعي، وبالتوترات الهوياتية والثقافية والدينية، بالإضافة إلى الشبيبة والأشكال الجديدة من الاحتجاجات الاجتماعية...وقد تم إبراز خلاصات هذه المرحلة في تقرير استراتيجي تركيبي، تمحور حول ثلاث إشكاليات: تغير القيم وإعادة تشكيل الرابط الاجتماعي، والصعوبات المتعلقة بالعيش المشترك، ودور الدولة والفاعلين الاجتماعيين في الحفاظ على التماسك الاجتماعي والتوازن

1- أنظر تقديم الدراسة الوطنية حول الرابط الاجتماعي بالمغرب على موقع المعهد الملكي للدراسات الاستراتيجية، على الرابط: https://www.ires.ma/ar تم التصفح يوم 2020/06/05

السوسيو-سياسي، وكذا القضايا المتعلقة بالعلاقات البينية بين الأفراد وبين الدولة والمواطنين، فيما أسفرت المرحلة الكمية (2011-2012) عن إنجاز دراسة ميدانية وطنية حول الرابط الاجتماعي خلال شهري ماي ويونيو 2011، تناولت عينة تمثيلية تضم أكثر من 5.000 شخص، بحيث غطت الدراسة جميع مناطق المملكة، وقد تطلبت تعبئة فريق مكون من 60 باحثا، معظمهم طلاب في سلك الدكتوراه، من مختلف تخصصات العلوم الإنسانية والاجتماعية، إذ مكنت هذه الدراسة من الحصول على عدد كبير من المعطيات المفيدة في معرفة المجتمع المغربي. وتمت المرحلة الاستراتيجية (2012)، من خلال إعداد تقرير استراتيجي تركيبي لخص كل المعطيات المتراكمة طوال فترة برنامج الدراسات حول الرابط الاجتماعي، وصياغة بعض المقترحات المتعلقة بالسياسات العمومية، القادرة على إعادة الثقة في المؤسسات، وتعزيز التضامن الاقتصادي والاجتماعي والمجالي وبين الأجيال، مثمنا الهوية الجماعية أو المتعددة الأبعاد، بالإضافة إلى تشجيع تطوير مجال البحث في العلوم الاجتماعية. كما شرع المعهد في إعداد دراسات تكميلية بين سنتي 2012 و 2015 همت: "الجوانب الثقافية والهوياتية لمشروع الجهوية"، و"الثقة والسياسات العمومية والمطالب الاجتماعية"، و"ظاهرة التشيع بالمغرب: النشأة والتطور"، و"الفوارق والتماسك الاجتماعي في المغرب: رهانات وتوجهات السياسات العمومية[1]."

وصلا بما سبق، يتضح أن هذه الدراسة النوعية في تشعب مجالاتها وحقولها، قد وضحت بشكل كبير أهمية الرابط الاجتماعي في دراسة المجتمع المغربي وتعالقاته مع كافة المجالات الحيوية، والتي سنعتمد على بعض نتائجها فيما يخص مخرجات الرابط الاجتماعي كما تم تحديدها سوسيولوجياً، والتي تتمثل في طبيعة استمرار المجتمع، وطبيعة التضامن الاجتماعي ودرجته، والحماية والتجانس الاجتماعيين عبر مختلف المجالات الحضرية، ومدى تأثيرها على التحولات والتغيرات الاجتماعية في ظل حدة ودرجة الكثافة السكانية وطبيعة سياسة المدينة، خاصة وأن وباء كوفيد 19 وباء حضري في شموليته. ومن هنا أهمية دراسة المدينة في علاقتها كنمط عيش بالصحة والسكن والأحياء السكنية والفضاء العام عموماً، باعتباره ما يفصل ويربط في الآن نفسه البيت السكني عن/بالعالم، لطالما تعد المدينة بالنهاية هي العالم الذي يحيا فيه معظم الناس

1- نفسه

حياتهم ومتخيلهم، مستندين في ذلك على عدد من الدراسات الميدانية الأخرى التي قامت بها المندوبية السامية للتخطيط على سبيل المثال لا الحصر.

3 - المغرب ما قبل كورونا وما بعدها، نحو تشخيص للتحولات القيمية والاجتماعية

علمياً لا يمكن الحديث عن المغرب بعد كورونا إلا بعد إجراء ما يكفي من الدراسات والأبحاث في مختلف العلوم والتخصصات المعرفية، في ارتباط بما سوف يخلقه الوباء في مختلف المجالات من تأثيرات، ومن منظور علم الاجتماع، وانطلاقا من المعاينات السوسيولوجية من خلال توظيف عدد من تقنيات ومناهج البحث الكيفي، بالاعتماد على مجالات ومعطيات سواء ما يبث في الإعلام أو في شبكات التواصل الاجتماعي أو ما نعايشه من مختلف تمظهرات الفعل الاجتماعي في التعامل مع الحجر الصحي وحالة الطوارئ وتمثلات الناس في مختلف الأوساط الاجتماعية، خاصة وأن الوباء قد أبرز عددا من المؤشرات ذات الصلة بسوسيولوجيا الهامش وبمستوى التمثلات الاجتماعية والوعي الصحي عبر طبقية، يتضح أن الحجر الصحي طبقي في عمقه وتجلياته، بالرغم من أن الوباء لا يعترف بالطبقات والحقول والانتماءات الاجتماعية، وهو ما يستدعي وجوباً استحضار تحولات الرابط الاجتماعي.

فإذا كان الوباء يعمل على دمقرطة الإصابة بالفيروس، فهو لم يستطع القضاء على التفاوت الاجتماعي والاقتصادي بين الفئات والطبقات الاجتماعية، بل زاد في تعميقها وتعميق الهشاشة والفقر، فقد كشفت دراسة أنجزتها المندوبية السامية للتخطيط حول " تأثير كورونا في الوضع الاقتصادي والاجتماعي والنفسي للأسر" أن٪ 34 من الأسر المغربية لم يعد لها أي مصدر للدخل بسبب توقف أنشطتها خلال الحجر الصحي، منها 44٪ من الأسرة الفقيرة و ٪42 من الأسر تعيش في مساكن عشوائية، وأن٪ 57 من المقاولات أوقفت نشاطها بشكل دائم أو جزئي، حيث علقت 135 ألف مقاولة نشاطها، فيما أغلقت 6300 مقاولة أبوابها نهائياً، وهو ما يفيد ارتفاع حاد في البطالة في المرحلة المقبلة[1]، بمعنى أننا أمام فئتين من المجتمع، فئة الهامش وهي الأكبر، والفئة المندمجة سوسيو اقتصاديا وهي الأصغر. ولكل فئة ثقافتها الصحية وظروف الوقاية الخاصة بها.

1- للمزيد من المعطيات أنظر دراسة "تأثير كورونا في الوضع الاقتصادي والاجتماعي والنفسي للأسر " على موقع المندوبية السامية للتخطيط الرسمي: https://www.hcp.ma

بيد أن الإحساس بالمشترك أصبح أكثر بروزا من قبل، لأن خطر الموت يتهدد الجميع على قدم المساواة، وهنا يكون الحديث عن بداية وعي إيكولوجي جديد يدمج البيئة والطبقات والفئات الاجتماعية في حقل مركب واحد، بحيث كل تهميش أو إقصاء لفئة دون غيرها يهدد الجميع بالنهاية.

ولهذا، فالافتراضات النظرية النابعة أساسا من التسلح بالسياق النظري والتاريخي من جهة، وبالنموذج المثال الفيبري إذا جاز لنا توظيف البعد الفهمي للسوسيولوجيا الفيبرية، ستقودنا للحديث عن "ما بعد" كورونا انطلاقا من إقامة هذا النموذج الذي يكون حداه هو المجتمع المغربي "ما قبل" كورونا، والمجتمع المغربي المحتمل "ما بعد" كورونا. "إن النماذج المثالية، ما هي إلا محاولات تفسيرية، تستخدم كأداة تحليلية ومنهجية في الوقت نفسه، ويسعى الباحث لاختبارها، لأنها بمثابة تشييد عقلي Mental construction يؤدي في النهاية إلى التوصل لمجموعة من القوانين العامة، التي تعتمد على الواقع الفعلي، وإن كان ماكس فيبر يؤكد على أنه ليس بالضرورة أن تكون هذه الأنماط المثالية، التي يشيدها الباحث لاختبار فروضه، وتساؤلاته ونظريته عموما، مطابقة للواقع الفعلي، فقد تتشابه مع الواقع الفعلي أو تختلف عنه أيضاً [1].

وبالنظر إلى طبيعة المجتمع المغربي ما قبل كورونا والذي يتميز بتركيبه الشديد، حسب التوصيف الكلاسيكي لبول باسكون حول المجتمع المغربي المركب، والذي يتحدد من خلال تعالق التقليد والحداثة، الأصالة والمعاصرة، القديم والجديد، الفردي والجماعي، العلمي واللا علمي، تبرز إزدواجية التضامنات الآلية والعضوية بتعيبر إميل دوركهايم، وبالرجوع إلى عدد من الدراسات الميدانية سواء التي قام بها باحثون بمجهود شخصي أو التي قامت بها مؤسسات من قبيل المندوبية السامية للتخطيط، أو المجلس الأعلى للتعليم أو المجلس الاقتصادي والاجتماعي أو المعهد الملكي للدراسات الاستراتيجية، يتضح أن المغرب يعرف توترات على مستوى الرابط الاجتماعي مصاحب بانهيار قيمي، وبانهيار التضامنات التقليدية أو الآلية التي ميزت المغرب والمغاربة من خلال العلاقات العائلية وعلاقات الجوار: الجيران، أو علاقات الصداقة .

ترتبط العلاقات الاجتماعية في تحولاتها بالكثير من العوامل والأسباب التي لا تنفصل في سياق سيرورة التحول المجتمعي عن الرابط الاجتماعي والقيم المؤسسة

1- يونس بنمورو، السوسيولوجيا الكلاسيكية والمسألة الحضرية3، عن موقع الحوار المتمدن، على الرابط:
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=343795 تم التصفح يوم 2020/06/10

للبراديغم، وهذه السيرورة هي في العمق سيرورة زمنية، بمعنى تدوم في الزمن، وسيرورة انتشارية، بمعنى انتقالية تشمل المكان، وهنا يحيل المكان على جغرافية البلد. ولهذا، فبالرغم من التحولات الملاحظة اليوم في الرابط الاجتماعي، وبروز قيم وتراجع قيم أخرى، فإن استمرارها في الزمن، حتى يمكننا أن نتكلم عن تحولات وتغيرات اجتماعية مشروطة بما سيحدث للرابط الاجتماعي في فترة ما بعد كورونا، قد تكون كل هذه السلوكات والأفعال لحظية ومؤقتة مرتبطة بزمن الحجر الصحي وحالة الطوارئ، ومرتبطة بعامل الخوف، وقد تستمر في الزمن الما بعد، مؤسسة فعليا لزمن آخر ولرابط اجتماعي وقيمي مختلف.

إن ما نلاحظه اليوم من نقد اجتماعي لنظام التفاهة الذي هيمن على وسائل الإعلام وشبكات التواصل الاجتماعي، والذي ارتبط بظاهرة "البوز" وبروز نماذج اجتماعية أنومية بتعبير بارسونز اتخذت حيزا مهما من الزمن الاجتماعي للمغاربة، كما تشهد على ذلك ظاهرة الطوندونس في اليوتوب وشبكات التواصل الاجتماعي الأخرى، مقابل تتويج نماذج قيادية جديدة من قبيل العلماء، الأطباء، والأساتذة، والممرضين ورجال الأمن والدرك والجيش وكافة المهن والوظائف ذات الحمولة الاجتماعية والأمنية الحامية للمغاربة، والتي تشكل جوهر الدولة الحامية في بعدها الاجتماعي، بحيث جاء هذا التتويج ليعوض النماذج الإشهارية التي شكلت لزمن طويل القدوة في المجتمع المغربي، منذ ظهور شبكات التواصل الاجتماعي، وخاصة في العقد الأخير، نتيجة تراجع دور المدرسة والجامعة، وتهميش الكفاءات والنماذج الإرشادية التي تخضع لقيم المجهود والاستحقاق والعدل والحرية، وهو ما يعادل تحولا في البنيات الأنثربولوجية للمتخيل المغربي.

لكن لكي تتكرس هذه القيم يجب أن يتم استيعابهما في المدرسة وكافة مؤسسات التنشئة الاجتماعية، وبالأخص في الإعلام لمدة طويلة، حتى يقع التطبيع من جديد معها، وهو ما يجب أن يصاحب مؤسساتياً وقانونياً عبر إصلاح حقيقي يشمل كل المجالات، إذ ليس من السهل أن يتم المرور من نظام قديم إلى نظام جديد للقيم، خاصة وأن جزءاً كبيراً من المجتمع لم يستطع أن يتخلى حتى عن بعض العادات الاستهلاكية، والتي يعبر عنها القاموس الشعبي ب"اللهطة"، والتجمهر والازدحام على أماكن وفضاءات التسوق والأنانية في عز الأزمة، ولهذا يصعب التنبؤ بمآل الرابط الاجتماعي والقيمي لزمن ما بعد كورونا، بيد أن المؤشرات الأولية تفيد المزيد من التصدع والخلل الوظيفي في أداء الرابط الاجتماعي.

الأمر نفسه ينطبق على الفردانية في صيغتها المتوحشة والمغالية كإفراز للنيوليبرالية، فاندثار قيم التضامن الاجتماعي كان نتيجة لتسليع الإنسان وتبضيعه، بحيث تحول مفهوم النجاح والخلاص من بعده الجماعي إلى بعده الفردي، عبر تفكيك كل المؤسسات الاجتماعية والسياسية من الأسرة إلى الحزب والنقابة، نتيجة العنف الاقتصادي الممارس على المواطنين، عن طريق الاختيارات النيوليبرالية للدولة، التي تخلت عن وظيفتها الحامية الضامنة لقيم العدالة الاجتماعية عبر مأسسة العنف السوسيو اقتصادي بالدرجة الأولى، والذي طال الأسرة كما الطبقة المتوسطة التي تهشمت وتفككت إلى فئات ودرجات أثرت على الملف المطلبي والحوار الاجتماعي الذي انتقل من شمولية المطلب وعموميته إلى فئوية اجتماعية قطاعية، سرعان ما أثرت بدورها على الرابط الاجتماعي والثقافي الذي أصبح موسوما بمزيد من الفردانية والأنانية والزبونية الحزبية والنقابية.

إن بروز بعض القيم الإيجابية والسلوكات التضامنية ناتج عن سببين، الأول هو الخوف من المرض ومن الموت، خاصة وأن فيروس كورنا في جوهره الانتشاري لا يميز بين الفئات والطبقات الاجتماعية، فالكل أصيب بالخوف والذعر، وربما بشكل أكبر الفئات المندمجة سوسيو اقتصاديا، لأنها أكثر تعلقاً بالحياة ومتشبتة بها، على عكس فئات الهامش والهشاشة التي هيمن على سلوكها اللامبالاة بشكل كبير، وهي لا مبالاة مرتبطة أيضاً بنوع من القدرية، وبفقر معرفي وثقافي في الوعي الصحي. أما السبب الثاني، فيمكن إجماله في حجم التعبئة الوطنية والتوعية بأهمية التضامن في هذه المرحلة العسيرة، ناهيك عن انتعاش التضامن المرتبط بقيم دينية واجتماعية ميزت جل المغاربة على امتداد الأزمنة، لكن بالتدقيق في حجم وكثافة هذه القيم التضامنية والسلوكات الإيجابية، يمكن استخلاص أنها قيم استثنائية مرتبطة بالبعض وليس الكل، والدليل هو نزوح عدد من المواطنين من ذوي المقدرة وهم كثر والمؤسسات، خاصة من الذين يمتلكون ثروات عن البراديغم الاجتماعي وعن الإجماع التضامني، ولنا في ذلك أمثلة من خلال مؤسسات التعليم الخصوصي، ومصحات الطب الخاص، وبعض المقاولات والشركات ممن استبد بهم الجشع والاستغلال حتى في ظل الأزمة، مما يمكن وسمهم بتجار الأزمات، وإذا كان هناك دوما استثناء من هؤلاء، فإن حجم الدعم الذي حظي به صندوق كورونا يعكس حجم تضامنية المجتمع المغربي. ناهيك عن إقدام بعض مالكي العقارات على طرد مواطنين من مساكن الكراء، وما ارتبط بذلك من ظواهر وسلوكات.

وفي سياق الحديث عن التضامن التقليدي المرتبط بالثقافة والتقاليد، وأقصد التضامن الآلي بتعبير دوركهايم، يجب أن نميز بين التضامن المرتبط بالحس الوطني وبالستر والإيثار والوازع الديني الخالص، وظاهرة التضامن الإشهاري الذي يبحث من خلاله البعض عن "البوز" وعن تلميع وتبييض الصورة الاجتماعية، كما يحدث عادة في ظل كورونا أو قبلها من توظيف الأزمات واستغلالها من قبل عدد مهم من السياسيين والمنتخبين من ذوي المال والعقارات والمصالح، كلما كانت الانتخابات على الأبواب.

إذا كان الحديث عن انتعاش التضامن في بعديه الأفقي والعمودي، الألي والعضوي، في زمن كورونا من المعطيات الميدانية التي لا يمكن للباحث السوسيولوجي التغاضي عنها، فإنه من السابق لأوانه الحديث عن تضامنية المجتمع المغربي كسلوك يومي مستديم بسبب كورونا، خاصة في ظل الدراسات التي تؤكد تراجع الإحساس بالتضامن وتفكك علاقات الجوار والصداقة، ولنا في دراسة قامت بها المندوبية السامية للتخطيط والبحث الوطني حول الروابط الاجتماعية في المغرب، الذي أنجزه المعهد الملكي للدراسات الاستراتيجية في الرباط سنة 2012، مثال عن ذلك.

إن مدة الحجر الصحي، بما تقتضيه من حالة الطوارئ نفسها كحيز زمني ليست كافية لوحدها لإحداث التحولات القيمية، طالما أن تحولات القيم وتحولات الرابط الاجتماعي هي تحولات جيلية، تتطلب عقد إلى عقدين من الزمن، لأن التحولات الثقافية على عكس التحولات الاقتصادية والسياسية التي قد تكون أحيانا آنيةوفجائية، تتطلب مدة وسيرورة في الزمن، لكن إذا نظرنا إلى تبعات كورونا على كافة المستويات، ومنها الركود الاقتصادي الذي يعرفه العالم وسيعرفه بقوة بعد الخروج من الحجر الصحي، وعودة الحركة التجارية والبشرية بين الدول، يمكننا وضع تصور تنبوئي لما يمكن أن يقع للرابط الاجتماعي من تحولات، وهنا يجب أن نعرف أن المجتمع المغربي بشكل عام، كما هو شأن الكثير من البلدان والمجتمعات الدائرة في مدار النيوليبرالية، لم يعد مجتمعا متضامنا كما كان في السابق، إذ يكفي أن نعرف أن الإحساس بالتضامن في المدن بين العائلة والجيران وأوساط الأصدقاء أصبح ضعيفاً، فحسب البحث الوطني حول الروابط الاجتماعية في المغرب لسنة 2012 الذي أنجزه المعهد الملكي للدراسات الاستراتيجية في الرباط،

أكثر من٪ 65 من المستجوبين الحضريين تراجع لديهم الإحساس بالتضامن، في مقابل٪ 35 في المجال القروي[1].

وقد أشار المندوب السامي للتخطيط أحمد الحليمي علمي، عندما قدم التقرير الوطني حول أهداف الألفية 2012 الأخير، إلى تراجع التضامن العائلي الذي يمكن من التخفيف من تكلفة دخول الشباب للحياة النشيطة[2]، وكذا ارتفاع نسبة الإعالة في المغرب، مما يجعل الاندماج السوسيو اقتصادي والتوزان الاجتماعي للشباب والعاطلين وذوي الدخل المحدود بات صعباً للغاية، نتيجة ارتفاع حدة الفردانية الناتجة بدورها عن عدة أسباب، من بينها للمثال لا الحصر تآكل القدرة الشرائية للمغاربة، وارتفاع تكلفة الحياة، مقابل تدني مستوى الأجور وارتفاع الضرائب والجبايات وهيمنة القطاع الخاص على أهم وظائف الدولة الحامية من تعليم وصحة وسكن، خاصة في ظل عدم القدرة على الادخار وارتفاع ديون الأسر نتيجة ارتفاع الأسعار، فقد خلصت نتائج بحث الظرفية لدى الأسر، الصادر عن المندوبية السامية للتخطيط، إلى أن٪ 80 من الأسر المغربية غير قادرة على الادخار خلال الشهور الاثني عشر المقبلة، حيث استقر رصيد هذا المؤشر في مستوى سلبي بلغ ناقص 59.1 نقطة عوض ناقص 64.1 نقطة المسجلة خلال الفصل السابق وناقص 66.6 نقطة خلال الفصل الأول من السنة الماضية.[3]، وهذه العوامل كلها تجليات للعنف الاقتصادي، الذي يميز بشكل كبير الدول العائمة في محيط النيوليبرالية المتوحشة، مثل المغرب والبلدان النامية الأخرى.

وإذا عرفنا أن الحركية الاجتماعية الصاعدة ضعيفة جداً، مقابل ارتفاع مستوى الحركية النازلة أو الحركية الاجتماعية الثابتة، نتيجة ارتفاع منسوب البطالة بشكل كبير[4]، يمكن أن نرى مستقبلا حزيناً، وهو ما سيؤدي إذا لم تنتعش موارد التضامن العضوي المؤسساتي عبر سن عدد من القوانين التضامنية في العمق والاجتماعية في الوظيفة، ومنها هندسة جديدة للضرائب والجبايات، بما في ذلك الضريبة على الثروة، وتشجيع

1- البحث الوطني حول الروابط الاجتماعية في المغرب 2012 الذي أنجزه المعهد الملكي للدراسات الاستراتيجية في الرباط، نقلا عن عبد الرحمان رشيق،" السياسة العمرانية والعلاقات الاجتماعية في المغرب"، مجلة عمران، العدد، ص، 7

2- كلمة أحمد الحليمي علمي، المندوب السامي للتخطيط في افتتاح اللقاء عن: أية أهداف للتنمية لما بعد 2015؟ الرباط 27 يناير 2015، نقلا عن عبد الرحمان رشيق، المقال السابق ذكره، ص، 7.

3- محمد لديب، "مندوبية التخطيط، غلاء الأسعار يحرم من الإدخار"، على الرابط:

https://www.hespress.com/societe/359165.html تم تصفحه يوم 2020/06/12

4 - أنظر: عياد أبلال، الحركية الاجتماعية والتحولات السوسيو مجالية بالمغرب، المرأة، الأسرة، الشباب والوعي بالتغيير، الطبعة الأولى، روافد للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012.

المقاولات الصغرى والحرف وإصلاح منظومة الاقتصاد غير المهيكل، إلى نتائج وخيمة، لهذا لا يمكن الرهان على التضامن اللحظي المرتبط بانتعاش الوازع الديني أو الأخلاقي، أو الحس التضامني نتيجة الخوف ووحدة المصير تجاه لحظة زمنية معينة، محدودة في الزمن والمكان، كما هو الحال بالنسبة إلى زمن كورونا، خاصة في ظل وضعية الأسر المغربية والمؤشرات السوسيو اقتصادية ذات الصلة، والتي لا يمكنها أن تسمح لها بأن تكون متضامنة حتى ولو رغبت في ذلك.

إن حجم الخسائر المرتبطة بكوفيد19، مقارنة بمحدودية موارد صندوق مكافحة كورونا كفيل بمعرفة محدودية الاعتماد على التضامن الأهلي في صيغته الآلية، خاصة أمام جشع عدد من المؤسسات التجارية والمقاولات الصناعية والخدماتية، من مؤسسات التعليم الخصوصي إلى المصحات الخاصة، مرورا بعدد من الوحدات الصناعية التي لا يهمها سوى الربح ولو على حساب حقوق العمال والمستخدمين، حتى في عز الأزمة. فإذا عرفنا أن عائدات السياحة لوحدها تقدر ب 8 مليار دولار سنعرف أن ما جمع من أموال لحد الآن لا يفي بتاتا بالغرض، ولن يكون في حجم التحديات والمخاطر الاقتصادية والاجتماعية للوباء. "ومما يفاقم الوضع الاقتصادي والاجتماعي عندنا أن الوضع لدى جيراننا في الاتحاد الأوروبي ليس بأفضل حال، علماً أن دول الاتحاد تستقطب ٪ 58 من الصادرات المغربية، فيما تمثل استثماراته الأجنبية في القطاع الصناعي نسبة٪ 59. وفي القطاع السياحي، فتمثل نسبة٪ 70، ويبدو أن هذا الوضع قد يتغير سلباً بسبب سياسات الانكفاء والاعتماد على الذات، والتي باتت مغرية أكثر للدول بسبب تداعيات كورونا"[1].

أضف إلى ذلك انتشار العادات الاستهلاكية السيئة والمرتبطة بنزوعات الأنانية والجشع في المحلات التجارية والأسواق الكبرى، وهي عادات استمرت حتى في شهر رمضان الكريم، الذي من المفروض أن يكون شهرا للتعبد والتقشف والزهد، دون أن ننسى طرد بعض مالكي العقارات مكترين وجدوا صعوبة في أداء سومة الكراء، ولولا تدخل السلطات في الكثير من الحالات لكانت أسر كثيرة تشردت في أوج أزمة كورونا...، إلخ من المظاهر التي تعكس فردانية المجتمع المغربي وانهيار قيمه التضامنية.

1- إسماعيل حمودي، "ماذا عن الاحتجاجات المقبلة؟"، موقع اليوم 24 على الرابط:http://alyaoum24.com/1424116.html تم التصفح يوم 2020/06/14

4 - كورونا والتحولات الاجتماعية من الحي السكني إلى سياسة المدينة

يشكل سؤال السكن وإشكالية الحجر الصحي مدخلا رئيسياً في تناولنا لهذا المحور، خاصة إذا علمنا طبيعة العلاقة المعقدة بين السكن والهشاشة الاجتماعية في المغرب، وهي علاقة وجدت تجليات متعددة لها في الدراسات السوسيولوجية والإنسانية من جهة، كما تناولتها كتابات أدبية، من خلال القصة والرواية من جهة أخرى.

ضمن هذا السياق تناول الباحث السوسيولوجي أحمد شراك في كتابه: "كورونا والخطاب" هذه التجليات من خلال قصة نشرها الكاتب المبدع محمد بوزفور ، عبر فيها من خلال السرد القصصي الذي اتخذ حوارا بينه وبين صديقه، عن حالة الجبر والحجر، حيث اعتقد في البدء بأن لَمْقَدَم هو الذي يدق على بابه في ذلك الصباح، إلا أنه تفاجأ بصديقه الذي اتخذ وإياه كل الاحتياطات الوقائية، تعبيراً مخصوصا عن هذا الوضع... ولقد أبان النص أيضا على سرد نوع الإقامة المزرية التي كشف فيها أن غرفة واحدة تقوم بكل الوظائف، وكأني بالقاص يكشف عن حال الإقامة المزدوجة المنزلية والصحية.. بل وقد يومئ إلى ما تعاني منه الهشاشة الاجتماعية من ضيق رهيب في السكن، ليس لفرد واحد كما هو حال السارد، ولكن لتلك الغرفة الواحدة مع الجيران التي تأوي عائلة بالكامل. هذه العائلة التي كان مأواها الفضاء العام، من ممارسة ما سماه الباحث صالح الدين بالبيزنيس الشعبي.. حيث أن الفضاء العام هو ملاذها[1].

وإذا كان الباحث أحمد شراك، ينهي تحليله لقصة القاص أحمد بوزفور بسؤال موجه لهذا النوع من الأسر الهشة التي تقطن غرفة واحدة: "والآن كيف حالها ؟ كيف تعيش في هذا الحيز المكاني..."، فإننا نستخلص من قراءة 100 تدوينة على الفايسبوك ذات الصلة بالأحياء الشعبية في ظل ظروف الحجر، أن٪ 92 منها تشير بشكل صريح إلى انشغال المغاربة الملح بعلاقة السكن والحجر الصحي، وهو ما يوحي ببداية الوعي بسؤال السكن، من خلال صيغة نقدية لسياسة المدينة، وقد سبق للمندوبية السامية للتخطيط أن أشارت إلى مشاكل السكن وهشاشة سياسة المدينة في أكثر من مناسبة، ملحة في

1 - أحمد شراك، كورونا والخطاب، مقدمات ويوميات، الطبعة الأولى، مؤسسة مقاربات للصناعات الثقافية واستراتيجيات التواصل، فاس، 2020، ص، 83. بتصرف

توصياتها على ضرورة محاربة السكن العشوائي والفقر، وإخضاع سياسة المدينة للتخطيط العمراني والمجالي بما يضمن العيش الكريم للسكان.

وعليه، فمن بين التحولات التي يمكن استخلاصها من علاقة الحجر الصحي بالسكن والسكنى، هو بداية تغيير في الوعي الاجتماعي بخصوص وظيفة السكن، إذ سيكتشف المواطن لأول مرة أن السكن ليس مجرد مساحة محاطة بأسوار وسقف للنوم فحسب، بل له وظائف أخرى، ومن بينها وظائف اجتماعية وتربوية كانت تقوم بها مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى وفضاءات اجتماعية موازية: من مدرسة ودور الشباب وملاعب القرب ومكتبات، ومقاهي ...إلخ، وهو ما سيقود إلى خلخلة في الوعي بوظيفة السكن، بالنظر إلى وظيفة الحي السكني ومشاكله، وتحديدا في مناطق الهشاشة والفقر والأحياء الشعبية ذات الكثافة السكانية المرتفعة، خاصة على المستوى المركزي والجهوي بالنسبة إلى القيمين على سياسة المدينة، بعدما اتضح أن تدبير هذا المجال الحيوي في ظل أزمة كورونا وصعوبة تطبيق الحجر الصحي وحالة الطوارئ، تدير صعب للغاية، لا سيما وأن الحي السكني كمجال بشري وحضري يشكل اللبنة الأساسية لسياسة المدينة، وهو ما يجب أن يدفع الدولة إلى إعادة النظر في سياستها الإسكانية والمجالية، حيث بات واضحا أن الحجر الصحي قد منحنا رؤية مفهومية ووعياً جديداً بكون أن الصحة العمومية مرتبطة بالوعي والثقافة الصحيين لدى المواطنين، وهو وعي وثقافة مرتبطين بدورهما بطبيعة المجال وطبيعة السكن، وهي مستويات لا تنفصل أيضاً عن التعليم، ولهذا فالنموذج التنموي الجديد يجب أن يتأسس على عمومية الصحة والتعليم والسكن وتجويد خدماتها بشكل يجعل التعبئة الوطنية فيما يتعلق بالصحة، أو أي رهانات وتحديات أخرى، ممكنة في ظل العدالة المجالية والسكنية، وهي عدالة تتأسس على ثلاث مجالات حيوية، ستعيد للدولة قوتها، لأن قوة الدولة من قدرتها على تلبية الطلب الاجتماعي، وهذه المجالات هي: التعليم، الصحة والسكن.

لقد كان التفكير في المدينة يتم من خلال المقاربة الأمنية، المرتكزة على الفصل بدل الوصل، التقييد بدل التحرير، الانغلاق الاجتماعي بدل الانفتاح، الذي يسم تدبير المجال الحضري برمته، خاصة في أوساط السكن الاجتماعي، حيث كانت الدولة تعتقد أن توفير السكن المكثف من خلال "سياسة الإسكان" كفيل بحل مشاكل المدارات الحضرية وشبه الحضرية التي تحولت بفعل الزمن إلى مدن غير مهيلكة تفتقد إلى أبسط شروط المدينة في معانيها الحضرية والحضارية، بحيث أن المعطى الثقافي والاجتماعي ظل غائبا

عن مدبري سياسة الإسكان، الذين لم يعوا أهمية التدبير الاستراتيجي للمدينة إلا في السنوات الأخيرة، بعد أن أصبح الخطاب الرسمي يتأسس على سياسة المدينة، بيد أن الممارسات في واقع الميدان ظلت على حالها.

إن تدبير المدن والمجالات الحضرية دون الانطلاق من السكان والرابط الاجتماعي ومن العائلة كوحدة اجتماعية وسياسية أولى، والتفكير في السكنى دون دراسة الساكنة معناه إعادة إنتاج مدارات الهشاشة وتفكيك الرابط الاجتماعي بكل ما يحمله من انهيار للقيم. ذلك أنه يجب دراسة المدينة "الراهنة" في العمليات الاجتماعية التي يمكن تفقدها من الداخل، انطلاقا من أقصى درجات حميمية المسكن والحياة الأسرية، والعلاقات الاجتماعية في الزقاق أو الحي، من قريب إلى آخر، وذلك من أجل رسم نسيج الحياة الاجتماعية التي تنشأ في المدينة، والتي تعد في هذا الصدد مدينة، والمدينة العائلية، تحول الأفضية المجهولة إلى أماكن، إذ تصبح المشاركة الشخصية أو الجماعية ممكنة، حيث ينشأ الارتباط، الابتكار عبر المجموعات الأكثر تهميشا في إطار حياة جماعية سكنية، وهي مسائل وساحات ممكنة لقيام توتر تفكيك/ بناء المدينة[1].

من هنا بات من الضروري إعادة النظر جذريا في سياسة المدينة، بالانطلاق من السكن والحي السكني كوحدة مجالية صغرى لسن استراتيجيات تدبير المدينة وفق مقاربة نسقية لا تفصل الرابط الاجتماعي عن القيم، ولا تفصل القيم عن السكن، بكل ما يعني ذلك من انصهار الاجتماعي في الثقافي، بشكل يجعل الأحياء والأزقة والشوارع امتدادا أنثربولوجيا للسكن، خاصة في أوساط الهشاشة الاجتماعية، وهو ما يتطلب دراسات سوسيولوجية وأنثربولوجية حضرية تبتغي أنسنة وتمدين المجال، الذي لا يمكنه أن يكون منتجا ومساهما في المجهود الحضاري للمدن إلا بفضل قلب مرجعيات التعمير، بحيث يحل الانفتاح بدل الانغلاق، التحرير بدل التقييد، الوصل بدل الفصل، وهو الأمر الذي يقودنا نحو استحضار مفهومين مركزين في تدبير المجال الحضري والحضاري، وهما الحرية والعدالة الاجتماعية.

هكذا إذن كانت " السلطات العمومية تتدخل في غالب الأحيان لمواكبة التغيير العمراني، وهي لا تستطيع حتى الأن التحكم في الصيرورة العمرانية، تختزل وظيفة المدن أمام توسعها السريع وتنامي هوامشها، فتصبح كأنها فضاء يقصده المواطن للنوم

1- ميشال أجيي، أنثربولوجيا المدينة، ترجمة وتلخيص ومراجعة سعيد بلمبخوت، كتاب الفيصل، العدد 30، 2020، ص، 32

فحسب، حيث لا توجد فيها المقومات الأساسية (من بنية تحتية وأماكن للشغل والربط بشبكة الطرق ومرافق اجتماعية ومركز المدينة وفضاءات لملء أوقات الفراغ ومطاعم ومحلات تجارية وخدماتية ومراكز شرطة...)"[1].

ضمن شروط معمارية وحضرية كهاته، يصعب تعبئة الموارد البشرية والحضرية لمواجهة الكوارث والأوبئة، وهو ما اتضح بشدة خلال أزمة كورونا، بحيث لم يستطع المواطنون الساكنون في الأحياء الشعبية ومدارات الفقر والهشاشة من احترام إجراءات وتدابير الحجر الصحي، وفي ذلك يستوى الشباب بالأطفال بالكهول، طالما أن بنية السكن نفسه لا تسمح بذلك، "فصغر المساحة المخصصة للسكن وكبر حجم الأسرة يحتم على الأطفال غزو الفضاء العام للحي، باعتباره امتدادا روحيا وموضوعيا للبيت السكني"[2].

وكلما كانت كثافة الفقر والهشاشة أعمق من قدرة البلاد على تدبير الموارد الاقتصادية والاجتماعية، كلما كانت قدرتها على التعبئة والتأطير أصعب، وكلما اشتدت هذه الكثافة حدة، كلما أصبحت المدينة نفسها مصدراً للأنوميا والتوتر السياسي، ولعل تاريخ الحركات الاحتجاجية في المغرب خير مثال على ذلك، مما يجعلنا أمام تكرار السيناريوهات ذاتها فيما يخص مستقبل الحركات الاجتماعية الحضرية، وهو ما تنكشف مؤشراته مع أزمة كورونا، فحسب تصريح للأمين العام لحزب التقدم والاشتراكية، محمد نبيل بنعبد الله، فإن جائحة فيروس كورونا، "كشفت أن هناك درجة عالية من الفقر والهشاشة، إذ أكد 7 ملايين رب أسرة أنه بحاجة إلى دعم مالي مباشر، وهو ما يعني أن 20 مليون مغربي يعيشون الفقر والهشاشة، مؤكداً أن انعكاسات الجائحة ستكون سلبية وغير مسبوقة على المغرب وعلى باقي الدول، وستزداد حدتها اقتصاديا واجتماعيا ببلادنا مع مر الأيام بالنظر لتزامنها مع الجفاف وآثاره المدمرة"[3].وهي حدة أكبر في المجالات الحضرية، وخاصة منها ذات الكثافة السكانية الكبيرة، وإذا كان تدبير الأزمة ما بعد كورونا، يقتضي التسلح بذكاء وتعبئة وطنية وسياسية واجتماعية غير مسبوقة، فإن التفكير في زمن ما بعد كورونا لا يجب أن ينفصل عن التفكير في المدينة، خاصة إذا علمنا أن تأثيرات الجائحة لا تشمل فقط المدى القريب، بل المتوسط والبعيد.

1- عبد الرحمان رشيق، السياسة العمرانية والعلاقات الاجتماعية في المغرب، مجلة عمران، العدد 5/18 خريف 2016، ص، 18

2- نفسه، ص، 22.

3- للمزيد أنظر موقع العمق المغربي، على الرابط- = https://m.al3omk.com/547873.html : تم التصفح يوم 2020/06/13

من هنا، فالتفكير السياسي الاستراتيجي هو تفكير في اللامرئي والمخفي في المدينة، والتخلي عن التعالي الاجتماعي والسياسي الذي ميز السياسات الحكومية منذ الاستقلال، والذي اشتدت حدته منذ 2012، حيث أصبح تفكيك رهانات الدولة الحامية أحد مرتكزات حزب العدالة والتنمية منذ حكومة السيد عبد الإله بن كيران بالتخلي عن قطاعي الصحة والتعليم، وهو ما جعل اللامرئيين بتعبير أكسيل هونيت أو الاستبعاد الاجتماعي بتعبير روني لونوار[1]، يزداد حدة وكثافة. وكل ذلك ساهم في تعميق الخلل الوظيفي في أداء الرابط الاجتماعي، والذي كان من بين نتائجه ارتفاع الحركات الاجتماعية وانتشار ظواهر الانحراف والأنوميا والجريمة والعنف، من التفكك الأسري إلى ظواهر "التشرميل" وهي ظواهر وسمها المتخيل السلطوي بظواهر "بوزبال"، حيث يصبح الوجه والجسد علامة على اللا انتماء.

"إن الاهتمام باللامرئيين Les invisibles الاجتماعيين هو في جوهره اعتراف بوجودهم لأن اللامرئية الاجتماعية كما يتناولها أكسيل هونيث هي التجلي العملي للموقف الاستعلائي إزاء الآخر ورفض الاعتراف بوجوده، وهي في بعض وجوهها فعل إرادي وهو أيضا اهتمام بجهد من تسميهم بيتلر فاقدي الوجة Les sans –visage ، أي أولئك اللذين لا تريد سلطة المهيمنين أن تراهم، فهم بسعيهم أن يكون لهم"وجه" إنما يبحثون عن حضور مادي في الفضاء العام ضاغط على الآخرين فارضا عليهم يقظة ايتيقية سريعة يلحقها برنامج سياسي بديل للنهوض الاجتماعي، فحين نطرح المسألة من منظور ابستيمولوجيا علم الاجتماع، فإننا نضع وجها لوجه خيارين لممارسة البحث السوسيولوجي الأول هوليستي Holiste يهتم بالكلي وبالبنية وبالمحددات الكبرى لسلوك الأفراد والثاني يولي اهتماما بالفردي والجزئي والمجهري "[2]. وهو ما يجعل الخيار الثاني ذا ملحاحية كبيرة اليوم أكثر من أي وقت مضى، أو ما نسميه في الأدبيات السوسيولوجية بعلم اجتماع الهامش.

تأسيساً على ما سبق، تتبدى بوضوح مداخل التفكير في المدينة مستقبلا، من وجهة نظر سوسيولوجية، وهي، حسب يانكل فيجالكوف: "العلاقة بين المجالات الحضرية والمجتمع، المدينة كنمط حياة وعيش، المدينة كفضاء سياسي، وهي مجالات تجيب على

---

1 -Cf : René Lenoir, les exclus ; un français sur dix, nouvelle édition, seuil, 1989

2- ما هر حنين، سوسيولوجيا الهامش زمن كورونا، الخوف، الهشاشة الانتظارات، الطبعة الأولى، المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، أبريل 2020، ص، 9.

سؤال أساسي: بماذا تعتبر المدينة موضوعاً سوسيولوجياً "[1]، وهي المدينة التي يجب حتمياً أن تضمن الاستهلاك والانتاج وحيازة الرساميل المادية منها والرمزية والمشاركة السياسية على قدم المساواة. ففي مثل هذا السياق، إذا جاز لنا الارتكاز على الدراسات المقارنة "ظهرت بجلاء الكتابات حول مصطلح الاستبعاد الاجتماعي في الحقل الفرنسي بعد ظهور كتاب روني لونوار "المستبعدون الفرنسيون" وفيه استخدام موسع لدلالة المستبعدين ليشمل كل الأفراد الذين يعانون مشكلات اجتماعية ولا يتمتعون بأي حماية اجتماعية ولا تأمين اجتماعي ويتسع استخدام هذا المفهوم ليشمل- لدى عديد الباحثين- لا فقط ضعف الأسباب المادية والفقر ومحدودية الدخل ليتعلق بكل المعوقات التي تمنع فردا أو مجموعة من الأفراد أو فئة من الاندماج في المجتمع. هنا يصف بوكهارت الاستبعاد الاجتماعي بأنه "عدم المشاركة في الأنشطة الاجتماعية والأساسية ويتضمن أربعة أبعاد هي:

عدم الاستهلاك: التمكن من شراء السلع والحاجيات والخدمات والحصول على سكن لائق

عدم حيازة نظام توفير من قبل امتلاك مدخرات وراتب تقاعد وملاذ وقت الأزمات

العجز عن المشاركة في الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية من خلال فرص العمل القار وضمان الدخل والحصول على التعليم والنفاذ للخدمات العامة

عدم المشاركة السياسية والمساهمة في صنع القرار على المستويين المحلي والوطني، وبالتالي ضعف التفاعل مع المجتمع المحلي والوطني"[2].

من هنا يصبح التفكير في المدينة تفكيرا في الرابط الاجتماعي وتفكيرا في السياسة باعتبارها فن تدبير المدينة، بحيث لا يجب أن ينفصل التفكير في السكن والحي السكني إطلاقاً عن التفكير في موارد هذا الرابط في مختلف المجالات، خاصة إذا تعلق الأمر بالعمل والفضاء العام، سواء كان شارعاً أو أزقة أو مساحات خضراء وحدائق، والتي يجب أن تكون قريبة ودافئة، لطالما أن الإحساس بالانتماء إلى المدينة كما الوطن يبدأ من الأماكن القريبة، أو كما يقول ميشال أجيي: "إن الأماكن القريبة لساكن المدينة هي تلك التي يحدد هذا الأخير نفسه من خلالها بشكل أكثر عفوية. إنها أفضية التداخل

---

1 - Yankel Fijalkow, Sociologie des villes, édition la Decouverte, 2012 ; p,9

2- ماهر حنين، سوسيولوجيا الهامش زمن كورونا، مرجع سبق ذكره، ص، 11.

المتكامل تقريبا بين إطار مادي والشعور بالانتماء إلى جماعة، مهما كانت صغيرة، حيث تستمد منها أول شكل لهويتها أمام الآخرين الأكثر بعدا، فعلى العالم المنزلي حيث يتعين إذن إبداء الاهتمام أولا. والبيت هو أول سياق لإضفاء الطابع الاجتماعي، وفي الوقت نفسه، يعد مجالا لأول فردانية، بحيث لا يصبح الناس أفرادا للآخرين إلا بالدخول في العالم، والبداية من العالم المنزلي. فعلى الصعيد المايكرو اجتماعي وفي الحالات الاقتصادية الأكثر هشاشة، الأماكن التي يؤسس فيها سكان المدينة أول انتماء إلى العالم والمدينة تمتد منذ البداية بعيدا عن عالمهم المنزلي الوحيد، الذي يكون أصلا هشا حينها وغير مكتمل نسبيا من حيث وظائف التنشئة الاجتماعية، فإسناد المعنى العائلي (أو بشكل موسع، المألوف) إلى أماكن العيش يتجاوز إذن الإطار السكني الوحيد للأسرة الحضرية، ويبلغ حصصا متباينة في المدينة (شبكات منازل، أزقة، ساحات)، حيث يظل التردد والتفسير حينئذ خاصين إلى حد كبير"[1].

وهذا يعني أن المدينة ليست مجرد بنيات مادية قابلة للتدبير الأمني والتنموي، بل هي أيضا بنيات رمزية ونمط حياة ورؤية للعالم والأشياء، فمن التخطيط المجالي وإعداد التراب الوطني إلى التصميم الحضري والهندسة المعمارية، ومنهما إلى التخطيط الثقافي والاجتماعي تنبثق مكونات سياسة المدينة في مختلف تجلياتها الحضارية والمدنية، و"لهذا فـ"التهيئة الحضرية بصفتها نمط عيش" حسب العبارة الشهيرة للويس ويرث، ينبغي أن تشير إلى غياب الانغلاق الاجتماعي في الأزقة، إذ لا يتعلق الأمر بتشكيل "قرية في المدينة"، لكن بالأحرى بالمرور الذي يؤدي من قريب إلى آخر إلى علاقات راسخة ومحددة في العالم المنزلي وإلى علاقات موسعة في المجالات الحضرية الأخرى، وبذلك تظهر مسارات السكان في المدينة على نحو أفضل كلحظات علاقات اجتماعية ..... فمعنى المكان هنا يكون مرتبطا ارتباطا وثيقا بوجود التبادل الرمزي والاجتماعي الذي يشكل دعامته. وفي هذا الإطار، فإن مسألة الحيز المادي تكون حاضرة بالفعل، لكن بشكل ثانوي، حسب التعبير الكلاسيكي والأكثر دقة، فرمزية الحيز تكون" محددة جدا" برمزية العلاقات الاجتماعية"[2].

من هنا، فالتوزيع السكاني على المجالات الحضرية، والتباين الحاصل بين الجهات من جهة وبين المدن من جهة أخرى، وكذا بين المجالات الحضرية نفسها، يصبح عاملا

1- ميشال أجيي، أنثربولوجيا المدينة، مرجع سبق ذكره، ص، 56

2- نفسه، ص، 57-58

من العوامل المهددة لانتشار الأوبئة والأمراض، كما هو الحال بالنسبة لأزمة كورونا، فقد لاحظت المندوبية بناء على الإحصاءات المنشورة إلى غاية 24 ماي الجاري، أنه "من بين 7532 مصابا بكورونا، ٪ 86 ينحدرون من الجهات الخمس الأكثر كثافة في المغرب، وهو ما يقارب تسع حالات من أصل عشرة، وأن هذه الجهات هي الدار البيضاء سطات (32,6٪)، ومراكش آسفي (17,6٪)، وطنجة تطوان الحسيمة (13,8 ٪)، وفاس مكناس (13,2٪)، ثم والرباط سلا القنيطرة (9,2 ٪)، بحيث تتميز الجهات الخمسة المذكورة بتمركز أكبر للساكنة النشيطة المشتغلة في القطاع الصناعي (أزيد من 12٪)، وأن هذه الأنشطة تتركز أساسا في المناطق الحضرية التي تتسم بكثافة سكانية مرتفعة، كما أشارت الدراسة إلى أن الكثافة تختلف داخل المدينة نفسها باختلاف الفئات السكنية، وأن المناطق ذات الكثافة الأكبر هي أحياء السكن الاقتصادي والاجتماعي حيث تصل فيها الكثافة بمدينة الدار البيضاء إلى 18658 نسمة في الكيلومتر مربع، ثم المدينة العتيقة بـ16039، ثم السكن المتوسط بـ13412، فيما كثافة دور الصفيح تصل إلى 7143 نسمة في الكيلومتر مربع، وتعد الفئة الأقل كثافة هي فئة السكن الراقي بـ1120 نسمة في الكيلومتر مربع فقط. فيما يخص المخاطر المتعلقة بظروف السكن، فقد سجلت دراسة المندوبية السامية للتخطيط أن خطر العدوى أعلى في الجهات التي يعيش فيها السكان في المساكن المكتظة، وهي المساكن التي يكون فيها عدد الغرف غير كاف بالنظر إلى حجم الأسرة"[1].

من هنا، تصبح المدينة في ظل ارتفاع الكثافة السكانية وغياب رؤية استراتيجية لتدبير مواردها المادية والبشرية وفق مقاربة حضرية وحضارية نسقية، أحد مداخل الاحتقان الاجتماعي والتوتر السياسي، وهو ما يتضح جليا بالعودة إلى تاريخ المدن الكبرى بالمغرب. "فقد بدأت السياسة العمرانية منذ بداية السبعينيات في إطار التصميم الاقتصادي والاجتماعي الخماسي 1973-1977 ونظرا إلى قلة التجربة والكفاءة وضعف المصادر المالية، كان تدخل الدولة بطيئا ويقتصر على إعداد برامج سكنية للفئات الاجتماعية ذات الدخل المحدود، فلم تحصل بلورة تصميم شامل للمدن على المدى القريب أو المتوسط أو البعيد. لكن فجأة أصبحت المدينة في سنة 1981 ولأول مرة، رهانا سياسيا كبيراً، حيث تميزت هذه السنة بالتمردات الاجتماعية بعد دعوة النقابات إلى الإضراب العام الذي أثار جوا متوترا داخل المدن الكبيرة والمتوسطة والصغيرة، وأدت هذه

1- يونس الزاهر، "استعدادا لرفع الحجر الصحي.. مندوبية التخطيط تكشف عن "خريطة المخاطر"، موقع العمق على الرابط: https://al3omk.com/542804.htm : تم التصفح يوم 2020/06/03(بتصرف)

الاحتجاجات الاجتماعية إلى زعزعة المسؤولين السياسيين والرأي العام الوطني، بفعل نتائجها العنيفة والمميتة، إذ خلف التدخل العسكري مئات الضحايا، وبعد أحداث التمرد مباشرة، بدأ التفكير في تدبير سياسي جديد للمجتمع الحضري، يقوم على الكف عن استعمال العنف الجسدي وحده وسيلة لقمع المجتمع (الاعتقال، الترهيب، التصفية الجسدية، السجن بسبب ارتكاب جنحة التعبير عن الرأي، عزل العلماء والخطباء والوعاظ، مصادرة الجرائد، توقيف المجلات).... وبدأ إعداد توجهات "عصرية" جديدة"[1] ، بيد أن توالي سنوات الجفاف وفشل السياسات الحكومية المتوالية عجل بارتفاع وثيرة الهجرة القروية وتركيز السكان في المدارات شبه الحضرية - الصناعية عبر تفريخ السكن العشوائي ودور الصفيح، والتي سرعان ما تحولت إلى مدن في غياب القدرة على تدبيرها حضرياً وفق هذه التوجهات العصرية، جعل المدينة عامل تفكيك للرابط الاجتماعي والسياسي بدل تقويته، خاصة في ظل تجربة الدولة في السكن الاقتصادي الموجه لذوي الأجر المحدود والهشاشة الاجتماعية، والذي كان يهدف إلى محاربة العشوائيات والسكن غير اللائق.

تجربة أبانت عن فشلها في تحديث المدينة وربطها بالتنمية والعدالة الاجتماعية، بحيث جاء الفشل مزدوجا على صعيد السكن ومساحته الصغيرة جداً أو ما سمى شعبياً بعلب الكبريت، وكذا ضعف تجهيزاته والبنية التحية للأحياء السكنية، التي لم تعر اهتماما للرابط الاجتماعي ودوره في المدينة الحديثة، فلا الدولة نجحت في هذه التجربة "الإسكانية" التي لم تطبق مبادئ: "عقد المدينة"، و"التهيئة العمرانية" و"المشروع الحضري والتنمية المجالية والحضرية"، بحيث بقيت مجرد شعارات جوفاء، ولا هي استطاعت محاربة العشوائيات وخاصة دور الصفيح التي ما تزال منتشرة في معظم المدن الكبرى، بحيث صارت تجربة الإسكان الاقتصادي بمثابة إعادة إنتاج الأنوميا وتفكك الرابط الاجتماعي، الذي عمل على تحييد الثقافة الحضرية والمدينية لصالح ثقافة هجينة، موسومة بالانهيار الأخلاقي والقيمي والسياسي على حد سواء، خاصة وأن "مساحة الشقة الواحدة من وحدات السكن الاجتماعي تتراوح ما بين 40 مترا و55 مترا في أقصى تقدير حسب دفتر التحملات الذي تعمل وفقه الشركات التي تبني تلك الشقق، حيث حدد ثمن الشقق بين 140 ألف درهم (14850 دولارا) للشقة ذات الـ 40 مترا وحتى 48 مترا، والثاني 250 ألف درهم للشقق ذات المساحة بين 48 مترا وحتى 55 مترا. وقد دشن المغرب في

1- عبد الرحمان رشيق، السياسة العمرانية والعلاقات الاجتماعية في المغرب، مجلة عمران، العدد 5/18 خريف 2016، ص، 18

عام 1995 أول مشروع لبناء 200 ألف مسكن لصالح العائلات ذات الدخل المحدود، وبلغ ثمن الشقة الواحدة حينها 70 ألف درهم مغربي (توازي 5 آلاف دولار)، وفقا لما جاء على الموقع الإلكتروني لوزارة إعداد التراب الوطني والتعمير والإسكان وسياسة المدينة، فيما يصل معدل تشييد هذا النوع من المساكن إلى 18 ألف شقة في العام (...)، بحيث تجهز مكونات شقق السكن الاجتماعي بمواد رديئة، نتيجة رخص ثمنها، ولا سيما تجهيزات المطبخ والحمام والمرحاض، كما هو الحال مع الأبواب والنوافذ أيضاً، مما يفسر التكلفة المنخفضة لبناء الشقة الواحدة، بغية إفراد هامش ربح أكبر للشركة"[1]، وهو ما جعل هذه التجربة السكنية مثار سخط شعبي متزايد، ناهيك عن ارتباطها بالكثافة السكانية المهولة، والتي نتجت عنها الكثير من مظاهر الانحراف والعنف، المرتبطة بدورها بتجديد الهشاشة والفقر وإعادة إنتاجهما، إذ الرابح الواحد من هذه التجربة الإسكانية المفصولة عن كل مستلزمات المدينة الحديثة هم المستثمرون في العقار، بحيث أن "الربح الذي يجنيه مالك شركة مقاولات البناء عن الشقة الواحدة يصل إلى 130 ألف درهم (13790 دولارا)، وهو ما يعني بحسب تأكيد محسن الشيهاوي المحاسب الذي يعمل مع شركات بناء المساكن الاجتماعية أن الوحدات المكونة من 400 شقة تحقق لمالك الشركة 52 مليون درهم أرباحاً، وتزيد هذه الأرباح كلما عملت الشركة على إنشاء وحدات سكنية أخرى"[2].

تأسيساً على ما سبق، وبما أن المدينة في تشكلها الرمزي والاجتماعي هي رؤية للعالم والأشياء، فإنها يجب لزوماً أن تتجلى عبر المكون الثقافي للفاعل الاجتماعي، الذي يتحول من مشارك ومواطن بالقوة إلى مواطن بالفعل، وفق تعالق الاجتماعي بالثقافي والسياسي بشكل جدلي، وهو ما بات مطلوبا في المدينة المعاصرة المفتوحة على كل الاحتمالات البيئية والوبائية في زمن استنزاف موارد الطبيعة وتدميرها، وهنا تصبح العودة إلى الثقافة ضرورة منهجية لبناء فكر جديد بات الفاعل الاجتماعي في أمس الحاجة إليه، خاصة فيما يتعلق بوعي الفاعل الاجتماعي بذاته وجسده وصحته، وإذا كانت الدولة الحامية في أساسها الديموقراطي تتحدد بقدرتها على تلبية الطلب الاجتماعي، فإن الفاعل الاجتماعي يتحدد بقدرته على بناء وعي وثقافة صحيين قادرين على تأهيل مختلف

1- حسن الأشرف، الشقق الاقتصادية في المغرب... السكن في علب كبريت"، على موقع العربي الجديد:
https://www.alaraby.co.uk/ تم التصفح يوم 2020/06/02
2- نفسه

مؤسسات الدولة، طالما أن الدولة القوية من قوة أجساد وعقول مواطنيها. وهنا يصبح قطاع التعليم والقطاع الصحي من المجالات الحيوية بامتياز.

لقد كشفت أزمة كورونا بالملموس للمجتمع كما للدولة والحكومة نفسها أن واقع الصحة ببلادنا واقع مزر، وإذا كانت النقابات والأحزاب السياسية، خاصة اليسارية والتقدمية، على امتداد عقود من الزمن كانت وما تزال تندد بهذا الواقع، فإن اختيارات الحكومة التي ترأسها حزب العدالة والتنمية في صيغتيها الأولى مع السيد عبد الإله بنكيران والثانية مع السيد سعد الدين العثماني قد ساهمت بشكل كبير في هذا الواقع، عن قصد مؤسس على رؤية نيوليبرالية، وهو ما عبر عنه السيد عبد الإله بنكيران بدعوته لرفع الدولة يدها عن قطاعي الصحة والتعليم، بكل تأثيرات هذه القرارات اللاشعبية واللاديموقراطية على البلاد والتي تتعارض جوهريا مع العدالة الاجتماعية في مختلف تجلياتها، بحيث كشفت كورونا بالملموس مدى سوء هذه الاختيارات السياسية، فمنذ 2012 تعمقت هشاشة القطاع الصحي على مستوى العنصر البشري من أطباء وممرضين، كما على مستوى البنيات التحية والمعدات الطبية، بمقابل تشجيع القطاع الخاص الذي أبان اليوم على عدم قدرته على إنقاد البلاد، بل والأكثر من ذلك عرى جشع لوبي الصحة الخاصة من خلال رغبته في الاستفادة من صندوق مكافحة كورونا الذي خُلق أساسا لتخفيف العبء عن اقتصاد الدولة من جهة ودعم الطبقات الاجتماعية المنهكة على كافة المستويات من جهة أخرى. وبالرغم من المسيرات الاحتجاجية للطلبة من كليات الطب والصيدلة، والممرضين وكافة أطر قطاع الصحة، تنديدا بالتراجع الكبير الذي عرفه القطاع منذ 2012، فإن ذلك لم يكن ليمنع الحكومة عن نهجها التقويضي للصحة والتعليم على حد سواء.

لهذا، فلو استثمرت الحكومة في القطاع الصحي لكان الوضع غير الوضع، خاصة في ظل إشارات عدد من المؤسسات الدولية ذات الصلة من قبيل منظمة الصحة العالمية، فيما يخص ضرورة الرفع من حجم الاستثمارات في القطاع الصحي، الذي لم يتجاوز مع هذه الحكومة حاجز ٪ 6 من الناتج الداخلي الخام للمغرب، في حين أن المنظمة أوصت بألا يقل عن ٪ 9 ، وهو ما ينعكس على عدد الأطباء لكل عشرة ألف نسمة، بحيث نجد 6 أطباء لكل عشرة آلاف مغربي، مقابل 7,5 في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وطبعاً هي أرقام متدنية كباقي الأرقام والمؤشرات المرتبطة بترتيب المغرب في سلم التنمية

عالمياً. وهو ما سبق ونبه إليه المجلس الاقتصادي والاجتماعي مراراً وكذلك المندوبية السامية للتخطيط.

ضمن هذا السياق، تم التراجع عن المجانية، وعن تعميم التغطية الصحية، وفشل نظام الرميد فشلا ذريعا في تعميم الخدمات الصحية العمومية على ذوي الفقر والهشاشة، مثلما تم التراجع عن إصلاح المستشفيات وإغلاق عدد منها، وهنا وجب الإشارة إلى تفويت مستشفى بنصميم بأزرو للقطاع السياحي سنة 2015، في حين لو بقي هذا المستشفى الذي كان يعد في الخمسينيات من القرن الماضي أكبر مستشفى للأمراض التنفسية والصدرية في أفريقيا، لخفف من الضغط الكبير على عدد الأسرة والمستشفيات في ظل هذه الجائحة على الأقل في جهتي فاس- مكناس وبني ملال - خنيفرة. أمثلة من ضمن أخرى كثيرة، تدل على أن الحكومة أخطأت في مجال الصحة، كما أخطأت التدبير في مجال التعليم والسكن.

5 - تحولات مفهوم الحرية في زمن كورونا بين الواقعي والافتراضي

كانت الحريات وما تزال موضع نقاش وسجال بين العديد من التوجهات والحساسيات، بين مؤيد ومعارض، بين مؤيد بتحفظ ومعارض بتحفظ، بين التقدمي والمحافظ. وفي خضم هذا النقاش تداخلت الإيديولوجيات وتشابكت، ليس هنا فقط، بل حتى هناك، بكل ما يحيل عليه "الهناك" من المجتمعات الأخرى، وبين كل هذا وذاك، توسعت وتقلصت مساحات هذه الحريات بين الخاص والعام، بحيث أصبح الفضاء العام يخضع بدوره لاشتراطات هذا النقاش والحوار، بما يضمره من اختلاف، بيد أن الأمر سيتضخم أكثر في ظل تحولات مفهوم الحريات في زمن كورونا، لكن ليقلب موازين العام والخاص على حد سواء، ممدداً ومكثفاً الحيز المكاني للخاص، ومقلصاً في الوقت ذاته حيز الفضاء العام، خاصة وأن الإقامة في ظل هذه الجائحة إقامة جبرية لا اختيارية، فرضتها الوقاية من اتساع ضحايا كورونا، وبالتالي اتساع وكثافة الإمكانيات اللوجيستيكية في العلاج أمام كثرة الوافدين على المشافي، وهو أمر تجاوز حتى إمكانيات دول ضالعة في التقدم العلمي والبنيات التحتية الصحية، فضلا عن الموارد البشرية [1]، وإذا كان الحديث

1 - أحمد شراك، كورونا والخطاب، مقدمات ويوميات، الطبعة الأولى، مؤسسة مقاربات للصناعات الثقافية واستراتيجيات التواصل، فاس، 2020، ص، 7.

عن الحريات الفردية، كما الجماعية مرتبط في العمق بمفهوم الفضاء العام، كما أكد على ذلك العديد من الفلاسفة والمفكرين وعلى رأسهم هابرماس، فإن تقييد هذا الفضاء وإخضاعه لحالة الطوارئ التي تقيد الحركة والتنقل تقييدا خاضعاً بدوره للحجر الصحي، يجعلنا أمام ضرورة مناولة هذه الحريات من منظور فلسفي وسوسيولوجي مختلف، فالتقييد المفروض على الحريات هنا، هو تقييد على الوباء، باعتباره يهدد سلامة المواطنين وحياتهم بالدرجة الأولى، وهو هنا تقييد ينتصر للحياة وثقافتها، وليس العكس، فحفظ الأرواح والحياة سابق عن الحرية نفسها، إذ لا حرية في غياب الحياة، مما يجعلنا ملزمين بإعادة ترتيب الأولويات، وفقاً للتحول الحاصل في بنية الفضاء العام ذاته، تبعاً لبنية التمدد والتقلص الحاصلتين بينه وبين الفضاء الخاص في ظل جائحة كورونا.

فإذا كانت حريات التنقل والسفر، وباقي حريات شغل الفضاء العام، قد قُيدت، فإن باقي الحريات من قبيل حرية التعبير والتفكير والاعتقاد وما إلى ذلك، لم يطلها تغيير، وإن كانت تخضع بدورها لتجليات تقلص بنية الفضاء العام. وهنا يمكننا الحديث عن تحويل لبنيات الحريات الجماعية من الواقعي المرتبط بالفضاء العام، إلى المتخيل والافتراضي المرتبط بالفضاء العام الافتراضي، فمفهوم الحركة بدوره خضع للتحول والتبدل، وهو ما يقودنا للحديث عن تحول العنصر الإبدالي المؤسس حسب إمانويل كاستلز للعالم الرقمي.

وهنا لا بد من التمييز بين التباعد الجسدي والتباعد الاجتماعي، فمسافة الأمان بين الأجساد كتجلٍ من تجليات تقييد الحرية في شغل الفضاء العام، هي مسافة تهم الجسد الفيزيقي، ولا تهم الرابط الاجتماعي والقيمي، وإن كانت تؤثر عليه ظاهرياً، فتمثلاتنا القيمية للعلاقات الإنسانية في بعدها الرمزي لم تتغير، مثلما هو الحال بالنسبة لمختلف أشكال التضامن الاجتماعي، وعلاقات الصداقة والجوار والزمالة وما إلى ذلك، تبقى مستمرة في الحيز الرمزي أكثر من استمرارها في الحيز المكاني المادي، ولهذا، فأولوية الرمزي، المحددة لكل ما هو مادي، هو ما يميز الإنسان باعتباره حيوان رامز أو كائن رمزي. ولهذا فتقليص المسافة الجسدية بتعبير غوفمان، لم يقلص التواصل الرمزي وغير المباشر، في ظل استمرار التواصل الاجتماعي عبر الهاتف، والواتساب وكافة وسائل وشبكات التواصل الاجتماعي.

لقد أصبح التواصل الافتراضي في ظل حالة الحجر الصحي وحالة الطوارئ بديلا مرحليا ومؤقتاً للقاء الاجتماعي الجسدي، ولهذا فالمجتمعات كلها وبدون استثناء تخضع مكرهة أو طواعية إلى هذا التحول في بنية التواصل وقنواته، فالتحول يهم بالدرجة الأولى

القناة، ومجالها المكاني، أي الفضاء العام. ولا يهم بنيات المتخيل الأنثربولوجية المؤسسة للتواصل، ولهذا تنشط حتى الحوارات واللقاءات التفاعلية الجماعية بين العائلات، وبين الأصدقاء، بل، وحتى على موائد الأكل العائلية عبر تقنية الواتساب، وأيضاً عبر تقنيات الفيديو "كونفيرونس" فيما يتعلق بالاجتماعات المهنية وكذا التدريس عن بعد، وهو ما بات يفرض علينا استيعاب التحول الطارئ على مفهوم الفضاء العام، خاصة وأن مستقبل العالم تكنولوجياً هو مستقبل لما بعد القرب، أي للبعد الجسدي، مما سيؤثر طبعاً في الرابط الاجتماعي والقيمي، ولكن هذه التحولات الثقافية هي في العمق تحولات بعيدة المدى، كونها سيرورة عبر جيلية.

من هنا، فإذا قلنا بأن التحولات الثقافية هي تحولات عبر جيلية وسيرورة ممتدة في الزمن، بحيث أن تغيير الشخصية القاعدة بتعبير رالف لينتون يتطلب مدة طويلة، بالإضافة إلى تظافر عوامل ومحددات اجتماعية واقتصادية وسياسية وأيضاً تكنولوجية وعلمية، فإن التبدلات الحاصلة اليوم فيما يخص التواصل الاجتماعي وارتباطاته بتبدلات مفهوم الحريات الفردية والجماعية، هي تبدلات يجب أن تكون مؤقتة وتابعة للمتغير الأساس، هو حالة الحجر الصحي، وإلا فإن أي توظيف للجائحة في تقليص مساحات هذه الحريات، سيكون خطيرا على المستوى السياسي، بمعنى أن زوال هذا الحجر بانتهاء الجائحة، يجب أن يقود حتماً إلى عودة هذه الحريات، بل وتكثيفها حتى وإن كانت هذه العودة ستكون تدريجية في ارتباطها بالإحساس بالأمن والأمان. وهو ما يجعلنا نستحضر التحول الممكن في شغل الفضاء العام والتواصل الاجتماعي مستقبلا.

إن اختلاف درجة وحدة الحجر الصحي فيما يرتبط بالحريات يخضع إلى طبيعة الأنظمة السياسية كعامل تابع، وليس كعامل مستقل، بين ديموقراطية واستبدادية، بين رأسمالية ليبرالية واشتراكية، لكن هذه الدرجة ترتبط أيضاً بعدد من العوامل وبطبيعة المجتمعات ودرجة ثقافتها ووعيها الصحيين، وأيضاً بالتركيبة السكانية والديموغرافية والمجالية، بحيث تصبح طبيعة الدولة، وليس النظام هي العامل المستقل، فبلد مثل الصين ديموغرافيا ومجاليا، لا يمكن إلا أن يكون متشدداً في تطبيق الحجر الصحي والحد من الحريات، خاصة الجماعية منها، وهنا يكون تأثير طبيعة النظام السياسي تأثيراً ضعيفاً، إذ تدخل مجموعة من العوامل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ولنا أمثلة من خلال إيطاليا كيف اضطرت إلى تشديد الحجر الصحي والتعامل بحدة مع الذين يستهترون بحالة الطوارئ وبالحجر الصحيين لما استفحل أمر الجائحة، وأيضا إسبانيا التي سنت غرامات

وعقوبات زجرية لكل مخترقي الحجر الصحي، بالرغم من أن البلدين ديموقراطيين. وهنا أعتقد أننا يجب أن نعيد النظر في تعريفنا للأنظمة وللديموقراطية نفسها، بالنظر إلى المرغوب من الاجتماع والعمران البشريين، فالدولة الحامية هي وحدها من تستطيع تجاوز أزمات من قبيل الأمراض الجماعية والأوبئة، وأعتقد لو لم تكن البلدان الأوربية أقرب لنموذج الدولة الحامية لما استطاعت تطويق الفيروس والتحكم فيه، خاصة ألمانيا، إسبانيا وفرنسا، بالرغم من ارتفاع حالات الإصابات والوفيات.

إن الديموقراطية المفصولة عن تداولية الثروة والسلطة، والتي تشكل الخلفية المرجعية للتحليل في سياق النيوليبرالية هي التي قوضت مفهوم الدولة الحامية، وهي التي فصلت العلم عن التقنية وفصلت التقنية عن الأخلاق، وهي التي فصلت الشمال الغني عن الجنوب الفقير في إطار تعميق التبعية، وهي التي أوصلت العالم المتقدم كما المتخلف على حد سواء إلى أن يقوده نظام التفاهة بتغبير ألان دونو. إنها ديموقراطية شكلية في العمق فصلت الحرية عن العدالة الاجتماعية، وفصلت تداول السلطة عن تداول الثروة، بيد أن التفكير المغاير الذي يلوح في الأفق، يقتضي إعادة النظر جذريا في مفهوم الاجتماعي برد الاعتبار لمفهوم الذات والفاعل الاجتماعي بتفكيك هيمنة الخطاب التأويلي السائد بتعبير آلان تورين.

غير أنه لا يمكن أن تتحقق عودة وتأكيد الذات بدون استدعاء ومحاكمة ما يسميه ألان تورين بالخطاب التأويلي السائد، "الخطاب الذي يقدم صورة لما ينبغي أن تكون عليه الحياة الجماعية مثلما الفردية، وقد اكتسب قوته من تقهقر الطبقة العمالية، وتعايشه مع إيديولوجيا ليبرالية تحت إشراف الدولة من دون أن يكون له صلة لزاما بسلطتها أو بإيديولوجية طبقة بعينها، وتعبر كل من النظرية الوظيفية التي هيمنت على الفكر الفرنسي عن تفشي هذا الخطاب التأويلي السائد الذي يمارس مفعولا مهيمنا على الدوام، خاصة حين يرتبط بإحدى الأعلام الكبرى التي تسيطر على الحياة الفكرية مثلما هو الشأن مع جون بول سارتر الذي هيأ شروط استيطان هذا الخطاب بالمجتمع الفرنسي حين استبعد الفاعلين التاريخيين. وإن الأعمال الفكرية التي تبتعد عن الخطاب التأويلي السائد تجد صعوبة لإسماع صوتها، مثلما حصل مع رايت ميلز بالولايات المتحدة الأمريكية وريمون أرون بفرنسا"[1]، وهو الأمر نفسه الذي ينطبق على الخطاب التأويلي السائد

1- من مقدمة عبد الملك ورد لترجمته لكتاب: ألان تورين، التفكير عل نحو مغاير، علم الاجتماع ونهاية الاجتماعي، الطبعة الأولى، مطبعة شمس برينت، الرباط، 2019،ص، 6.

بالبلدان النامية في ظل تبعيتها الاقتصادية والسياسية والثقافية للغرب، خطاب بموجبه أصبح الاجتماعي يتراجع بقوة مخلفاً فراغا مهولا لم يستطع خطاب النيوليبرالية ملأه بما يفيد الاستقرار والتنمية والاستقلال الذاتي للشعوب كما بالنسبة إلى الأفراد، وهو ما سوف يعجل بتفكيك هذا الخطاب في ظل أزمة كورونا في الأمدين القريب والمتوسط، نظراً لعدم قدرته على التعبئة الاجتماعية والسياسية، خاصة وأن الحركات الاجتماعية الجديدة بتعبير ألان تورين بدأت تلوح في الأفق العالمي منذ سنوات، وستزداد كثافة في ظل ما يعرفه العالم من تأثيرات كورونا.

خاتمة:

عاش المجتمع ما قبل كورونا وما يزال يعيش توترات هوياتية، واجتماعية مرتبطة بالبؤس الاقتصادي من بطالة وظواهر أنومية ذات الصلة، والمتجلية في ظواهر اجتماعية متعددة، واحتقان اجتماعي شديد عبرت عنه الكثير من الحركات الاجتماعية وعلى رأسها حراك الحسيمة وجرادة ومدن مغربية أخرى كثيرة. وبذلك فهذا "ما قبل" سيحدد بشكل كبير خريطة مغرب "ما بعد"، بحيث كلما تجاوز المغرب الوباء بأقل الخسائر سيكون "ما بعد" أقل ضرراً، وكلما استفاد المغاربة من دروس كورونا ونشطت موارد التعبئة الاجتماعية والوطنية التضامنية ضد الفيروس وجائحته، استوعبت الدولة والقائمين على أمور السلطة والحكم في المغرب الدروس، وصاغوا نموذجا تنمويا جديداً يأخذ بعين الاعتبار مغرب ما قبل كورونا. ولكن أساسا ما كشفته كورنا في الآن والهنا، إذ كلما كان مغرب ما بعد كورونا قادرا على تلبية الطلب الاجتماعي على الحاجات الأساسية، وهو ما بات يحتم العودة إلى الدولة الحامية، كلما صار قادراً على تلبية الطلب الاجتماعي، من التعليم والصحة والسكن، وبناء استراتيجية وطنية مستقبلية تنبني على تحقيق الاكتفاء الذاتي في مجال التغذية والصحة أولا، وتحقيق الإقلاع الاقتصادي المأمول عبر بوابة الإقلاع الصناعي من خلال البحث العلمي الذي يجب أن يتحول من بعده الهاوي والشخصي إلى بعده الاحترافي والمؤسساتي، وهو ما يستوجب إعادة النظر جذرياً في المجالات الثلاث المؤسسة للدولة الحامية وهي التعليم والصحة والسكن، فهي مجالات لا يمكن أن تبقى تحت تصرف وجشع واستغلالية القطاع الخاص، وهو ما أثبتته التجربة اليومية في مسيرة الوباء منذ تسجيل أول حالة إلى الآن.

والأمثلة كثيرة على جشع مؤسسات القطاع الخاص، التي اتضح أن الرهان عليها كان رهانا خاسراً، والرهان على التبعية النيوليبرالية، واقتصاد السوق كان أفشل من أي وقت مضى.

أعتقد إنه إذا كانت الدولة قد قامت بالكثير من الخطوات والمبادرات الشجاعة والقوية، وبرهنت على جدارة حامية وغير مسبوقة في سياق تداعيات كورونا على كافة الأصعدة، فإن المجتمع بات اليوم أمام فرصة تاريخية للمساهمة في تحقيق النجاح والانتصار على الأزمة تأسيساً لما بعدها. إننا أمام مرحلة تاريخية، يمكن تحويلها إلى الوحدة التاريخية التي طالما نادى بها سياسيون وفاعلون ومفكرون. وحدة بموجبها يتوحد الجميع من أجل مغرب أفضل، يتحدد بمدى التعبئة الوطنية الشاملة. ولهذا، فالمجتمع ومدى مساهمته إلى جانب الدولة، من يحدد مرحلة ما بعد كورونا. إننا أمام مرحلة يتحمل على ضوئها كل فرد مسؤوليته التاريخية، وهذا ما يجب أن يعيه المواطن المغربي.

من هنا، فإعادة إحياء قيم التضامن وانعاش التفكير الجماعي والوطني مرتبط بإعادة النظر في اختيارات الدولة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وبطبيعة الحال ستنعكس هذه الاختيارات على مؤسسات التنشئة الاجتماعية ومواردها الثقافية المغذية للرابط الاجتماعي، طالما أن هذه القيم مجتمعة هي إفراز للنسق الثقافي، الذي يعتبر مسؤولا بشكل كبير عن الوعي والثقافة السياسيين، لذلك فعلاقة الحاكم والمحكوم في سيرورتها تخضع دوما لأربعة مستويات: الاقتصادي، السياسي، الاجتماعي، والثقافي، لكن يجب أن ندرك من خلال الدرس السوسيولوجي أن النسق الاجتماعي يشكل نسقاً مرجعيا للتحولات التي قد تشمل خطاطة التواصل ما بين الحاكم والمحكوم، خاصة في التجربة المغربية.

إن مغرب زمن "ما بعد" كورونا، سيكون مغربا صعباً، خاصة فيما يتعلق بالتوتر الذي سيحصل بين الطلب الاجتماعي والعرض الذي ستقدمه الدولة، وهذا الطلب باتت تتضح ملامحه منذ الآن، كونه سيتخذ ملحاحية كبيرة، وبالنظر إلى الاحتقان الاجتماعي بالمغرب منذ بداية الربيع العربي، وفشل حكومتي السيدين بنكيران والعثماني في تدبيره، بكل ما رافق ذلك من ثقل المديونية العامة والدين الخارجي، والإصلاحات الفاشلة واللاشعبية الهشة، وبالنظر إلى التبعات الاقتصادية لكورونا في العالم، فإن مرحلة ما بعد كورونا لن تكون حتماً هي نفسها ما قبلها وستكون صعبة للغاية.

من المؤكد أن حجم التعبئة والتدابير التي قامت بها الدولة، وترأسها ملك البلاد شخصياً قد حققت مصالحة كبيرة وتعبئة وطنية قل نظيرها، وتقوت الثقة أكثر حول الملكية، بشكل تحولت إلى معطى سيكولوجي مهم بالنسبة إلى المغاربة، وأضحت أكثر من أي وقت مضى ضامن المغاربة وملجأهم في الشدائد والأزمات خاصة، وهو ما يشكل استمرارية لاستراتيجية مخزنية في استيعاب الأزمات وتوظيفها سياسياً منذ الأزمات الوبائية والبيئية للقرن الثامن عشر، لكن التدبير الحكومي لما بعد الأزمة سيكون على المحك، وبالنظر إلى الضعف الحكومي ما قبل كورونا، وقوة وملحاحية الطلب الاجتماعي ما بعد كورونا، يمكن القول إن تحولات كثيرة ومفصلية ستحدث، وعلى رأسها ارتفاع حدة الحركات الاحتجاجية.

إن أزمة كورونا بالرغم من سلبياتها الكثيرة، فقد منحتنا جميعا دولة ومجتمعا، فرصة للمراجعة وإعادة ترتيب الأولويات، ولهذا فما نتمناه جميعا هو أن نتجاوز المرحلة بتعبئة وطنية شاملة وتضامن أكبر كي نبني جميعا مغرب الغد، مما يستوجب صياغة نموذج تنموي جديد مبني على أولويات التعليم والبحث العلمي، باعتباره المنفذ الوحيد للإقلاع الصناعي والتكنولوجي، والصحة والسكن والتشغيل، بكل ما يرتبط بذلك من إصلاح جذري للنظام البنكي، دون أن ننسى إعادة النظر في مخطط المغرب الأخضر في أفق تحقيق الاكتفاء الغذائي الذاتي وتدعيم تنافسية القطاع الفلاحي لتقوية حظوظ التصدير، وتقوية العملة الوطنية مقابل العملات الأجنبية، بتشجيع المنتوج والاقتصاد الوطنيين تفاديا لكل تضخم مرتقب قد يؤدي إلى مزيد من الديون الخارجية، التي تعتبر أحد أهم آليات التبعية، وهو ما يقتضي أساساً مراجعة الاختيارات النيوليبرالية على المستوى الماكرو اقتصادي، بكل ارتباطاتها بالخطاب التأويلي السائد، ومنح الفرص للفاعل الاجتماعي للمساهمة في بناء مغرب مختلف، قادر على مجابهة التحديات والمخاطر البيئية والوبائية التي باتت تحدق بالعالم في ظل هيمنة النيوليرالية المتوحشة. الأمر الذي لن يستقيم إلا بالارتكاز على عدالة تداول السلطة وعدالة تداول الثروة، وهي مرتكزات تتطلب بإلحاح عرضاً سياسياً ديموقراطيا جديداً.

المراجع:

1. أبلال عياد، الحركية الاجتماعية والتحولات السوسيو مجالية بالمغرب، المرأة، الأسرة، الشباب والوعي بالتغيير، الطبعة الأولى، روافد للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012.
2. أحمد شراك، كورونا والخطاب، مقدمات ويوميات، الطبعة الأولى، مؤسسة مقاربات للصناعات الثقافية واستراتيجيات التواصل، فاس، 2020.
3. أجيي ميشال، أنثربولوجيا المدينة، ترجمة وتلخيص ومراجعة سعيد بلمبخوت، كتاب الفيصل، العدد 30، 2020.
4. تورين آلان، التفكير عل نحو مغاير، علم الاجتماع ونهاية الاجتماعي، الطبعة الأولى، مطبعة شمس برينت، الرباط، 2019.
5. حنين ماهر، سوسيولوجيا الهامش زمن كورونا، الخوف، الهشاشة الانتظارات، الطبعة الأولى، المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، أبريل 2020.
6. عبد العزيز بن محمد خواجة، سوسيولوجية الرابط الاجتماعي، بناءات مفاهيمية ومسارات نظرية، الطبعة الأولى، نور للنشر، ألمانيا، 2018.
7. العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2016.

المراجع الأجنبية:

1. Guy Rocher, Introduction à la sociologie générale : Le changement social.Édition HMH.Ltée. 1968
2. Hassan Rachik et Autres, Islam au quotidien, Enquête sur les valeurs et les pratiques religieuses au Maroc, Editions Prologues, (Collection : Religion et Société), Casablanca, 2007.
3. René Lenoir, les exclus ; un français sur dix, nouvelle édition, seuil, 1989
4. Yankel Fijalkow, Sociologie des villes, édition la Decouverte, 2012

Revues et magazines :

Grigori Lazarev (1978). « Changement social et développement : Etudes sociologiques sur le Maroc». In : B.E.S.M. Rabat : nouvelle édition

الويبوغرافيا:

1. https://m.al3omk.com/547873.html
2. https://www.hespress.com/societe/359165.html
3. http://alyaoum24.com/1424116.html
4. http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=343795
5. https://al3omk.com/542804.htm
6. https://ar.wikipedia.org/wiki
7. https://www.alaraby.co.uk/
8. https://www.hcp.ma
9. https://www.ires.ma/ar
10. https://www.mominoun.com

محاولة لفهم راهن التمظهرات المجتمعية في زمن كورونا بالمغرب

سعيد بنيس

أستاذ بجامعة محمد الخامس

ترمي هذه المحاولة فهم راهن تمظهرات زمن كورونا في المجتمع المغربي من خلال رصد تمفصلات التفاعلات المجتمعية وإشكالات التعايش مع الجائحة في ظل اشتغال الأخبار الزائفة وظهور قيم جديدة ترتبط بثنائية الرابط الاجتماعي والرباط الرقمي. لفهم هذه التمفصلات تم الانطلاق من استنتاج عام يروم ضبط بعض التفاعلات المجتمعية في علاقتها بإرهاصات الانتقال إلى مجتمع الثقة من خلال توصيف بعض مكونات الرابط الاجتماعي وكذلك بعض تعبيرات الرباط الرقمي. ويظل سؤال البحث هو كيف تعايش المغاربة مع فيروس كورونا في أفق الانتقال من مجتمع التواصل الواقعي إلى مجتمع الاتصال الرقمي[1]؟ للإجابة على هذا السؤال تم ربط البيئة المجتمعية بالتفاعلات وآليات التعايش التي تأرجحت بين الفعلية الواقعية والفاعلية الرقمية وجذوة وتأثير الأخبار الزائفة في مقابل بروز منظومة قيمية جديدة توازي بين سلوكات اجتماعية فرضتها الجائحة وإكراهات مجتمعية تحيل على طقوسية وخصوصية مغربية.

التفاعلات المجتمعية في زمن كورونا

يعد التقارب الاجتماعي في مجتمعات العالم عادة من عادات التآلف والتعايش، وتزداد وتيرته وتنقص بحسب البلدان والقارات والتاريخ المشترك والثقافة الموروثة، كما

1 Said Bennis, 2018 «Enjeux et défis de la participation au Maroc : de la participation citoyenne à la revendication citoyenne » dans From Democratic Transition to Democracy Learning Towards a Paradigmatic Turn in Democratization Studies, Edited by Mohamed El Hachimi. Publié par Konrad-Adenauer-Stiftung e.V. pp. 129-135.

في بلدان المتوسط وشمال إفريقيا والشرق الأوسط التي ينتمي إليها المغرب. إن التقارب الاجتماعي في المغرب يعد سلوكا مجتمعيا محمودا وتصرفا فرديا وجماعيا راقيا؛ لأنه يعبر عن تواضع الشخص ورفعته وحلمه في التعامل مع الآخرين. لهذا، فالمغربي ينحو، في تعاملاته وفي تداولاته ونقاشاته اليومية، منحى الالتحام الجسدي مع محاوريه ومخالطيه كأن الانتباه والإنصات وتلقي الكلام لا يمر عبر قناة الأذن بل عبر جسر الفم والتقارب والالتصاق بالآخر ومحاولة إقناعه وإفحامه وانخراطه باستعمال كذلك اليدين لملامسة جسمه. وكما يقال بالدارجة: "تيلبسو" و"داخل معاه" و"حاط راسو على راسو" و"نجمعو" "ونقرقبو الناب" و"نتهاردو" و"مخشي فيه تيهدرو"... وكلها عبارات عامية تحيل على تقارب جسدي ودنو بدني وازدحام مكاني كطقس من طقوس التمغربيت والحميمية والانتماء إلى المجموعة.

لكن هذا التقارب الاجتماعي أضحى، مع انتشار جائحة كورونا ومع نصائح وإرشادات المنظمة العالمية للصحة، خطرا كارثيا على حياة الإنسان؛ بل ومصدرا مؤكدا لانتشار العدوى والوباء. ومن ثم، صار طقس وسلوك التباعد الاجتماعي (Social Distancing[1]) الحل الوحيد والأوحد؛ بل الحل الناجع ومدخلا من بين المداخل الناجحة لمحاربة هذه الجائحة. لهذا، يبدو ضروريا، للحفاظ على سلامة الفئات التي ما زالت ملتزمة بالاشتغال والتواجد الفعلي في الفضاء العمومي المغربي وفي المرافق الإدارية والصحية مثل الأطباء والممرضين ورجال السلطة العمومية والصحافيون والصيادلة وموظفي البنوك والتموين الغذائي والمتاجر الكبرى وآخرين، اتخاذ الاحتياطات اللازمة في التعامل مع المواطنين أو الزبناء أو المرتفقين؛ لأن عادة التقارب الاجتماعي عند المغاربة كطقس اعتيادي قد يؤدي إلى تفاقم أعداد المصابين بكورونا. إن أغلب الفيديوهات والمتابعات والمشاهد، لا سيما فيما يخص بعض الفئات التي تتحرك في الفضاء العمومي ومنها على الخصوص أعوان ورجال السلطة، تظهرها فريسة سهلة وعرضة للإصابة بفيروس كورونا؛ لأنها تتعامل مع الجماعات والأفراد الذين لا يحترمون الحجر الصحي أو يعمدون إلى خرق حالة الطوارئ بتلقائية تنسجم وتخضع لثقافة التقارب الاجتماعي وتجعل الأجسام في دنو خائن ومحاذاة قاتلة.

1 Katie Pearce, 13 March, 2020 « What is Social Distancing and How Can it Slow the Spread of Covid-19 », The Hub, Jhons Hopkins University; https://hub.jhu.edu/2020/03/13/what-is-social-distancing/, acceced 18 June 2020

كما ينضاف إلى هذه الفئات بعض الوقائع الاجتماعية، التي تشير إلى تجذر سلوك التقارب الاجتماعي عند المغاربة. ويمكن سرد، على سبيل المثال لا للحصر، ما حدث عند استلام رخصة التنقل الاستثنائية المسلمة من طرف السلطات المحلية أو عند توزيع المساعدات أو تقديم الخدمات، حيث لا يذعن الأفراد بالتدابير الاحترازية ولا تلتزم الساكنة بالبيوت للحد من تفشي فيروس "كورونا"؛ بل يعود الأفراد والمجموعات إلى طقوسيتهم التي دأبوا عليها في معيشهم المجتمعي قبل جائحة كورونا. وهذا ما وقع في جماعة سبت أولاد النمة، كما في باقي المراكز الحضرية بإقليم الفقيه بن صالح، تزامنا مع توزيع مساعدات غذائية على الأسر المعوزة. ويمكن قياس نفس السلوك على ما حدث بجماعة تگانت بإقليم كلميم عندما تجمع أكثر من 300 شخص في نفس المكان، إثر عملية توزيع للدقيق غير مبالين بمخاطر الازدحام والتقارب البدني وعدم احترام مسافة الأمان الضرورية.

ومع تعدد وتنوع حالات التجمع والاكتظاظ من أجل الاستفادة من بعض الخدمات والانتفاع ببعض المساعدات الاجتماعية وفي خضم انطلاق عملية الدعم المؤقت للأسر العاملة في القطاع غير المهيكل للاستفادة من مساعدة مالية تمكنها من المعيش والتي أقرتها لجنة اليقظة الاقتصادية، شرع في التفكير بطريقة معمقة على رقمنة الإدارة [1] لتتم تفاعلات المواطنين مع المرافق العمومية عن بُعد كخطوة استباقية لاحترام وضبط الشروط الاحترازية للحجر الصحي. لهذا، وفي الحالات القصوى لتحرك الفرد والمواطن من أجل حاجياته الضرورية والحيوية، من اللازم كذلك توعيته ليس فقط من خلال هاشتاغ " # نبقاو فالدار" و" # خليك فدارك"؛ بل كذلك باعتماد ونشر والتشارك على نطاق واسع عبر مواقع ومنصات التواصل الاجتماعي والقنوات العمومية هاشتاغ " # بعد مني" و" # بقا بعيد بجوج مترو" و" # احترم مسافة الأمان = 2 متر".

كما أدى تجميع الأسر المغربية في البيوت، بسبب الحجر الصحي، إلى إعادة تشكيل العلاقات بين أفرادها وانتقالها إلى علاقات واقعية، بعدما انزاحت، خلال السنوات الأخيرة، إلى علاقات افتراضية، جراء تنامي استعمال وسائل الاتصال الحديثة. لهذا فمنظومة التواصل الواقعي يمكن أن تتجذّر بعد انتهاء فترة الحجر الصحي، فالأسرة ستسترجع دورها كمحضن للتنشئة، بما أن الحجر الصحي قد مكن من اكتشاف الآباء والأمهات لشخصيات

1 مراد جفري ، 2017 " الثورة الرقمية وتأثيراتها على الإدارة العمومية بالمغرب" مجلة قانونك الالكترونية تم الاطلاع عليه بتاريخ 12 يونيو 2020 - http://9anonak.blogspot.com/2017/01/Revue.9anonak.N-1.janvier-mars.2017-Art-03.html

أبنائهم وتطلعاتهم المستقبلية، وبالتالي حصول تقارب بين الطرفين. فمرحلة ما بعد جائحة "كورونا"، ستجعل الآباء والأمهات يعيدون النظر في طريقة تعاملهم مع أبنائهم، حيث ستتعزز قيم المراقبة، بعدما كان المنطق الزمني لما قبل كورونا قد أفضى إلى غياب الآباء والأمهات والأبناء أيضا عن البيت، رغم تواصلهم افتراضيا. لهذا فالزمن الانتقالي لكورونا يمكن أن يعيد علاقة "المُصاحبة والمعايشة" بين الآباء والأبناء، من خلال كسر "الكيطوهات" التي خلقها الشباب من خلال انغماسهم في العالم الرقمي. فالزمن الراهن الذي فرضته جائحة كورونا لم يشهد فقط تغيرات على مستوى علاقات أفراد الأسرة فيما بينهم، بل إن هذه التغيرات طالت أيضا علاقات أفراد المجتمع ككل، بعد تسجيل تحولات اجتماعية ظرفية، حيث حدث انخفاض نسبي في عدد الجرائم المرتكبة، ما نتج عنه انخفاض منسوب العنف في المجتمع، وبالتالي ارتفاع منسوب الثقة في مؤسسات الدولة الساهرة على ضمان الأمن العام.

وبخصوص كيفية تدبير التفاعلات المجتمعية لما بعد جائحة "كورونا"، ثمّة ضرورة لتعميق المواطنة الإيجابية واسترجاع الثقة، بالارتكاز على السياسات الحياتية التي تضع سلطة الحياة والحفاظ على حياة الإنسان وحمايته على رأس أولويات السياسات العمومية، بدل التركيز فقط على الاستثمار في البنية التحتية، وتوسيع مبادرة صندوق تدبير جائحة كورونا إلى مبادرة لإنشاء صندوق وطني لمواجهة الأوبئة والجوائح. كما أن على الأحزاب السياسية المغربية أن تلتقط الإشارات المهمة التي أفرزتها جائحة كورونا لبناء برامجها الانتخابية المستقبلية، مع مراعاة مستجد هام، وهو أن الجيل الحالي من الشباب ينتظر من الأحزاب السياسية خطابا جديدا مختلفا عن الخطاب الكلاسيكي الذي كانت تتبناه، وذلك عبر التفاعل معه في العالم الافتراضي[1]، وعدم الاكتفاء فقط بالتواصل الواقعي. لهذا يستحب تدبير الأحزاب السياسية لمرحلة ما بعد كورونا بطريقة عقلانية وواقعية، لأن وعي المواطن المغربي يتشكّل ويلتقط عناصره من العالم الرقمي، كما أن تنشئته تمت عبر وسائط التواصل الاجتماعي، وعلى الأحزاب أن تمسك بهذه الإشارات، فكل خرجة لأي مسؤول سياسي تتم مناقشتها بطريقة مستفيضة من طرف المواطنين، وهناك وعي سياسي ورقابة مواطنة وعبقرية سياسية ينضح بهما العالم الرقمي المغربي. فكل خرجة لأي مسؤول سياسي تتم مناقشتها بطريقة مستفيضة من طرف المواطنين الافتراضيين

1 سعيد بنيس، 2019 " تمثلات الخطاب الاحتجاجي للألتراس في المغرب وتأثيراته السياسية" مجلة "لباب" للدراسات الاستراتيجية والإعلامية العدد 2 مايو / أيار2019 - مركز الجزيرة للدراسات - ص. 143 - 173

(Netoyens)، لأن هناك رباط رقمي ينهل من عبقرية سياسية ينضح بها العالم الرقمي المغربي.

التعايش مع كورونا: بين الفعلية الواقعية والفاعلية الرقمية

أصبحت فرضية التعايش واستمرار الحجر الصحي واقعا وجب تدبيره على المستوى الداخلي والخارجي. فهل سينجح المغاربة في ذلك؟ فمن خلال مرور عدة أشهر على حالة الحجر الصحي وحالة الطوارئ يبدو أن احترام تدابير الحجر الصحي من طرف المغاربة عرف استقرارا نسبيا في جميع جهات المملكة المغربية مع بعض الاستثناءات وهذه الاستثناءات تحيل على بعض السلوكات سواء منها المرتبطة ببعض الفئات العمرية كالشباب التي لم تتقبل فكرة الحجر وعدم التحرك على اعتبار أن الحجر يشكل شللا لحركتها وهي التي ألفت ممارسات مجتمعية بعينها مثل الخروج إلى بعض الأماكن والتجمع فيها كما أن شهر رمضان كان يمثل بالنسبة لها موعدا سنويا لبعض العادات مثل السهر والمآنسة الليلية والأنشطة النهارية مثل الدوريات الشعبية لكرة القدم التي كانت تنظم وسط الأحياء.

فالاستثناء في عدم التعايش مع فيروس كورونا وعدم تحمل تداعيات الحجر الصحي مرده كذلك طبيعة وضيق مساحة المنازل وبعض التجمعات السكنية[1] في بعض أحياء المدن الكبرى التي ترتكز في معيشها اليومي على طقس التقارب الاجتماعي "الفيزيائي" المجالي وكذلك الرمزي المجتمعي حيث "التجامع" والخروج إلى أماكن بعينها والتواجد بها دون غرض أو حاجة ملحة يمثل عنصرا من عناصر هوية وانتماء الفرد لمحيطه. فالذهاب ل"جوطية" لا يبنى على أساس التسوق أو التبضع لكن التواجد بداخل هذا الفضاء يعد عنصرا حيويا ومتنفسا عاطفيا للتوازن الاجتماعي للفرد والجماعة مثله ما يقع في المدارات القروية في ارتباطها برمزية السوق الأسبوعي كمجال للتواجد وترسيخ الهوية الترابية. كما أن حلول فصل الصيف والرغبة في الاستفادة من الشاطئ أو المنتزهات القريبة من مقر السكنى ستشكل عاملا غير متوقع في ضبط ايقاع تعايش المغاربة مع فيروس كورونا. إذن من خلال هذه التمظهرات المجتمعية المرتبطة ببعض الفئات العمرية أو بعض التجمعات السكنية الحضرية منها والقروية وكذلك مع حلول فصل الصيف وطبيعة الممارسات المجتمعية التي تنشط فيه يمكن استشراف بؤر مقاومة في كلتا المنطقتين

---

1 Rapport de l'enquête nationale sur le lien social au Maroc , 2012 à partir du lien https://www.ires.ma/documents_reviews/rapport-de-lenquete-nationale-sur-le-lien-social-au-maroc/ consulté le 09 Juin 2020

1 و2 المحددتين من طرف السلطات المختصة ستؤدي إلى كسر مقولة التعايش مع فيروس كورونا ليبدو معها التعايش مع الفيروس أمرا يستدعي إبداع استراتيجيات وآليات جديدة للتحسيس والتوعية بالخطر المحدق.

يمكن في الحالة المغربية اعتماد ملصقات تعبيرية مصورة في الفضاء العمومي تصاحب جميع اللوحات الاشهارية وفي المرافق العمومية وفي جميع مرتفقات الخدمات لتحسيس المواطنين والمواطنات بجدوى آلية التباعد الاجتماعي وممارستها. كما أن عدم الالتزام واحترام هذه الآلية مع الخروج التدريجي من الحجر الصحي يستوجب المرور إلى تدابير أكثر صرامة مثل تعقيم فضاءات العمل والمرافق الجماعية الخدماتية واحترام مسافة الأمان وذلك لأن الرغبة الفردية في التقارب الفيزيائي أضحت رهينة التخطيط الجماعي والمصير المشترك لحياة وتواجد الجماعة. وتباعا يبدو أن آلية التباعد الاجتماعي يمكن أن تشكل جسرا مهما للانتقال من عادات اجتماعية وممارسات مؤسساتية تنهل من فعل التقارب الاجتماعي إلى عادات اجتماعية تقتصر على "الفعلية الواقعية" و"الفاعلية الرقمية" حيث أن ممارسات التعليم والتدريس وعادات الاحتفال بالأعياد أو المواسم أو الزواج أو مراسيم الوفاة والدفن والعزاء أو العقيقة أو الختان ... ستصبح مراسيم ترتكز على منطقين : منطق الفعلية أي بمعنى القيام بها واقعيا بأقل عدد ممكن من الأشخاص المعنيين والمتدخلين مباشرة في "العادة المجتمعية" ومنطق الفاعلية من خلال مشاركتها مع من يهمهم الأمر رقميا والتداول فيها والاحتفال بها والاجتماع عليها والاتصال حولها افتراضيا. لهذا لكي لا يترك تخلي المغاربة عن بعض العادات من أجل تدبير زمن كورونا أثرا مجتمعيا عليهم ويقوض أساسيات العيش المشترك والرابط الاجتماعي والتمغربيت أصبح من الجدير الانتقال من مجتمع التواصل الواقعي إلى مجتمع الاتصال الافتراضي.

فإذا كان التفكير والتخطيط للخروج من الحجر الصحي سيتم بطريقة تدريجية ومعقلنة يصبح من الجدير الانتقال في التفاعلات الرسمية والمؤسساتية المباشرة بين المواطنين والدولة وكذلك بين المواطنين فيما بينهم إلى نسق جديد غير مباشر عن بعد يكرس فاعلية الرقمي والافتراضي على فعلية الواقعي والحضوري. وهذا الانتقال يمكن رصد معناه وجدواه من خلال التجارب الناجحة في دول مثل كندا وكوريا الجنوبية وألمانيا وعديد من التجارب الأخرى على أساس أن هذا الانتقال ينبني على سلوك الانضباط المواطناتي الذي ينصاع لآلية الارتفاق والحصول على الخدمات عن بعد.

فبالارتكاز على إحصائيات الوكالة الوطنية لتقنين المواصلات بحسب البحث السنوي حول مؤشرات تكنولوجيا الإعلام والاتصال لدى الأسر والأفراد، يمكن استنتاج أن الوضعية الاتصالية للمملكة المغربية يمكن أن تفضي إلى مواطنة افتراضية إذا تمت رقمنة الإدارة حيث يمكن للدولة أن تتفاعل مع الحاجيات الإدارية للمواطنين من خلال بوابة الافتراضي[1] وبالتالي ربح الرهان في تدبير بل والقفز والتخفيف من المخاطر المحتملة لفيروس كورونا. وتبعا للإحصائيات السالفة الذكر يمكن الإقرار بأن التفاعلات بين المواطنين فيما بينهم قد دخلت منذ مدة عهدا جديدا يعتمد على رابط مجتمعي رقمي حيت انتقل هذا الرابط من طقوسية وعادات حضورية إلى سلوكات وقدرات ومهارات رقمية عوضت جميع مكونات وعناصر الرابط المجتمعي. فتبادل التهاني والتبريكات والاحتفال بأعياد الميلاد، ... أصبحت تخضع للمحرك الرقمي الذي يلعب دور الناقل لها والمتحكم فيها بل والحريص على التذكير بها. فتم المرور مثلا من اللمة العائلية الواقعية إلى اللمة العائلية الرقمية حيث جميع الأسر المكونة للعائلة متصلة عبر تطبيقات مرنة تمكن من الالتقاء والتحاور تكاد أن تحاكي اللقاءات الواقعية بل وتتجاوزها حيث يعمد الأفراد إلى تشارك وتقاسم حياتهم في أدق تجلياتها.

وفيما يمت لعلاقة الدولة بالمواطنين وفي حال تمكنت المؤسسات من ضبط إيقاع الرقمنة مع وتيرة الخدمات الإدارية والاستجابة للحاجيات الخدماتية للمواطنين في إطار تواصل عمومي (Communication publique) في صيغة اتصال عمومي (Connexion publique) يمكن الحديث عن لبنات أولية لبناء مجتمع الثقة الذي نتج عن النقلة الرقمية التي فرضها فيروس كورونا وبالتالي ارتفاع منسوب الثقة بين المواطنين والدولة. فهناك احتمال أن جدوى وفاعلية هذا النمط من التواصل العمومي في صيغته الاتصالية يمكن أن تؤسس لمواطنة إيجابية منخرطة ومندمجة في المشروع المجتمعي وتعيد الجدوى والمعنى لمجتمع الثقة والاتصال بين الدولة والمواطنين كوعي مشترك بمصير الوطن وحفاظا على حياة المواطنين.

1 Vers un nouveau modèle de développement. Rapport Stratégique 2019-2020, à consulter à partir de https://www.ires.ma/documents_reviews/vers-un-nouveau-modele-de-developpement/ consulté le 07 juin 2020, pp. 195-197

اشتعال الأخبار الزائفة في زمن كورونا

في مقابل هذه الطفرة التي عرفها التواصل العمومي يمكن اعتبار أن تأجيج الأخبار الزائفة[1] وانتشارها بالمغرب في زمن كورونا مرده حاجة المتلقي إلى تعويض نفسي على بعض الإحباطات الفردية والجماعية كأن يقبل بسهولة أن محاربة جائحة كورونا متوقف على عشاب مغربي أو رؤية ليلية مما يمكن من تأويل الأخبار الكاذبة كشكل من أشكال "الإثنية المحورية" كإجابة على تساؤل "حنا هما المجهدين والواعرين في العالم". فالأخبار الزائفة بالمغرب بحسب الحالات التي تم رصدها من طرف المديرية العامة للأمن الوطني هي نسبيا ظاهرة حضرية: مدينة تطوان، – مدينة صفرو، مدينة مكناس، مدينة قصبة تادلة، مدينة مراكش، فاس، مدينة طاطا، كلميمة والصويرة ومدينة الجديدة، مدينة برشيد، القنيطرة، مدينة طنجة، بني ملال ...

كما تجدر الإشارة في هذا الصدد إلى ثنائية تمكن من فهم ظاهرة الأخبار الزائفة وهي ثنائية الأمن الموضوعي الذي يعتمد على معطيات وإحصائيات حقيقية وواقعية ورسمية والأمن الذاتي الذي يرتكز على التمثلات والإدراكات الفردية والشخصية. تتغدى الأخبار الكاذبة من الفرق والتباين والتضارب بين هاذين الصنفين من الأمن: الأمن الموضوعي والأمن الذاتي[2]. وانطلاقا من هذه الثنائية يمكن الحديث عن "ربرتوار" نوعي للفايك نيوز المغربي متعدد ومتنوع: تداول خبر عن إصابة السفير المغربي بالصين بفيروس كورونا، ونشر مقاطع فيديو تتضمن معطيات مغلوطة وكاذبة حول تسجيل إصابات مفترضة في مناطق مختلفة من المغرب، و" فبركة" بيانات رسمية تخص مؤسسات الدولة ونشر لحالات لمرضى على أساس أنهم مصابون بفيروس كورونا أو الادعاء بأن هناك مصاب في الجوار: مكناس مراكش شيشاوة – فاس ... أو الادعاء بالمرض أو بأن الشخص كان شاهدا أو عنده معلومات مؤكدة على إصابة أحدهم .... أو خبر وفاة الطفل الصغير ابن القاضية ... أو تسريب رخصة استثنائية للتنقل مفبركة أو

1 Julie Posetti, Cherilyn Ireton, Claire Wardle, Hossein Derakhshan, Alice Matthews, Magda Abu-Fadil, Tom Trewinnard, Fergus Bell, Alexios Mantzarlis 2018, Journalism, “Fake News” & Disinformation. Publié par l’Organisation des Nations Unies pour l’éducation, la science et la culture (UNESCO), 7, place de Fontenoy, 75352 Paris 07 SP, France.

2 Ceylan, Ayse, 1998 « Analyser la sécurité : Dillon, Waever, Williams et les autres » Cultures & Conflits n°31-32 (1998) pp. 39-62. Référence électronique Ayse Ceyhan, « Analyser la sécurité : Dillon, Waever, Williams et les autres », Cultures & Conflits [En ligne], 31-32 | printemps-été 1998, mis en ligne le 16 mars 2006, consulté le 23 juin 2020. URL : http://journals.openedition.org/conflits/541 ; DOI : https://doi.org/10.4000/conflits.541

وصفات سحرية من الأعشاب كدواء فعلي وفعال لفيروس كورونا أو طائرات تتحلق في سماء الدار البيضاء لتعقيمها أو تداول لائحة إسمية ببعض منصات التواصل الاجتماعي، تتضمن أسماء أشخاص يدعى إصابتهم بداء كورونا أو خبر أن "الحجر الصحي بالمغرب سيمتد لشهر يوليوز 2020"، منسوب لأحد القنوات العمومية أو موت طبيب مراكش أو إشاعة ومخالطة مصاب وراء إصابة الطبيبين...

انطلاقا من هذه الحيثيات والسرديات مكنت الأخبار الزائفة أصحابها من تحقيق بعض الحاجيات النفسية كالانتقام و الكراهية و مواجهة الخوف حيث أضحى العالم الرقمي الوعاء الأمثل لتفريخ المكبوتات النفسية والتيه الوجودي وتمرير بعض الإيديولوجيات كالتكفير والتخوين ...أو المس بمنافس سياسي أو اقتصادي أو ثقافي ... لهذا فالهدف منها يحيل على طبيعة المستفدين ويمكن تصنيفهم إلى فئتين متباينتين : أغلبية ذات أهداف مزدوجة منها التأثير السلبي وخلق بيئة مجتمعية محبطة مع الحصول على عائدات ربحية وأقلية من مختلقي الأخبار الزائفة يمكن أن توصف ب"المرضى المجتمعيين" هدفهم ودوافعهم ليست ربحية بل غرضهم بث الفوضى في المجتمع من خلال منطق انهزامي وتشاؤمي.

فيما يمت إلى الأضرار التي أنتجتها هذه الأخبار يمكن سرد لا للحصر عدة أضرار. أولها تظافر الخبر الزائف مع التفاهة والرداءة وعدم الاختصاص مما يفسد الانخراط المجتمعي ويعمق الاحتباس المواطناتي ويركب على المآسي كتجارة حرب تتاجر في سذاجة وعفوية بعض المواطنين في زمن الحرب على جائحة كورونا كما ساهمت الأخبار الزائفة في تجدر بيئة من الهلع المجتمعي والتخمة المرضية في المعلومة ولا علاقة لهذه التخمة بهامش حرية التعبير لأن هناك بون شاسع بين حرية التعبير والخبر الزائف. ولأن في راهن جائحة كورونا يمس الخبر الزائف بالعيش المشترك وكذلك بالمصير المشترك للوطن مع أن الدستور المغربي خصص الفصل 27 للحصول على المعلومة التي تتوفر عليها الإدارة العمومية بموازاة مكافحة الأنماط المستجدة من الجريمة الإلكترونية ل وتقوية آليات مكافحتها.

من أجل هذا ظهر زخم من النشرات والبلاغات على طول اليوم من طرف وزارة الصحة بالأرقام والتحاليل والإحصائيات والتدابير والمبادرات، مما قوض مفعول الأخبار الزائفة وأضعف انتشارها. لكن ما كان لافتا ونوعيا في تواصل السلطات العمومية هو تميز

القناة اللغوية للتواصل وتوظيفها البرغماتي التي اعتمدت على التعبيرات الترابية[1] اللغوية القريبة من وجدان المغاربة: تعبيرات جهوية أمازيغية بتريفيت وبتشلحيت وبتمازيغيت وكذلك تعابير عربية بالجبلية والحسانية والعروبية والمدينية. فقد استطاعت هذه التعبيرات الترابية بالإضافة إلى وظيفتها التداولية اليومية أن تضيف إلى وظائفها كذلك وظيفة الـتأطير المؤسساتي لكن بمقومات نوعية تمزج بين سلطة المؤسسة (القايد – المقدم – الشيخ – العامل ...) وحميمية عاطفية أبوية مما قطع الطريق على تفشي الأخبار الزائفة. فصارت هذه التعابير هي قناة تواصل السلطات مع المواطنين: القايدة حورية وقائد ميدلت وقائد مقاطعة الأطلس بفاس وعدد لا يحصى من رجال السلطة الآخرين وكذلك الشيوخ و"البراحة" والمقدمين وهنا يحضر مثال مقدم جماعة ولاد بلعيد ومثال المقدم مولاي عبد السلام الشاهد وآخرون...

لا يمكن لهذا النوع من التواصل الواقعي أن يكون له وقع وتأثير في التوعية والتحسيس ومحاربة الأخبار الزائفة وأن يصل أهدافه إلا بتأريخه ونشره ومشاركته من خلال آلية الاتصال لاسيما في خضم الانتقال من مجتمع التواصل إلى مجتمع الاتصال وتباعا تم التحول من التواصل العمومي إلى الاتصال العمومي لأن المتلقي يتواجد ويسكن عوالم رقمية متصلة (الفايسبوك والواتساب ويوتوب ...) وانتقل تباعا من مواطنة واقعية إلى مواطنة افتراضية التي تترصدها عدة مخاطر منها لا للحصر سرطان الأخبار الزائفة وتجدر ثقافة "بارطجي". في المقابل وجبت الإشارة إلى جدة وتحدي مبادرات المجتمع المدني لخلق ثقافة مضادة لثقافة الأخبار الزائفة وبيئة الإحباط من خلال هاشتاغات من قبيل "فضاء افتراضي نقي" و "صحافيون ضد الإشاعة "... لأن هناك ضرورة للاستفادة من مكاسب جائحة كورونا لا سيما فيما يتعلق بعلاقة المواطنين بالدولة التي أصبحت تتسم بمنسوب لابأس به من الثقة.

التحولات القيمية في زمن كورونا

صاحب تطبيق حالة الطوارئ ظهور حالة من الاحتباس القيمي تجسد في تفريخ وتوالد الأخبار الزائفة وخرق لحالة الحظر الصحي بنية مبيتة أو بطريقة عفوية في عدد

1 Said Bennis, 2018 « Questionnements et perspectives de la gouvernance de la diversité culturelle au Maroc ». dans Politics of Recognition and Denial Minorities in the MENA Region, S. Kawakibi (Ed.), S. Bennis, G. Fahmi, P. Maggiolini, Euromesco Joint Policy Study 11, IEMed. European Institute of the Mediterranean, Published by the European Institute of the Mediterranean, pp. 68- 82

من مدن المملكة المغربية وظهور بعض "تجار الحرب" من خلال ما تناقلته وسائل الاتصال الاجتماعي من مظاهر الاحتكار أثر على مسلمات العيش المشترك والرابط الاجتماعي. كما يمكن اعتبار الحجر الصحي جسرا لثقافة قيم الاحتراز والتضامن وكذلك معبرا نوعيا لممارسة مجتمعية جديدة تختلف في أنماط استهلاكها للمنتوجات المادية (العادات الغذائية ...) والرمزية (العلاقات العائلية الرقمية ...) أتاحت تمثلات جديدة لاستغلال واستثمار للوقت والزمن متحررا من ضغط الالتزامات والمواعيد والطقوس اليومية. من هذا المنطلق وجب تمثل وإدراك الحجر وتوصيفه على أساس أنه انغلاق إيجابي لبنيات ونواة المجتمع حول ذاتها لإعادة التعارف والمكاشفة بين مكوناتها بعيدا عن كل أنانية أو تقصير مع باقي أفراد المجتمع. في مقابل هذا الانغلاق تجذرت قيم الاتصال الرقمي عوض قيم التواصل الواقعي بفعل راهنية طقس التباعد الاجتماعي الذي أفرزته جائحة كورونا، فانتقلت ثقافة الجسد والالتقاء من ممارسة مجتمعية واقعية إلى تمثلات رمزية رقمية تمتح من ثقافة "سائلة" بحسب باومان[1] يتم من خلالها انكماش التفاعلات المجتمعية الواقعية وتعويضها بتفاعلات فردية وجماعية رقمية.

في نفس الخضم تراجع قيم العولمة واسترجاع مرجعيات الخصوصية ينبئ بظهور مناطق غير معولمة ترتكز على إعادة اكتشاف قيمة الاكتفاء الذاتي كما أن التمثلات السلبية المتزايدة حول نماذج وأقطاب القوة من دول أوروبا وأمريكا أضحت واقعا لا محيد عنه وعنوانا لنماذج غير متضامنة مما أعاد الثقة في النماذج المحلية المتكافلة وتوهج ملامح الهوية الوطنية. في المقابل يمكن أن تتغير مرجعيات المدرسة التي كانت تقوم على ما يسمى التجارب الناجحة (أو بنشماركينغ) ليتم الانتقال من فعل المتابعة والاتباع إلى فعل الاستقلالية والمبادرة والتحدي الحضاري. فما بعد كورونا سيفرض ضرورة ولوج المدرسة المغربية لعالم الفكر النقدي لتكوين الناشئة على بيداغوجيا التعامل مع الأخبار الزائفة والثقافة "المتوحشة" والمعولمة التي تغزو العالم الرقمي لهذا فبناء المدرسة الممهنة سيصبح مرتهنا أساسا بمرجعيات المدرسة القيمية والفكر النقدي التي من أسسها ترسيخ المواطنة الإيجابية والمشاركة في الشأن العمومي.

كما أن زمن الجائحة أدى إلى تغير ملحوظ في السلوكات والممارسات الاجتماعية في الفضاء العمومي فتم تباعا الانتقال من الأنا كمحور للصحة والتطبيب إلى "النحن"[2]

1 زيجمونت باومان 2018 الثقافة السائلة ترجمة:حجاج أبو جبر دار النشر:الشبكة العربية للأبحاث والنشر ،ص 109.

2 Laure Cailloce « Aujourd’hui il faut passer du "je" au "nous"», publié le 25.03.2020

الجماعي المنضبط والمتبع للتعليمات الرسمية كأساس لتعافي المجتمع برمته ليصبح التخطيط الفردي مرتبط بالتخطيط الجماعي. ومن تبعات هذا التغير تعميق قيم اكتشفها المغاربة مع الجائحة منها لا للحصر: توهج الانتماء الترابي والرمزي لمغاربة الداخل ومغاربة الخارج الذي يمكن وصفه بالتمغربيت الجديدة: "نيوتمغربيت" التي من تمظهراتها الهجرة المعكوسة: الحريك للمغرب. فانتقل تدريجيا الرابط الوطني في الحالة المغربية من رابط ذا شحنة مادية (من طنجة لكويرة) إلى رابط ذا حقينة رمزية وهو ما يعرف ب "التمغربيت" ليتحول في زمن كورونا إلى ما يمكن نعته ب"النيوتمغربيت" الذي يتأسس على ثلاثة عناصر أساسية وهي الاعتراف على أساس المواطنة والحماية في إطار دولة الرعاية ومجتمع الثقة و الاندماج المجتمعي على أساس أن الاندماج المحلي هو أساس الاندماج الوطني.

وبزغت كذلك بعض الأدوار الاجتماعية منها لا للحصر دور رجل السلطة ودور الطبيب وعامل النظافة ويبدو أن الحصول على الاعتراف و الحظوة المجتمعية ليس مسألة نجومية أو كماليات بل يرتهن بمدى تضحية الفرد من أجل الجماعة وتعريض حياته للخطر والصمود في الصفوف الأمامية لا سيما مع تنامي قيم التضامن الرقمي والاتصال الإيجابي وتوظيفه لإعادة الحركية والتفاعلات المجتمعية في أفق ضبط الخروج من فلسفة الاحتراز وطقس التباعد الاجتماعي والعودة التدريجية للحياة العادية لاسيما مع ظهور ارهاصات قيم تحديث الفضاء العمومي من خلال توسيع رقمنته، بدءا برقمنة الإدارة كي تتم تفاعلات المواطنين مع المرافق العمومية عن بُعد كخطوة استباقية لاستعادة تمثل الزمن المجتمعي الواقعي.

من هذا المنطلق وبالارتكاز على راهنية تمظهرات جائحة كورونا وتناسل الأرقام والإحصائيات المحينة والمقدمة من طرف وزارة الصحة يبدو أن مصفوفة المتطلبات والحاجيات الجديدة للمغاربة، ومن ضمنها حاجيات نخبوية ترتبط بالقيم الغير المادية وحاجيات جماعية تمت إلى القيم المادية مثل التشغيل والتعليم و المواصلات و البنيات التحتية و السكن و البدائل التنموية و الأمن... ستتوارى لصالح حاجيات فردية تحيل على قيم الصحة و الحياة والوقاية من الأمراض التي كانت في ما مضى تجسدها

https://lejournal.cnrs.fr/articles/aujourdhui-il-faut-passer-du-je-au-nous, consulté le 11 juin 2020

مسيرات العطش وغلاء المعيشة ونسبة الوفيات (الرضع – النساء الحوامل) وعودة بعض الأوبئة ووقع التقلبات الطبيعية و الحق في العيش الكريم.

فمن المحتمل إذن أن يعرف الزمن الانتقالي طفرة وتزايد في المبادرات المدنية لإرساء فضاء افتراضي يرتكز على منظومة قيمية تنبني على التضامن والمواطنة والتضحية والالتزام ومجتمع الثقة وهي منظومة كادت أن تتلاشى مع استفحال وتجذر وتنامي فضاء افتراضي "موبوء" يقوم ويتأسس على ثقافة "الفايك نيوز" والكراهية والعنف الرقمي ضد بعض مكونات المجتمع والسرديات الهامشية ("روتيني اليومي" و"البوز" ...) والظواهر الرقمية ("كشوان إكنوان" و "دنيا وإحساس" ...) وانغلاق المجموعات الافتراضية ("العميقين" والمجموعات النسائية...) ... لكن مع ردة فعل المجتمع الرقمي على مشروع قانون رقم 22.20 المتعلق باستعمال شبكات التواصل الاجتماعي وشبكات البث المفتوح والشبكات المماثلة يمكن استشراف تراجع ظاهرة السرديات الرقمية وتنامي ظاهرة "الهاكتيفيزم" والحراك الرقمي[1]. لهذا من المستحب الدفع بقيم الأمل والتحدي كقيم مؤسسة لمجتمع ما بعد كورونا مؤسس على نظام قيمي إنسي يمجد الإنسان ويستشرف الحفاظ على حياته ووجوده وبقائه فالسؤال يظل أية قيم للعالم الذي نريد أن نعيش فيه في ظل المخاطر المحدقة؟ يبدو من هذا المنظور أن التعاطي مع التحولات المجتمعية في المملكة المغربية في ارتباطها بجائحة كورونا، يستدعي بموازاة الحديث عن سياسات تنموية أو نماذج تنموية، الانكباب على سياسات حياتية[2] لا تهتم بالحاجيات المادية فحسب، بل بحياة الفرد والساكنة،" فالانتقال الديمقراطي والسياسي يتم عبر الاهتمام بالجسم والحياة لأنه أساس قيام وانبعاث أي مجتمع كيفما كان بعد الحروب والجوائح والكوارث ومصدرا لفهم نوايا المواطنين وتمثلاتهم حول المواطنة والصيغ الممكنة لتقوية الشعور بالثقة بينهم وبين الدولة.

فالحاجة أصبحت ماسة إلى إعادة النظر في منطق السياسات العمومية وضرورة تمثل البحث العلمي كقيمة أساسية من استراتيجيات الأمن المجتمعي وبنائه على عناصر بعينها تجيب على حاجيات "سلطة الحياة" بحسب ميشيل فوكو وإدماج مقولة "السياسة الحياتية" في المشروع التنموي المرتقب لتصير منظومة الحياة من أسس المنظومة

---

1 Éric Dagiral, 2008 « Pirates, hackers, hacktivistes : déplacements et dilution de la frontière électronique », Critique, 6-7 (n° 733-734), pp. 480-495

2 Thibault Bossy, François Briatte, 2011 « Les formes contemporaines de la biopolitique », Revue internationale de politique comparée /4 (Vol. 18), pp. 7- 12.

القيمية ليس فقط على المستوى الوطني بل كذلك على المستوى الجهوي والترابي. لهذا ولبناء مجتمع الثقة و تعميق المواطنة الإيجابية من الضروري التعاطي مع التحولات المجتمعية للمغاربة بالارتكاز وإبداع سياسات حياتية تهتم ليس فقط بالترابات (Territoires) والبنيات التحتية والحاجيات المادية بل أيضا عبر تقوية الانخراط المواطناتي و إيلاء الأهمية لحماية حياة ووجود المواطن. فإذا لم تنجح السياسات العمومية في الاستجابة للحاجيات الفردية في زمن ما بعد كورونا يمكن أن يتأثر الرابط الاجتماعي ويضعف لصالح سلوكات التنافر والعنف والكراهية. لهذا صار ملحا لاستشراف ما بعد كورونا التداول حول البدائل النسقية والفلسفية في حقل التحولات المجتمعية والقيمية واقتراح مخرجات واقعية تستجيب لرهانات وتحديات المجتمع المغربي ومنها لا للحصر:

- ✓ الرفع من القيمة المواطنة للإنسان المغربي عبر الاعتراف بحقوق المرأة وحقوق الطفل وحقوق ذوي الاحتياجات الخاصة وحقوق الشباب في الشغل والصحة والتمدرس.
- ✓ التواصل والترافع الأفقي حول التعاقد القيمي بتبني ديمقراطية تداولية[1] صاعدة تنصت للتمثلات الرمزية للساكنة وتؤسس لها إطارا للتشارك والانخراط المواطن واعتماد نسق اندماجي يقر بصيغة المفرد وصيغة الجمع عبر استراتيجية نموذج وطني يحتضن نماذج ترابية جهوية.
- ✓ رصد تمثلات الشباب الواقعية والرقمية حول ذاته وموقعه في المنظومة المجتمعية وضبط إدراكه لماضي وواقع مجتمعه وتحديد نجاعة تأويلاته ووقع فعلها على محيطه ورصد مستقبل ريادته وتجذرها في بيئتها للانخراط والمشاركة في بلورة مشروع مجتمع الثقة.

الرابط الاجتماعي والرباط الرقمي في زمن كورونا

انطلاقا من أن الرابط الاجتماعي يبنى على مختلف أنواع وأشكال وتعبيرات التفاعل داخل المجتمع وبما أن زمن كورونا ألغى هذه التفاعلات تم تحويل ونقل أغلب تمظهرات

1 Alban Bouvier, 2007 « Démocratie délibérative, démocratie débattante, démocratie participative », Revue européenne des sciences sociales [En ligne], XLV-136 | mis en ligne le 01 février 2010, consulté le 26 juin 2020. URL : http://journals.openedition.org/ress/82 ; DOI : https://doi.org/10.4000/ress.82

الرابط الاجتماعي من بيئته الواقعية إلى بيئة مغايرة وذات طبيعة ومنطق مختلفين ألا وهي البيئة الرقمية. من هذه الزاوية يمكن في سياق زمن كورونا استشراف انتقال مجتمعي في صيغة تغير من مجتمع التواصل الواقعي إلى مجتمع الاتصال الرقمي تكون نتيجته التحول من رابط اجتماعي واقعي إلى رباط مجتمعي رقمي. فمفهوم "الرباط" يحيل على أن الجميع مرابط بالعالم الرقمي لدرجة الإدمان (Addiction numérique) [1] . أضحينا أمام رباط رقمي وليس رابط اجتماعي من أهم عناصره التواجد المستمر واليقظة الحذرة والرقابة المواطنة والتفاعل الجماعي والفردي من خلال جسر الفردانية الجماعية (Singularité collective). والمعطى الرئيسي الذي يتماشى مع هذا الاستنتاج هي أرقام وإحصائيات الوكالة الوطنية لتقنين[2] المواصلات التي تعطي أرقام من قبيل أن 75.7 في المائة من المغاربة يتوفرون على هاتف متنقل وأن عددهم يرتفع سنوياً بمقدار 1.2 مليون شخص، وأن 92.4 في المائة من الأفراد البالغين أكثر من خمس سنوات يمتلكون هاتف ذكي وأن معدل الأفراد المتوفرين على هاتف متنقل في أسرة واحدة يصل إلى 3.9 أفراد، فيما تتوفر كل الأسر على هاتف متنقل بنسبة 99.8 في المائة، سواء في الوسط الحضري أو القروي.

تباعا يتوجب على الفاعل السياسي والمدني أن يفطن إلى أن أفق البقاء الجماعي والعيش المشترك أصبح مرتهنا بالرباط الرقمي عوض الرابط الاجتماعي لأنه حتى في النقاشات الرقمية في زمن كورونا عندما يصل الخلاف ذروته (مثالا شخص سب الدين أو تهكم على الرسول ...) ترد ردود فعل من قبيل " لي ما عجبناهش امشي لشي بلاد أخرى" – "لي بغا يعيش ف المغرب خصو يكون هاكذا أو يدير هاكذا" ...فأصبحنا أمام ثنائية تصارعية بين تداعيات ورهانات العيش المشترك الواقعي والعيش المشترك الرقمي. فما هي الصيغة التي طفت على السطح في زمن كورونا؟ من هذا الباب يصبح الرباط الرقمي هو مجمل العلاقات والإجراءات والاحترازات التي تشد الأفراد والمجموعات ببعضها البعض عبر صيغة اتصالية تمكنهم من البقاء والعيش وسط المجتمع الرقمي وكمثال على ذلك

1 Marie-Pierre Fourquet-Courbet et Didier Courbet, « Anxiété, dépression et addiction liées à la communication numérique », Revue française des sciences de l’information et de la communication [En ligne], 11 | 2017, mis en ligne le 01 août 2017, consulté le 26 juin 2020. URL : http://journals.openedition.org/rfsic/2910 ; DOI : https://doi.org/10.4000/rfsic.2910

2 Enquête de collecte des indicateurs TIC auprès des ménages et des individus au niveau national au titre de l’année 2018. Résultats . Juillet 2019, consulter le 17 juin 2020 à partir https://www.anrt.ma/sites/default/files/publications/enquete-tic-2018.pdf

أصبحت ترفض دعوات الأصدقاء مجهولي الهوية أو بدون صور واضحة: أصبح الإفصاح عن المعلومات الشخصية والبيانات الصحيحة والحقيقية ضرورية لبناء الرباط الرقمي الذي ينحو منحى رابط اجتماعي واقعي بتفويض رقمي كفكرة للتقابل (Interface). لهذا أفضت جائحة كورونا إلى تعميق وترسيخ مقولة العوالم الموازية حيث يتعايش الأفراد في عالمين وفضائين متوازيين بهويتين مختلفتين : هوية واقعية وهوية رقمية في تراتبية يتحكم فيها الفرد.

كما عرف زمن كورونا عودة الروابط[1] العائلية والمهنية والقبلية والترابية بشكل مفاجئ عبر تفاعلات رقمية مفتوحة حيث أصبح الجميع ينخرط في "مجموعات" قدماء مدرسة أو ثانوية أو جامعة أو حي أو ... وهي بنيات افتراضية تتحسس الرابط الاجتماعي من خلال الرباط الرقمي. فمن خلال هذه التفاعلات يتماهى الرابط الاجتماعي بالرباط الرقمي كما تبينه عودة الأنا بمشاركة صور الطفولة أو صور مع العائلة ... بمنطق أن العلاقات الأسرية قد تم قطعها والانسحاب منها وأن هناك حاجة لإحيائها من خلال أركيولوجيا رقمية. هل هذه السلوكات ترمز إلى سمو العلاقات الواقعية على العلاقات الرقمية وأن الانتقال من رابط اجتماعي واقعي إلى رباط مجتمعي رقمي ليس إلا ظرفيا ويرتبط بزمن الجائحة. يمكن كذلك إضافة ملاحظة أخرى هي أن أغلب "الفايسبوكيون" قد غيروا صور بروفايلاتهم بصور تبرزهم في "حالاتهم الطبيعية" كبحث عن الصورة الحقيقية وليس الافتراضية، هل يمكن أن نستنتج أن الحجر أدى إلى تصلب الأنا (Sclérose) فيخيل للملاحظ أن زمن كورونا هو لا زمن أو بالأحرى زمن أناكروني يتداخل فيه الماضي والحاضر والمستقبل مع غلبة تداعيات الماضي (Réminiscences) مما ينتج عنه فرملة دينامية الرابط الاجتماعي. هناك كذلك من نشر صورا له عندما كان تلميذا من خلال صور القسم أو بطاقة التلميذ أو الطالب أو صور الزفاف أو في حالات اجتماعية أخرى ومتنوعة كأنه يتنبأ أنه لن يعود إليها.

ومن تبعات استعادة هذه الروابط كذلك ظهور تضامن ترابي رقمي يرتكز على المدينة والجهة والجماعة والحي ... كأن كورونا ليست وطنية بل ترابية جهوية: الرواد لا يهتمون إلا بوضعية وأرقام ترابهم كأن الرابط الجهوي أقوى من الرابط الوطني والرابط

1 عبد العزيز محمد خواجة، 2018 سوسيولوجية الـرابط الاجتماعي. بناءات مفاهيمية ومسارات. نور للنشر، ألمانيا، ص: 23

الاجتماعي. فزمن كورونا حول الرابط الاجتماعي من رابط يحتوي الروابط الأخرى إلى رابط يختزل في الرابط الترابي.

ارتباطا بهذا التحول يتساوى المجتمع الواقعي مع المجتمع الرقمي في منطق وأهداف الرابط الاجتماعي لأن مرجعياتهما متشابهة لكن في زمن الأزمات وفي خضم زمن كورونا تصبح علاقة الدولة بالمواطنين ومع الشعور ب "التهديد الوجودي" هي المحرك والناقل والمكرس للرابط الاجتماعي فمثلا كان الأمل قبل كورونا معقود من خلال نموذج تنموي جديد لولوج مجتمع المعرفة ولكن مع توالي الأحداث وراهنية كورونا أصبح الهدف هو بناء مجتمع الثقة. فمكون الثقة بين المؤسسات والمواطنين[1] أضحى العنصر الرئيس في تقوية أو تفكك الرابط الاجتماعي.

من زاوية مغايرة يمكن لزمن كورونا أن يتيح هامشا تواصليا لترسيخ تنشئة أسرية يتم عبرها اكتشاف مزايا العيش المشترك والتعاضد والرابط الاجتماعي لا سيما مع بروز مبادرات مدنية لإرساء فضاء افتراضي مواطن. إلا أن عجز مجتمع الاتصال على ملء الفراغ الذي تركه الرابط الاجتماعي نتج عنه شعور بأن الرباط الرقمي لا يمنح مشاعر من قبيل الانسجام والتآلف ودفء التفاعل بل يمكن استنتاج أن زمن كورونا أرخى بضلاله على الحياة العامة في صيغة تشاؤم يتم تعويضه عبر الرقمي وتمثل لآلية التباعد الاجتماعي كمكون جديد سالب للرابط الاجتماعي.

لهذا يبدو أن جائحة كورونا كانت محددا محوريا للانكباب بطريقة معمقة على تسريع رقمنة الإدارة لتتم تفاعلات المواطنين مع المرافق العمومية عن بُعد كخطوة استباقية لاحترام وضبط الشروط الاحترازية للحجر الصحي وتهيئ الظروف المواتية للخروج من حالة الطوارئ. كما أن هذه الوضعية أفضت إلى بزوغ بيئة ثقافية جديدة وهي بيئة ثقافية رقمية "لايف"،"حية " أسفرت عن ميلاد نوع جديد من المثقفين يمكن أن نسميهم ب "المثقفين لايف" بعد أن كان الجدال حول المثقف العضوي والمثقف المختص والخبير ... وهذا مؤشر على عودة التداول الثقافي عبر بوابة بيئة ثقافية رقمية تنقل من ثقافة واقعية مغلقة إلى ثقافة رقمية "لايف" يبدو أن من تجلياتها المباشرة إبداع حراك تضامني وبناء نقاش عمومي نوعي وتواري ثقافة الكراهية والعنف تجاه بعض فئات

1 L’ordre sociopolitique et la confiance dans les institutions au Maroc, https://www.ires.ma/wpcontent/uploads/2015/11/lordre_sociopolitique_et_la_confiance_dans_les_institutions_au_maroc.pdf , Janvier 2010 , pp 57-59

المجتمع (المرأة ...) واستنفاذ الحروب الرقمية (بين المدافعين عن اللغات والتعبيرات الثقافية المغربية والمدافعين عن الحريات الفردية ...) واشتعال الحراك والتعبئة الرقمية فيما يتعلق ببعض الإشكالات. ومن هذه التحديات يمكن أن نسرد لا للحصر تحدي اختيار الانضباط المواطناتي أو الرقابة المواطناتية حيث أصبحت تطرح مسألة الشمولية الرقمية، بعدما اكتسبت شرعية متزايدة بفضل أدائها في مكافحة الجائحة، من خلال تطبيقات على الهواتف الجوالة لتعقب المصابين وأنظمة لتحليل البيانات التي ترتبط بصحة الأفراد. في الحالة المغربية طرح تطبيق "وقايتنا" رهان قبول "المراقبة الشمولية" أو تحدي الركون والتعويل على حس المسؤولية لدى المواطنين.

في هذا السياق يعدو التعاقد القيمي رهينا بمصفوفة الفاعلين ودورهم في التأثير في بيئتهم ومحيطهم الذي يؤثث له تصدير دستور المملكة المغربية من خلال مقولات دولة الحق والقانون والديمقراطية والتعددية والحكامة الجيدة ومجتمع متضامن وآمن والحرية وتكافئ الفرص والكرامة والعدالة الاجتماعية لتثمين رابط اجتماعي بموازاة رباط رقمي أفرزه زمن كورونا ينسجمان مع منطق الجهوية المتقدمة والانتقال من جهات ملحقة بالمركز إلى جهات ذات استقلالية تشكل أقطابا اقتصادية تستطيع أن تحتوي البطالة المحلية وتثبت إرهاصات الانضباط المواطناتي عند المغاربة والانتقال إلى مجتمع الثقة.

رهانات التنمية بالمغرب لما بعد الحجر الصحي

امحمد مهدان

أستاذ السوسيولوجيا بجامعة ابن زهر بأكادير

تقديم

لمعرفة الآثار الاجتماعية والاقتصادية للحجر الصحي الناتج عن انتشار فيروس كورونا المستجد (covid-19) منذ مطلع سنة 2020، أردت أن أدلو بدلوي، كأستاذ باحث في سوسيولوجيا التنمية، في هذا النقاش العمومي. وبما أن أي تحليل سوسيولوجي لابد له من نقطة مرجعية فسأنطلق في هذه المساهمة العلمية من المخطط الذي أعده الباحث السوسيولوجي الفرنسي جاك بيرك سنة 1945 حول التنمية القروية في مغرب الحماية (Berque, J., 1945).

من هنا أتساءل أولا لماذا العودة إلى هذا المخطط رغم أنه قديم وبعيد عن زمننا الحاضر؟ أي تقييم يمكن أن نقدمه حول مساهمة بعض القطاعات الاقتصادية والاجتماعية كالفلاحة والتعليم والصحة والخدمة الاجتماعية خلال فترة الحجر الصحي؟ والتي وإن كانت قصيرة، فهي أعطتنا دروسا وعبر، علينا جميعا باحثين وفاعلين اجتماعيين ومسؤولين اقتصاديين وسياسيين أن نأخذها بعين الاعتبار مستقبلا، وأخيرا ماذا لو تم الأخذ ببعض مقترحات هذا المخطط في إطار النموذج التنموي الجديد الذي يعده المغرب حاليا لتفادي الاختلالات الاقتصادية والاجتماعية التي ظهرت للعيان خلال فترة الحجر الصحي؟

1. عودة إلى مخطط جاك بيرك للتنمية

لعل السبب العقلاني الذي دفعني للتركيز على هذا المخطط الذي اطلعت عليه عندما كنت أعد كتابا حول السوسيولوجيا القروية بالمغرب (أمحمد مهدان، 2015)، حيث اكتشفت أن الباحث السوسيولوجي الفرنسي جاك بيرك، لما اشتغل رئيسا لمصلحة الدراسات القروية بمديرية الشؤون السياسية التابعة للمقيم العام الفرنسي بالمغرب بين

سنتي 1943 و1947، شكل فريقا للبحث رفقة جوليان كولو (المهندس الزراعي الفرنسي) لإعداد مخطط شامل للتنمية القروية بالمغرب لمعالجة أزمة المجاعة التي عرفها المغرب وما رافقها من أوبئة في تلك الفترة[1]، بمعنى أنه مخطط لمعالجة أزمة اقتصادية واجتماعية وصحية تشبه الأزمة التي عاشها العالم والمغرب بشكل خاص، بسبب تداعيات انتشار فيروس كورونا المستجد مند بداية سنة 2020، على اعتبار أن تشابه الظروف الاقتصادية والاجتماعية تساهم في إبداع نفس الحلول والاستراتيجيات.

هذا المخطط هو عبارة عن تقريرين: الأول بعنوان "نحو تحديث قروي" (Berque, 1945b) والثاني "نحو تحديث الفلاح المغربي" (Berque, 1945a)، بمعنى أنه ركز على قطاعين أساسيين، أولهما التنمية الاقتصادية للبوادي المغربية عبر مكننة الإنتاج الزراعي وتحسين تربية الماشية، أما التقرير الثاني فقد ركز فيه جاك بيرك على ضرورة مواكبة هذه التنمية الفلاحية بتنمية اجتماعية وبشرية لتأهيل الفلاحين ومعهم السكان القرويين عبر دعم ثلاثة قطاعات موازية وهي التعليم والصحة والخدمة الاجتماعية، حيث قال أن "هذا التغيير سيكون بمساعدة الثلاثي المكون من المعلم، الممرضة والمساعدة الاجتماعية، الذين سيعملون على ترقية السكان القرويين ورفع مستواهم من التنمية الاجتماعية"(Berque, 1945a) .

وهو ما يفيد بأن هذا المخطط يحمل في طياته بعض مبادئ النظرية الماركسية التي تركز على الشروط المادية لخلق إنسان جديد عبر تغيير تقني لوسائل الإنتاج، كما يتضمن بعض مواقف دوركايم، خاصة ما تعلق بالتحليل الشمولي للظواهر الاجتماعية، حيث قال في إحدى خلاصاته: "يجب أن يكون التقدم شاملا وإلا فلا"، بمعنى أن يشمل التدخل جميع مناحي الحياة السكان ومرة واحدة وفي نفس الوقت، كما نستنتج أن اعتماد جاك بيرك على الثلاثي المذكور الذين كانوا بمثابة الفرسان السود الثلاثة التي اعتمدت عليها الجمهورية الثالثة في فرنسا في التنمية الاجتماعية، كما أن هذه المبادئ سيتم اعتمادها فيما بعد من طرف عدة منظمات دولية كالفاو واليونسكو ومنظمة الصحة العاملية (مهدان، 2015: 95).

1 - عرفت هذه الفترة في تاريخ المغرب بعام البون، حيث يحكي العديد من الآباء والأجداد الذين عاصروا تلك الفترة بأن سلطات الحماية الفرنسية كانت توزع المواد الغذائية والمؤن حسب عدد أفراد كل أسرة، وبناء على وثيقة أو "بون" يسلمها مقدم الحي أو القرية أو القصر لرب الأسرة.

2. الاهتمام بالقطاع الفلاحي لتحقيق الأمن الغذائي

بالعودة إلى التقرير الأول (Berque, J. 1945b) من مخطط جاك بيرك الذي اقترح فيه إصلاحا زراعيا شاملا، عبر إصلاح البنيات العقارية ومكننة القطاع الفلاحي وتحديثه من أجل الأمن الغذائي لكافة المواطنين، وهو الذي أثبتته التجربة، حيث تمكن المغرب، بفضل سياسته الفلاحية مند الاستقلال، من توفير المواد الغذائية وبأثمان مناسبة خلال أشهر الحجر الصحي، التي تزامنت مع شهر رمضان، مع ما يعرفه هذا الشهر الكريم، من تزايد وتنوع حاجيات المواطنين للمواد الغذائية كالخضر والفواكه واللحوم والحليب، وذلك رغم إغلاق الحدود الدولية أمام المهاجرين والسياح وكذا منع التصدير والاستيراد، من وإلى الخارج تفاديا لانتقال عدوى فيروس كورونا المستجد.

إذن فالقطاع الفلاحي، كما قال السيد وزير الفلاحة (في تدخله أمام مجلس المستشارين يوم الثلاثاء 26 ماي 2020) "كان في الموعد في مواجهة كورونا، إذ غامر الفلاحون بحياتهم واشتغلوا لأجل توفير الأكل للمغاربة وتموين مختلف الأسواق بالمواد الفلاحية بكميات كافية وأسعار مستقرة." (أحمد الأرقام، جريدة الصباح، 2020)، الأمر الذي يؤكد ضرورة استمرار دعم هذا القطاع الاستراتيجي، وذلك لإنتاج الثروة وتوفير فرص الشغل ودعم الاستهلاك الداخلي وتحقيق الأمن الغذائي دون الحاجة إلى استيراد المواد الغذائية الأساسية.

إذا استطاع القطاع الفلاحي أن يصمد أمام هذه الأزمة الاقتصادية والاجتماعية، فإن المجهودات التي بدلها المغرب مند الاستقلال في القطاعات الاجتماعية الأخرى كالصحة والتعليم والمساعدة الاجتماعية لم تكن في المستوى المطلوب، حيث عرت هذه الأزمة الصحية وما نتج عنها من حجر صحي واجتماعي، رغم قصر مدته الزمنية، عن استمرار بعض الاختلالات والنواقص التي لازالت تعاني منها هذه القطاعات الحيوية، والتي من الواجب التفكير في سبل تداركها مستقبلا، من أجل تحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية وبشرية شاملة.

3. الصحة العمومية من أولويات المرحلة المقبلة

أظهرت التقارير الصحفية وما يتداوله الإعلام أن قطاع الصحة بالمغرب يعاني من عدة اختلالات وفوارق حتى قبل أزمة كورونا، منها ما هو مجالي، أي بين الوسطين القروي

والحضري، ومنها ما هو اجتماعي بين الفقراء والميسورين، وحتى بين القطاعين الخصوصي والعمومي.

فإذا كان المغرب من بين الدول السباقة في العالم إلى تبني سياسة وقائية من أجل محاصرة انتشار فيروس كورونا المستجد وتجنيد الأطقم الطبية لمواجهة انتشار الفيروس عبر عزل وإسعاف المصابين ومراقبة المخالطين لهم وإجراء التحاليل المخبرية الضرورية، فإن ذلك راجع لإيمان المسؤولين في هذا القطاع بالمغرب بأن الوضعية المزرية التي تعرفها المنظومة الصحية تجعلها مسبقا عاجزة عن استيعاب الضحايا المفترضين.

كما أظهرت التجربة أيضا أن قطاع الصحة العمومية هو من تحمل مسؤولية مواجهة فيروس كورونا وحده، في مقابل اختفاء القطاع الخاص في هذا المجال، فرغم الإمكانيات المادية والتجهيزات المتطورة التي يتوفر عليها هذا القطاع، فإن أرباب المصحات الخاصة والعيادات الطبية أغلقوا أبوابها وعادوا إلى منازلهم أمام التراجع الملحوظ في عدد المرضى الذين يتوافدون عليها بسبب تدابير حالة الطوارئ الصحية.

الأمر الذي يدعو للتفكير في نموذج صحي متوازن يأخذ بعين الاعتبار هذه الاختلالات المجالية والاجتماعية، ولما لا العودة إلى ما اقترح جاك بيرك حين قال بأن التنمية الشاملة تقتضي على الدولة تجهيز كل التجمعات القروية بمراكز صحية ومستوصفات لتوفير خدمات القرب في مجال الصحة (Berque, 1945a)، بمعنى العودة إلى نظام الدولة الراعية، التي تتكلف بتوفير الشغل والخدمات الاجتماعية كالسكن والصحة والتعليم، كما سنرى فيما بعد.

4. أي تعليم لما بعد الحجر الصحي؟

بعد إغلاق جميع المؤسسات التعليمية والجامعات ومؤسسات التكوين المهني، اضطرت الوزارة الوصية لاعتماد التعليم عن بعد كبديل عن التعليم الحضوري، من أجل ضمان استمرارية العملية التعليمية وتفادي وقوع سنة بيضاء، حيث انخرط الأساتذة والإداريين في خدمة التعلم عن بعد وفق الإمكانيات المتوفرة والمتاحة لهم، وذلك عبر تفعيل مجموعة من المنصات الرقمية والمواقع الإلكترونية والقنوات التلفزية لتمكين التلاميذ والطلبة من متابعة الدراسة عن بعد.

أكثر من ذلك فقد استمر الأساتذة والباحثون الجامعيون في أداء مهامهم في مجال البحث العلمي عبر المشاركة في الندوات الافتراضية[1] وتتبع وتقييم بحوث الإجازة والماستر والدكتوراه، في انتظار فتح باب مناقشتها حضوريا أو عن بعد.

غير أن هذا الإجراء لم يكن متاحا لجميع التلاميذ والطلبة بسبب الاختلالات المجالية وكذا عدم تكافئ الفرص بين تلاميذ وطلبة الوسطين القروي والحضري وضعف الإمكانيات والتجهيزات اللازمة للولوج إلى هذه المنصات الرقمية من حواسيب ولوحات إليكترونية وصبيب الانترنيت لذا جميع الطلبة والتلاميذ، خاصة أبناء الأسر الفقيرة والمعوزة. (الحسين دنى: جريدة الصباح، 2020).

أبانت تجربة التعليم عن بعد كذلك عن استمرار مجموعة من من الاكراهات لدى هيئة التدريس وكذا الأسر والتلاميذ والطلبة من أجل التأقلم مع متطلبات هذا الصنف الجديد من التعلم بحكم اعتماد تدابير الحجر الصحي بشكل مفاجئ ودون مرحلة استعداد أو تدرب على هذه المتطلبات.

نفس ما قلناه بالنسبة لقطاع الصحة أظهرت هذه التجربة أن قطاع التعليم الخصوصي هو الآخر يفكر أكثر في مسألة الربح المادي، باعتباره مقاولة خاصة، بحيث سمعنا عدة تقارير وأخبار تفيد بلجوء أرباب بعض هذه المؤسسات إلى تخفيض واجبات التمدرس عن الأشهر الثلاثة التي شملها الحجر الصحي (أبريل، ماي ويونيو)، بهدف المحافظة على زبنائها، في مقابل ذلك أظهر البعض الآخر تعنتهم بمطالبة أباء التلاميذ بأداء واجبات التمدرس كاملة، بحجة استفادتهم من التعليم عن بعد، الأمر الذي دفع الآباء للتحرك والتكتل في مجموعات وجمعيات الآباء للتشاور عبر وسائل الاتصال كالهواتف وتطبيقات واتساب بهدف التشاور وتوحيد مواقفها ومطالبها بخصوص تخفيض واجبات التمدرس الشهرية تماشيا مع نوع الخدمة التي قدمتها هذه المؤسسات من تعليم عن بعد خلال أشهر الحجر الصحي.

يبدو إذن أن هذه المبادرات المصاحبة للتعلم عن بعد تعتبر مكتسبات مهمة يمكن استثمارها في تحقيق تكافؤ الفرص في الحصول على تعليم عصري ميسر الولوج ذي جودة، وكذا التخفيف من الاكتظاظ الذي تعرفه العديد من المؤسسات التعليمية

1 - أذكر في هذا الإطار الندوة الدولية التي نظمها فريق البحث في العلوم الاجتماعية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير عن بعد يومي 28 و29 ماي 2020، حول "تدبير الأزمات والمخاطر ورهانات التنمية.

والكليات ذات الاستقطاب المفتوح بالجامعات، لكنه يتطلب تحديات كبيرة لا ترتبط بالأساس بالمنظومة التربوية، بقدر ما ترتبط بمستوى التنمية الاجتماعية بصفة عامة، والتي على الدولة العمل عليها مستقبلا من أجل التقليص بين الفوارق المجالية والاجتماعية في هذا الإطار، وكذا توحيد أسعارها بالنسبة للتعليم الخصوصي.

5. التنمية الاجتماعية من أولويات المرحلة المقبلة

في إطار التدابير الاستباقية لمواجهة انتشار فيروس كورونا دائما، أطلعتنا بعض التقارير الإعلامية عن المبادرة التي أطلقتها وزارة التضامن والتنمية الاجتماعية والمساواة والأسرة، لإيواء الأشخاص في وضعية الشارع، والتي شملت حوالي **6000** شخص، بتنسيق مع مؤسسات التعاون الوطني ووزارة الداخلية وبعض الجمعيات، وذلك بهدف حماية هؤلاء المواطنين من الإصابة بالفيروس وتفادي انتقال العدوى في صفوف باقي المواطنين (الحسين دني، جريدة الصباح، 2020).

يبدو من خلال هذه المعطيات أن ظروف أزمة كورونا عرت وبشكل فاضح عن الواقع المأساوي الذي تعيشه منظومتنا الاجتماعية، خاصة ما يتعلق بالأشخاص في وضعية صعبة كأطفال الشوارع والمشردين والمسنين والمدمنين وذوي الأمراض العقلية والنفسية والمهاجرين الخ.

الأمر الذي يحتم على الدولة الاستمرار في مثل هذه المبادرات حتى بعد الانتهاء من فترة الحجر الصحي، من أجل إخراج هذه الفئات من الصعوبات والظروف القاسية والمهينة التي كانت تعاني منها، عبر توفير المأوى وضمان الملبس والمأكل والتطبيب، بالإضافة إلى حمايتهم من جميع أشكال العنف التي تمارس عليهم في الشارع والتي تجعلهم عرضة للوصم والإقصاء والتهميش.

نفس الشيء يمكن قوله عن الجمعيات المحلية في المدن والقرى، بل وحتى التي أنشأها المهاجرون في الدول الأوربية، والتي لم يمنعها إغلاق الحدود بينها وبين المغرب من إرسال مساعداتها المالية للجمعيات المحلية قصد توزيعها على الأسر الفقيرة في قراهم الأصلية، التي أحيت العديد من عناصر التضامن الاجتماعي، عبر توزيع المؤن والمواد الغذائية على الأسر المعوزة.

خاتمة

في الختام هل يمكن أن نتساءل عن إمكانية الاحتفاظ أو الاستمرار في القيام ببعض الممارسات الجيدة التي تعلمنها خلال فترة الحجر الصحي بعد عودة الأمور والحياة إلى نصابها، مثل التخلي عن بعض السلوكات الاستهلاكية غير الضرورية، وكذا دعم القطاعات الإنتاجية كالفلاحة والصناعة في سبيل ضمان اكتفاء ذاتي يغطي مختلف المواد الغذائية والصناعية الضرورية.

كما نستنتج إن الدولة مطالبة أكثر من أي وقت مضى بتدعيم القطاعات الاجتماعية والعودة بشكل قوي لدولة الرعاية، فقطاعات الصحة والتعليم والسكن والأمن العمومي والمساعدة الاجتماعية، أضحت تفرض نفسها بإلحاح شديد ضمن أولويات السياسات العمومية القادمة، لذلك ليس هناك من خيار أمام الدولة سوى تثمين الإمكان البشري عبر تحسين ولوج الخدمات الأساسية بالاعتماد على القطاع العام.

أظهرت أزمة كورونا التي عرفها المغرب كذلك أهمية الإسراع بفتح نقاش وطني حقيقي حول النموذج التنموي لمغرب القرن 21، بعيدا استيراد النماذج الجاهزة والحلول التي تمليها المؤسسات النقدية الدولية حتى الاستشارات الشكلية لمؤسساتنا الوطنية، لأن هذه الأمور هي التي عطلت مسار الإصلاح الحقيقي لعدة قطاعات حيوية بالبلاد.

لائحة المراجع

امحمد مهدان: السوسيولوجيا االقروية بالمغرب: قضايا ومقاربات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، 2015؛

الحسين دنى: ألا يجب استدامة بعض الإجراءات الاستثنائية الخاصة بحالة الطوارئ الصحية؟

جريدة الصباح ليوم 1 يونيو 2020؛https://assabah.ma/473909.html

احمد الأرقام: أخنوش، كورونا لن يمنع العيد، جريدة الصباح المغربية ليوم 27 ماي 2020https://assabah.ma/473309.html؛

Berque, J. et Couleau, J : "Vers la modernisation du fellah marocain", Bulletin économique et social du Maroc, n° 26, juillet, 1945a.

Berque, J. et Couleau, J : "Vers la modernisation rurale", Bulletin économique et social du Maroc, numéro spécial d'octobre, 1945b.

الإنسان والمجال في زمن كورونا

زبيدة أشهبون

أستاذة علم الاجتماع بجامعة ابن طفيل، القنيطرة

مقدمة:

إن العبور إلى تجسيد الخطاب بالكتابة حول الحضر الصحي، كنمط عيش مفروض على أولئك الذين يتحركون عبر الأمكنة والأزمنة دونما إدراك لقيمة هذه الحركة، ودونما الوعي بحجم الحرية التي يمتلكونها، ليس في المتناول، إذ ظهرت إلى الواجهة مجموعة من القضايا تهم الإنسان كفرد وكجماعات في علاقته بذاته وبالآخرين، وذلك في ظل وضع استثنائي لا يميز بين الذين يملكون وبين الذين لا يملكون. هنا سيصبح المجال، التحدي الأول والأساسي في مواجهة الجائحة. فإلى أي حد سيستطيع الفاعل الاجتماعي الانسحاب من المجال العام وما هي تداعيات هذا الانسحاب على الذات والمحيط؟

إنه موضوع ورقتنا هذه، التي سوف نرصد فيها كيف تتحرك الأجساد داخل المجالين العام والخاص في بعدها الجنساني.

أكدت العديد من الدراسات الحديثة أن الرجال هم غالبية مستخدمي الأماكن العامة، في حين تقل نسبة النساء فيه، إذ أن تواجدهن بالفضاء العام يكون إما مرتبطا بعملهن، أو بقضاء حاجة مرتبطة بمتطلبات الأسرة. إن هذا النوع من الفضاء ليس مجرد إطارا يبرز اللاتكافؤ بين الجنسين وليس مجرد أداة اجتماعية صارمة تقنن العلاقات المجالية وليس أيضا مجرد بنية للمعايير والقيم ولكنه منبعا لإيديولوجيات متعددة. هذه الأبعاد الثلاثة التي هي في تفاعل وثيق تحدد وتميز مفهوم الفضاء العام وتبعا لطرائق مختلفة تؤثر على الروابط التي يقيمها كل جنس مع محيطه.

فهل للمجال سلوكيات خاصة بكل جنس؟ وما علاقة جائحة كورونا بالفضاء العام والخاص وكيف تتشكل الروابط الأسرية في ظل الحجر الصحي؟ كيف يمكن تدبير المجال

والزمن؟ وكيف يمكن ضبط وتقنين حركة الجسد في الفضاء الخاص؟ وما هي تداعيات الحجر الصحي على العلاقة بين الجنسين خاصة الأزواج وعلى الأسرة ككل؟

أسئلة لها امتدادات في قضايا وإشكالات معقدة خلقتها حالة طوارئ، مرتبطة بالصحة كبعد كوسمولوجي سينتج علاقات وروابط اجتماعية من نوع آخر تذوب في مجملها الفوارق بكل تجلياتها الاجتماعية والعرقية والجنسية والعقائدية، بحيث يصبح الهاجس الصحي هو المهيمن على التفكير والسلوك.

قبل الإجابة عن كل هذه الأسئلة لا بد من تحديد مفهوم المجال وأنواعه وخصائصه وكيف ينتج ويشكل سلوكات وطباع معينة[1]

أ. المجال العام

صعب الحسم من قبل أغلب التخصصات تقديم تعريفا موحدا لمفهوم المجال. فهو ملتقى التقاطعات لمختلف المعارف والعلوم: الفلسفة والرياضيات والفيزياء والهندسة وعلم النفس والجغرافيا والاقتصاد والأنثروبولوجيا والسوسيولوجيا، يتداخل فيه الرمزي بالواقعي والعلمي بالأسطوري. فقد يكون المجال موطنا وقد يكون سلطة وقد يكون فكرا وقد يكون قدسيا.

يعرف معجم لالاند المجال ب:

> "هو ليس شيئا وليس إحساسا، ولكنه إنتاجا وبناء ذهنيا: مثال التجريد (.....) إنه بالنسبة لعلماء النفس لا يوجد سوى مجال واحد هو الذي ندركه واقعيا وهو المجال البصري"[2]

يمثل المجال العام فضاء ملموسا فيزيائيا، ومكانا للتجمعات البشريّة والاستعمال الفردي والجماعي، هو فضاء الحياة العامة لا يملكه أحد وهو ملك للجميع، مشترك وغير محدّد وغير مجهول إنّه مجال حرّ، هو مسرح للصّراع على السلطة ومحاولة تملكها واستغلالها إلى أقصى حدّ.

1Cahiers de géographie du Québec Hommes et femmes dans l’espace public français depuis un siècle Jacqueline Coutras Volume 31, numéro 83, 1987

2 Lalande André, Vocabulaire technique et critique de la philosophie Quadrige. PUF, éd6. 1988, p298

هو مجال شعبي غير رسمي وغير نخبوي لا يرتبط بمؤسسة رسمية أو مجتمعية، هو مساحات مفتوحة على كل فئات المجتمع باختلاف مواقعها الاجتماعية وهو كذلك متغير حسب الحاجة والمصلحة ومتعدد، قد تكونه مجالات أخرى مفتوحة أو مغلقة فردية أو جماعية، هو مجال للتقاطعات والاختلافات وللإجماع، ليس له حدود لا في الزمان ولا في المكان.

يقول عنه الجغرافي محمد بلفقيه:

> "إن المجال شيء يتغير، يختلف، يتقطع، ينقسم، يتمدد، لكن رغم كل ذلك يملك هوية وشخصية، وقابل للمحلية والتعريف تبعا لخصائصه كتراب كإقليم وتاريخ وإيقاع...ومن ثمة أهمية بُعد التقليد La tradition في جينيالوجيا طرس palmpseste المجال السلطة، بُعد يختلف تماما عن دلالته السلبية نحو دلالته الإيجابية التي بها تملأ الجماعات طقوسها حتى لا تصبح حركات غير ذات معنى[1].

أما هابرماس فالمجال بالنسبة إليه، يتمتع بالاستقلالية، هو مساحة اجتماعية تتيح لأفراد المجتمع النقاش الجماعي الحر وتكوين رأي عام، فيما يتعلق بالمصالح والقضايا المشتركة فيما بينهم، بهدف الوصول إلى توافق بشأن المصلحة العامة. ولتحقيق هذا التوافق يؤكد هابرماس، على ضرورة أن يتسم المجال العام بمجموعة من السمات والخصائص، تتمثل السمة الأولى في المساواة وعدم التمييز، فهو يقوم على تأسيس علاقات وروابط اجتماعية بين الأفراد المختلفين بغض النظر على الحالة الاجتماعية، علاقات تتأسس على المشترك الإنساني. أما السمة الثانية فهي تتمثل في إتاحة نقاش جميع القضايا المشتركة بين أفراد المجتمع والتي كانت من قبل حكرا على الدولة. والسمة الثالثة تتمثل في إتاحة المجال العام للجميع، فهو مجال مفتوح لكل أفراد المجتمع للمشاركة والفعل فيه وليس حصريا على فئة أو مجموعة معينة أو محددة مسبقا. لكن سيناقض هابرماس هذه السمات بعد ذلك لأسباب تدهور المجال العام في أوروبا التي يرجعها إلى اتساع نطاق المجال العام الذي ترتب عليه صعوبة التوصل إلى توافق بين

1 محمد بلفقيه،الجغرافيا القول عنها والقول فيها، المقومات الابستمولوجية، الطبعة الأولى، مطبعة المعارف الجديدة – الرباط 2002م

المشاركين فيه بالإضافة إلى إقحام قضايا هامشية أو خاصة (مثل قضايا المرأة) -وفق تصوره- في المجال العام ما أدى إلى إفقاده عموميته[1].

أما مفهوم المجال عند العرب خاصة من منظور الاجتماع السياسي الإسلامي فإنه حسب الدكتور إبراهيم البيومي غانم[2]، يعتبر المجال العمل المشترك والمسؤولية المشتركة والمصلحة المشتركة التي لا يختص بها أحد دون آخر أو فئة دون أخرى وتحكمها منظومة قيمية تتقاسمها فئات المجتمع وأفراده ومنظومة أخرى من المؤسسات والمرافق العامة، ويرتكز المجال على ثلاث قيم كبرى هي الحرية والشورى والإجماع وهي بمثابة قيم مشتركة لا بد من توافرها حتى يصل المجتمع إلى مستوى الولاية على نفسه وهي بداية تكون المجال العام حيث يصبح المجتمع قادرا على التعبير عن رأيه بحرية.

لكن وحسب الباحث فإن المجال العام تراجع في المجتمعات الإسلامية بسبب الاستبداد السياسي الذي عطل الشورى وصادر الحرية وشل فاعلية الإجماع في التعرف على إرادة المجتمع وفي حمل هذه الإرادة إلى مواقع صنع القرار، وتدبير الشأن العام.

مع الثورة الرقمية سيعرف المجال العام شبه نظير على مستوى الافتراضي خاصة في مواقع التواصل الاجتماعي (الفايسبوك) والذي يكون فيه الأشخاص متواصلون ومتفاعلون ، أحرارا في التعبير عن مواقفهم وعن ميولاتهم لا أحد يراقبهم لكن، ما يميز هذا المجال الافتراضي، كونه مجالا مجهولا ولا محدودا إذ يمكنك أن تتواصل مع آخرين قد لا ينتمون إلى نفس الرقعة المكانية التي تحتلها، لا تعرفهم ولا تراهم وقد تفقد التواصل معهم متى أرادوا ذلك. إنه مجال قد تنسج فيه الروابط والعلاقات بشكل تلقائي وغير مقيد وربما أكثر عمقا.

II. المجال الخاص

هو البيت الذي يتمّ تحديده في الأدبيات السوسيولوجية، جغرافيا ورمزيا باعتباره مجالا خاصا تكون فيه الأنشطة المنزلية والعلاقات العائلية الحميمية والعاطفية جنبا إلى

---

1 Jurgen habermas, Public Sphere : An Encyclopedia Article: Translated by Sara Lennox, New German Critique, No. 3, Autumn 1974, P. 49.

2 مفكر إسلاميّ عربي مصريّ، وهو باحث متخصّص في السياسة التركيّة. وهو يعمل كأستاذ للعلوم السياسيّة ورئيسا في قسم البحوثات وإستطلاعات الرأي العام في المركز القوميّ للبحوث الاجتماعية والجنائيّة في دولة مصر.ومستشار المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بمصر.

جنب، بعيدا عن العالم الخارجي الذي هو المجال العام الذي تحكمه العلاقات التبادلية والنفعية.

وفق هذه التحديدات فالمجال الخاص الذي هو البيت ـ "مجال الزّمن الحرّ" مجال اللاعمل يتم اعتباره عادة مجالا غير منتج. وقد تم انتقاد هذه التصورات من طرف العلوم الاجتماعية، على اعتبار أنّ البيت هو مجال دينامي يتساوى مع المجال العام بل قد يفوق أحيانا، دينامية[1].

يحمل البيت بالنّسبة إلى المرأة دلالة كبيرة، بواسطته يتم الرّبط بين العلاقات داخل الأسرة والعلاقات الاجتماعية خارجها، خصوصا العلاقات الاقتصاديّة القائمة على التبادل *.لهذا يجب أن ننظر إلى المرأة هنا كمفهوم نوعي محدد بخصائص سوسيوثقافية واقتصادية، على اعتبار أنّها تغطي بشكل بسيط الخلية القاعدية للأسرة، أي باعتبارها مجموع الاستراتيجيات داخل الأسرة مثلما تشكل الأسرة مجموع الاستراتيجيات داخل المجتمع[2].

يقول غاستون باشلار عن المجال الخاص:

"البيت هو ركننا من العالم.وهو ملاذ يعطينا القيمة الأولى للوجود: عدم الحركة"

وتصفه إيزابيل نوني Isabelle Nony قائلة :

"خلف حجمه المادي، فللمنزل عدة وظائف ضرورية لأي فرد أولا كمأوى الذي يحقق الراحة والسلامة والخصوصية ولكنه أيضا كمكان للأنشطة ومسرحا للأسرة ومكان للمؤانسة"[3].

1 Selvialepez ESTRADA: le travail féminin à domicile à Tijuana (Mexique) aménagement du temps et de l'espace du ménage et le rapport du genre. In: statut de la femme et dynamique familiale. Ed. C.I.C.R.N.D. Paris. 1997 P294.

2 Thérèse Bejelloun: femme, culture, entreprise au Maroc. Ed : wallada. Casa 1997 P :26.

(8) Isabelle Nony, Anthropologie du Domicile, Manières d'habiter : et évolution des pratiques professionnelles dans différents champs du (travail) social Qu'est-ce que le domicile
Séminaire du 23 juin 2011

3Isabelle Nony, Anthropologie du Domicile, Manières d'habiter : et évolution des pratiques professionnelles dans différents champs du (travail) social Qu'est-ce que le domicile , Séminaire du 23 j uin 2011

إن المجال عاما أو خاصا، يشيد العلاقات الاجتماعية على أساس التفاوت والتمايز بين الفاعلين الاجتماعيين، كانوا أفرادا أو جماعات ذكورا أو إناثا انطلاقا من المعطيين الثقافي والاجتماعي الذي يتجذر في التنشئة الاجتماعية و في اللاوعي.

فالمجال عاملا محددا وموجها لسلوكاتنا، ومن أجل فهم وتحليل هذه السلوكات داخل المجتمع حسب الجنس لا بدّ من رصد طبيعة الحضور والتحرك ضمن المجال وطرق استعماله من طرف كل جنس.

▪ الرجل في المجال العام

إن المجال العام في بعده الواقعي هو في الأساس مجالا ذكوريا تتشكل فيه الهوية الجنسية للذكر على مستوى التمثلات للذات وللآخر وعلى مستوى الممارسات والتوقعات، مما يخلق للذكر طباعا تختلف عن طباع الأنثى والتي هي الأخرى لها هوية مختلفة مبنية على التقسيم الجنسي للمجال وللأدوار.

في المجال العام يتحرك الجسد الذكوري بكل حرية وتلقائية لا اعتبارا للزمن ولا للمكان، فيه يمارس الذكر طقوسه الفحولية، وفيه يستعرض قواه وفيه يبني لنفسه مكانة وموقعا اجتماعيين وفي هذا الصدد تقول فرجينيا وولف:

> " المجتمع مثل كائن للتآمر، يبتلع الأخ الذي يملك الكثير منّا مبررات احترامه في الحياة الخاصة، ويفرض مكانه ذكراً متوحشاً ذا صوت يزمجر وقبضة قاسية (...) يستمر في طقوسه الصوفية، وقد تحلى بالذهب والأرجوان وتزين بالريش المتوحش، متمتعاً بالملذات المشبوهة للسلطة والهيمنة، فيما نحن نساؤ (ه) يُغلق علينا في منزل العائلة، من دون أن يُسمح لنا بالمشاركة[1].

تصف فرجينيا وولف الذكر في روايتها "نزهة في المنارة"، بقوته وسلطته والتي يمارسها على الأنثى كموضوع لهذه الهيمنة والمهيأة ثقافيا لخدمته.

في المجال العام، يكتسب الذكر آليات المقاومة والهجوم والدفاع ويتقن فن المراوغة واللعب ويتحرك ضمن منطق البقاء للأقوى مما يجعل هذا المجال، مغمورا

---

1 بيير بورديو، الهيمنة الذكورية، ترجمة سلمان قعفراني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2009 ص 17

ومحفوفا لذلك تتم تنشئة الذكر على هذا الأساس فيكتسب طباعا وسلوكات من قبيل، الإقدام والجرأة والعناد والشجاعة والشك والعنف والمنافسة والحرية في الفعل والقول وإثبات الذات إلى غير ذلك من المواقف والممارسات التي أنتجها طبيعة هذا المجال.

أما حضور المرأة في المجال العام فهو خاضع لمعايير مهيمنة تشتغل في الخفاء وبشكل رمزي ولا منطوق، فيتحرك الجسد الأنثوي وفق هذه المعايير. إذن فكيف تتحرك المرأة في المجال العام؟

▪ المرأة في المجال العام:

يعتبر المجال دائرة شبه مغلقة تتحرك فيها الأجساد عبر أبعاد زمنية محددة للبعض ومتناهية للبعض الآخر هذه الحركة تتأسس على مؤشرات مختلفة من أهمها مؤشر الجنس. فحركة الجسد الأنثوي داخل مجال عام له شروط معينة فالمرأة ترتبط عندها الحركة في هذا المجال بأوقات محدّدة لا يجب تجاوزها.

في الماضي كان النموذج المثالي للمرأة المغربية للأغلبية الساحقة من المغاربة هي تلك التي ترتبط بالأصول السوسيوتاريخية والثقافية، فلا تغادر البيت، وتلتزم بالطاعة والخدمة، وتدخر"لدوائر الزمان" وتحافظ على طهارة النسب والشرف...[1]

وخروج المرأة وحدها إلى المجال العام في الماضي كان مغامرة، قد تفقد فيه المرأة رأسمالها الرمزي ومكانتها الاجتماعية المصادق عليها من طرف المجتمع والذي لا يعترف بالمرأة من هذا النوع لأن المجال أو الفضاء العام هو من حق الرجل وحده. إنه النمط المرجعي الذي أسسه الفكر الذكوري والذي يشرعنه النص المقدس وسلطة النصوص الفقهية الاجتهادية وفي هذا الإطار تقول فاطمة المرنيسي:

> " وقد رأينا بأن الحجاب ومرافقة المرأة ومنعها من الخروج عادات تنظم تحركات المرأة خارج البيت"[2].

لكن التحولات السوسيواقتصادية التي عرفها المغرب ككل، سوف يغير من الاعتقاد بأن رب الأسرة هو المعيل الوحيد ومصدر القوت للأسرة بحيث، سوف تكتسح المرأة المجال العام الذي كان في السابق حكرا على الذكر وسوف تشكل قوة عمل مضافة

---

1 الهادي الهروي، الأسرة،المرأة والقيم: تساؤلات سوسيولوجية في قضايا المرأة،أفريقيا الشرق2013،ص 46.

2 فاطمة المرنيسي، الجنس كهندسة اجتماعية بين النص والواقع،ترجمة : فاطمة الزهراء زريول، نشر الفنك،1987 ص120.

وضرورية لضمان القوت وتحسين مستوى المعيشة. كما أن زيادة [1] الوعي بأهمية دور المرأة في المجتمع والذي تأسس عبر نضال طويل للحركات النسائية في العالم، سوف يجعل من المجال العام ملكية مشتركة للجنسين مما سيسفر عن صراعات وتوترات إلا أنه غالبا ما يتم احتواء ذلك، بنوع من المفاوضات وإعادة تأسيس العلاقات من جديد إلى أن تظهر توترات وصراعات جديدة يتم التوافق حولها وهكذا... ويتم ذلك على حساب متغيرة أساسية ألا وهي الزّمن الذي يكون بالنسبة إلى المرأة مرنا.

وعن هذه العلاقة وكيف تتمثل المرأة المجال أو الفضاء العام، تقول عائشة بلعربي:

> "إن الفضاء العام شاسع جدا والمرأة لا تستثمر الفضاء بالشكل الكافي في الاقتصاد والقانون والسياسة والاجتماع، إذ غالبا ما تحمل منطق المجال الخاص أثناء حركتها وتحركها في المجال العام"[2].

وتعني هنا عائشة بلعربي بأن المرأة في الفضاء العام، تقوم بالدور الإنتاجي كما هو الشأن في المجال الخاص أي أنها لا تحول اهتمامها نحو الدور المجتمعي كممارسة السياسة والثقافة والرياضة والاقتصاد إلخ ... أي باقي الأدوار التي يمارسها الرجل وبذلك لا تصل إلى مراكز القرار.

فهل تتمتع المرأة بالحضور والتفاعل في المجال العام كما الرجل؟

إن المجال العام لا يعكس فقط ثقافة معينة من حيث تنظيمه ولا حتى عبر الأشكال التي تتخذها هذه الثقافة، ولا عبر الصور التي تنطق بها ولكن هناك دفع بالقوة للمحتوى الإيديولوجي الذي يصعب التخلص منه، فالفضاء مقسم حسب الطبقات لكن ماذا عن التقسيم الجنسي للفضاء؟ إنه سؤال وجب طرحه. فمن المسلم به، أن الطبقات الاجتماعية تتدخل بقوة في بناء وتدبير الفضاء الذي ليس مجرد حاوية لا يكشف عن أي شيء بل أن العلاقة تتحدد بين البناء والفضاء (الحاوية) وبما أن ثقافتنا تتأسس على اللاتكافؤ بين أدوار النساء والرجال فإن المجال ليس حياديا وليس لكلا الجنسين القدرة على الرفض وعلى التغيير وعلى البناء والهيمنة، على البنية المكانية التي يتموقعون فيها. إن الفضاء

---

1 أحمد الخطابي ، المرأة المغربيّة بين ثنائيّة المجال العام / المجال الخاص وتدبيرالزّمن، مجلة "الأوان" الإلكترونية ديسمبر2013

2Aicha BELARBI : Réflexions préliminaires sur une approche féministe : De la dichotomie espace public / espace privé. In : Etudes féminines : Notes méthodologiques. Publications de la faculté des lettres et des sciences humaines – Rabat. Series : colloques et séminaires – N° 73 1997. PP 73-82

العام بني بشكل يقوم بدور الوصي والمروج لمعايير مهيمنة، وباعترافنا بسلطته يؤكد على العلاقة غير المتكافئة بين الجنسين[1].

بعد هذا التحديد لمفهومي المجال العام والخاص لا بد من طرح السؤال التالي؟

كيف ستتحول العلاقات بين الإنسان والمجال في زمن كورونا وما هي تداعيات هذا التحول؟

في خطوة استباقية للمغرب تم إعلان حالة الطوارئ ومواجهة فيروس كوفيد 19 بالحضر الصحي للمواطنين ابتداء من 16 مارس 2020 فتجندت المصالح المعنية لفرض البقاء [2]في المنازل حتى لا يتفشى المرض وبذلك أقفلت المؤسسات التعليمية والمساجد والإدارات. هذا القرار اتخذ بشكل سريعلم يترك مجالا للتأهب فوجد المواطن المغربي نفسه مدفوعا إلى المجال الخاص أي البيتوالذي هو فضاء المرأة بامتياز هذا الفضاء الذي يحدده المختار الهراس بقوله:

> "إن زمن البيت لا يتم احتسابه، إنه زمن الأشغال المنزلية، إنه زمن مفتوح على باقي الأزمنة، زمن تابع لزمن الأعمال الإنتاجية، نظرا لتنقل المرأة بين البيت ومكان العمل بشكل مستمر، كما أن زمن المرأة هو زمن متقطع مقابل زمن الرجل الذي هو زمن متصل، ويتم تمثل عمله بأنه عمل متصل لا يعرف التوقف .هذا ما يجعل عمل المرأة أيضا عملا متقطعا وتكميليا يضفي عليه صبغة ثانوية مقارنة مع عمل الرجل الذي يقوم بأعمال متصلة"[3].

فالهراس وصف لنا حركة المرأة في الفضاء الخاص ليس فقط على مستوى المكان ولكن أيضا على مستوى الزمن الذي وصفه بزمن متقطع مقابل الزمن المتصل لدى الرجل وهو يشير إلى الدور الإنتاجي للمرأة الغير محسوب. فالفضاء الخاص ليس فقط مكانا للمؤانسة والحميمية والإنجاب ولكن هو فضاء للإنتاج المتقطع وثانوي أي فضاء تكون فيه

1Jacqueline Coutras Cahiers de géographie du Québec Hommes et femmes dans l'espace public français depuis un siècle Volume 31, numéro 83, 1987

3 مختار الهراس :العائلة والعمل دراسة سوسيولوجية لمشتركات قروية بشمال المغرب. مقاربات ـ امرأة موزعة ـ، سلسلة من إشراف فاطمة المرنيسي، دار النشر: الفنك، الدار البيضاء، 1998. ص30.

لامساواة على مستوى الإنتاج لأنه إنتاج غير معترف به وغير مؤدى عنه كما تطالب إحدى تيارات الحركة النسائية العالمية التي حملت شعار" الأجر مقابل العمل المنزلي".

أما فاطمة المرنيسي في كتابها "الجنس كهندسة اجتماعية" فقد تحدثت عن المجال وسلطته، قائلة على أنه لا يمكن الحديث عن المجال دون الحديث عن السلطة فهي تبنى اجتماعيا، وتحدد العلاقات بين الناس، فنحن ننظر إلى ذواتنا وننظر إلى الغير بالطريقة التي ننظر بها إلى المجال، فنظرتنا للفقير ليست هي نظرتنا للغني ونظرتنا للمرأة ليست هي نظرتنا للرجل، هناك خصوصية ثقافية تجعل المجال يترجم لنا تراتبية سلطوية تقعد لمفهوم الفصل بين مجالين متناقضين العام والخاص.

والمجال الخاص دائما حسب المرنيسي هو مجال الحريم، مجال محدد كمكان ومحدد بسلطة تمارس فيه، أي أنه ينتج سلطة مزدوجة، سلطة الذكور على الإناث وسلطة الإناث على الإناث الحماة في علاقتها بزوجة الإبن أو الزوجة الأولى مع الثانية في إطار التعدد. فعلاقات أفراد المجال الخاص هي علاقات صراع بين الرجال أصحاب السلطة والقرار وبين النساء الخاضعات والتابعات لهم فمهمة النساء هي طاعة الرجال، مفهوم الطاعة المتضمنة في النص الديني وكذا التشريعي، فالرجل له دائما مشروعية العنف فهو من يهدد المرأة بالهجر أو الطلاق.

III. كورونا والمجال الخاص

انطلاقا من كل ما سبق فالمجال الخاص كما المجال العام لكل خصائصه، فإذا كان المجال الخاص هو المأوى الذي يحقق الراحة والسلامة والخصوصية حسب إيزابيل نوني، وكذلك موطن المؤانسة والحميمية، فهو لا يخلو من التمييز واللامساواة بين الجنسين كما أكدت على ذلك المرنيسي بحديثها عن السلطة الممارسة على المرأة وأنه مكان للصراع بين قوتين غير متكافئتين. إذن فحينما تم الإعلان عن الحجر الصحي والتزام المواطنين بمنازلهم سيكون الرجل أول من سيغادر المجال العام كمالك له، مقابل المرأة التي ستغادره كزائرة فقط. وسيحمل الرجل معه إلى المجال الخاص كل محددات المجال العام وطباعا مختلفة لبنية المجال الخاص سواء على مستوى الحضور أو الحركة أو الكلام. هذا الحضور القصري للرجل في مجال مختلف ليس له فيه قبل الحضر الصحي إلا لحظات من الزمن، ترتبط بتلبية حاجاته البيولوجية والعاطفية سوف يخلق لديه إشكالا. فكيف سوف يدبر تواجده في فضاء تنتفي فيه كل أشكال الحضور والتواجد التي تطبع المجال

العام؟ كيف سيمارس حريته في التنقل وفي الحركة عبر أزمنة وأمكنة مختلفة؟ إن الحركة في الفضاء الخاص محدودة ومشروطة بتواجد ذوات أخرى تقتسم نفس المجال ونفس الزمن، كيف سيتواصل مع باقي الأفراد وبأي نبرة؟ وكيف سوف يدبر الوقت؟ هل تمثله للفضاء الخاص سيكون عائقا في تحقيق التواصل مع الآخرين أبناء كانوا أو زوجة أو أخوات؟

في المقابل نجد أن المرأة في الفضاء الخاص، تدبر وقتها بشكل يتلاءم مع خصوصيات المجال فتمثلها لذاتها وللآخر في المجال الخاص يخالف تمثلات الرجل للمجالين معا. فالمرأة في المجال الخاص حرة تمارس حياتها بتلقائية وبأريحية، فهي مالكته وملكته فيه تعيش أنوثتها وفيه تحقق ذاتها وفيه تختزل حياتها في مهام وأدوار محددة لها مسبقا ثقافيا واجتماعيا، فيه تمارس طقوسها الأنثوية، فيه تنحت لنفسها تمثال الجمال من خلال اهتمامها بالجسد. فلما يتم اقتحام مملكتها وتصبح تحت رقابة يومية وتعليقات ربما في أغلبها مستفزة فلا شك أنه ستظهر إلى الواجهة ردود أفعال تعبر عن عدم الرغبة في حضور الآخر بشكل مستمر فتبدأ الخلافات في التشكل تؤدي إلى عنف تختلف أشكاله فيصبح الحضر الصحي جحيما لا يطاق.

يتمظهر العنف في أشكال رمزية تارة وواقعية تارة أخرى، فعلى المستوى الرمزي ينظر بسخرية لأشغال المرأة المنزلية، وذلك بنشر نكتا عبر شبكات التواصل الاجتماعي والتي تصور مواقف وأحداث لأزواج، يقتحمون المطبخ وهم يستهزؤون ويضحكون، لأنهم أصبحوا وحسب اعتقادهم يشبهون النساء. ونعلم أن موروثنا الشعبي زاخر بنعوتات سلبية للرجل الذي يرتبط بالفضاء الخاص ويقوم بالأشغال المنزلية إذ تعتبر فعلا شنيعا ينقص من رجولته. إذن من خلال تلك الصور والفيديوهات يمرر الرجل عدة رسائل تترجم الدونية والاستهزاء بما تقوم به المرأة من أدوار في الفضاء الخاص خاصة وكما ذكرنا فيما سبق بأنها مخفية وغير معترف بها رغم أن المرأة تساهم في اقتصاد البيت بنسبة 70 ٪ كما أكدت على ذلك الأنتروبولوجية الفرنسية إليزابيت غوجيي كوبي. أما على المستوى الواقعي فيكون العنف بشكل مباشر إذ يتم الاعتداء على الزوجة والأبناء بشكل مجاني لا لشيء فقط للحرمان من المجال العام الذي يمارس فيه الرجل طقوس الفحولة والقوة والمباهاة.

لكن فما تفسير ذلك إضافة لما سبق؟ الجواب قد يؤدي بنا إلى طرح إشكالا آخر وهو تدبير الوقت والمجال في إطار الحجر الصحي. فعلى مستوى تدبير المجال، نعرف بأن الفضاء الخاص محدود ومغلق و لا يمكن أن يتحرك الفرد بتلقائية وأن حركة الجسد يجب

أن تكون محسوبة خاصة إذا كانت المساحة صغيرة للفضاء، فيصبح التحرك بشكل تلقائي صعب مما يولد الانزعاج والتذمر وقد يزيد من حدتهما تواجد عددا من الأفراد مما يزيد من تقييد للحركة بشكل أكبر. والرجل بطبيعته وعبر تنشئة اجتماعية موجهة منذ الصغر إلى الفضاء العام فإنه لا يستطيع تحمل الوضع فتكون ردود أفعاله عنيفة.

أما على مستوى تدبير الوقت ففي الحضر الصحي هناك العديد من أرباب الأسر الذين توقفوا عن مزاولة أعمالهم الحرة حرفية كانت أو تجارية أو خدماتية وحتى وإن كانت هناك أعمال فقد تكون غير مداومة أو تزاول عن بعد كالتدريس مثلا ، هذا الوضع يصبح فيه الوقت فائضا ولا يوجد بديل يشغل به الرجل نفسه مما ينتج عنه حالة من التوتر والضغط تحصد نتائجه الأسرة ككل.

وبإقفال المدارس لأبوابها وتسريح لتلاميذها، سيجعل الوضع أكثر سوءا، فالأطفال سوف يساهمون من جهتهم في تردي أكثر للوضع وبذلك ستنسج علاقات أسرية جديدة موسومة بعدم التوافق و عدم الانسجام قد يكتشف فيه الآباء أبناءهم لأول مرة وكذلك العكس، فالتواجد في فضاء مغلق ولمدة طويلة وباحتكاك دائم بين أفراد الأسر الغير متعودين عليه من قبل سوف ينتج صراعات وخلافات تجعل من العيش بشكل جماعي وضع لا يطاق .

أمام هذا الوضع المفروض على الناس سوف تتغير العلاقات داخل الأسر وستظهر سلوكات قد تكون عدوانية أو انطوائية، كما أن الإدمان على الأنترنيت سيرتفع بشكل غير طبيعي وخاصة لدى الأطفال الذين أبعدوا عن زملائهم و فضاءاتهم الترفيهية، الشيء الذي قد يؤثر سلبا على نموهم الفيزيولوجي وتوازنهم السيكولوجي.

هكذا أصبح الإنسان في زمن كورونا موضوعا ملحا يستدعي أكثر من تأمل في علاقته بالمجال وبالزمن. فهل نحن أمام علاقات إنسانية من نوع آخر ؟ وهل ستتغير نظرتنا للآخر بعد هذا الحضر ؟ هل ستنكسر العلاقات بين الأزواج وبين الأبناء ؟ هل نحن بصدد تشكل أسرة جديدة يكون مسارها التفكك والصراع وموت الروابط الاجتماعية ؟أجوبة صعبة التحقق لأن الزمن هو المتحكم فلنترك الوقت للوقت.

خاتمة

كل ما يمكن الختم به هو، أن جائحة كورونا كبعد مرتبط بصحة الإنسان قد فجرت إشكالات وقضايا لم يكن ممكنا التفكير فيها من قبل، وأن محاولتي هذه في التحليل السوسيولوجي بهدف تحديد طبيعة العلاقة بين المجال العام والخاص وبين الذكر والأنثى ما هو إلا إزعاج للمبني سلفا حول العلاقة ما بين الجنسين والتي سوف تعلن وبشكل صارخ وفي وضع استثنائي بأن الصراع بين الذكر والأنثى لم يختفي بل إنه يتجسد يوميا وبشكل لا واعي والذي سيتمظهر جليا وعلى مستويات عدة في هذا الظرف الاستثنائي لجائحة كورونا.

المراجع باللغة العربية

1. أحمد الخطابي (2013) المرأة المغربيّة بين ثنائيّة المجال العام / المجال الخاص وتدبيرالزّمن، مجلة "الأوان" الإلكترونية
2. بيير بورديو (2009) الهيمنة الذكورية، ترجمة سلمان قعفراني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.
3. فاطمة المرنيسي (1987) الجنس كهندسة اجتماعية بين النص والواقع، ترجمة: فاطمة الزهراء زريول، نشر الفنك
4. محمد بلفقيه (2002) الجغرافيا القول عنها والقول فيها،المقومات الإبستمولوجية، الطبعة الأولى، مطبعة المعارف الجديدة – الرباط .
5. مختار الهراس (1998) ا لعائلة والعمل دراسة سوسيولوجية لمشتركات قروية بشمال المغرب. مقاربات ـ امرأة موزعة ـ ، سلسلة من إشراف فاطمة المرنيسي، دار النشر: الفنك، الدار البيضاء.
6. الهادي الهروي (2013) الأسرة، المرأة والقيم: تساؤلات سوسيولوجية في قضايا المرأة،أفريقيا الشرق.

المراجع باللغة الفرنسية

1. Aicha BELARBI(1997)Réflexions préliminaires sur une approche féministe : De la dichotomie espace public / espace privé. In : Etudes féminines : Notes méthodologiques. Publications de la faculté des lettres et des sceinses humaines – Rabat. Series : colloques et séminaires – N◈ 73. PP 73-82.
2. Élisabeth Copet-Rougier est une ethnologue africaniste française (1949-1998), surtout connue pour ses contributions à l'étude comparative des systèmes de parenté.
3. Jacqueline Coutras(1987) Cahiers de géographie du Québec Hommes et femmes dans l'espace public français depuis un siècle Volume 31, numéro 83.
4. Jurgen habermas (1974) Public Sphere : An Encyclopedia Article: Translated by Sara Lennox, New German Critique, No. 3, Autumn, P. 49.
5. Isabelle Nony (Séminaire du 23 juin 2011) Anthropologie du Domicile, Manières d'habiter : et évolution des pratiques professionnelles dans différents champs du (travail) social Qu'est-ce que le domicile
6. Lalande André (1988) Vocabulaire technique et critique de la philosophie Quadrige. PUF, éd6., p298
7. Selvialepez ESTRADA(1997) le travail féminin à domicile à Tijuana (Mexique) aménagement du temps et de l'espace du ménage et le rapport du genre. In: statut de la femme et dynamique familiale. Ed. C.I.C.R.N.D. Paris. P294.
8. Thérèse Bejellou n (1997) femme, culture, entreprise au Maroc. Ed : wallada. Casa P :26.

التمثلات الاجتماعية حول الأوبئة ودورها في توجيه الفعل الاجتماعي زمن كوفيد-19

ربيع اوطال

أستاذ علم الاجتماع

جامعة السلطان مولاي سليمان-بني ملال

عتبة

عرفت سيرورة انتشار جائحة كوفيد-19 منذ بداية 2020 تغيرات مهمة في العيش المشترك داخل المجتمع الإنساني العام وكذلك داخل المجتمعات الخاصة. والمجتمع المغربي، والذي عرف انتشار الوباء ابتداء من شهر مارس 2020، لم يكن بمنأى عن هذه التغيرات، والتي تجلت أساسا في تغيير العيش المشترك للمغاربة في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية. هذه التغيرات الفجائية، في ظل انتشار وباء كوفيد-19 داخل المغرب، يطرح بالنسبة للسوسيولوجي تحديات معرفية، ترتبط بمحاولة فهم هذه التغيرات، ومحاولة تحديد المدخل المناسب لدراستها، وكذلك يكمن التحدي الأبرز خلال هذه المرحلة هو التأسيس الإشكالي لهذه الدراسة، وبالتالي العمل على بناء فرضيات علمية تساهم في البحث السوسيولوجي المعمق حول تداعيات وتأثيرات جائحة كوفيد-19 على المجتمع المغربي.

بناء الفرضيات يعد مطلبا علميا خلال هذه المرحلة، دون المجازفة بإعطاء نتائج وخلاصات، لعلها تتطلب "بالضرورة" من السوسيولوجي دراسات ميدانية أكثر عمقا ودقة، وبالتالي تتطلب الوقت الكافي لجمع المعطيات ميدانيا وتحليلها. ولعل البناء الإشكالي والفرضي، في هذه الفترة، سيساعد لا محالة في إنجاح الدراسات السوسيولوجية الميدانية لاحقا.

انطلاقا من هذه الرؤية سأحاول، في هذه المقالة، مناقشة التساؤلات التالية:

- ما هي التمثلات الاجتماعية حول جائحة كوفيد-19 داخل المجتمع المغربي؟
- ما هو تصنيف الفعل الاجتماعي الذي يسلكه الأفراد خلال هذا الزمن الوبائي؟
- كيف توجه التمثلات الاجتماعية المُنتجة هذا الفعل الاجتماعي؟

التمثلات الاجتماعية حول كوفيد-19

تعتبر التمثلات الاجتماعية مدخلا أساسيا وفعَّالا من أجل التأسيس لدراسة سوسيولوجية حول جائحة كورنا. حيث أن محاولة فهم بنية التمثلات الاجتماعية حول الأوبئة بشكل عام يساعد لا محالة في فهم كيفية استيعاب العقل الجمعي المغربي لوباء 2020، وبالتالي كيفية التعامل معه وطبيعة السلوكات الاجتماعية التي يجب أن تسود في هذا الزمن الوبائي.

يمكن اعتبار التمثلات الاجتماعية كواقع يترجم الرسوخ والطابع الاستعلائي للشعور الجمعي. كما أنها وسيلة لتصنيف الأشخاص والسلوكات، أو وسيلة للدمج بين ما هو إيديولوجي وما هو تطبيقي، أو نمط خاص من المعرفة أو الفكر الرمزي الذي له قواعد خاصة[1]. ومن هذا التعريف تبرز أهمية التمثلات الاجتماعية ودورها الحاسم في عملية التصنيف والدمج لكل ما هو جديد. و قد تكون التمثلات الاجتماعية صورة من الواقع، معتقدات، قيم، أنساق مرجعية ونظريات اجتماعية في غالب الأحيان. يمكن القول أن التمثل الاجتماعي ضرورة أساسية للفكر الإنساني، ضرورة تمثيل الواقع[2]. فالتمثل هو الآلية المركزية التي تضفي على هذا الجديد سبغة الواقعية الاجتماعية. فالتمثل الذهني أو العقلي هو نشاط عقلي يرجع إلى إدراك شيء محسوس عن طريق شكل، رمز، إشارة... وترتيبه ضمن المعارف السابقة لإمكانية تفسيره وتأويله، وكذا للتمكن من التواصل معه وحوله. ويعتبر أيضا معنى كلاسيكيا تقليديا مأخوذا من الفلسفة، وهو عملية تنظيم المعارف والأفكار وترتيبها وتحليلها حتى تجعل الفرد قادرا على تفسير الظواهر المحيطة، فهو بذلك إدراك فكري للواقع[3].

1- Férreol, Gilles : Lexique des sciences sociales, Paris, Armand Colin, 2000, p : 72.

2- Férreol, Gilles et coll : Dictionnaire de sociologie, 3ème édition, Paris, Armand Colin, 2003, p : 242.

3- بدوي، أحمد زكي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت، مكتبة لبنان، 1986، ص ص: 69 و70.

يقول إميل دوركايم Emile Durkheim: التمثلات هي ذلك التدفق الدائم من صور الحياة تدفع بعضها كتدافع مجرى نهر دائم السيلان، ولا تبقى على حالها، إنها تتغير بتغير الحياة الاجتماعية، وإذا كانت التمثلات شخصية، فالمفاهيم لا شخصية ومن خلالها تتمكن العقول من التواصل[1].

يبرز بيير بورديو Pierre Bourdieu أن الواقع الاجتماعي يُبنى من خلال التمثلات التي توجد عند الأفراد، وفق إدراكهم لهذا الواقع، وبناء على ذلك يتصرف هؤلاء ويتواصلوا ويطلقون مجموعة من التصنيفات والأحكام. كل عالم اجتماعي هو عالم من النوايا المسبقة: فالأدوار والرهانات التي يقدمها، والتراتبيات والأفضليات التي يفترضها، أعني مجموع الشروط الضمنية للانتماء، كل ما يبدو طبيعيا في أعين من يمارسونه وما يبدو ذا قيمة في أعين من يصبون إليه، هذا يستند، في نهاية الأمر، إلى التلاؤم المباشر بين بنيات العالم الاجتماعي ومقولات الإدراك التي تكوّن الدُّوكسا أو البروثودوكْسا على حد تعبير هوسرل[2].

فمن خلال التمثلات الاجتماعية يتمكن الأفراد داخل مجتمع معين من فهم وإدراك الواقع الاجتماعي، وإعادة بناء هذا الإدراك وفق التغيرات التي تطرأ على هذا الواقع. عملية الإدراك هذه تُبنى اجتماعيا وتترسخ داخل بنية التمثلات وتحدد البناء النفسي للفرد والبناء الاجتماعي لمجتمع معين.

التمثل الاجتماعي هو مجموعة من قوانين العلم المنظمة، وهو إحدى العمليات النفسية التي بفضلها يستطيع الأفراد جعل الواقع النفسي والاجتماعي مفهوما وواضحا[3]. وحسب سيرج موسكوفيسي Serge Moscovici التمثلات الاجتماعية هي عبارة عن كيانات تكاد تكون ملموسة، فهي تتحرك، وتتشابك، وتتجسد، بدون توقف عبر الكلام والحركة، وعبر التواصل من خلال الحياة اليومية. فجل العلاقات الاجتماعية التي تربطنا بالآخرين، وبالأشياء المنتجة أو المستهلكة، وبالتواصل المتبادل، تكون مشبعة بالتمثلات الاجتماعية[4]. الكلام والحركة هي تعبيرات واضحة عن هذه التمثلات، فخلال الزمن الوبائي، خاصة منذ شهر مارس 2020 بالنسبة للمغرب، برزت مجموعة من التعبيرات

1- Durkheim, Emile : Les Forme élémentaires de la vie religieuse, Paris, PUF, 5ème édition, 2003, p : 65.

2- Bourdieu, Pierre : Le sens pratique, Paris, Les éditions de Minuit, 1980, p : 70 et 71.

3- Moliner, Pascal : Images et représentations à l’étude des images sociales, Grenoble (France), Presses Universitaires de Grenoble, 1996, p : 51.

4- Moscovisi, Serge : La psycanalyse. Son image et son public, Paris, PUF, 1961, p : 39.

(أقوال، محكيات، نكت...) تعبر عموما عن بنية التمثلات الاجتماعية حول كوفيد-19 داخل المجتمع. وعلى مستوى الحركة ظهرت تغيرات عديدة فيما يخص التنقل في المجال ووضع الكمامة وطريقة السلام والزيارات... .

هذه التغييرات تعكس التمثلات الاجتماعية المُنتجَة خلال فترة الوباء. وحسب موسكوفيس" فالتمثلات مسألة حيوية، فهي مرتبطة بحياة الفرد والجماعة، وباستمرارهما، وبتكيفهما مع العالم المحيط بهما. وحتى يتمكن الأفراد من الاستمرار والتحكم في العالم المادي والاجتماعي الذي يحيط بهم، فهم ينتجون تمثلات من شأنها أن تقودهم وتنظم أفكارهم وسلوكاتهم اليومية، وتهيىء استباقاتهم وتطلعاتهم المستقبلية، وتحكم العلاقات التي تربطهم بالآخرين[1].

التمثلات الاجتماعية هي أنساق مرجعية تسمح لنا بتأويل ما يحدث لنا في الحياة اليومية، وهذه الأخيرة هي حبيسة المواقع التي يحتلها الأفراد اجتماعيا، اقتصاديا وثقافيا..." يظهر أن التمثلات تحوي دوما شيئا ما اجتماعيا، والفئات التي تهيكلها وتعبر عنها مصدرها ثقافي مشترك[2]. فالفرد داخل المجتمع يعبر من خلال كلامه وحركته عن التمثلات المُنتجَة داخل مجتمعه حول جائحة كورونا، لذلك يمكن ملاحظة تكرار التعبيرات المرتبطة بهذا الحدث، وكذلك تكرار لسلوكات معينة داخل مجتمع معين.

يقول جون كلود أبريك Jean-Claude Abric أن التمثلات هي موجهات للأفعال[3]. فالأفعال ترتبط بإدراك معناها، هذا المعنى يتأسس داخل بنية التمثلات الاجتماعية، على اعتبار أنها رؤية وظيفية للعالم تسمح للفرد أو الجماعة بإضفاء معنى على سلوكياتها وفهم الواقع عبر أنساقها المرجعية[4].

التمثلات الاجتماعية وحدة تضم كل المعارف والآراء والصور والاتجاهات كمحتوى واحد له علاقة بشيء ما، لكن كذلك له علاقة بموضوع ما[5]. الموضوع هنا هو جائحة

1- البغدادي، محمد: المدرسة وتمثل المستقبل: تراتب الهويات السوسيومدرسية وتعدد صور المدرسة والمشاريع المستقبلية عند تلاميذ الثانوي العمومي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، مرقونة بكلية الآداب والعلوم الانسانية ظهر المهراز، فاس، تحت رقم: 1-1196 و1196-2، 2002/2001، تحت إشراف بوشنفاتي بوزيان، ص: 42.

2- Moscovici, Serge : Psycologie sociale, Paris, PUF, 7 ème édition, 1998, p : 369.

3- Abric, Jean-Claude : Introduction, Pratiques sociales et représentations, Sous la direction de Abric, Jean-Claude, Paris, PUF, 3ème édition, 2001, p : 7.

4- Abric, Jean-Claude : Les représentations sociales : aspects théoriques, Pratiques sociales et représentations, Sous la direction de Abric, Jean-Claude, Paris, PUF, 3ème édition, 2001, p : 12.

5- Ibid, p : 13.

كوفيد-19، فمنذ بداية انتشار هذا الوباء في الصين، والحضور الإعلامي البارز لهذا الحدث، ثم بعد ذلك انتشاره في دول آسيا ثم دول أوروبا، بدأت سيرورة بناء التمثلات الاجتماعية حول هذا الموضوع، في علاقته بتاريخ الأوبئة الذي عرفه العالم (الطاعون، الأنفلونزا الإسبانية، السيدا، أنفلونزا الخنازير، أنفلونزا الطيور، السارس، الإيبولا...). وفي علاقته كذلك بطبيعة المجتمع الذي ظهر فيه والسلوكات الاجتماعية لأفراده، خاصة المتعلقة بالتغذية والتدين.

إن التمثلات الاجتماعية كنظام سوسيومعرفي (sociocognitif) تتمثل في كل مجالات اشتغال النشاط الذهني للإنسان، عبر إعادة بناء الواقع من خلال تفسير أحداثه وحيثياته بكيفية خاصة، ومن أجل فهم خاص للعالم[1]. فمع اتساع رقعة انتشار الوباء، وما ميز هذا الانتشار من سرعة وقوة، تميزت بنية التمثلات الاجتماعية، داخل المجتمع المغربي، حوله بالبناء وإعادة البناء بشكل واضح، يجسد صعوبة الإدراك وإنتاج المعنى، خاصة في بداية انتشاره، وفي مرحلة ما قبل وصوله إلى المغرب في شهر مارس. وبرز بشكل واضح الدور الوظيفي لهذه التمثلات في التعاطي مع هذا الوباء. فالتمثلات الاجتماعية تلعب دورا رئيسيا في دينامية العلاقات الاجتماعية وفي الممارسات، وذلك من خلال أربع وظائف أساسية:

- وظائف معرفية (Fonctions de savoir): فبناء التمثلات يمكن الأفراد من اكتساب المعارف وإدماجها، في إطار مفهوم مستوعب، يتوافق مع اشتغالهم المعرفي[2].
- وظائف هوياتية (Fonctions identitaires): حيث تعطي التمثلات هوية للأفراد وتساهم بشكل كبير في الحفاظ على الخصوصيات الجماعية[3].
- وظائف توجيهية (Fonctions d'orientations): أي تقوم التمثلات الاجتماعية بوظيفة توجيه السلوكات والممارسات[4].

1- Ibid, p : 13 et 14.
2- Ibid, p : 15 et 16.
3- Ibid, p : 16.
4- Ibid, p : 16.

- وظائف تبريرية (Fonctions justificatrices): حيث تمكن التمثلات الاجتماعية من تبرير بعدي للمواقف والسلوكات. فهذه التمثلات لا تحدد فقط ما يجب أن نقوم به، بل تبرر كذلك ما صدر من سلوكات ومواقف[1].

هذه الوظائف كانت بمثابة المحرك للممارسات الذهنية والاجتماعية. يقول قيس مرزوق الورياشي في كل مجتمع، مهما كان مستواه التنموي، نجد نظاما خاصا من التمثلات أي مجموعة أفعال وأفكار فيما يخص الحياة اليومية والمشاكل التي يواجهها المجتمع بأكمله. هذا النظام، يُترجَم عموما بمصطلح الثقافة، ويشمَل نوعان من الممارسات: الممارسة الاجتماعية والممارسة الذهنية[2]. ويرى أبريك أن كل تمثل يحتوي على مجموعة من العناصر المعرفية، ينتمي البعض منها إلى النواة المركزية، وينتمي البعض الآخر إلى العناصر المحيطة (أو الهامشية). العناصر المكونة للتمثلات، ليست جميعها بنفس الأهمية. فبعضها أساسي، وبعضها مهم، والبعض الآخر ثانوي. فمن الضروري إذن، من أجل معرفة وفهم التمثلات تحديد موقع هذه العناصر من بنية التمثل.. وهذا ما أسس قاعدة مقاربتنا البنيوية لنظرية النواة المركزية[3].

والنواة المركزية حسب أبريك تتكون من عناصر محدودة، بالإضافة إلى العناصر المكونة للنظام المحيطي، لكن عناصر النواة المركزية هي الأكثر ثباتا ومقاومة للتغيير، وأي تغيير في هذه العناصر يؤدي إلى تحويل تام للتمثل[4].

وتبرز أهمية التمثلات الاجتماعية في تمكين الأفراد داخل المجتمع من مواجهة المشكلات الاجتماعية المرتبطة بالجائحة. تقول دونيس جودلي Denise Jodelet في هذا الصدد: لماذا التمثلات اجتماعية ضرورية في حياتنا المستمرة؟ هي التي توجهنا من ناحية تحديد وتعريف مجموعة مختلفة من نواحي واقعنا في كل يوم، من ناحية التفسير والحكم... الخ وعند الاقتضاء أخذ الموقع المناسب والمواجهة[5].

1- Ibid, p : 17 et 18.

2- El Ouariachi, Kais-Marzouk : Le Rif oriental : Transformations sociales et réalités urbaines, thèse de doctorat de troisième cycle, Ecole des hautes études en sciences sociales, Paris, 1981,sous la direction du Chombart de Lauwe, Paul-Hanry, p : 112.

3- Abric, Jean-Claude : La recherche du noyau central et de la zone muette des représentations sociales, Méthodes d'étude des représentations sociales, Sous la direction de Abric, Jean-Claude, Ramonville Saint-Agne (France), Editions érès, 2003, p : 59.

4- Abric, Jean-Claude : Les représentations sociales : aspects théoriques, Pratiques sociales et représentations, op. cit, p : 22.

5- Ibid, p : 47.

حسب جودلي، ترتبط التمثلات الاجتماعية بمفاهيم أساسية، كالشخص المتمثِّل (Sujet) وقد يكون فردا أو جماعة، والموضوع المتمثَّل (L'objet) وقد يكون شخصا أو شيئا أو فكرة أو أسطورة...، والإدراك (Perception) بواسطة الحواس أو العقل، والفعل (Action) الذي يقوم به الشخص المدرِك بتناسُب مع الموضوع المتمثَّل، والصورة أو الرمز أو الإشارة للموضوع المدرَك والقابل للتأويل. تمثل الفرد لأي معطى من محيطه الاجتماعي لا يكون دون وساطة علاقاته الاجتماعية، التي توجب انتقاء بعض العناصر للموضوع المتمثَّل[1].

ترى جودلي أن التمثلات الاجتماعية ترتكز على عمليتين أساسيتين، هما **العملية المعرفية (Opération cognitive) والعملية الاجتماعية (Opération sociale)**، ومن خلالهما يتم توجيه الفهم والحكم والتواصل داخل المحيط الاجتماعي. وتقترح دونيس جودلي أن ننتبه(...) إلى بعدين أساسيين يركبان هذه الكيفية الخاصة من التفكير: بعده المؤسِّس (constituant) «السيرورات» وبعده المؤسَّس (constitué) «المنتوجات والمضامين»[2].

بالتالي فجودلي، ومن خلال دراستها للتمثلات الاجتماعية حول المرض العقلي، بيَّنت أن التمثلات تُبنى أو تُركَّب اجتماعيا، ومن خلالها يتخذ الأفراد مواقفهم وأحكامهم وطريقة سلوكهم. وهذا ما يمكن تطبيقه على جائحة كوفيد-19، فالأفراد داخل المجتمع المغربي يؤسسون لبنية تمثلات اجتماعية حول هذه الجائحة، ومن خلال هذه التمثلات يتم توجيه الفعل الاجتماعي خلال الزمن الوبائي.

الفعل الاجتماعي في زمن كوفيد-19

الفعل الاجتماعي، داخل مجتمع معين، يرتبط بطبيعة التمثلات الاجتماعية السائدة، فهي تعتبر الموجه الأساسي لهذا الفعل، من خلال إضفاء معنى اجتماعيا على هذا الفعل. ويتأثر الفعل الاجتماعي بالتغيرات والأحداث التي تطرأ على المجتمع، من قبيل انتشار الأوبئة والأمراض.

حدثُ الجائحة وما صاحبه من تغييرات ومشاكل اجتماعية حفَّزت على تأسيس فعل اجتماعي يتناسب مع هذا الحدث الجديد. يقول ماكس فيبر Max Weber: إن العمليات

1- Jodelet, Denise : Folies et représentations sociales, préface de Moscovici, Serge, Paris, PUF, 1989, p : 43.

2- Mannoni, Pierre : Les représentations sociales, Paris, PUF, 5ème édition, 2010, p: 55.

والأشياء غريبة المعنى، هي بمثابة مناسبة لحدوث واقعة أو نتيجة أو حافز أو عائق للفعل الإنساني[1].

غرابة المعنى تجاه الحدث الجديد تستدعي آلية الفهم والاستيعاب، من خلالهما يتأسس فعل اجتماعي معين. وبالاعتماد على تصنيفات فيبر يمكن تحديد الفعل الاجتماعي-مثله مثل أي فعل آخر أيضا- على أنه[2]:

- **عقلاني غائي (هادف): من خلال توقعات سلوك الأشياء في العالم الخارجي وسلوك الأشخاص الآخرين، وباستخدام تلك التوقعات بوصفها «شروطاً» أو «وسيلة» لغايات عقلانية مرجوة ومتوقعة لأنها نجاح لصاحبها.**

- **عقلاني قيمي: من خلال الاعتقاد الواعي في قيم أصيلة أخلاقية أو جمالية أو دينية، أو ذات تفسير آخر، لا غنى عنها لأي سلوك معين بحت ولا علاقة لها بالنجاح.**

- **انفعالي، شعوري خاصة: وذلك بفعل تأثيرات راهنة وحالات شعورية.**

- **تقليدي: من خلال العادة التي درج عليها الشخص.**

تعتبر هذه كلها سياقات معنى مفهومة، ننظر إلى فهمها على أنه شرح لمسار أفعالها الحقيقية. أي أن «الشرح» يعني بالنسبة لعلم يبحث في معنى الفعل: فهم سياق المعنى، الذي ينتمي إليه فعل يكمن فهمه فهما راهنا، تبعا للمعنى الذي قصده القائم بالفعل[3]. هذا الفعل الاجتماعي يرتبط بالمعنى الاجتماعي الذي يعطيه الفرد لهذا الفعل. لكن العمليات المرتبطة بالفعل الاجتماعي لها بعد داخلي وبعد خارجي.

العميات الخارجية للفعل التي تظهر لنا على أنها «متماثلة» أو «متشابهة» يمكن أن يكون لها في الأساس سياقات معنى مختلفة تماماً عند هذا الفاعل أو ذاك، كما أننا

---

1 - فيبر، ماكس: مفاهيم أساسية في علم الاجتماع، ترجمة: هلال، صالح، مراجعة وتقديم: الجوهري، محمد، القاهرة، المركز القومي للترجمة، المركز الثقافي الألماني، 2007، ص: 32.

2 - نفس المرجع السابق، ص ص: 53 و54.

3 - نفس المرجع السابق، ص: 34.

غالبا ما «نفهم» الأفعال بصورة تبتعد كثيرا، وقد تكون في الغالب ذات معنى معاكس للمواقف التي نرى أنها «متماثلة»[1].

للفعل الاجتماعي دافع معين يرتبط بالمعنى الذي يعطيه القائم بالفعل لفعله. ويعنى «الدافع» ارتباط المعنى، الذي يبدو للقائم بالفعل أو للمراقب له «كسبب» معقول لفعل ما. إذ يُعتبر السلوك الذي يسير بصورة مترابطة «متطابقا من حيث المعنى» إذا كنا نقبل علاقة أجزائه، تبعا لعادات التفكير والشعور الشائعة، بوصفها ارتباط معنى نمطي (دأبنا على وصفه بأنه «صحيح»)[2]. هذا الفعل لابد له من موجِّه. حيث يمكن أن نلمس الفعل –بمعنى توجيه معنى للسلوك الخاص بطريقة مفهومة- حيثما يمثل سلوك شخص أو عديد من فرادى الأشخاص[3].

توجيه الفعل الاجتماعي يرتبط أساسا بطبيعة العيش المشترك، والعلاقات الاجتماعية. فلا يعتبر كل نوع من أنواع الفعل فعلا اجتماعيا، إلا إذا توجه تبعا لسلوك الآخرين[4]. وإذا أخذنا مثال وضع الكمامة، فمثل هذا الفعل يرتبط أساسا بوجود الفرد داخل حشد معين؛ فارتداؤها وسط حشد أغلبيته ملتزم بها يكون محفزا على القيام بالمثل. فهناك أنواع معينة من ردود الفعل لا تصبح ممكنة إلا بسبب مجرد إحساس الفرد بأنه جزء من «حشد»[5].

دور التمثلات الاجتماعية في توجيه الفعل الاجتماعي زمن الجائحة

مع ظهور وباء كوفيد-19 بداية 2020 والحجم الهائل لتداوله إعلاميا، بدأت سيرورة بناء التمثلات الاجتماعية حول هذا الموضوع. وقد عرف هذا البناء تغيرات ملحوظة. فخلال مرحلة انتشار الوباء في الصين، تشكلت تمثلات اجتماعية تربط هذا الانتشار بطبيعة المجتمع الصيني الذي يأكل "كل ما يتحرك على وجه الأرض" خاصة "الخفافيش" التي اعتبرت مصدر الفيروس، وبالتالي فانتشار الوباء في هذا المجتمع يرتبط بعاداته

1 - نفس المرجع السابق، ص: 35.
2 - نفس المرجع السابق، ص: 37.
3 - نفس المرجع السابق، ص: 39.
4 - نفس المرجع السابق، ص: 51.
5 - نفس المرجع السابق، ص: 52.

الغذائية، التي تختلف بشكل كبير عن عاداتنا الغذائية، وبالتالي فنحن غير معنيون بهذا الوباء وبانتشاره.

ركزت بنية التمثلات الاجتماعية في هذه الفترة أيضا على المقارنة بين وباء كوفيد-19 وأوبئة مشابهة مثل أنفلونزا الخنازير وأنفلونزا الطيور وجنون البقر وإيبولا... والتي بقي المجتمع المغربي في منأى عنها، رغم انتشارها في مجتمعات أخرى.

ارتبطت بنية التمثلات الاجتماعية أيضا بطبيعة تدين غالبية المجتمع الصيني وعلاقته بالأديان الأخرى، خاصة الدين الإسلامي والأقلية المسلمة داخل هذا المجتمع. وقد برزت خلال هذه الفترة فكرة "العقاب الإلاهي" للصين بسبب اضطهادها لأقلية "الإيغور" المسلمة. ومن تمت فالمجتمعات ذات الأغلبية المسلمة غير معنية بهذا العقاب. لكن هذه الفكرة سرعان ما ضعُفت، خاصة بعد انتشار الوباء في دول ذات أغلبية مسلمة (إيران، السعودية، العراق...). لكن رغم ذلك ففكرة العقاب الإلاهي ظلت حاضرة داخل بنية التمثلات الاجتماعية حتى بالنسبة لهذه الدول، على اعتبار أن الأفراد داخل مجتمعاتها لا يعبدون الله كما يجب، ويرتكبون مجموعة من المعاصي والآثام، وبالتالي فهم يستحقون عقابه مثلهم مثل المجتمعات الأخرى ذات الأغلبية غير المسلمة. وهناك مجموعة من التعبيرات تبرز هذا المعنى، من بينها:

[كورونا عقاب من الله]

[ابتعدنا عن الدين القويم فعاقبنا الله بهذا الوباء]

[هذا الوباء غضب من الله]

[نحن نستحق كورونا لأننا لا نطيع خالقنا كما يجب]

هذه التعبيرات، وغيرها، يتم تداولها بشكل واسع في الحديث اليومي للمغاربة، وفي وسائل التواصل الاجتماعي. وهي تعكس بنية تمثلات اجتماعية تربط وباء كوفيد-19 بعقاب إلاهي، نتيجة تقصير في عبادة الله. وبالتالي فالجائحة هي معطى غير طبيعي، بل هو فوق الطبيعة، وبالتالي فوق قدرات الإنسان على مواجهته والتحكم فيه.

هذه التمثلات الاجتماعية توجه الفعل الاجتماعي نحو ما هو غيبي عوض ما هو واقعي وطبيعي وعلمي. ويمكن تصنيف هذا الفعل، حسب فيبر، بأنه فعل عقلاني قيمي، والفرد الذي يقوم بفعل عقلاني قيمي بحت هو من يقوم بالفعل بغض النظر عن نتائجه

المتوقعة لخدمة ما يعتقد فيه ويبدو له على أنه واجب أو كرامة أو جمال أو تعاليم دينية أو شفقة أو أهمية «لشيء» أيّا كان نوع هذه الأهمية. إذ دائما ما يكون الفعل العقلاني القيمي فعلا يتوجه تبعا «لأوامر» أو وفقا «لطلبات يعتقد القائم بالفعل أنها مفروضة عليه»[1].

هذا الفعل ذو البعد القيمي-الديني، أدى إلى ممارسات رافضة للتدابير الاحترازية التي أقرتها السلطات الرسمية، هذه التدابير التي تم تأسيسها علميا من قبل منظمة الصحة العالمية. والتي تجلت في إعلان حالة الطوارئ الصحية، وفرض الحجر الصحي، والعزل الطبي للمصابين، وحظر التنقل والتباعد الاجتماعي، ووضع الكمامات... . هذه التدابير ووجهت (في البداية) من قبل مجموعة من أفراد المجتمع المغربي بالرفض والتقليل من جدواها، على اعتبار أن المشكل يكمن في "البعد عن الله" وأن الحل يكمن أساسا في "العودة إلى الله".

هذه التمثلات الاجتماعية وجهت الفعل الاجتماعي، خاصة في بداية انتشار الوباء، نحو "التمرد" على الإجراءات التي أقرتها السلطات الرسمية (وزارة الصحة، وزارة الداخلية، الأمن الوطني...) ويظهر ذلك في المظاهرات الليلية، التي نظمها مجموعة مهمة من الأفراد في مدن طنجة وفاس وسلا، ترفض الحجر الصحي وتهتف بنداءات تعبر عن طلب "رفع البلاء" من الله، على اعتبار أنها الوسيلة الوحيدة للقضاء على الوباء، وغيرها من إجراءات واقعية وعلمية غير مفيد. كما تم تنظيم أدعية جماعية في سطوح المنازل بمناطق مختلفة، وتمت الدعوة إلى حلقات للاستغفار محددة الموعد، وغيرها من السلوكات الموجة من قبل بنية تمثلات اجتماعية ترجع جائحة كوفيد-19 إلى طبيعة العلاقة الروحية مع الإلاه بشكل أساسي، بل يمكن اعتبار هذا المعنى ينتمي للنواة المركزية داخل بنية التمثل. وبالتالي فالحل لمواجهة هذا الوباء يكمن في الإكثار من الدعاء لله من أجل رفع البلاء من جهة، وقبول قدر الله (أو ما كتب الله) من جهة ثانية. وهناك مجموعة من التعبيرات تبرز ذلك:

[هذا قدر الله، ونطلب منه أن يرفع عنا هذا البلاء]

[إيلا كَتَبْ عْليكْ الله كورونا راها تْجيكْ واخا تكونْ فْصَنْدوقْ]

1 - نفس المرجع السابق، ص: 55.

[لِّي جاتْ مَنْ عند اللّه مرحْبا بيها]

[اللّه يرحمنا وْصافي]

بالإضافة إلى انتشار مجموعة من الأدعية التراثية المرتبطة برفع البلاء، أو ما يسمى بأدعية رفع البلاء (أو التحصين من كورونا) ومن بينها:

[اللهم إن هذا الفيروس جاء إلينا بقدر منك، فاصرفه عنا برحمة منك يا رب العالمين]

[اللهم إن كان هذا الوباء عقاب لنا حتى تُطهِّرنا من الذنوب والمعاصي، فإنك أنت الرحيم الغفور لنا. إرفع عنا البلاء برحمتك]

[اللهم ولا تمكن المرض والبلاء منا ومن أهلنا، اللهم إن هذا الفيروس جند من جنودك وأنت وحدك القادر على رفعه عنا برحمة وعفو منك يا عفو يا كريم]

وغيرها كثير من الأدعية التي انتشرت بشكل واسع عبر وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي، والتي ترفق بطلب ترديدها بشكل مستمر فرديا أو جماعيا وأحيانا في تواريخ وأوقات محددة، والحث على مشاركتها مع أكبر عدد من الأفراد.

كما عرفت بداية انتشار الوباء بعض التعبيرات التي تنكر وجوده أو تصر على نظرية المآمرة وأن الأمر يتعلق بغايات أخرى وراء الحجر الصحي غير الوقاية من الوباء، نذكر بعضها:

[ما كايَنْ لا كورونا لا والُو]

[غيرْ تايْكَذْبو عْلينا .. باش يْقَمْعونا]

[حْنا ماعَنْدْناشْ كونونا .. حْنا عَنْدْنا قَهْرونا وحَگْرونا وهَلْكونا]

وجدير بالذكر، أن هذا المعنى الذي شكل عنصرا أساسيا داخل بنية التمثلات الاجتماعية، في بداية الوباء، عرف مجهودا كبيرا من أجل تغييره (تصحيحه) من قبل المتخصصين في المجال الطبي (والمجال العلمي عموما) والإعلاميين، خاصة في وسائل

الإعلام الرسمية وبشكل مكثف، وباستخدام خطابات متعددة (وصلت إلى درجة استعمال اللهجات العامية وبأسلوب اعتبر أحيانا غير لائق بالنسبة لشريحة واسعة من المجتمع المغربي) بالإضافة إلى مجهودات السلطات العمومية (الداخلية والأمن والجيش...) هذا المجهود الكبير هدف إلى إقناع أكبر عدد من أفراد المجتمع بضرورة التعامل العلمي الواقعي مع جائحة كوفيد-19 من خلال الالتزام بالتدابير الاحترازية المقررة. وتميزت الإجراءات في بدايتها بنوع من الحزم والتشديد (وأحيانا بالشطط) مما أدى إلى اعتقال آلاف من المواطنين الذين خرقوا تدابير الحجر الصحي ورفضوا التعامل "العقلاني الهادف" مع انتشار الوباء. ومن بين أبرز السلوكات التي تم تسجيلها ما يلي:

- رفض استعمال الكمامة؛
- الخروج من المنزل دون ضرورة ودون التوفر على رخصة، خاصة في الفترات الليلية؛
- التجمعات والتجمهرات في أماكن مختلفة (حدائق، أماكن للعب، أسواق، منازل، إدارات...)؛
- عدم احترام مسافة الأمان؛
- الولوج إلى أماكن تم حضرها.

أفترض أن هذه المجهودات المبذولة ساهمت إلى حد بعيد في إعادة بناء التمثلات الاجتماعية حول الوباء، وبالتالي توجيه الفعل الاجتماعي إلى الصنف "العقلاني الهادف"، بحيث أصبحت سلوكات الأفراد تتجه نحو التعامل الواقعي العلمي، إلى حد ما، مع جائحة كوفيد-19. وساهم في هذا التحول تلك المشاهد المخيفة التي نشرها الإعلام الوطني والدولي ووسائل التواصل الاجتماعي، في دول متعددة (من أبرزها إيطاليا وإسبانيا) والتي تظهر العدد الكبير من الجثث المتراكمة والحالات المؤلمة للمرضى في غرف الإنعاش... مما نشر حالة من الهلع والخوف عند فئات عدة داخل المجتمع المغربي. وظهر هذا الخوف من خلال مظاهر متعددة، من أبرزها:

- الاستهلاك المفرط للمواد الغذائية ومواد التعقيم والكمامات؛
- الفراغ شبه التام الذي عرفته الشوارع والأزقة والأماكن العمومية؛
- تجنب المصافحة بين الأفراد بشكل ملحوظ، وتجنب الزيارات؛

- تبادل الأخبار والنصائح حول الوباء وبشكل كثيف ومتكرر عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي؛
- الاستهلاك المفرط لموضوع الوباء في الحوارات اليومية، وخاصة عبر الهاتف.

وقد ظهر هذا الخوف عند شرائح واسعة من المجتمع إلى درجة الاهتمام والحرص على جودة الكمامة، وينطلق هذا الاهتمام من تقدير كل واحد لمدى الفعالية الوقائية من كورونا[1].

للإشارة فقد ساهمت المعرفة الدينية كذلك في هذا التحول الذي عرفته التمثلات الاجتماعية حول جائحة كوفيد-19، من خلال مجموعة من النصوص التراثية التي تتحدث عن ضرورة الالتزام بمجموعة من التدابير الاحترازية الواقعية في حالة وجود وباء، بالإضافة إلى أهمية الدعاء "الفردي". ومن بين هذه النصوص، ما نقل عن الرسول محمد:

[إذا سمعتم به (الطاعون) بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه]

[الفارّ من الطاعون كالفار من الزحف، والصابر فيه كالصابر في الزحف]

وأفترض أن هذه النصوص التي انتشرت بشكل واسع، خاصة بعد حدث خروج المظاهرات الليلية التي سبق ذكرها، ساهمت بشكل قوي في تدعيم الخطابات العلمية، وبالتالي في تغيير الفعل الاجتماعي وميله نحو العقلانية الهادفة.

استمرار حالة الطوارئ الصحية لأشهر، وما واكبها من إجراءات وتدابير صارمة وحملات توعية وتحسيس بأهمية هذه الإجراءات، ساهم في تمرين أفراد المجتمع على الفعل الاجتماعي العقلاني الغائي في مواجهة الأوبئة. هذا التمرين أفترض أنه سيساهم في إنجاح عملية الخروج من حالة الطوارئ الصحية مستقبلا، و العودة إلى الحياة الطبيعية. هذه العودة التي تتطلب قدرا أكبرا من المسؤولية الفردية والجماعية من أجل العيش المشترك في ظل وجود كوفيد-19 والتعايش معه دون انتشاره بشكل واسع، وفتكه بعدد

---

1 - شراك، أحمد: كورونا والخطاب. مقدمات ويوميات، فاس-المغرب، مؤسسة مقاربات للصناعات الثقافية واستراتيجيات التواصل والنشر، 2020، ص: 109.

كبير من الأشخاص (خاصة كبار السن والذين يعانون هشاشة صحية). وهذا ما راهنت عليه منذ البداية بعض المجتمعات الأخرى (السويد، الدانمارك، هولندا) من خلال اتباع سياسة صحية تسمى "مناعة القطيع" على اعتبار أن الفعل الاجتماعي للأفراد داخل هذه المجتمعات هو أقرب إلى العقلانية الغائية منه إلى العقلانية القيمية.

على سبيل الختم

حاولت في هذه المقالة أن أناقش موضوع جائحة كوفي-19 من خلال مدخلين أساسيين: مدخل التمثلات الاجتماعية ومدخل الفعل الاجتماعي. محاولا بذلك بناء إشكالية علمية حول هذا الموضوع، وبناء فرضيات، من أجل التأسيس لدراسة ميدانية معمقة مستقبلا.

فالمرحلة الآن هي مرحلة الدهشة (بالمعنى الفلسفي للكلمة) هذه الدهشة تحفز السوسيولوجي على طرح الأسئلة. وكما يقول شراك: قد تكون أسئلة ضاغطة في هذه اللحظة بل وعابرة، لا تؤدي إلى تحولات علمية أو تحولات مجتمعية ومجتمعاتية. لكن قلق هذه الأسئلة يقتضي التأمل العميق بناء على تحديد ماهية المجتمعات القادمة[1]. كما تحفز الدهشة الباحث السوسيولوجي على محاولة بناء فرضيات، قد لا تتمتع بالقوة الكافية، وقد يتم تفنيدها ميدانيا، لكنها، وبدون شك، ستساعد في بناء فرضيات أكثر قوة مستقبلا، وفي التأسيس لدراسات سوسيولوجية رصينة حول جائحة كوفيد-19، وآثارها الاجتماعية المتعددة. هذه الآثار ستفرز ظواهر اجتماعية مختلفة، مما سيشكل دافعا لإغناء البحث السوسيولوجي المغربي.

لائحة البيبليوغرافيا المعتمدة

بالعربية

- البغدادي، محمد: المدرسة وتمثل المستقبل: تراتب الهويات السوسيومدرسية وتعدد صور المدرسة والمشاريع المستقبلية عند تلاميذ الثانوي العمومي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، مرقونة بكلية الآداب والعلوم الانسانية ظهر المهراز، فاس، تحت رقم: 1-1196 و2-1196، 2002/2001، تحت إشراف بوشنفاتي بوزيان.

1 - شراك، أحمد: كورونا والخطاب. مقدمات ويوميات، مرجع سابق، ص: 124.

- بدوي، أحمد زكي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت، مكتبة لبنان، 1986.
- شراك، أحمد: كورونا والخطاب. مقدمات ويوميات، فاس-المغرب، مؤسسة مقاربات للصناعات الثقافية واستراتيجيات التواصل والنشر، 2020.
- فيبر، ماكس: مفاهيم أساسية في علم الاجتماع، ترجمة: هلال، صالح، مراجعة وتقديم: الجوهري، محمد، القاهرة، المركز القومي للترجمة، المركز الثقافي الألماني، 2007.

بالفرنسية

- **Abric**, **Jean-Claude** : Introduction, Pratiques sociales et représentations, Sous la direction de **Abric**, **Jean-Claude**, Paris, PUF, 3ème édition, **2001**.
- **Abric**, **Jean-Claude** : La recherche du noyau central et de la zone muette des représentations sociales, Méthodes d'étude des représentations sociales, Sous la direction de **Abric**, **Jean-Claude**, Ramonville Saint-Agne (France), Editions érès, **2003**.
- **Abric**, **Jean-Claude** : Les représentations sociales : aspects théoriques, Pratiques sociales et représentations, Sous la direction de **Abric**, **Jean-Claude**, Paris, PUF, 3ème édition, **2001**.
- **Bourdieu**, **Pierre** : Le sens pratique, Paris, Les éditions de Minuit, **1980**.
- **Durkheim**, **Emile** : Les Forme élémentaires de la vie religieuse, Paris, PUF, 5ème édition, **2003**.
- **El Ouariachi**, **Kais-Marzouk** : Le Rif oriental : Transformations sociales et réalités urbaines, thèse de doctorat de troisième cycle, Ecole des hautes études en sciences sociales, Paris, **1981**, sous la direction du **Chombart de Lauwe**, **Paul-Hanry**.

- **Férreol, Gilles** et coll : Dictionnaire de sociologie, 3ème édition, Paris, Armand Colin, **2003**.
- **Férreol, Gilles** : Lexique des sciences sociales, Paris, Armand Colin, **2000**.
- **Jodelet**, **Denise** : Folies et représentations sociales, préface de **Moscovici**, **Serge**, Paris, PUF, **1989**.
- **Mannoni**, **Pierre** : Les représentations sociales, Paris, PUF, **5**ème édition, **2010**.
- **Moliner, Pascal** : Images et représentations à l'étude des images sociales, Grenoble (France), Presses Universitaires de Grenoble, **1996**.
- **Moscovisi, Serge** : La psycanalyse. Son image et son public, Paris, PUF, **1961**.
- **Moscovici**, **Serge** : Psycologie sociale, Paris, PUF, **7** ème édition, **1998**.

الشباب والحياة اليومية في ظل جائحة كورونا: الفرص والتحديات

إدريس الدريسي

أستاذ علم الاجتماع
جامعة ابن زهر-أكادير

مقدمة:

يحدثنا تاريخ علم الأوبئة والمخاطر بحدوث أزمات معينة في مسار الانسانية قديما وحديثا، كالطاعون والكوليرا وغيرها من الفيروسات التي ظهرت في السنوات الأخيرة بالعديد من البلدان الإفريقية، إلا أن هذه الأزمات الوبائية في مجملها لا تتعدى مجالات معينة جغرافيا، وفئات مجتمعية شبه محددة أيضا. مقارنة بما يعيشه العالم اليوم من صدمة متشابكة العناصر، تبقى مكتوبة في التاريخ لسنوات وقرون يتداولها جيل بعد جيل، في المستقبل القريب والبعيد، والمتعلقة باجتياح فيروس كورونا المستجد العالم بأسره (كوفيد 19)، دون سابق إنذار يذكر ولا شفقة ولا رحمة تؤثر. فالبشرية كلها في كهف هذا الفيروس المظلم، وفي حجر صحي وتباعد اجتماعي، تعيش النكبة النفسية والانتكاسة الاقتصادية، وإعادة النظر في الروابط والعلاقات الاجتماعية من جهة، ومن جهة أخرى في بحث دائم ومستمر عن سياسات اجتماعية وخطط استراتيجية قمينة بتخطي المرحلة وتجاوز الأزمة بأقل كلفة مادية ولا مادية في الأرواح والخسائر الاقتصادية.

والمقالة العلمية هذه في مجملها تتمحور حول مقاربة سوسيولوجية في بعدها التأملي النظري الافتراضي، لقضية مجتمعية بالأساس ترتبط بمكون الشباب ومسألة تدبير الحياة اليومية في ظل جائحة فيروس كورونا المستجد، بين الفرص الممكنة والمتاحة، التي تنمي الشخصية الفردية للشباب في مستويات مختلفة من جهة، ومن جهة ثانية التحديات أو المعيقات التي تعيق التفكير في التأقلم مع الظرفية الاستثنائية والتطلع للمستقبل من داخل الحجر الصحي والتباعد الاجتماعي.

المبحث الأول: في ماهية الأزمة والشباب

أ) الأزمة وخصائصها:

يُعتبر مصطلح الأزمة من الألفاظ الأكثر تداولا وشيوعا في التاريخ المعاصر، إلى درجة إمكانية وصفه بعصر الأزمات، التي مست كل جوانب الحياة والأصعدة والمستويات، سواءً من الناحية الفردية، بتعرض الفرد لأزمات نفسية واجتماعية في مسار حياته اليومية، أو من الناحية الجماعية الخاصة بالمؤسسات الاجتماعية (الأسرة، المدرسة..) أو السياسية (الحزب، الحكومة..) أو الاقتصادية (مقاولات وشركات...)، بالإضافة إلى أزمات تكون عابرة للحدود الزمانية والمكانية المعروفة بالأزمات الدولية، كما هو الحال في اللحظة الراهنة مع جائحة فيروس كورونا المستجد (كوفيد 19)، ومن قبله أزمة 1929 الاقتصادية.

والكلمة تعود في أصلها إلى زمن العصور القديمة، حيث اشتقت كلمة crisis من الكلمة الإغريقية krino والتي تعنى القرار الحاسم أو المهم، ومن الكلمة اليونانية kip vewبمعنى لتقرر، وجاءت في اللغة الصينية جامعة بين معنيين اشتملت عليهما كلمة wit-ji ، فكلمة(wit) تعنى الخطر، وكلمة (ji) تعنى الفرصة التي يمكن أن نستثمرها لدرء الخطر.

ومن حيث الممارسة فأول ما ورد استعمال لفظ الأزمة كان في علم الطب الإغريقي، للدلالة والتعبير عن اللحظات المصيرية من تطور المرض، والتي يتوقف عليها شفاء المريض أو موته. إلا أن مع تطور عجلة التاريخ أخذ المفهوم صبغة التداول المصطلحي من قبل العديد من الدارسين والباحثين في ميادين علوم الطبيعية وغيرها من العلوم الكونية، بالإضافة إلى حقل العلوم الانسانية والاجتماعية المتعددة، مما وضع الباحث في هذه المجالات المعرفية المختلفة أمام إشكالية إيجاد تعريف شامل للمفهوم. وهو ما انتبه إليه الباحث تشارلز ماكليلاند Cheres Makliland - بقوله: " يصعب ويتعذر وضع تعريف شامل لمفهوم الأزمة بسبب الكم الهائل من الدراسات التي نشرت حول مدلولها، والتي شملت كل زواياها[1]."

وبغض النظر عن مصدر الأزمة هل هو طبيعي أم بشري من جهة، ومستوياتها المختلفة والمتشابكة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ونفسيا وثقافيا من جهة أخرى. يمكن

1 مفهوم الأزمة الدولية ، الموسوعة السياسية : Political- Encyclopedia. Org/dictionary

القول أن الأزمة في مدلولها العام عبارة عن موقف حرج يحدث فجأة، ويفرض نفسه على صانع القرار بالتفكير في اتخاذ تدابير احترازية وخطط استراتيجية حاسمة وحازمة على المستويين القريب والبعيد تجعل من الأزمة فرصة للنجاح أو الفشل.[1]

كما أن للأزمة سمات وخصائص تميزها كحالة من الحياة الاستثنائية، مقارنة بالحياة الطبيعية الاعتيادية للناس، ومن أهمها: المفاجئة والصدمة النفسية والاجتماعية – تصاعد وتشابك الأحداث - فقدان السيطرة – حالة الذعر والخوف بما هو حالة طبيعية، والتخوف بما هو حالة اجتماعية وسياسية – وقوع الخسائر المادية والبشرية - غياب الحل الجذري والسريع.

والمتأمل في هذه الخصائص والسمات العامة لأزمة بمختلف صورها وأنماطها في الحياة الانسانية (الطبيعية أو البشرية) يجدها متمثلة بشكل ملحوظ في واقع فيروس كورونا المستجد وتداعياته على مستوى الرأس مال المادي واللامادي، والذي سيطر بقوة جيشه وعتاده غير المرئية بالعين المجردة، على العالم بأسره تقريبا، من شماله إلى جنوبه، ومن شرقه إلى غربه، وبمختلف شعوبه وحضاراته المتقدمة والمتخلفة أو السائرة في طريق النمو، لا يفرق بين الأجيال والمجالات والطبقات الاجتماعية. الشيء الذي جعل الانسانية تعيش لحظ كاشفة لهشاشة نفسية واجتماعية وسياسية واقتصادية واخلاقية.

ج) الشباب مفهوم متحرك ثقافيا ومجاليا

ما معنى الشباب ؟ ومن هم الشباب ؟ أهو مجرد كلمة كما ذهب إلى ذلك بيير بورديو أم يؤشر على فئة عمرية اجتماعية لها من الخصائص ما يجعلها متميزة عن باقي فئات المجتمع ؟ وهل يمكن الحديث عن بروفيل للشباب في ظل المجتمع المغربي المركب؟ .

يعد مفهوم الشباب من المصطلحات التي يصعب الامساك بها، نظرا لاستعماله في تخصصات وحقول معرفية علمية متعددة ومختلفة، لا يأخذ من داخلها نفس المعنى. فإذا كان اللفظ في اللغة العربية مثلا، يعني الفتاء والحداثة عكس الهرم، وله في التداول اليومي مرادفات كثيرة منها، نافع، مراهق، صبي، فتى، وغلام، وهي عبارات لا تدل على مراحل عمرية محددة ومفصلة، بقدر ما تشير إلى خصائص جسدية وأخلاقية ونفسية

1 إدغار موران : في مفهوم الأزمة ، ترجمة بديعة بوليلة ، دار الساقي للنشر والتوزيع بيروت ، 2018.

ووجدانية لفترة من فترات الحياة، بما هي في مجملها خصائص القوة والنشاط والجمال والذكاء والشهامة. لكن في سجل مجال العلوم الانسانية والاجتماعية المفهوم يطرح صعوبة الوقوف على تحديد معين له، حيث أن كل التعريفات المقترحة تفضي إلى تأويلات مختلفة ومتغيرة باستمرار مع تغير الزمان والمكان والثقافة والظروف الاجتماعية والاقتصادية والبيئية ايضا.

وفي دراسته عن الشباب ومشكلاته يشير عزت حجازي[1] إلى ثلاث مستويات لتحديد بداية مرحلة الشباب، الأولى بيولوجية حيث اقتراب شكل الجسم ووظائفه من درجات النضج، والثانية نفسية سيكولوجية، حيث يصل عمر الفرد العقلي نضجه الذي يصاحبه إحساس الشخص بخروجه من عالم الأطفال، فيرفض معاملته على ذلك النحو، والثالثة اجتماعية تتأكد من خلالها اعتراف الأخرين بالشخص الراشد رغم صعوبة الأمر من الناحية الإجرائية. وهنا يشير عبد القادر محمود إلى أن مرحلة الشباب هي " المرحلة التي تتحلل أو تنطفئ خلالها العادات التوافقية الطفيلية، وتكتسب فيها عادات توافقية جديدة تلاؤم المعطيات الفسيولوجية والعقلية والاجتماعية التي يعيش فيها الشباب بعد أن تتاح له فرصة إدراكها، وهي عملية يتحول فيها الطفل تدريجيا إلى الرشد عبر حلقات متصلة من الإعداد المقصود وغير المقصود".[2]

لكن العودة إلى سجل التحليل السوسيولوجي نجده لا يقدم تعريفه للشباب إلا حسب الطبقات الاجتماعية والجنس، وفي مجتمعات محددة وفترات زمانية معينة، عكس التعريفات البيولوجية والسيكولوجية التي تقدم الشباب كمرحلة طبيعية كونية وثابتة [3]. الشيء الذي دفع بعالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو إلى الإقرار بأن هناك اتجاها عاما في علم الاجتماع، يعتبر الحدود بين الأعمار أو الشرائح العمرية حدودا اعتباطية، فنحن لا نعرف اين ينتهي الشباب لتبدأ الشيخوخة، مثلما لا يمكننا أن تقر أين ينتهي الفقر ليبدأ الثراء[4]

كما أن عالم الاجتماع الفرنسي أوليفي كالان[5] Olivier Gallant في كتابه Sociologie de la jeunesse يشير إلى أن الصور التي يتم تداولها عبر التاريخ عن

1 عزت حجازي : الشباب العربي ومشكلاته، سلسلة عالم المعرفة، العدد 6، 1985، ص 27-28.

2 عبد القادر محمود : النفسي والاجتماعي للشباب الكويتي ومشكلاته، المرحلة العمرية من 13 إلى 18 سنة، الكويت، رابطة الاجتماعيين، 1975، ص 53.

3 المنجي الزايدي: مقدمات لسوسيولوجيا الشباب، سلسلة عالم الفكر، 2002/03/30، ص 33.

4 Bourdieu Pierre, La jeunesse n'est qu' un mot ; in question de sociologie, Fd, Minuit, paris, 1984.

5 Galland olivier, sociologie de la jeunesse, 3 édition paris, Armand colin,2004 , p 50.

مفهوم الشباب يجب ربطها بالسياقات الاجتماعية والثقافية التي تنتجها. فإما يعكسها أو يتجاوزها ليفتح أفاقا لتمثل جديد ينتهي بفرض الصورة التي ينبغي أن يكون عليها الشباب. وهو ما أتبتته الباحثة في علم الاجتماع سيسيل فان دوفيلد Cécile van de velde من خلال دراسة مقارنة لوضعية الانتقال إلى سن الرشد في صفوف الشباب، بين أربع دول أوروبية (فرنسا- بريطانيا- دانمرك-إسبانيا)، مستخلصة إلى أن هذا المرور يختلف من دولة إلى أخرى ، حيث يأخذ في الدانمارك شكلا وجوديا، بينما في بريطانيا يعتمد على المسؤولية والاستقلالية المالية، فيما فرنسا يتم التركيز على الاستثمار الجيد، لتبقى دولة إسبانيا تأخذ بعين الاعتبار الانفصال عن العائلة[1]. مما يعني معه أن مؤشر الاعتماد على نعت الأفراد بهذه الصفة يختلف مجاليا وثقافيا، وهو أكدته الباحثة الأنثروبولوجية الأمريكية مارجريت ميد عبر دراستها المقارنة بين مجتمعات بدائية كمجتمعات الساموا SAMOA ومجتمع المانوس MANUS ومجتمعات الولايات المتحدة الأمريكية، على أن عملية المرور من حياة الطفولة إلى حياة الرشد عبر مرحلة الشباب قد تتخلله بعض المعاناة اللحظية مقارنة بما تحدثه من أزمات كما في المجتمعات الحديثة، لأن المجتمعات الأولى بسيطة ومتجانسة يحدث فيها التطور ببطء من جيل إلى جيل، عكس المجتمع الأمريكي الحديث والمتنوع وغير المتجانس.[2]

وفي المحصلة يمكن الإشارة بالقول إلى أن الشباب مفهوم يبنى معرفيا واجتماعيا، بحيث يختلف معناه باختلاف الأزمنة والأمكنة والمجتمعات، مما يفرض عدم التعامل معه ككتلة واحدة متساوية أو متجانسة، بل متباينة من فئة إلى أخرى انطلاقا من عدة متغيرات كالجنس، والمستوى التعليمي، والسكن، والمهنة، والوضع الاجتماعي...الخ.

المبحث الثاني: الأزمة فرصة في سياق التباعد الاجتماعي

بقدر ما قد يحدثه الوضع الاستثنائي الراهن لحالة الحجر الصحي في البيوت من أزمات نفسية، واضطرابات في العلاقات والروابط الاجتماعية بين أفراد المجموعة الواحدة، والتي يكون لها بدون شك انعكاس على الشباب في مسار حياتهم اليومية داخل الأسرة والمجتمع، بقدر ما يفترض أيضا في المرحلة ذاتها، أنها تفتح مجموعة من الإمكانات لهذه الفئة العريضة والقاعدة الصلبة في المجتمع، من فرص تنضاف إلى

1 بوشعيب مجدول: المرض والإيديولوجيا ، الشباب ومسارات التعايش مع السيدا بالمغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن زهر أكادير، طباعة ونشر سوس- أكادير، بدون سنة، ص 7-8 (بتصرف).

2 المنجي الزايدي: مرجع سابق، ص 39 -40 (بتصرف) .

سابقتها وتسرع الكثير منها، إذا ما تم استغلالها واستثمارها بشكل أحسن في تنمية القدرات والمهارات الذهنية واليدوية، التي يكون لها وقع في الحاضر والمستقبل على المعيش اليومي للشباب، بالرغم من كون اللحظة توصف باللايقين في ما هو منتظر، حيث الكل تقريبا يدبر المرحلة الراهنة بكثير من القلق والترقب لما يمكن أن يسفر عليه اليوم الموالي أو الساعة القادمة من نفس اليوم. وأن كل الاستراتيجيات المتخذة والاحتياطات الوقائية من الإصابة بالمرض تكون من أجل البقاء على قيد الحياة دون الموت، إلا من دقت ساعته كما يقال فلا تأخير في ذلك.

ولعلى من الفرص المتاحة في ظل هذه الجائحة العالمية التي لم تشهدها الانسانية من قبل تقريبا، والتي هي كثيرة ومتعددة وعلى درجات مختلفة ومتشابكة. نجد من أبرزها الوقت الحر الطويل الذي أصبح في حوزة الشاب، يتيح له فرصة العودة إلى الذات، وطرح سؤال معنى الحياة ومستوياتها، دون نسيان سؤال الموت والمصير، الذي يدفع كما يقول إدغار موران[1] الإنسان إلى المساءلة والسؤال عن أسرار وجوده ومصيره وعن الحياة والكون. والذي غاب للأسف بفعل العولمة وتقنياتها المسيطرة على الانسان، والذي جعلته كما يقر بذلك الفيلسوف مارتن هيدجر[2] ينسى الوجود بما هو موجود. لا سيما وأن التقنية، وكما يقول جاك إلول Jacques Ellul [3] لا يعنيها معنى الحياة، فهي ترفض أن يكون لها علاقة بالقيم، ولا تقبل أي حكم قيمي على أنشطتها. وبالتالي فزمان كورونا فرصة لإقامة حوار تفاعلي مع الذات، على ضوئه يراجع المجتمع عموما وفئات الشباب نموذجا تاريخه الماضي، ويدبر لحظة حاضره، ويفكر في زمن مستقبله، وذلك من خلال إعادة النظر في الأولويات وترتيبها على ضوء ما أفرزته أزمة كوفيد 19 من أعطاب مجتمعية في الحياة، رغبة ورهبة في سبيل تحقيق السعادة الفكرية والجسدية والروحية.

كما تمنحه أيضا سياسة الحجر المنزلي والتباعد الجسدي، الذي أملته ظروف الجائحة وانتشارها الواسع كالنار في الهشيم، التواصل عن قرب وبشكل دائما مع أفراد الأسرة، الذي من خلاله يتقوى الرابط الاجتماعي[4] الأسري، عبر إمكانية فتح نقاش عمومي

1 إدغار موران: النهج، إنسانية البشرية، الهوية البشرية، ترجمة هناء صبحي، هيأة أبو ظبي للثقافة والتراث، ط 1، 2009، ص 61.
2 مارتن هيدجر: التقنية، الحقيقة، الوجود، ترجمة محمد سبيلا وعبد الهادي مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت ط 1، 1995.
3 جاك إلول: خدعة التكنولوجيا ، ترجمة فاطمة ناصر، القاهرة، مكتبة الأسرة ، 2004، ص 167.
4 للاطلاع أكثر على معنى الرابط الاجتماعي يمكن الرجوع إلى :

- خواجة عبد العزيز بن محمد: سوسيولوجية الرابط الاجتماعي، بناءات مفاهيمية ومسارات نظرية، داية للطباعة – غرداية/ الجزائر، 2018.
- Serge Paugam : le lien social, Presses universitaires de France, 2008.

مسؤول مع الأبوين، في مواضيع وإشكالات مختلفة ومتشابكة، تخص شخصية الشاب بالمعنى المزدوج (ذكر/ أنثى) الفردية والجماعية ، خاصة وأن وجوده الجماعي يسبق كما يرى جورج غوسدورف[1] وجوده الفردي، بحيث قيمته لا تتحدد في مجال الوجود الفردي وإنما في إطار أشكال التضامن بين الناس، وفي ذلك رد على فكرة استقلال الذات المفكرة والشخص الأخلاقي، فهي حسب ذات الفيلسوف غوسدورف بمثابة نقطة وصول لمسار طويل في التعلم. بالإضافة إلى ما أصبح متاح الحصول عليه وبشكل مجاني من خدمات إعلامية، ودورات تكوينية لمواقع إلكترونية عالمية في هذه الظرفية الاستثنائية، وإمكانية تحميل العديد من الكتب والمجلات العلمية، من داخل المكتبات الوطنية والدولية التي لم تكن تسمح بذلك من قبل، لإغناء وتنمية الرصيد المعرفي والمهني، وتقوية كل المهارات الحياتية للتعاطي مع مشكلات العالم المعيش. الذي تحدث عنه عالم الاجتماع الألماني يورغن هابرماس من داخل نظريته التركيبية حول المجتمع، التي تزاوج بين نظريات الفعل ونظريات النسق، معتبرا إياه ك" مكان متعالي، حيث يلتقي المتكلم والمستمع، ويمكنهم الادعاء بصفة متبادلة، بأن ما يتلفظون به يتصادف مع العالم (الموضوعي، الاجتماعي، والذاتي)، وأيضا انتقاد وتأكيد ادعاءاتهم بالصلاحية، وكذلك حلهم لخلافاتهم وتطلعهم إلى تحقيق اتفاق".[2]

المبحث الثالث: تحديات الاندماج في زمن الحجر الصحي

ليس الحديث عن التحديات التي تعيق إدماج واندماج الشباب في الحياة العامة بكل مستوياتها مسألة ترتبط باللحظة الزمنية الاستثنائية التي يعيشها المغرب الآن، وإنما هي سيرورة مجتمعية ذات جذور تاريخية، تعود إلى فترة ما بعد الاستقلال على الأقل، تتحكم فيها مجموعة من المتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. حيث ترجع الأزمة الخاصة بالشباب وكما يرى عزت حجازي إلى تأثير عاملين أساسين، أولهما هو النظام الجديد لتقسيم العمل الذي يؤدي إلى أنساق بالغة التقيد، والأخر هو العلاقات الاجتماعية والمناخات الحضارية، التي تخفق في أن تمد أفرادها بفرص حياة تؤدي إلى فهم للذات والواقع، وتقبل لهما، وتكيف صحي معهما، فبقدر ما تخفق المجتمعات في حل المشكلات التي ينطوي عليها هذين الأمرين تكون خطورة أزمة المراهقة أو الشباب في تزايد وتعقد مستمر.

---

1 Georges Gusdorf : traité sur l’existence moral, Armand Golan, Paris, 1949 , p 201-202.

2 عادل البلواني: النظرية السياسية لهابرماس، الحداثة والديمقراطية، أفريقيا الشرق، 2014، ص 57- 58.

والحالة التاريخية هاته نجدها تلقي بظلالها الثقيلة والممتدة في الزمان والمكان على مجرى الحياة الأنية التي يمر بها المغرب بدوره كباقي دول العالم، في عملية التصدي لجائحة فيروس كورونا المستجد (كوفيد 19) ، والبحث عن منافذ جديدة تنقذه من عاصفة هذا الوباء الفتاك. حيث تنضاف إليها أخرى تولدت من رحم ما بات يعرف بالحجر الصحي أو المنزلي، الذي من دلالاته التقيد بالبيت* وعدم مغادرته إلا لحاجة قصوى وملحة، تتعلق بالعلاج أو التبضع أو العمل المهني، الذي لا ينفع معه الاشتغال عن بعد، وغيرها من أساسيات الحياة التي تتوقف عليها مصلحة الفرد والجماعة.

وبالاعتماد هنا على الملاحظة بالمشاركة أو الملاحظة في شكلها البسيط من خلال العين الحسية، أو عبر ما توفره اليوم تقنيات التواصل والاتصال الحديثة، أو ما يكتب في وسائل التواصل الاجتماعي من رسائل للشباب داخل مجالاتهم السكنية، وفي ارتباط بأسرهم العائلية، يمكن استنباط جملة من التحديات التي نفترض أنها تقلق الشباب في وجودهم الفردي والجماعي، وتنعكس سلبا على مجرى حياتهم، في عملية وسيرورة تدبيرهم للزمن الوبائي، سواء بشكل فردي أو بالتشارك والمشاركة مع باقي أفراد المجموعة الأسرية الصغيرة على الأقل. ولعل من أبرزها (التحديات) الخوف من المستقبل، سواء بالنسبة للفئة المتعلمة من الشباب التي لا ترى سوى المجهول أمامها، أي غلبة اللايقين على اليقين، أو تلك الفئة التي تزاول عملا ما، ولكن بسبب الأزمة فقدته، فوجدت نفسها ضمن لائحة العاطلين العريضة من الشباب بالمعنى المزدوج (ذكور/ إناث) ، حيث والوضعية هذه تتسبب في ظهور أمراض نفسية كثيرة ومتعددة، كالقلق والاضطراب والكأبة وغيرها، مما يجعل هذا الرأسمال البشري المهم والحيوي يعيش حالة فقدان البوصلة، فيبحث لنفسه عن طرق معينة للتخفيف من ألم الصدمة ونسيان ثقل الماضي والحاضر وضبابية المستقبل، من قبيل الإدمان على وسائل التواصل الاجتماعي المعروفة والمتعددة الأوجه لساعات طويلة، نظرا لما تقدمه من خدمة للتعبير عن الرغبات وتفريغ المكبوتات بالمعنى الذي أوردته مدرسة التحليل النفسي مع سيغموند فرويد وغيرها، مما أصبح عليه الوضع أشبه ما يكون بهجرة سيليكونية يحاول المغاربة (ومن بينهم الشباب)

* مسألة البقاء في المنزل ترتبط عند المغاربة بالثقافة والتمثلات الاجتماعية الكثيرة خاصة في صفوف الذكور الذين يعتبرون البيت كفضاء انثوي بامتياز (مولات الدار، مالين الدار، الداخلية ...)، وأن المكوث فيه بالنسبة للرجل بمثابة عملية سحب للشرف ونخوة الرجولة وفاعليتها التي لا تتحقق إلا خارج جدران المنزل (واش انت امرأة تبقى جالس فالدار..). لكن مع انتشار جائحة "كرونا" انقلبت الهندسة الاجتماعية التي ترسم الحدود المجالية بين الذكور والإناث ، فأصبح الكل تحت سلطة الإكراه والقهر يعيش في حيز مكاني يتوجب عليه التقيد بثقافته حماية للنفس من الفيروس التاجي.

عبره التعبير عن وجودهم والإعلان عن حضورهم[1] . الشيء الذي قد ينتج عنه ولا شك خلل واضطراب في تنظيم أوقات النوم (حيث يصبح النهار ليلا والليل نهارا) من جهة، وعدم الالتزام بتناول الوجبات المنزلية مع أفراد العائلة من جهة أخرى، مما قد يترتب عن هذه السلوكيات الجديدة ذات البعد الشخصي، التي فرضها الحجر الصحي بسبب الوقت الحر والطويل ، مشاكل اجتماعية تتمثل في بزوغ التصدع والتفكك في الروابط والعلاقات التنظيمية الأسرية، خاصة الأسر ذات الدخل المحدود والتي تعيش في مجال جغرافي ذو مساحة ضيقة لا تتوفر فيه المتطلبات الأساسية للعيش (مثل السكن الاقتصادي، أو دور الصفيح)، أو التي فقد رب الأسرة العمل بسبب الأزمة (الجانب الاقتصادي) ، فينمو بذلك العنف والعنف المضاد بكل أشكاله المادية والمعنوية (الجانب الثقافي).

وفي حديثنا هذا عن التحديات التي نعتبرها مشكلات ذات أوجه متعددة ومتشابكة يواجهها الشباب يمكن الإشارة إلى ما أورده عزت حجازي في حديثه عن الشباب العربي ومشكلاته بالحديث على أن «الشباب في مشكلات» وليس شبابا مشكلا» على الإطلاق. وشتان كما يقول بين هاتين الصورتين لوضع الأزمة: ففي الحالة الأولى نتكلم عن واقع موضوعي لا يوفر فرصا كافية للإرضاء العضوي والنفسي والاجتماعي ومواجهة مطالب الحياة المتجددة ويضع الشبان من ثم في أزمة. وفي الحالة الأخرى نتحدث عن جيل من الشباب يعجز عن التكيف والتوافق مع واقعه الاجتماعي، لعدم كفاية إمكاناته وأساليب التصرف لديه من جهة، وسوء اتساق نسقه القيمي* في بعض اللحظات من جهة أخرى. كما أن القصور الذي يرونه في الحياة ويرفضونه قصور موضوعي في معظم الحالات، والتصور الذي يطرحونه لفلسفة العمل واستراتيجياته وخططه قد يفتقر إلى النضج، ولكنه ينطوي على قدر كبير من الإخلاص والأمانة والوعي بالمسئولية.[2]

خاتمة

وصفوة القول يتبين أن قضايا الشباب لا تربطها أزمنة ولا أمكنة، فهي من الموضوعات المفتوحة للنقاش، والتي بقدر ما تبدو سهلة للملاحظ البسيط، بقدر ما

1 عبد الرحيم العطري: سوسيولوجيا الحياة اليومية، الرمزي أفقا للتفكير، دفاتر العلوم الانسانية، الطبعة 1، 2018، ص 78.

* للتعرف أكثر عن التحولات في نسق القيم عند الشباب يمكن الرجوع إلى :
Bouriqia Rahma : Valeurs et changement social au Maroc, En ligne : http ;//www.iemed.org/publication.

2 عزت حجازي: مرجع سابق، ص ص 12 -13.

تنطوي على كثير من التعقيد والتشبيك بالنسبة للباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية على الخصوص، نظرا لما يتسم به المفهوم أولا من لبس وتعقيد يصعب حصره في بعد واحد دون الأبعاد الأخرى (البيولوجية، النفسية، الأنثروبولوجية، والاجتماعية). بالإضافة إلى ارتباطه الحثيث والدائم بموضوعات متعددة كالقيم والثقافة والسلوك المدني والمواطنة والتنمية...الخ. وما حديثنا هنا عن الشباب والحياة اليومية في الزمن الوبائي من خلال الفرص والتحديات، إلا من باب الإثارة والإشارة إلى إشكال من الإشكالات الأساس من داخل حقل سوسيولوجيا الشباب عموما، والتي لا ندعي خلخلتها بالمعنى الكلي والشمولي، لأن المقاربة السوسيولوجية إذا لم تستند إلى البحث الميداني، تبقى في مجملها عبارة عن تأملات وفرضيات معينة، قد تصيب وقد لا تصيب، وربما هذا ينطبق على هذه المساهمة العلمية في هذا السياق بالذات.

لائحة المراجع :

- ✓ الزايدي المنجي: مقدمات لسوسيولوجيا الشباب، سلسلة عالم الفكر، 2002/03/30.
- ✓ البلواني عادل : النظرية السياسية لهابرماس، الحداثة والديمقراطية، أفريقيا الشرق، 2014.
- ✓ العطري عبد الرحيم: سوسيولوجيا الحياة اليومية، الرمزي أفقا للتفكير، دفاتر العلوم الانسانية، الطبعة 1، 2018.
- ✓ إلول جاك : خدعة التكنولوجيا ، ترجمة فاطمة ناصر، القاهرة، مكتبة الأسرة ، 2004.
- ✓ مجدول بوشعيب : المرض والإيديولوجيا ، الشباب ومسارات التعايش مع السيدا بالمغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن زهر أكادير، طباعة ونشر سوس- أكادير، بدون سنة.
- ✓ موران إدغار: في مفهوم الأزمة ، ترجمة بديعة بوليلة ، دار الساقي للنشر والتوزيع بيروت ، 2018.
- ✓ موران إدغار : النهج، إنسانية البشرية، الهوية البشرية، ترجمة هناء صبحي، هيأة أبو ظبي للثقافة والتراث، ط 1، 2009 .

- ✓ محمود عبد القادر : النفسي والاجتماعي للشباب الكويتي ومشكلاته، المرحلة العمرية من 13 إلى 18 سنة، الكويت، رابطة الاجتماعيين، 1975.
- ✓ عزت حجازي عزت : الشباب العربي ومشكلاته، سلسلة عالم المعرفة، العدد 6، 1985.
- ✓ عبد العزيز بن محمد خواجة: سوسيولوجية الرابط الاجتماعي، بناءات مفاهيمية ومسارات نظرية، داية للطباعة – غرداية/ الجزائر، 2018 .
- ✓ هيدجر مارتن : التقنية، الحقيقة، الوجود، ترجمة محمد سبيلا وعبد الهادي مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت ط 1، 1995 .
- ✓ مفهوم الأزمة الدولية ، الموسوعة السياسية : Political- Encyclopedia. Org/dictionary
- ✓ Bourdieu Pierre, La jeunesse n'est qu' un mot ; in question de sociologie, Fd, Minuit, paris, 1984.
- ✓ Bouriqia Rahma : Valeurs et changement social au Maroc, En ligne : http ;//www.iemed.org/publication.
- ✓ Serge Paugam : le lien social, Presses universitaires de France, 2008.
- ✓ Galland olivier, sociologie de la jeunesse, 3 édition paris, Armand colin,2004.
- ✓ Gusdorf Georges: traité sur l'existence moral, Armand Golan, Paris, 1949.

العولمة وجائحة كورونا

محمد حدوي

أستاذ علم الاجتماع
جامعة السلطان مولاي سليمان-بني ملال

أصبحت العولمة بمثابة السمة البارزة لهذا العصر، ولا يكاد يخلو أي نقاش في مجالات المعرفة البشرية من استعمالات هذا المصطلح سواء بالقبول أو بالرفض. وقد تجاوز الأطر المعرفية المتخصصة ليشمل الأطر السوسيولوجية لمجريات الحياة اليومية، كما يذهب البعض إلى أن العولمة كالحداثة وأن الوقوف في وجهها أو محاولة تجنبها إنما هو خروج عن العصر. ولهذا، نسعى إلى دراسة هذه العولمة لفهم مكوناتها وخاصة آثارها على الجوانب الاقتصادية، الاجتماعية، والسياسية لدول العالم.

وترجع أهمية دراسة ظاهرة العولمة إلى تباين أبعادها وتشعب آثارها إذ لم تقتصر انعكاسات هذه الظاهرة على مجرد التأثير على واقع العلاقات السياسية والاقتصادية العالمية فحسب وإنما جاوزت ذلك لتشمل التأثير على الأوضاع الداخلية في معظم دول العالم مخلفة وراءها آثارا ملموسة على مختلف جوانب الحياة الإنسانية والاجتماعية.

وكان المُتصوَّر أن التحدي الرئيسي الذي تواجهه العولمة هو انبعاث الدعوات القومية الشعبوية، والنزعات الدينية المتطرفة، كرد فعل على مظاهر العولمة؛ لكن لم يتصور أحد أن يمثل ظهور فيروس في الصين، وانتشاره وتحوله إلى وباء عالمي، تحديًا بارزًا للعولمة. فالدول الغربية التي اتسمت دائمًا بدعم مظاهر العولمة والانفتاح على العالم، تحولت في مواجهة تداعيات انتشار فيروس كورونا المستجد إلى الانغلاق والانعزال واتخاذ خطوات حمائية، في مقابل قيام الصين بأخذ زمام المبادرة والانفتاح لتقديم المساعدات اللازمة، باعتبارها نموذجًا ناجحًا في مواجهة أزمة تعجز الولايات المتحدة والدول الأوروبية عن التعاطي معها، الأمر الذي يعكس تغيير البوصلة السياسية للعولمة والاتجاه شرقًا. يمكن القول، أنه لولا العولمة التي حولت العالم إلى قرية صغيرة، لم يكن لهذا الوباء أن ينتشر بسرعة. فما طبيعة هذا الوباء إذا؟ وما مصدره؟ وكيف حاربته الدول؟

وكيف ساهمت العولمة في سرعة انتشاره؟ وهل يمكن مكافحة الوباء والحد من مخاطره في الشهور القليلة المقبلة؟

1-العولمة

تنطوي العولمة على كثير من المفاهيم التي لابد لنا من استيعابها في لغة عربية اصطلاحية دقيقة. فهي يمكن أن تستخدم بوصفها صيغة مصدرية، أي دالة على الممارسة والفعل. فتقابل في اللغةGLOB المشتقة من GLOBALISATION الإنجليزية التي يعرفها قاموس المورد الوسيط بالكرة الأرضية، والبعض من بالكونية أو الكوكبة.

والمصطلح الذي يتصل اتصالا وثيقا بالعولمة هو مصطلح "تخطي القوميات" أو "السيرورات التي تربط الأفراد والمجموعات الاجتماعية عبر حدود جيوسياسية بعينها". ومصطلح آخر وثيق الصلة هو مصطلح "تخطي الجنسيات "أو "ظهور مجتمعات جديدة وتكوين هويات وعلاقات اجتماعية جديدة لا يمكن تحديدها بالاستناد إلى المرجع القديم للدولة القومية"[1].

وتتطلب دراسة الكوني حسب الباحثة "ساسكيا سان" في كتابها "علم اجتماع العولمة" التركيز ليس فقط على كل ما هو كوني صراحة من حيث المستوى، وإنما أيضا على الممارسات والظروف التي يتم ترتيبها محليا والتي لا تتشابك مع الديناميات الكونية. وهذا يتطلب التركيز على تضاعف العلاقات عابرة الحدود بين المحليات والتي تتكرر فيها ظروف معينة؛ وهكذا. وأكثر من ذلك، أن هذا يتطلب الاعتراف بأن الكثير من الديناميات التي تم ترتيبها كونيا مثل سوق رأس المال الكوني، قد تم إدماجها جزئيا في مواقع قومية فرعية (مراكز المال) والانتقال بين هذه الممارسات والأشكال التنظيمية التي تم ترتيبها على أساس مختلف. وعلى سبيل المثال، أن سوق رأس المال الكوني قد تم تشكيله من خلال كل من الأسواق الالكترونية على النطاق الكوني والظروف المجسدة على أساس محلي[2].

ولذلك ينظر إلى العولمة على أنها نزع الإقليمية عما هو اجتماعي، فالاقتصاد، والسياسة وأساليب الحياة لا تتزاحم عبر حدود الدولة الوطنية القديمة فقط، ولكنها تغير

1-ريتزرجورج، العولمة نص أساس، ترجمة من الانجليزية السيد إمام، المركز القومي للترجمة ،عدد 2308، القاهرة ،الطبعة الأولى،2015، ص28.

2-ساسن ساسكيا، علم اجتماع العولمة، ترجمة من الانجليزية جلبى علي عبد الرزاق، سلسلة العلوم الاجتماعية للباحثين، عدد 2048،المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى 2014، ص25.

أيضا وضعها بمجموعه داخل ذلك. وهذا لا يحدث بصورة متزايدة وفي الوقت نفسه فحسب، وإنما يحدث في عين المكان أيضا من غير أن يكون تفكيرنا وعملنا قد أعاد انهيار المسافات. فعلى حين غرة يصبح قريبا كل ما كان يبدو لا مناص منه مما هو غريب وبعيد، ولا يعود سبب ذلك إلى النمو السكاني، وإنما يعود إلى التأثير الثقافي. ويمكننا ملاحظة العكس أيضا: بقاء المواطنين والأقرباء، الذين جاؤوا بصفتهم مهاجرين، على ما هم فيه من غربة وابتعاد ثقافي، من دون أن يغادروا مع ذلك «المكان العرقي»، الذي تسانده الوسائل السمعية-البصرية، يجعلهم يواصلون وهميا حياتهم في وطنهم الافتراضي[1].

يبدو إذا من ما سبق، إن العولمة ككلمة رمزية تثير الجدل؛ فهي تتخطى حدود السياسة والمال، والإعلام والحركات الاجتماعية، والاهتمام العام والأكاديمي. والعولمة بوصفها تحديا سياسيا تتخطى الطيف الإيديولوجي وتنخرط في الحركات الاجتماعية والسياسية على كافة المستويات. وتنطوي العولمة على نقلة نوعية من مرحلة الدولة-الأمة ،والسياسات الدولية إلى سياسات النطاق الكوكبي.. وتستمر العولمة في لعب دورًا مركزيًا أيضا في تشكيل المشهد العالمي للأمراض المعدية، يتضح من خلال انتشار فيروس كورونا من الصين إلى عدة دول.

لكن الأمر الأساسي الذي يجعل من فروس كورونا المستجد وتداعياته الاقتصادية أزمة مختلفة عن غيره، ويضعه في مراتب الأزمات الاقتصادية الأضخم على مر التاريخ؛ هو الزمن الذي أتى فيه، والواقع الاقتصادي الأكثر انفتاحاً الذي يعيشه العالم، وحالة السيولة والترابط غير المسبوقين بين الأنشطة الاقتصادية حول العالم، وسلاسل الإمدادات التي باتت موزعة ومقسمة على مناطق العالم المختلفة، بعد أن قطع العالم شوطاً طويلا في عملية تخصيص الإنتاج بين الدول. فطائرة إيرباص -على سبيل المثال- التي يتم تجميعها في مدينة تولوز الفرنسية، يتم تصنيع أجزائها فيا يزيد على 100 دولة، ويشرك في صناعتها 8 آلاف شركة بشكل مباشر، و 1,800 شركة ومنتج بشكل غر مباشر[2].

مع تزايد الإجراءات لمواجهة تفشي فيروس كورونا المستجد التي تضمنت حظر العديد من البلدان حول العالم السفر إليها ومنها، بدت أزمة الجائحة بمثابة "اختبار هائل"

1- بك أولريش، ما هي العولمة؟، ترجمة دودو أبو العيد، منشورات الجمل، لبنان بيروت-بغداد ، الطبعة الثانية، 1999، ص3.

2- Sustainable Supply Chain: Responsible Sourcing Across the Supply Chain, Airbus, accessible at: https://bit.ly/2V3rRSp

للعولمة وفلسفتها التي سادت العالم المعاصر منذ الحرب العالمية الثانية .فهل كورونا يجمع الدول أم يفرقها؟

2- كورونا كوفيد-19

يعاني العالم اليوم جائحة وباء كورونا كوفيد-19، وهذا الوباء لم يسبق التعرف عليه من قبل، ولم يتغلب عليه العالم نهائيا بالعلاج أو الوقاية منه على الرغم من وصول العلماء إلى تحديد الفيروس المسبب للمرض، ومعرفة مصدر العدوى. هناك العديد من أصناف الكورونا المعروفة لدى أغلب علماء الفيروسات، أغلبها لا يتسبب سوى بإصابات لا تتعدى ما يعرف بنزلة البرد العام. وسمي الفيروس ب «الكورونا»، أو الإكليل، لأن المشهد تحت الميكروسكوب تبدو فيه جسيمات الفيروس وقد أحاطت بها نتوءات مستديرة بارزة كأنها إكليل. بعض المظاهر والأعراض المصاحبة لانتشار هذا المرض، سبق للعاملين في القطاع الصحي تسجيلها في مناسبات سابقة، وبعضها الآخر لم تُشاهَد من قبل. وكما حدث في حالات مماثلة، ظهر المرض في منطقة بعينها، في داخل بلد معين، ثم خرج منها ليغزو العالم بأسره !

إن فيروس كورونا السارس يدمر سريعا الجهاز التنفسي، ويصعب علاجه بعد الإصابة به. ويؤدي إلى نسبة وفيات عالية. ويتعلق التفسير الوحيد المتاح حتى الآن للتفاوت في اختلاف نسبة الوفيات، بالتفاوت في كفاءة جهاز المناعة. ولكن لابد أن يمر زمن قبل التعرف الأدق علميًّا على سلوك الفيروس، واستجابات الأفراد المختلفة للمرض الذي يتسبب به. من بين أهم خصائص هذا الفيروس: طول مدة حضانته، التي تبلغ الأسبوعين، وسهولة انتقاله بين الأفراد. إذ لا تظهر على حامل الفيروس أعراض واضحة خلال فترة الحضانة، وتنتقل العدوى إلى الكثيرين من الذين خالطهم. من الصعب علاج هذا المرض لكن يمكن للإنسان أن يقلل لأدنى حد من العدوى به، وذلك بإتباع ما يتفق عليه الأطباء من السلوك الصحي.

قد يتسبب انتشار كورونا وسياسات التصدي له في عواقب اجتماعية خطيرة، خاصة بالنسبة للأفراد المهمشين في المجتمع. من الواضح أن البقاء في البيت يظل الحل الوقائي الوحيد أمام الجائحة الراهنة، لكنه يدعم اللامساواة ويؤجج الغضب الشعبي، ويمكن أن يؤدي إلى احتجاجات وتمردات، لأن تفعيله إشكالي وليس بالأمر الهين. فالبقاء في البيت لا يمكن أن ينجح في الدول الفقيرة إلا إذا تم إقناع وإشراك الشرائح الاجتماعية

الفقيرة بذلك المسلسل. فتلك الشرائح تكسب قوتها يوميا، بشكل غير منتظم، بفضل نشاطها اليومي داخل اقتصاد غير مهيكل.

ومع تفشي الوباء، شهد المجتمع موجات من الخوف الجماعي ، كما أحدث ثورة في التفسيرات المرتبطة بأسباب المعاناة الجماعية للناس جراء الوباء، وتسبب في موجة من التناقضات القيمية، فالوباء بطبيعته مرض جديد، لا تتوافر بشأنه معلومات أو توقعات بكيفية انتشاره ومكافحته، ولا يوجد علاج له. وكلّما كان الوباء خطيراً بسبب سرعة انتشاره وانتقاله بالعدوى والآثار التي يتركه على المصابين به، زادت المدة الزمنية بلا علاج واضح، وكانت المساحة متروكة للاجتهادات الفردية والاجتماعية، والتمسك بأي أمل في الخلاص، حتى وإن كان ذلك يتمثل في ممارسات غير منطقية.

وأشارت تقارير إعلامية صينية إلى أن 80 في المائة من المرضى في الصين تلقوا علاجاً تقليدياً، وبغض النظر عن فاعلية العلاج التقليدي من عدمه على مواجهة الوباء، إلا أنه يؤثر في حالة الفرد، وقد يعطيه بعض التوازن الداخلي المرتبط باعتقاده في فاعلية الوصفة الشعبية. وظهرت ممارسات أخرى مرتبطة بالمعتقدات الشعبية، مثل شرب "بول البعير "في إيران و "بول البقر" في الهند، باعتبارها وصفة شعبية ترتبط بمعتقدات دينية.

ويضاف إلى عدم اليقين وجهل المستقبل، عامل ثقة الشعوب في مؤسسات دولها، فكلما كانت لدى الشعوب ثقة عالية في مؤسسات الدولة وخدماتها، كانت هناك قدرة على الاحتواء وتقليل حدة القلق العام وتحجيمه، والعكس صحيح، فالهلع يصبح سيد الموقف في الدول التي لا تثق الشعوب بحكوماتها وبقدرتها على مواجهة الوباء.

ومن الناحية الاقتصادية، يوجد مسارين للآثار الاقتصادية للأوبئة عامة، الأول هو صدمة قصيرة الأجل تتزامن مع إصابة الدولة بوباء لمرة واحدة، والثاني تأثيرات طويلة الأجل تتزامن مع تفشي الأمراض والأوبئة بشكل متكرر. على سبيل المثال، نجد أن صدمة انتشار السارس قصيرة الأجل أثرت على هونج كونج بشكل غير متناسب بسبب اعتمادها الاقتصادي على الخدمات (مثل السفر والسياحة)، كما حدثت خسائر كبيرة على المدى القصير في الصين نتيجة للانخفاض الحاد في الاستثمار الأجنبي وهو ما يمكن أن يشل الاقتصاد إذا استمر لعدة سنوات. وعلى المدى الطويل ظهرت توقعات بأن استمرار تفشي الأمراض المعدية من الصين يمكن أن يسبب أزمة اقتصادية لشرق آسيا بأكملها. ويتسبب الفيروس أيضًا في خسائر عالمية –ليست فقط محلية أو قاصرة على الدولة

المصابة به- فقد تسبب تفشي سارس في خسائر اقتصادية عالمية قدرت بحوالي 40 مليار دولار، وبلغت خسارة الدول الآسيوية ما بين 12 و18 مليار دولار[1].

نضيف إلى ما سبق، توقف أنشطة القطاع الخاص ويحرم هذا التوقف الحكومات من معظم إيراداتها من الضرائب على الأرباح، كما أن تسريح العمال، أو حتى منحهم إجازات غير مدفوعة الأجر، يحرمها من معظم إيراداتها من الضرائب على الدخل. وبالنسبة للدول التي تعتبر تحويلات عامليها في الخارج مصدراً مهماً للإيرادات بالنسبة لموازناتها، فإنها تواجه تراجعاً كبيراً في تلك التحويلات. بجانب ذلك يكشف انتشار الفيروس عن وجود نقص نسبي في البنى التحتية اللازمة لتلك الحالات الطارئة، فقد أجبرت الحكومة على بناء مستشفيات خلال أسبوع واحد لعلاج المصابين[2].

أما جغرافية الانتشار وسبب خلو دول مثل كوريا الشمالية، طاجكستان، تركمنستان، اليمن، جزر مارشال، ناورو، ميكرونيزيا، بالاو، ساموا، توفالو، تونغا، جزر سليمان، جنوب السودان، سراليون، جزر القمر، بوروندي، ملاوي، بوتسوانا، ليسوتو، ساوتومي وبرينسيبي من كورونا (Owen Amos)؛ فإنها تثير تساؤلات حول ارتباط ذلك بخروج تلك الدول من دائرة الفعل والتنقل والعولمة والحداثة، فهل كان لعزلتها الجغرافية والثقافية دور في ذلك؟ وقد نكشف حقيقة فرضية أن فيروس كورونا يستهدف المجتمعات الغنية والمتقدمة.

3-العولمة وأزمة كورونا

يتعرض العالم بين الحين والآخر إلى انتشار جائحة صحية، وإذا حصرنا اهتمامنا خلال الثلاثين أو الأربعين سنة الأخيرة، سنذكر إيبولا، وسارس، وإنفلونزا الخنازير، ومتلازمة فقد المناعة المكتسبة (الإيدز). إن طبيعة هذه الأمراض وانتشارها في الواقع أو باعتبارها إمكانية مخيفة حتى الآن، ينبئنا بالكثير حول طبيعة وواقع العولمة في القرن الواحد والعشرين ـإن أسباب الإصابة بهذه الأمراض، تتدفق أو يمكن أن تتدفق بسهولة

1 -Jong-Wha Lee and Warwick J. McKibbin, “political influences on the response to Sars and economic impacts of the disease,” In Stacey Knobbier, Adel Mahmoud, Stanley Lemon, Alison Mack, Laura Sivitz, and Katherine Oberholtzer (Editors.), Learning from SARS: Preparing for the Next Disease Outbreak, (Washington: The National Academies press, Institute of medicine, 2004): 91.

2 -“Premier Li chairs leading group meeting on corona virus prevention, control,” The state council of China, 26/1/2020, available at:
http://english.www.gov.cn/premier/news/202001/26/content_WS5e2d940ec6d019625c603f8b.html.

في كل أنحاء العالم، ومن الصعب، بل من المستحيل، إقامة الحواجز التي تحول دون انتشار الكثير منها[1].

وإذا كان الأمر يتعلق بحجم الانتشار، فليس فروس كورونا المستجد وحده هو ما أصاب قرابة مليوني شخص، أو تسبب في وفاة أكثر من آلاف الأشخاص حول العالم، فهذه الأرقام ما زالت محدودة بالنسبة لوباء الكوليرا الذي يُصيب ما يراوح بن 1.3 مليون شخص و 4 ملاين شخص، ويقتل ما يراوح بين 21 ألف شخص و 143 ألف شخص حول العالم في كل عام، وذلك وفق إحصاءات منظمة الصحة العالمية. كما أن جائحة كورونا تتضاءل أرقامها أمام وباء "الأنفلونزا الإسبانية"، التي اجتاحت العالم عامي1918 و1919، ويُعتقد أنها سببت وفاة ما بن 20 و 50 مليون شخص في أنحاء العالم، ما جعلها أشد جائحة مرضية حدثت في تاريخ البشرية، وفق تصنيف منظمة الصحة العالمية)[2].

الأوبئة السابقة كانت تفعل فعلها العميق بالشعوب وتقتل منهم ما تقتل، ولكنها لم توقف الحياة نهائياً، لأن التواصل نفسه بين شعوب الأرض في أزمنة الأوبئة السابقة لم يكن كتواصل البشر اليوم مع العولمة.

سنجد أن البداية تكون في بلد واحد ثم تتوسع في بلدان الجوار. يمكن أن ينحصر تأثير الجائحة في منطقة جغرافية بعينها في داخل إحدى القارات، ولا يتجاوز حدودها، كما في حالة جائحة إيبولا في أفريقيا، والمتلازمة التنفسية الحادّة الوخيمة (سارس) في جنوب شرق آسيا، ولكن، حدث في أكثر من مرة خلال حقب التاريخ، أن توسع مجال انتشار الجائحة، فظهرت حالات الإصابة بالمرض في عدد كبير من البلدان وفي القارات جميعها كما هو الشأن اليوم مع كورنا.

فالعولمة أسقطت الحدود بين الدول والشعوب والثقافات والأعراق. وشبكة الإنترنت جعلت العالم بيتاً بمنازل كثيرة. وسيطرت "السرعة" على العالم ومات "البطء". فالرسالة تقطع آلاف الكيلومترات بثوان، والشخص ينتقل إلى أقاصي العالم بساعات، أما الأفكار فهي كالأنهار الدافقة يشارك فيها جميع البشر، المثقف وغير المثقف، والمتعلم وغير المتعلم، صاحب القضية والذي بلا قضية، كلهم يتبادلون الآراء والمواقف على شبكة الإنترنت في مواقع التواصل الاجتماعي.

1-ملكاوي أسماء حسين وآخرون ،أزمة كورونا وانعكاساتها على علم الاجتماع والعلوم السياسية والعلاقات الدولية،مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية،جامعة قطر،أبريل،2020،ص31.

2-مجلة منظمة الصحة العالمية ،لُغْزُ الإنفلونزا ، المجلد 90 ، عدد 4، أبريل 2012 ، موجود على الرابط التالي: https://bit.ly/3dN0810.

لقد أزيلت من ناحية القواعد القديمة والرسوم الحدودية بين السياستين الداخلية والخارجية للدول منذ مدة طويلة. والغرب والمنظمات فوق الوطنية تتحكم تحت راية ضمان حقوق الإنسان وحرية التجارة العالمية علنا وباستقلالية كبيرة في «الشؤون الداخلية» السابقة للدول الأخرى. وفي مسيرة اللغة الجديدة للعولمة الاقتصادية والأخلاقية تنتزع نواة حقوق سيادة الحداثة للدولة الوطنية وتفتح لتقع في قبضة «المسؤولية الشاملة»[1].

وسلطت أزمة كورونا الضوء على ما اعتبر جوانب سلبية للعولمة والتكامل الدولي واسع النطاق، وبدا وكأنها هدية للقوميين الوطنيين والشعبويين حول العالم، إذ أعطت شرعية ومبررا للقيود على التجارة العالمية وحركة الأشخاص والبضائع، وأدركت شركات مختلفة، فجأة، مخاطر الاعتماد على سلاسل التوريد العالمية المعقدة.

ومع ذلك هناك تصور بديل على خلاف أماني القوميين والشعبويين، فأزمة تفشي الفيروس عالميا، إلى جانب كوارث عالمية أخرى مثل تغير المناخ، قد تساعد على المدى الطويل في تطوير وعي عالمي مشترك،

وكلما عانى الناس في جميع أنحاء العالم من الصدمات نفسها، كانوا على اتصال أعمق مع بعضهم بعضا، وأصبحوا ضمن مجتمع عالمي مشترك. فالقضاء على الوباء في بلد لا يكفي طالما أنه موجود في بلدان أخرى. والوباء على قساوته وخطورته، يشكل محكًا لمراجعة الذات والوقوف على الاختلالات، ومحاولة تجاوزها بسبل علمية وعقلانية في المستقبل. فقد مكّن هذا الانتشار من إيقاظ الشعور بالمواطنة، كما حفّز على التضامن في عدد من البلدان، وأبرز أيضًا أهمية توفير بنيات طبية في مستوى المخاطر والتحديات، وحيوية الاستثمار في مجال البحث العلمي باعتباره البوابة الحقيقية نحو التقدم، وتحقيق الأمن بمفهومه الإنساني الشامل.

على الرغم من وجود الكثير من المظاهر السلبية، والتدفقات والسيرورات المرتبطة بالعولمة بكل تأكيد، فإن هناك من لم يتقبل هذا الرأي الذي يذهب إلى أن العولمة شيء سلبي تماما. إن مناقشة للمشكلات المرتبطة بالعولمة، ومن النوع السلبي يجب ألا تشغلنا

---

1 -بك أولريش، مرجع سابق، ص8.

عن جانبها الايجابي (تدفق المواد الصيدلانية التي تسبب في انقاد حياة الكثيرين، أو الفرق الطبية التي تسهر على منع تفشي أوبئة جديدة...إلخ)[1].

ولا تعتبر النظرية الموجودة كافية لوضع خريطة مظاهر التعدد في الممارسات والفاعلين التي تجري اليوم والتي تسهم في إعادة الترتيبات وتحديد المستويات هذه. ويدخل ضمن ذلك مجموعة متباينة من الفاعلين لا ينتمون إلى الدولة وصور التعاون والصراعات عابرة للحدود مثل الشبكات الأعمال الكونية، وصور المواطنة العالمية الجديدة والمنظمات غير الحكومية[2].

وأمام عجز العالم عن مواجهة كوفيد-19، طرحت على الساحة العالمية أسئلة تحمل المسؤولية للأنظمة، وهي أسئلة وجودية وسياسية واجتماعية واقتصادية كثيرة، لماذا لم تكن الدول متأهبة، ولا سيما أن العلم تطوّر بشكلٍ كبير، ولماذا ميزانيات الطب والصحة والتعليم ومراكز البحوث العلمية والجماعات بعامة في أدنى حالاتها.

ومع تزايد الإجراءات لمواجهة تفشي فيروس كورونا المستجد التي تضمنت حظر العديد من البلدان حول العالم السفر إليها ومنها، بدت أزمة الجائحة بمثابة "اختبار هائل" للعولمة وفلسفتها التي سادت العالم المعاصر منذ الحرب العالمية الثانية. وظهرت أسئلة أخرى تطفو على السطح، هل سيكون إغلاق الحدود مرحلة تمهيديّة نحو سياساتٍ شعبويّة أكثر انبعاثاً، وانتصاراً للنزعات العرقيّة من جديد؟ أي هل سيتخلى العالم عن أشكال توحّده، المتعدّدة المستويات؟

ومن ناحية مكافحة الوباء، يواجه العالم حاليا فيروس كورونا، بنظريّتين: الأولى هي "مناعة القطيع"، والثانية "تسطيح المنحني". تعتمد الأولى على "مناعة القطيع"، وهي نظرية سائدة في أوروبا، وتسمح هذه النظرية بأن يُصاب الجميع بالفيروس، ويتعافى الأصحّاء، ويموت كبار السن وأصحاب المناعة الضعيفة. وتعتمد النظرية الثانية التي هي الطريقة الصينية على تجنب التجمعات المزدحمة ما أمكن وانتهاج سلوك التباعد الجسدي، وتجنب تناول أطعمة معينة قد تحمل العدوى، وتغطية الفرد أنفيه وفمه عند السعال. إضافة إلى ذلك تقوم الحكومات بعزل المدن، والحجر المنزلي أو في المستشفيات،

1-ريتزر جورج، مرجع سابق،ص763.

2- ساسن ساسكيا، مرجع سابق،ص22.

وسيطرة الجيوش على الدول، إعلان حالات طوارئ. وقد اتجه العالم إلى هذه النظرية لأنها هي الأنجع، عكس الأولى التي تحمل وجها فاشيا، ولهذا كانت محل انتقادات متعددة.

وفي الوقت الذي تجد فيه الدول نفسها مطالبة بإغلاق الكثير من الأنشطة الاقتصادية، والحد من حركة السكان؛ فهي مطالبة بمزيد من الإنفاق لمعالجة الخلل العميق في الدورة الاقتصادية الناتج عن ذلك الإغلاق، وتأمين احتياجات قطاع الرعاية الصحية، وفي الوقت ذاته فهي تواجه تراجعاً غير مسبوق في الإيرادات.

مثل العديد من الأمراض الناشئة في العقد الماضي، ألقي تحدي مواجهة كورونا الضوء على الحاجة إلى مزيد من الاستثمارات في البنية التحتية للصحة العامة. فقد يسبب تفشي المرض عبئًا كبيرًا على الأنظمة الصحية الدولية التي كانت تعاني من ضغوط كبيرة بالفعل لمعالجة مرض الإيدز والسل والملاريا ومجموعة من الحالات الأخرى.

وأكثر من ذلك، أصبح التعامل مع كورونا أفضل اختبار لبرامج الدولة .يبدو أن آسيا أفضل بكثير في احتواء الوباء من جيرانها الأوروبيين: في هونغ كونغ وتايوان وسنغافورة، هناك عدد قليل جدا من المصابين، أما في كوريا الجنوبية واليابان، فقد انتهت الفترة الصعبة. حتى في الصين مصدر الوباء، بدأت تلوح بوادر الانفراج[1].

في الصين، أصبحت هذه المراقبة الاجتماعية التي تديرها الدولة ممكنة بفضل مشاركة غير مشروطة للبيانات مع مزودي خدمات الهاتف المحمول والأنترنيت. لا يكاد يوجد مفهوم لحماية البيانات، وفكرة «المجال الخاص» غائبة عن المفردات الصينية. قامت الصين بتركيب 200 مليون كاميرا على أراضيها، بنظام متطور للغاية للتعرف على الوجه، يمكنه الكشف حتى عن الشامات. ولا أحد يمكنه وقف تشغيلها. في كل مكان، في المتاجر، في الشوارع، في المحطات والمطارات، تقوم هذه الكاميرات الذكية بفحص كل مواطن و«تقييمه». الآن أثبتت هذه البنية الضخمة المنتشرة لضمان المراقبة الالكترونية للأشخاص فعالية كبيرة في القضاء على الوباء. يتم التعرف على أي شخص يغادر محطة بكين على الفور بواسطة الكاميرا، يقيس الجهاز درجة حرارة الأفراد، ويقوم بالإخطار على الفور إذا كانت الحرارة مرتفعة بشكل غير طبيعي عبر الهاتف المحمول على الشبكات الاجتماعية، نتحدث حتى عن الطائرات بدون طيار مستخدمة لمراقبة الحجر الصحي بمجر

1-تشول هان بيونج ،«مجتمع الإرهاق ،البيانات الضخمة تنقد البشرية»، مجلة الدوحة، العدد 151، السنة13، مايو 2020 ص12.

أن يحاول شخص تخطي الحاجز، تقترب منه طائرة بدون طيار ويأمره صوت تلقائي بالعودة إلى منزله[1].

فما شاهده العالم ، في إيطاليا واسبانيا وبريطانيا وأمريكا ،وغيرها من الدول ،من ترك كبار السن يموتون في بيوت المسنين دون مد يد العون لهم، لأن النظام الصحي يعاني من الانهيار ،ومن الصعب توفير أجهزة تنفس لكل المرضى ،يشير إلى حقيقة فاجعة -إضافة إلى حقائق عديدة أخرى على رأسها هشاشة الأنظمة الصحية في بلدان العالم الأول -هي قدرة العالم المعاصر على غض البصر عن الالتزام بالمحافظة على حق الحياة بوصفه الحق الأساسي الأول لكل إنسان يعيش على هذه الأرض ،بغض النظر عن عرقه أو طبقته أو ديانته، أو معتقده الإيديولوجي[2].

كان المتوقع أن تتعاون الدول الكبرى، التي تمثل الأعمدة الرئيسة للنظام الدولي، وتضع خطة مشركة لمواجهة التهديد، الذي يتعرض له العالم، كي تنجح في محاصرة الفيروس في أراضيها، ثم تقديم الدعم لتلك البلدان التي لن تنجح في محاصرة الفيروس، ما لم تحصل على دعم من الدول المتقدمة، ولكن بدلاً من هذا؛ ارتفع مستوى الانتقادات ومستوى الاتهامات المتبادلة في ما بين الدول، واتجه اهتمام كل دولة نحو الداخل، ضاربةً عرض الحائط بشعار «العالم قرية»[3].

وبهذه الصورة فقد كشفت الجائحة عن مدى هشاشة النظام المعولم، وقد تكون النتيجة تحولا في السياسة العالمية لمواكبة تحولات ومراجعات فكرية جديدة أو حتى مراعاة لصحة وسلامة المواطنين التي أصبحت على المحك بسبب العولمة.

خاتمة

وفي الختام، يتبين أن فروس كورونا أصبح تحدياً عالمياً، وأنه طرق باب معظم الدول إن لم يكن جميعها، ما يعني أن جميع الدول مطالبة باتخاذ تدابير صحية للحد من انتشار الفيروس بداية، وتدابير اجتماعية واقتصادية لتخفيف وطأته على المجتمع وعلى الاقتصاد.

1-تشول هان بيونج ،نفس المرجع السابق، ص13.

2-فخري صالح ،«في ظلال كوفيد، «حق الحياة العارية»، مجلة الدوحة، العدد 151، السنة13، مايو، 2020 ،ص32.

3-ملكاوي أسماء حسين وآخرون ، نفس المرجع السابق ، ص34.

لا شك أن مقاومة كورونا، قد نشطت فيه الثقافة الصحية، سواء في شقها العالِم أي البحث عن العلاج عبر تفعيل البحث الطبي إلى الحدود القصوى. أو ثقافة التحسيس أي نشر معلومات حول الوباء، ومحاولة استكشاف أسبابه المباشرة وغير المباشرة، ثم تعبئة الناس من أجل الوقاية والحد من الانتشار من ضروريات النظافة والتعقيم.

ويجدر التأكيد على أن الاستجابة الفعالة والكفؤة للوباء من شأنها أن تقلل الوفيات والإصابات وكذلك تقليل الآثار الاقتصادية والاجتماعية والأمنية لانتشاره. وهذه الاستجابة تعتمد بشكل أساسي على جودة وكمية المعلومات المتوفرة في أي وقت، والتنسيق الجيد بين الأطراف المعنية وكذلك سهولة تبادل المعلومات والاتصال بينهم.

والجديد الذي كشفت عنه جائحة كورونا، هو عدم جاهزية المجتمع الدولي ومنظماته المتخصصة للتعامل مع وباء قاتل وسريع التفشي، مثل كورونا. وتفتقد منظمة الصحة العالمية، كما الأمم المتحدة، منظمتها الأم، المقدَّرات الكافية لتوفير المساعدات الضرورية والسريعة للدول غير القادرة على التعامل مع الوباء.

وفي الوقت الذي نعترف فيه بالتدفقات السلبية بسبب السيولة العالمية المتزايدة نرى أن العولمة "عولمة سلبية" لا يكبحها كابح، ولا تكملها أو يستعاض عنها بنسخة رديفة "إيجابية"، تظل حتى الآن، في أفضل الأحوال، أملا بعيد المنال على الرغم من أنها تبدو بالنسبة لبعض التكهنات مهمة يائسة بالفعل.

المراجع

بالعربية:

الكتب:

- بك أولريش ،**ما هي العولمة**؟، ترجمة دودو أبو العيد، منشورات الجمل، لبنان بيروت-بغداد، الطبعة الثانية، 1999.
- تشول هان بيونج ،«مجتمع الإرهاق ،البيانات الضخمة تنقد البشرية»، **مجلة الدوحة**، العدد 151، السنة13، مايو 2020.
- ريتزر جورج، **العولمة نص أساس**، ترجمه من الانجليزية السيد إمام، المركز القومي للترجمة، عدد 2308، القاهرة، الطبعة الأولى، 2015.

- ساسن ساسكيا، **علم اجتماع العولمة**، ترجمه من الانجليزية جلبى علي عبد الرزاق، سلسلة العلوم الاجتماعية للباحثين، عدد 2048، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى 2014.
- ملكاوي أسماء حسين وآخرون، **أزمة كورونا وانعكاساتها على علم الاجتماع والعلوم السياسية والعلاقات الدولية**، مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية، جامعة قطر،2020.

المجلات:

- فخري صالح، «في ظلال كوفيد، «حق الحياة العارية»، مجلة الدوحة، العدد 151، السنة13، مايو 2020.

مقالات الأنترنيت:

- منظمة الصحة العالمية، المجلد 90 ، عدد4 ، أبريل 2012 ، موجود على الرابط التالي: https://bit.ly/3dN0810

بالفرنسية

Webographie:

- Jong-Wha Lee and Warwick J. McKibbin, “political influences on the response to Sars and economic impacts of the disease,” In Stacey Knobbier, Adel Mahmoud, Stanley Lemon, Alison Mack, Laura Sivitz, and Katherine Oberholtzer (Editors.), Learning from SARS: Preparing for the Next Disease Outbreak, (Washington: The National Academies press, Institute of medicine, 2004.

-Owen Amos, Corona virus: Where will be the last place to catch Covid-19? BBC News, 3 April 2020, https://www.bbc.com/news/world-52120439

- “Premier Li chairs leading group meeting on corona virus prevention, control,” The state council of China, 26/1/2020, available at: http://english.www.gov.cn/premier/news/202001/26/content_WS5e2d940ec6d019625c603f8b.html

- Sustainable Supply Chain: Responsible Sourcing Across the Supply Chain, Airbus, accessible at: https://bit. ly/2V3rRSp.

La pandémie Covid-19, du voisinage cosmopolite ébranlé à l’ère de la société enfantine

Wadia JEHOUANI
Professeur de sociologie
Université Abdelmalek Essaadi-Tétouan

Résumé :

La pandémie est un chaosà l’ère de suprématie humaine, un coup de canifà la science, et l’inauguration d’un nouveau model, de l’incapacité, et de l’échec. Une fin inattendue de toute forme de compromis et réconciliation. Uneconvulsioncreux, où le passage de l’humanisme à l’utilitarisme, de citoyen-monde à l’individu communautaire, de voisinage mondialisé à la conflictualité des identités et intérêts. Bref à une société enfantine, égoïste, conflictuelle, de restreinte perspective à l’âge de communication sociale en réseaux.

Avant-propos :

Malgré que le monde contemporain est gouverné par la science, la technologie, le commerce, l’humanité instantanée, et le capitalisme sauvage, le militantisme des ONG a mené des changements profonds, en matière des droits de l’homme, des femmes, de la nature et de l’environnement, afin d’instaurer une humanité universaliste, où l’hégémonie de communication sociale et de la mobilité des marchandises et des touristes ont accéléré le passage vers une société

mondiale, de voisinage cosmopolite, et de solidarité quidétend les classes diminues.

L’émergence de telle société, par contre semblait fragile en temps de pandémie Covid-19. Où la remontée d’un autre humanisme, renfermé, utilitaire et instantané, déclarant un avènement du voisinage cosmopolite ébranlé, une mobilité restreinte, une société enfantine, une conflictualité indigène et en cachette et des politiques utilitaires. Dans les premiers mois de contagion il parait que nous assistons à une société d’antiquité. Une pause humainequi recadre le voisinage humain, dans ses dimensions universelles.

- Possible d’investir dans un concept de voisinage cosmopolite ?
- Comment une pandémie a pu mettre fin à une société humaine cosmopolite, semblait en émergence ces derniers temps ?
- Est-il intelligible de comprendre ce déclin de valeurs et éthiques humaines ?
- Quelles leçons peut-on retenirau temps pandémique ?

1-Voisinage cosmopolite ébranlé :

L’homme a encouru une âpre vie. Le conflit était l’essence de son existence. Tant vis-à-vis la nature, qu’à l’encontre de la sociabilité, à flots échelles; individuelle, collective, étatique et culturelle. En revanche dès la deuxième guerre mondiale, l’humain s'est emparé du bestial, en particulier au lendemain de la déclaration universelle des droits de l'homme en 1948, suite à la création de l’OMS en 1946, et à la traîne de l’établissement de l’Organisation des Nations unies en 1945. Depuis l’accord formel humain n’a pas été achevé, à la suite de la guerre froide, et la société de classes. Ce qui vaut attendre les années 1990, où l’inédite cosmopolitisme, la mondialisation, la nouvelle gouvernance des ONG internationaux, la société en réseaux, et les satellites, qui vont manier à la démocratisation de l’information,

à force d'entré en vigueur d'une presse responsable et engagée. Tout s'est accompagné par l'ouverture économique déclaré avec l'accord GATE, et un engagement mondialisé en émergence envers des pays sous-développés.

Du voisinage humain s'intronisait en dépêche. Un compromis identitaire dissimulait la conflictualité exogène en état latente. Dans la mobilité acharnée un échange rationnel, de marchandises, et touristes, fait apparaitre. Une ouverture sans prévu, qui chapotait le monde, l'intrus de media numérique et social, épuisait toute forme de domination étatique, afin de rendre en réalité de nouvelles formes de sociabilité cosmopolitaine, à titre de citoyen planétaire, l'homme mondial, et du journalisme engagé.

Le cosmopolitisme s'est enraciné en amant depuis Kant, en son postulat de l'insociable sociabilité humaine et la moralisation innée. L'homme en troisièmemodernisation ouvrait à un monde unifié, partagé, à une citoyenneté durable, que se soit envers le terrorisme, les droits des minorités, le développement humain, la scolarisation de la fille, les droits de la nature, des femmes, et animaux. En sciences sociales, plusieurs approches ont discuté la question de l'humanisme, cosmopolitisme, et du voisinage en format totalisante (Durkheim, Marx, Bourdieu).

Une cohabitation ressentie petit à petit, l'homme pluriel, sériel, et universel, se voit en émergence bouleversée de l'unification, de rapprochement discuté, de la fluidité de transport, et l'avènement des sociétés touristiques, en occident que l'orient. L'ouverture affable dans un monde en réseau, et une société connectée, avec un affaiblissement de l'état nation, et une inauguration d'un droit gardant la suprématie de l'homme. C'est un nouveau monde qui se forge petit à petit, qui redresse une forme contemporaine de relationnel décentralisé, un voisinage de grande taille.

L’héritage sociologique traite le voisinage, en urbanisme, solidarité, liens sociaux, violence, aliénation et autres. L’approche holistique, fait de domination totalisante et l’appartenance les vecteurs d’équilibre et durabilisme sociétal (Durkheimisme), au moment oùle marxisme soutient la stratification de la société, une verticalité, basé sur les moyens de production. Par contre de nouvelles théories s’arrêtent sur le passage de la société de liens forts, familiers, communautaires, et religieux, à la société de faibles liens (Granovetter, 1973), ou de l’individualisme enclavé à une vie en réseaux (Castels,1998), cette dynamique est accomplipar l’ouverture de la quatrièmeautorité vers un media satellitaire, qui aaccéléré lepassage à un espace monde (Dollfus, 1994). En tout le voisinage était un destin communautaire de solidarité (Durkheim), par contre une aliénation est résultante de suprématie haineuse et conflictuelle. Mais avec la société de communication et de réseaux, le voisinage de liens faibles, secondaires, de conflit non déclaré se manifestait, au moment où la mondialisation a fait accélérer l’introduction du « village-monde » au lieu de « l’espace monde », le voisinage peut être transculturel, au-delà du pays, du contient, et peut être envisagé universellement.

La mondialisation aintroduit de nouvelles valeurs de solidarité, d’unification et de conflictualité (Bauman, 1998 ; Dollfus, 1999). En outre La sociologie culturelle du risque, parlait d’une modernisation réflexive, où les liens se basaient sur la peur, et le risque investit de la part duprogrès technique et du système de consommation (Beck, 1999). Tandis qu’un humanitarisme se maintient comme idiologie (Benthall, 2018), et une montée en émergence de communauté unitaire,du village planétaire et du citoyen de la terre, déjà travaillé avec la sociologue Lucie sauvé.

Le voisinage à l’ère de mondialisation peut être envisagé autant qu’une approche, de conflictualité état/société, où le relationnel est

très compliqué à l'âge global (Albrow, 1997). Bauman aussia posé de profond questionnement à propos de la mondialisation, est-elle un bien ou un mal ? Quelles en seront les conséquences humaines ? Pour lui, d'un côté il y aura une élite minoritaire qui en tirera les bénéfices de l'autre une masse progressive d'exclus, forcé à la violence et au repli identitaire (Bauman, 1999).

Derrida reprend dans son texte « Cosmopolites de tous les pays encore un effort ! » le projet kantien, mais en critiquant les restrictions apportées par Kant, à savoir « ce qui s'élève, s'édifie ou s'érige au-dessus du sol»[1], c'est-à-dire, pour Derrida que « l'institution de la limite comme frontière, nation, État… ». il contredit le droit de résidence qui dépend que des États, et qui exclut le refugié. Il appelle à l'institution de villes-refuges autoriseront l'accueil de l'étranger en général, sans restrictions. Par contre le sociologue belge Geoffrey PLEYERS s'occupe de « Comment être acteur dans la mondialisation ?». Ils'intéresse à la capacité d'agir des citoyens à l'heure de la mondialisation, et ouvrantpour une action protestataire, qui se fait mondialement et se nourrie des autresmouvements, (Pleyers, 2010).

En ce sens on peut traiter le voisinage de différentes approches, qui restaient généralisantes. Beaucoup de chercheurs ont étudié la thématique, Alan et Michele SHAWqui évoquent l'effet des évolutionstechnologiques et réseauxinformatiques sur la cohésion social dans de nombreuses communautés « nous avons souvent perdu le sentiment du tissu serre du voisinage…où chacun connait le nom de tout le monde »[2]. D'autres études ont démontré l'érosion de la vie de famille traditionnelle et les réseaux primaires de parenté »[3]. De

1-Derrida, J. (1997), Cosmopolites de tous les pays encore un effort, Paris, GaIdée., p 53.

2-SHAW, A.; SHAW, M. 1999. « Social empowerment through community networks », in D. Schon, B. Sanyal,W. Mitchell (dir.), High Technology and Low Income Communities : Prospects for the Positive Use of Information Technology, Cambridge MA , MIT Press, p 25.

3-Ray, F., le voisinage, quelle importance ?, Revue internationale des sciences sociales 2007/1 (n° 191), pages 137.p 139.

mêmeRay Forrest parle de passage au niveau international de « village mondial » vers « le voisinage mondial »[1].

Forrest d'un autre coté dit « l'image dominante de la vie sociale est celle d'une superficialité éphémère de réseauxélectroniques, d'une communauté sans frontières »[2] .Le voisinage en philosophie et en sociologie peut se définiten différents aspects. Le chercheur britannique Ray Forrest a indiqué trois formesdevoisinage :

- Le voisinage est un lieu ;
- Une atinté socialement construite dans le temps par les pratiques routinières des résidents;
- Une communauté[3].

Pour lui le voisinage doit être pensé dans un monde en mutation « nous vivons dans un monde où le lieu est considéré comme de plus en plus fluide et perméable et où nos identités et trajectoires sociales semblent de plus en plus façonnées par des facteurs plutôt virtuels et lointains que réels et immédiats »[4]. Comme il est en coursepour achever le concept de voisinage numérique, voisinage 2.0.

Le voisinage se change en échelle, du quartier, de la ville et la communauté, au monde-village. Avec l'âge de la communication sociale, l'ouverture de l'échange commerciale, la mobilité touristique massive, la régression de grandes guerres, et l'avènement de la consommation comme force de gouverner, le monde se maintient en voisinage de luxe. La société civile mondialisée, la mobilité de fonds et aides ont accéléré cette nouvelle sociabilité. Mais tout se met en atrophie. Une pandémie a changé la pensée. L'humanité redressait une nouvelle société de sécurité, en contrarie de terrorisme,

1-Idem.
2-Ibid., p 137.
3- Ibid., p 138.
4- Ibid., p 137.

changements climatiques, et de la crise économique, afin de mener un modèle de solitude, de transcendantalisme. Une pandémie que Covid-19 soit sa vitrine, qui a déjà met en cause des valeurs, un compromis expérimenté. Tout a catastrophiquement changé, surtout les premiers mois de contagion, où s'est passée une folie et une peur inabordable. C'est le voisinage qui est en radical discussion, fragilisé et ébranlé peut avoir trois dimensions :

a-Humanisme effondré:

En tant que réalité, depuis le l'arrivée de Covid-19 en états uniesle 28 février 2020, une autre cohabitation planétaire se met en route, l'accusation occidentale de la chine et de la complaisance de l'OMS, etl'oubli des droits humains, surtout l'enterrement des cadavres. Les critiques intra-européens. Le discours s'est basé autour de l'économie, et la survie de la nation, plus qu'uneréflexion humanitaire, partant des droits del'homme, de l'éthique de la nature, la demande de rendre l'Afrique le champ d'expérimenter le vaccin Covid-19.

b-Politique utilitaire:

Chaque chef d'Etat soutenaitla thèse de l'intérêt de son pays, oubliant l'appartenanceà un monde, même les grandes institutions mondiales ont gardé le silence pour les premiersmoisdes pandémies. Juste le géant G7 et la laideur pétrolière ont fait apparition, au moment où l'Union Européenétait sur le point de l'éclatement, avec l'accusation italienne.

c-Mobilité restreinte:

Aprèsl'âge d'or de mobilité, le déplacement était en suspension, le commerce est en basse saison, les visioconférences, la téléphonie, la communication en réseaux sociaux ont gagné plus de territoire. D'un

coup l’humain en libre mobilité, surtout au nord, s’est passé àl’âge d’enclavement.

Ce voisinage humain effondré inopinémentclarifie que la société humaniste est éphémère, susceptible au changement en moindrecrise. Ce qui nous permet de dire que l’humanisme déclaré n’est qu’une revendication.La pandémie actuelle, n’est qu’un modèle de risque prévu, qui peut bouleverser tout. Cette crise mondiale peut nous laisser s’enseignaientà propos d’une nouvelle société-monde :

a -Société enfantine:

La crise Covid-19 inaugure le retour d’un humain, égoïste, utilitaire, précipité, et autoritaire. Ce corps guerrier, résume le monde en soi, cherchait l’auto-confort, dénué de toute vision commune, éthique ou universelle, privé de perspectivisme. Un homme de domination, dans un temps nécessitaitune société qui doitmanœuvrerau-delà de soi.

b- Communication sociale provisoire:

Covid-19 autant que crise de l’ère informationnelle, de communication sociale, a pu mettre fin au dialogue internationale régulier et transversale, que se soit intra-nation, ou iter-nation et regroupement. C’est à l’envers de civilisation, de modernité communicationnelle fragile.

c- Vers une société émotionnelle:

Les décisions se faisaient instantanément, une conflictualité américaine, italienne, européenne. De l’opinion publique éphémère, sans assise scientifique. Une informationarnaquée, et du journalisme sans éthique, l’âge de l’homme de l’émotion.

2-Identité humaniste instantanée :

Le monde est unifié forcement, où le globe nous empoignait. A cette échelle s'accomplit l'identité humaine. De la conflictualité se maintenait, comme choix de vie, à l'encontre de la religion, richesses et opportunités naturelles, à cause de modèles économiques et politiques. Tandis que ce monde de verticalité, se voit en toute différentiation, l'approche transversaliste, unifiante, globalisante et moraliste, tend à déclarer unehomogénéité grandissante. Tant que par les vertus de solidarité, baptiséeen effort de société civile mondialisée, qu'avec le militantisme à l'égard des droits de l'homme et de l'environnement. En d'autre part la fin de 20èmesiècles'estaccompagné d'une culture de coopération en tempsde catastrophes, et à l'encontre du terrorisme.

Malgré la coopération sanitaire, qui s'est installé depuis la fin de 19 ème siècle,contre la contagion en sommet de Pariset Rome, et l'instauration de OMS en 1946, l'accusation se met en accélération, afin d'instaurer une valeur stable, concerté, fiable et régulière. L'humanité sanitaire et politique se méfie de l'OMS et de grandes industries pharmaceutiques, qui bossent pour rendre la santé un secteur économique plus que social et éthique (liste des soins primaires).

En se dressant à une période de crise sanitaire. Toute société en premier lieu était bouleversée de contagion. Mais une carte identitaire s'est infligé pour le premier jour de l'épidémie. Une accusation de barbarie, saleté, politisation et d'idéologisation, en parlant de théorie de complot. On peut accepter le néologisme de sociologue britannique MartinALBROW qui introduit le concept de «l'âge global », qui conditionne l'approche de l'état et la société en deuxièmelieu[1], en introduisant une nouvelle identité fonctionnelle. De son côté le

1-Albrow, M. (1997), The Global Age: State and Society Beyond Modernity, Cambridge, Polity Press.

sociologue britannique, Ulrich Beck en refaçonnant la société civile mondiale, il a défini le «globalisme» en tant que «idéologie néolibérale de la domination du marché mondial»[1], où l'identité globalisante n'est qu'une idiologie.

Edgar Morin, d'une vue relativiste découpe l'humain, et le remet en complexité. Dans son ouvrage l'humanité de l'humanité, consacré à l'identité humaine, démontre que le double enracinement est l'essence de l'humain.Biologique,partageant un répertoire émotionnel semblable (colère, joie, attachement, peur...) chez tous les mammifères, et un enracinement culturel, quis'esttransmis à l'homme dès son enfance.Ce double conditionnement biologique et culturel est à la fois un principe d'unité et de diversification de l'espèce humaine. Où Le langage est un des « grands paradoxes » de l'identité. Donc une conflictualité entre le biologique et le social. Bernard LAHIR d'une analyse actionniste critique l'agent sociale. Il rejette les généralisations abusives de la démarche globalisante, trop unitaire de l'acteur au détriment de sa complexité plurielle. Au-delà de la théorie de Bourdieu, il critique l'habitus: «le paradoxe réside dans le fait d'avoir au bout du compte retenu le modèle d'habitus adapté à l'approche des sociétés différenciées pour mener l'étude des société à forte différenciation qui, par définition produisent nécessairement des acteurs plus différenciés entre eux, mais aussi intérieurement»[2]. En somme l'identité est toute une multitude qui peut pas être unitaire, même au niveau l'individu qu'en société.

Au-delà de ce dialogue, d'autre chercheurs comme Claude DUBAR, s'appuyé sur une thèse, qui soutient la crise de l'identité, en partant de la dynamique des formes identitaires, pour défendre la crise de l'identité au sein de la famille, et dans le monde professionnel,

---

1-Beck U., (1997), Was istGlobalisierung, Francfort, Suhrkamp., p 52.

2 -LAHIRE, B. (1998), l'homme pluriel, les ressorts de l'action, paris, Nathan, p 31.

sans nier la crise de l'identité personnelle[1]. Dans ce contexte de crise, Alain TOURAINE d'une approche conflictuelle, pose une question de grand pertinence « Pourrons-nous vivre ensemble »[2], qui restait une problématiqueexistentielle, pas de vue communautaire, nationale, mais cosmopolitaine. En d'autre études TOURAINE a discuté l'identité dans l'ère de modernité[3], pour s'arrêtait sur les entraves que les nouvelles formes de modernité ont dressé à l'homme moderne. Dans ce sens de nouveau monde et avec la monté de schème « société civile », des études parlaient de l'identité internationale de la société civile, comme déjà traité avec le professeur britannique de gouvernance mondialeMary KALDOR[4].

L'Identité a séduit l'anthropologue américain Jonathan Friedman[5], qui investit dans des concepts, comme «Cultural identily»et «Global Process», en parlant d'une interaction mondiale de l'identité à travers le commerce, accompagné par un échange vif de symboles. Quant à la suprématie d'un groupe diminué, il y avait toujours un double processus, où la périphérie utilisait certains symboles pour marquer sa propre identité, alors que le centre ne considérait plus ses propres symboles comme sommet de l'évolution. Il s'agit d'un processus au sein du tout le développement de la modernité, du postmodernisme, du traditionalisme et intégralisme (écologique). L'analyse de Friedman montre comment le monde entier traite la perte de la suprématie occidentale depuis les années 1950. De sa part le sociologue Anthony GIDDENS s'est intéressé à la nouvelle

1-Dubar, C., La crise des identités, Paris, PUF, coll. » Le lien social », 2000. P 165.

2-Touraine, A., 1997 Pourrons-nous vivre ensemble ? Paris, Fayard.

3 -TOURAINE,A., directeur d'études à l'Ecole des Hautes Etudes en Sciences Sociales "Identité et modernité." Un texte publié dans le livre sous la direction de Mikhaël ELBAZ, Andrée Fortin et Guy Laforest, LES FRONTIÈRES DE L'IDENTITÉ. Modernité et postmodernité au Québec, pp. 11-19. Québec : Les Presses de l'Université Laval ; Paris : L'Harmattan, 1996, 384 pp.

4-Kaldor M., 2007 "L'idée de société civile internationale", Recherches sociologiques et anthropologiques, 38 (1), pp.89-108.

5 -Friedman, J. (1994), Cultural Identily and Global Process, Newbury Park, Sage.

identité mondialisée la « troisième voie », qui va au-delà du néo-libéralisme et dusocial-démocratie[1].

Dans un monde en modernité, en mutation progressive, l'identité individuelle, que communautaire et nationale est en crise, dans la foulé de penser à un autre cosmopolitisme, mondialisé, et idéaliste. Enrevanche del'ère pandémique, tout se remet en cause. L'humanisme se contracte, subitunegélation. La peur personnelle et nationale,dressait l'état psychiqueet de l'économique nous rend tropégoïstes, renfermés sur soi. Où le cosmopolitismese maintient instantané.

3 - Conflictualité en cachette (Etat/individu/ société…)

Dans un monde qui se voit en massive dispersion, malgré le caractère humain qui se manifestait, la transcendantalité, l'utilitarisme, et l'idéologie sous-tendenten tant que vecteurs de gouvernance mondiale, sans nier leurs dimensions communautaires. L'individu, comme unité sociétale atomique, ne se débarrassait jamais de son égoïsme, enfance perpétuelle. Sa demande de loisir, de conquérir, des'arracher de tout ordre et lien sociale autoritaire. Un univers de conflictualité innée, historique, approvisionné de stratification et enjeux d'une société d'idiologie. Une société de suprématie, de consommation, et de divertissement, instantanée, décomposée et plurielle.

Cette société dépressive, où le capital est alternateur de toutes formes de vie. Des industrielles, qui sont autant organisés que les militants de droit d'homme, que les acteurs de l'éducation, culture et valeurs universelles. Dont les bénéfices, et l'autorité dans toutes ces formes expriment leurs intérêts existentiels, sans rendre compte du durabilisme, ni de valeurs éthiques et socialisantes. Ce ne peut pas entretenir une société humaine, du monde unifié, globalisant, en

1-Giddens, A. (1998), The Third Way, Cambridge, Polity Press.

revanche une stratification mondialisée, des clans, d'ennemis. En état de crise, le compromis international se voit en éclipse, un désolidarisme universel, communautaire, se trouve modérateur. Le discours de haine, de colère, et protestataire se maintenait davantage que le rationnel humanitaire.

Un monde brulé. La courseau sommet, va de noir en pire. L'occident se met en dissension en face de l'orient. La culture de suprématie, européenne et américaine, se voit en démolition profonde. Tandis que La société moderne se façonnait de rationalisation, civilité, et d'institutionnalisation, l'aspect guerrier de l'homme n'a pas tendu de dissimiler, en revanche il fait de nouvelles apparences, dont la coopération internationale, les établissements mondiaux spécialisées, l'OMS et banque mondiale ont gérer de mal l'épidémie Covid-19. Une vague de haine mondialisé, un discours conflictuel affole la planète, une humanité retranchée. Ce qui peut se dimensionner en deux axes, comme suit :

❖ Le discours fébrile de haine contrechine :

Un mécontentement massif au travers le territoire monde.Depuisles premières semaines de contagion en EtatsUnies,une profonde accusation américaine à haut niveaucontrela chine, en dépit de leurs mensonges, à propos le début de la pandémie en 2019, et la qualifie de gros « bobard », en tant que nombre de décès. Une série de mensonges, lapremièreest la contagion n'était pas d'humain à humain, mais alimentaire, façon d'éviter l'affolement de lapopulation. La deuxième que le virus Covid-19 est apparu en décembre 2019 à Wuhan, enfin le bilan des morts serait ainsi effroyable et pourrait grimper à 40 000 contre 3304 décès selon les statistiques officielles[1].

1-https://www.valeursactuelles.com/clubvaleurs/monde/covid-19-la-longue-marche-des-mensonges-chinois-117664, consulté le 10 juin 2020.

Des accusations de TRUMP. En l'occurrence, Emmanuel Macron, s'exprime dans une interview accordée au Financial Times, publiée le 16 avril 2020 : « Il y a manifestement des choses qui se sont passées qu'on ne sait pas. Il appartient à la Chine de les dire. » Le chef de l'État évoquait dans cette très sibylline formulation la gestion de la crise sanitaire dans l'ex-empire du milieu, épicentre de la pandémie de Covid-19[1].Par contre La Chine dit aux États-Unis d'arrêter de perdre du temps dans la bataille des coronavirus, en indiquant que la poursuite de l'indemnisation de la Chine est une «rêverie»[2].

Le haut diplomate du gouvernement chinois Wang Yi a déclaré que les États-Unis devraient cesser de perdre du temps dans leur lutte contre le coronavirus et travailler avec la Chine pour combattre le Covid-19, plutôt que de répandre des mensonges et d'attaquer le pays. En même sens d'autresrapports révèlent la réalité des allégations américaines contre la Chine sur COVID-19, en déterminant récemment que, certains politiciens et médias américains ont fabriqué des allégations absurdes et des mensonges d'une sorte ou d'une autre afin de rejeter la faute sur la Chine pour sa réponse inadéquate à COVID-19.[3],

Dans d'autres niveaux, les Etats Uniestraitentl'OMS de la complaisance, en dissimulant pendant plusieurs semaines la réalité, et en déresponsabilisant la Chine de la dramatique crise sanitaire mondiale. Ce qu'est aussil'opinion de plusieurs experts mondiaux, comme Luc Montagnier, prix Nobel, qui accuse des biologistes de

1-Tremblais, Jean-Louis, Coronavirus: le grand mensonge chinois (https://www.lefigaro.fr/international/coronavirus-le-grand-mensonge-chinois-20200424), consulté le 10 juin 2020.

2-https://www.cnbc.com/2020/05/24/china-tells-us-to-stop-wasting-time-in-coronavirus-battle.html, consulté le 10 juin 2020.

3-Reality Check of US Allegations Against China on COVID-19, Consulté online: (http://www.xinhuanet.com/english/2020-05/10/c_139044103.htm), consulté online le 3 juin 2020.

laboratoire de microbiologie de Wuhan d'avoir créé le coronavirus[1] sans prendre toutes les précautions nécessaires.En d'autres termesl'accusation des chinois en Amérique et en Europe et même en Afrique dans les premiers jours de contamination, de culture alimentaire traditionnelle chinoise malsaine.

❖ Conflictualité indigène au sein de l'Union Européen :

En zone euro l'aspect conflictuel est de retour, après les tunnels de BREXIT. Cet organisme de fort poids économico-politique, tende vers l'effondrement en ère de pandémie Covid-19. L'Italie en étant que membre fondateur et force fort dans l'union, restait privée de toutes aides européennes contre le virus. Qui a laissé de profonds dégâts. Ce qui provoque des colères italiennes qu'européennes. Des titres de journaux attestent la gravure de plaintes, à titre « Coronavirus - Colère italienne contre l'Union Européenne »[2]. De même le chercheur de l'IFRI,Éric-André Martin alerte que l'arrivée de la pandémie Covid-19 en Europe, s'est accompagnéed'un cafouillage et d'une absence de solidarité européenne envers l'Italie, premier pays touché. Le sursaut européen sera nécessaire pour affronter la crise économique et sociale[3].

D'autres clarifient qu'ils sont dans l'ère d'une Europe « laide », voire « morte »[4]. Par contre la nouvelle présidente de la Commission européenne URSULA Von DerLeyen (2019-2024) présente ses excuses

---

1-Clavel,Geoffroy, Luc Montagnier, prix Nobel controversé, accuse des biologistes d'avoir créé le coronavirus, (https://www.huffingtonpost.fr/entry/luc-montagnier-le-controverse-prix-nobel-accuse-des-biologistes-davoir-cree-le-coronavirus_fr_5e998515c5b63639081ccebc), consulté le 3 juin 2020.

2-Keystone-ATS,Keystone-ATS, l'agence de presse de la Suisse, Coronavirus - Colère italienne contre l'Union européenne, Publié Il y a 3 mois,le 27 mars 2020(https://www.lfm.ch/actualite/international/coronavirus-colere-italienne-contre-lunion-europeenne/), consulté online le 1juin 2020.

3-LAFITTE, Priscille, La solidarité européenne à l'épreuve du coronavirus, (https://www.france24.com/fr/20200331-les-ratages-de-l-union-europ%C3%A9enne-face-au-covid-19), consulté online le 1juin 2020.

4-Coronavirus: la présidente de la Commission européenne présente ses excuses à l'Italie,https://www.lesoir.be/291793/article/2020-04-02/coronavirus-la-presidente-de-la-commission-europeenne-presente-ses-excuses, consulté online le 1juin 2020.

à l'Italie pour le retard de réaction de l'UE face à la pandémie Covid-19, dans une tribune de la presse italienne[1]. En revanche malgré cette accusation la Commission européenne coordonne une réaction européenne commune face à la pandémie de COVID-19 tardivement, c'était en 9 avril, qu'ils ont adoptés quelques mesures. A savoir un programme spécifique d'Appui européen à la réponse à la crise COVID-19, où des mesures fermes, afin de renforcer les secteurs de la santé publique et d'atténuer les effets socio-économiques de la pandémie dans l'Union européenne. en mobilisant des moyens pour aider les États membres à coordonner leurs réactions au niveau national et fournissant des informations objectives sur la propagation du virus et les efforts efficaces déployés pour la contenir, et grosso modo mettant la solidarité européenne à l'œuvre.

En guise de conclusion : Crise mondialisante et humanité communautaire :

Dans des crises, comme cellequ'est vécuenmonde de pandémie Covid-19, des leçons de grandes enseignements peuventêtreretenir.

Tant sur le plan de l'institutionnalisation, en dépit des devoirs de l'OMS, que dans l'ordreéconomique, surtout l'accord de libre-échange, sans écarter les voies de culture et éthiqueshumaines de demain. Dans les premiers moisde crise une identité et un repli ferme, se sont dressés,un intérêtpersonnel, tout cachait son intérêt politique, mêmes'il y avait un conflit sévère entre les politiciens, les virologues et les scientifiques,TRUMP contre son directeur de l'Institut américain des maladies infectieuses, Macron avec l'éminentDidier Raoult. L'OMS avec des experts, des prix nobles de biologie, médecine et virologie. Mais par contre JOSHUA Setipa, Directeur Général de

1-Coronavirus: la présidente de la Commission européenne présente ses excuses à l'Italie,https://www.lesoir.be/291793/article/2020-04-02/coronavirus-la-presidente-de-la-commission-europeenne-presente-ses-excuses, consulté online le 1juin 2020.

la Banque de Technologie des Nations Unies pour les pays les moins avancés a déclaré que la pandémieactuelle nous a permis une chance sans antécédent pour fonder des capacitésd'industrialisation dans tous les pays du monde et rendre les pauvres plus capablesd'avoir tout ce qu'ils ont besoin,sans avoir recours auxdons des autres pays[1].

En fin de compte, Une nouvelle société se voit le jour. Une société pandémique, de risque, remet l'histoire en état de culture zéro, ou le repli, le soi, l'égoïsme, et le conflit. Une crise qui nous laisse penser profondément quel monde, humanité, et société universelle nous souhaitons. Parcontre une société à la rigueur que je mepermet d'utiliser le concept de Saadi-Mokrane « cultures enfantines »[2], ou deBaucomont « Le folklore enfantin »[3], pour en refondé un autre qui est la société enfantine instantanée et un voisinage mondial ébranlé.

Références :

- Albrow, M. (1997), The Global Age: State and Society Beyond Modernity, Cambridge, Polity Press.
- BaucomontJ., (1932). « Le folklore enfantin, rapport sur l'enquête-concoursdu Manuel Benthall, général », Manuel général de l'instruction primaire, t. XCIX, pp. 670-671.
- Bauman, Z. (1999), Le coût humain de la mondialisation, Paris, Hachette.
- BECK U., (1997), Was istGlobalisierung, Francfort, Suhrkamp.
- BECK, U., (1999), World Risk Society, Polity Press/Blackwell Publishers.

1-Nature middle est, https://jwp-nme.public.springernature.app/ar/nmiddleeast/, consulté online le 1juin 2020.

2-Saadi-Mokrane, dj.,(dir.), 2000. Sociétés et cultures enfantines. Actes du colloque organisé par le CERSATES et la SEF, Lille, Editions du CSU Lille 3.

3 -Baucomont ,J., 1932. « Le folklore enfantin, rapport sur l'enquête-concoursdu Manuel général », Manuel général de l'instruction primaire, t. XCIX, pp. 670-671.

❖ Castels, M., (1998), L'Ère de l'information. Vol. 1, La Société en réseaux, Paris, Fayard (réédition en 2001).

❖ Dollfus O., (1994), L'espace monde, Paris, Economica.

❖ Derrida, J. (1997), Cosmopolites de tous les pays encore un effort, Paris, GaIdée.

❖ Dubar, C., (2000), La crise des identités, Paris, PUF, coll. » Le lien social ».

❖ Friedman, J. (1994), Cultural Identily and Global Process, Newbury Park, Sage.

❖ Giddens, A. (1998), The Third Way, Cambridge, Polity Press.

❖ Granovetter, M., (1973), « The strength of weak ties », The American Journal of Sociology, 78, p. 1360-1380.

❖ Benthall, J. (2017). Humanitarianism as Ideology and Practice. The International Encyclopedia of Anthropology, 1–12. doi:10.1002/9781118924396.wbiea2089.

❖ KALDOR M., (2007), "L'idée de société civile internationale", Recherches sociologiques et anthropologiques, 38 (1), pp.89-108.

❖ LAHIRE, B., (1998), l'homme pluriel, les ressorts de l'action, paris, Nathan.

❖ PLAYERS, G., (2010), A Alter-Globalization. Becoming Actors in the Global Age, Cambridge, Polity Press.

❖ Ray, F, (2007), le voisinage, quelle importance ?, Revue internationale des sciences sociales 2007/1 (n° 191), pages 137 à 151.

❖ **S**aadi-Mokrane, dj., (2000), (dir.). Sociétés et cultures enfantines. Actes du colloque organisé par le CERSATES et la SEF, Lille, Editions du CSU Lille 3.

❖ SHAW, A.; SHAW, M. (1999). « Social empowerment through community networks », in D. Schon, B. Sanyal, W. Mitchell (dir.), High Technology and Low Income Communities: Prospects for the Positive Use of Information Technology, Cambridge MA, MIT Press.

- TOURAINE, A., (1996), “Identité et modernité.” In Mikhaël, ELBAZ, Andrée, Fortin et Guy, Laforest, (Dir.), « les frontières de l'identité. Modernité et postmodernité au Québec », Les Presses de l’Université Laval ;Paris :L'Harmattan, 384 pp. Québec :
- TOURAINE A., (1997), Pourrons-nous vivre ensemble ? Paris, Fayard.

Webographie :

- Coronavirus : la présidente de la Commission européenne présente ses excuses à l’Italie, (**https://www.lesoir.be/291793/article/2020-04-02**/), consulté online le 1juin 2020.
- Keystone-ATS,Keystone-ATS, l'agence de presse de la Suisse, Coronavirus - Colère italienne contre l'Union européenne, **(https://www.lfm.ch/actualite/international/coronavirus-colere-italienne-contre-lunion-europeenne/),** consulté online le 1juin 2020.
- LAFITTE, Priscille, La solidarité européenne à l'épreuve du coronavirus, (**https://www.france24.com/fr/20200331-les-ratages-de-l-union-europ**).Consulté online le 1juin 2020.
- Nature middle :(**https://jwp-nme.public.springernature.app/ar/nmiddleeast**). Consulté online le 1juin 2020.
- Tremblais,Jean-Louis, Coronavirus:(**https://www.lefigaro.fr/international/coronavirus-le-grand-mensonge-chinois-20200424).**Consulté le 10 juin 2020.
- **(https://www.valeursactuelles.com/clubvaleurs/monde/covid-19-la-longue-marche-des-mensonges-chinois-117664)**, consulté le 10 juin 2020.
- **(https://www.cnbc.com/2020/05/24/china-tells-us-to-stop-wasting-time-in-coronavirus-battle.html).**Consulté le 10 juin 2020.
- Reality Check of US Allegations Against China on COVID-19,**(http://www.xinhuanet.com/english/2020-05/10/c_139044103.htm**). Consulté online le 3 Juin 2020.

Risques et société.
Enjeux sociologiques

Mohammed Radi
Professeur en sociologie
Universite Chouaid Daukkali-El Jadida

Risque et sociologie

Le risque est une incertitude qui témoigne d'un danger potentiel susceptible de naitre d'un événement ou d'un concours de circonstances, mais il n'est qu'une éventualité, il peut ne pas se produire[1]. Assimilé aux aléas, le risque peut paraitre loin du domaine de la sociologie comme étude des faits sociaux. Or, l'identification, la connaissance, la mesure des risques, encore plus que les calculs qu'ils entraînent entrent bien dans la sphère sociologique[2].

La question sociale du risque est saisi par la sociologie dé que le risque s'est installé dans la conscience commune. Le risque nucléaire, perçu à travers l'information sur les effets des erreurs dans le fonctionnement des dispositifs de surveillance, la monter des risques technologiques prises en considération par des ingénieurs praticiens des sciences sociales – en France notamment-, l'envahissement du risque sanitaire et biologique avec le sida, la vache folle, le clonage.et le covid-19 aujourd'hui, sont des risques qui « balisent la construction

1 David Le Breton, Sociologie du risque, Presses Universitaires de France, « Que sais-je ? », 2017, p. 3.
2 Alain Bourdin, « La modernité du risque », Cahiers internationaux de sociologie, 2003/1 (n° 114), p. 5-26. P.6

de grandes peurs collectives : autour de la santé, des technologies folles, de la destruction de l'humanité. »[1]

C'est à partir des années 80 que la sociologie à commencer à penser le risque, « En raison notamment des accidents nucléaires, de l'apparition du Sida et de la prise de conscience de la dégradation de l'environnement »[2]. A travers le risque la sociologie va s'interroger sur des phénomènes sociaux contemporains, et analysé ce qui est « reconnu comme risque par les autorités politiques, les organisations sociales ou les individus et les conséquences qu'entraîne cette reconnaissance »[3].

Pour d'Ulrich Beck[4] la société du risque est issue d'une rupture dans la modernité « qui voit se substituer à la société industrielle une société du risque »[5] . Pour lui la société du risque, comme société anxiogène est nait de la crise de la société industrielle, dont le progrès technique est devenue le producteur du danger manifesté par le risque. Ce qui paradoxale et problématique aussi c'est que cette société qui vie dans la risque va chercher la protection dans la technique qui est la cause même du risque.

Risques et transformations sociales

Le cercle vicieux de la société du risque réside donc dans le fait que les solutions technologiques sont elles-mêmes sources de risque. Ce qui signifie que le risque s'autogénère et la technique produit l'incertitude, notamment quand on demande à la technique un surcroît de protection. Cette incertitude est devenue aujourd'hui

1 Alain Bourdin, Op Cit, p. 8

2 Le Bouter Flavien, « La sociologie constructiviste du risque de Niklas Luhmann », Communication et organisation, 45 | 2014, p. 33

3 David Le Breton, Op Cit, P.6

4 Ulrich Beck, La société du risque. Sur la voie d'une autre modernité, trad. de l'allemand par L. Bernardi. Paris, Aubier, 2001, 521 p.

5 Le Bouter Flavien, Op Cit, p. 33

universel puisque ces percussions vont dépasser les frontières de sa naissance. Or, « le danger qui abolit les frontières ne dépend pas de l'intensité de la contamination ni des divergences d'appréciation sur ces conséquences potentielles. C'est plutôt l'inverse qui se produit : chaque fois que l'on jauge l'ampleur d'un risque, on envisage qu'il soit universel »[1].

Malgré le grand succès de l'ouvrage d'Ulrich Beck renforcé par deux catastrophes majeures à savoir Tchernobyl et l'explosion de Challenger en 1986, qui ont affectées des domaines technologiques emblématiques[2], L'ambition de Beck de proposer une théorie universelle à rencontrer des limites, parce que « *la société du risque* parle des transformations sociales et politiques en Allemagne durant la décennie 1970. Or, la situation américaine est différente et l'ouvrage n'entre que faiblement en résonance avec les transformations qui ont touché ce pays »[3].

L'ouvrage de Beck analyse à travers la notion de risque seulement les transformations sociales et politiques spécifiques aux sociétés européennes. Celles qui ont affectées la société américaine notamment à partir de la décennie 1960 sont pas prisent en comptes. Les travaux américains vont traiter à travers le thème du risque la « montée en puissance de l'échelon fédéral ; extension du mouvement des droits civiques ; évolutions urbaines et territoriales ; conséquences de l'émergence d'une nouvelle classe moyenne. À leur lecture, on saisit les évolutions politiques et sociales en cours aux USA ; de la même manière que l'ouvrage de Beck »[4].

1 Ulrich Beck, la société du risque. Sur la voie d'une autre modernité (traduit de l'allemand par Laure Bernardi) éd Flammarion, 2008, P. 13-14.

2 Bourg, D., Kaufmann, A., & Joly, P.-B. Vingt-cinq ans après la société du risque. L'écologie en questions, 2013, P.2

3 Borraz, O. Pour une sociologie critique des risques in Dominique Bourg et al., Du risque à la menace. L'écologie en questions, 2013, P. 238

4 ibidem

L'analyse sociologique du risque va donc au-delà du risque lui-même, elle propose de saisir les dynamiques sociales qui sont derrière les catégories de risque. Néanmoins l'analyse que propose Beck privilégie les problèmes de nuisance et de catastrophes environnementales ce qui entraine vers des conceptions négativistes du risque[1]. Contrairement à cette conception plutôt négative du risque Jean-Gustave Padioleau propose un autre cadre de référence qui cherche à saisir la nature dualiste des avantages et des inconvénients des risques.

Padioleau parle des « risques de praxis susceptibles d'être positifs (efficacité des mesures, satisfaction de clientèles ou d'électorats, conformités à des principes) ou négatifs (cout budgétaires, tracas de mise en œuvre) »[2] . Les risques dans les sociétés post-modernes sont des opportunités pour un renouvèlement des dynamiques de démocratisation. Ils imposent des choix, des arbitrages des modes de décision, des mises en œuvre et des responsabilités relevant du politique. Selon Padioleau Le statut du risque est donc positif dans la société post-modérne, qui a intérêt à rénover ou découvrir des institutions démocratiques de procédures d'examen, de décision, de jugement des modalités et des conséquences de prises de risques[3].

La pandémie de covid-19 et inégalités sociales

La pandémie de covid-19 due à la propagation d'un coronavirus[4] que nous vivant à l'heure d'écrire ces lignes est un risque qui va dépasser les frontières des sociétés modernes. Cette pandémie, qui a touché une large partie du monde, va suscitée une grande disparité des points de vue. Il y'a ceux qui « considèrent l'événement

1 Jean-Gustave Padioleau, « La société du risque, une chance pour la démocratie », Le Débat, 2000/2 n° 109 , P. 42

2 Jean-Gustave Padioleau, Op Cit, p. 46

3 ibidem

4 Coronavirus du syndrome respiratoire aigu sévère 2 (en abrégé, SARS-CoV-2).

surestimé et les mesures adoptées, disproportionnées au regard des conséquences socio-économiques dramatiques qui risquent d'en résulter (Nicolas Berg) ; les autres estiment qu'il ne fait qu'accélérer des changements qui étaient en germe auparavant et qui peuvent augurer de développements heureux. Ainsi en est-il, par exemple, du télétravail, à l'origine peut-être d'un regain de productivité (Gilbert Cette), d'un nouveau rapport au temps et à l'espace, voire de nouveaux modes de vie et de consommation (Céline Laisney)»[1] .

Devant cette disparité, ce qui m'intéresse le plus c'est de saisir sociologiquement les inégalités à travers l'analyse des catégories des risques du covid-19. Il est opportun à mon sens d'appréhender ces inégalités - de logement, santé, travail et transport- qui exposes d'avantages les mal lotis à ces risques. Le confinement interpelle l'affluence des inégalités qui touchent « l'accès au logement et les conditions matérielles d'habitat (…) l'accroissement du nombre de personnes sans domicile ou vivant dans des logements non ordinaires – bidonvilles, squats ou campings – »[2] . C'est en période de confinement que l'espace habité est mis sous pression : la violence conjugale, la pénétration des contraintes scolaires en milieu privé, l'absence des moments de solitudes dont dépond l'équilibre de la vie du groupe domestique.

Le confinement pour les mal-logés rond difficile les aménagements qui reposent sur l'alternance entre sorties et entrées des membres du foyer, offrant des espaces-temps indispensables à l'équilibre de chacun et du groupe[3]. Dans un article dans *Liberation*[4] j'ai montré comment le processus de nivellement mondial des situations d'incertitude et de menaces provoquées par le coronavirus,

---

1Hugues de Jouvenel, COVID-19 : Une rupture ?, Futuribles, 2020/4 N° 437, p. 3

2 Camille Noûs, COVID-19, La guerre et les quartiers populaire, Sociétés contemporaines, 2019/4 N° 116, P.189

3 Camille Noûs, Op Cit, p. 195

4 Radi, M. (2020). Covid-19 et répartition sociale du risque. Réfexions sur quelques éléments d'analyse sociologique possible des inégalités sociales face aux risques. Liberation, Horizon.

ne doit pas nous cacher l'existence d'une inégalité sociale même au sein de l'exposition au risque dû à la pandémie. Ces inégalités apparaissent essentiellement là où se recoupent la situation de risque due au "Covid-19", et la situation de précarité socioéconomique de la population défavorisée.

Le confinement que nous vivons est une opportunité exemplaire pour mesurer sociologiquement les inégalités sociales devant le risque. Pour cette catégorie sociale, à bas revenu, le risque extrême et la précarité extrême s'attirent systématiquement comme des aimants. Ce qui donne à l'étude sociologique des inégalités sociales devant le risque produit par la pandémie, une large légitimité épistémologique, non seulement en sociologie de la santé, mais aussi dans plusieurs domaines sociologiques tels que la sociologie des risques, la sociologie de la précarité, la sociologie politique, etc.

Il est important de signaler que l'Etat marocain a mis en place un programme de solidarité national pour le soutien des populations défavorisées impactées par la crise, afin de freiner, partiellement, les processus de précarisation dues à la perte de travail ou à la baisse du revenu. Mais l'importance majeure de cette stratégie de régulation de la crise, largement appréciée par l'opinion nationale et internationale, ne doit pas nous cacher les entraves que les mesures d'aides économiques et sociales ont connues, notamment sur le plan d'assignement des critères de sélection des populations qui n'ont aucune couverture sociale ; en plus des difficultés liées à la digitalisation des démarches d'aides, surtout pour les catégories qui sont majoritairement anéanties par l'analphabétisme numérique.

Entre la menace visible de consumer de plus en plus dans une précarisation aggravée par le confinement et la menace invisible d'une atteinte par le coronavirus, c'est l'évidence de lutte contre cette précarisation qui emporte plusieurs personnes des catégories sociales les plus démunies. L'inégalité devant le risque de précarisation,

provoquée par le Covid-19, nécessite une étude sociologique méticuleuse de la répartition sociale des risques au Maroc, d'un côté, et des capacités de régulation politique des situations de paupérisme produites par les pandémies ou par d'autres formes de crises. Il faut signaler que les consignes de sécurité sont prises au sérieux par la majorité des Marocains, et cela montre l'efficacité de la stratégie de l'Etat à faire face au danger de la propagation de la pandémie d'un côté, et la capacité de notre société à résister à la crise et au changement inopiné, d'un autre côté.

Mais, cela ne doit pas dissimuler qu'une partie de la population vivant dans des quartiers difficiles, dévastés par la précarité, a un seuil de tolérance plus élevé aux comportements et pratiques opposés aux règles du confinement. On le voit très nettement, même à l'échelle internationale : misère matérielle et aveuglement face au risque sont en partie liés. L'aveuglement de la population de ces quartiers face au risque est la résultante non seulement d'une différence d'ordre culturel mais aussi et essentiellement d'ordre économique et sociale.

Références bibliographiques

1. Borraz, O. « Pour une sociologie critique des risques » in Dominique Bourg et al., Du risque à la menace. *L'écologie en questions*, 2013, p. 237 à 256.
2. Bourdin Alain, « La modernité du risque », Cahiers internationaux de sociologie, 2003/1 (n° 114), p. 5-26.
3. Bourg, D., Kaufmann, A., & Joly, P.-B. Vingt-cinq ans après la société du risque. *L'écologie en questions*, 2013, p. 1 à 16.
4. Camille Noûs, « Covid-19, la guerre et les quartiers populaires », *Sociétés contemporaines*, 2019/4 N° 116 | pages 187 à 201.
5. Flavien Le Bouter, « La sociologie constructiviste du risque de Niklas Luhmann », *Communication et organisation*, 45 | 2014
6. Hugues de Jouvenel, « Covid-19 : une rupture ? », *Futuribles*, 2020/4 N° 437 | pages 3 à 4

7. Jean-Gustave Padioleau, « la société du risque, une chance pour la démocratie », *Le Débat*, 2000/2 n° 109 | pages 39 à 54.
8. Le Breton David, « Introduction », dans : David Le Breton éd., *Sociologie du risque*. Paris cedex 14, Presses Universitaires de France, « Que sais-je ? », 2017, p. 3-10.
9. Radi, M. (2020). Covid-19 et répartition sociale du risque. Réflexions sur quelques éléments d'analyse sociologique possible des inégalités sociales face aux risques. *Liberation*, Horizon.
10. Ulrich Beck, *La société du risque. Sur la voie d'une autre modernité*, trad. de l'allemand par L. Bernardi. Paris, Aubier, 2001, 521 p.
11. Ulrich Beck, *la société du risque. Sur la voie d'une autre modernité* (traduit de l'allemand par Laure Bernardi) éd Flammarion, 2008, P. 13-14.

المهاجرون الوافدون من بلدان الجنوب واستراتيجيات تدبر موارد العيش خلال فترة الحجر الصحي نموذج المهاجرين في إشارات المرور بالمحمدية

السعدية قجي

باحثة في علم الاجتماع
جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء

مقدمة

عرف المغرب منذ بداية الألفية موجات غير مسبوقة من المهاجرين الوافدين من دول جنوب الصحراء العابرين باتجاه أوروبا، ورافقتها مواكبة إعلامية محلية ودولية حاولت تسليط الضوء على أشكال تنقلهم وعبورهم الدولي. فإيقاف الاتحاد الأوروبي للهجرة النظامية نحو أراضيه بسبب الأزمة جعل المهاجرين يبحثون عن طرق بديلة لاختراق الحدود والبحث عن آفاق جديدة للعيش، حدود أصبحت تعرف إجراءات صارمة للمراقبة من الداخل والخارج الأمر الذي أدى إلى علوقهم (Ancrage) بعدد من دول شمال إفريقيا التي ستتحول شيئا فشيئا إلى محطة للانتظار[1].

حركة البحث العلمي وإنتاج المعرفة تفطنت بدورها بشكل مبكر، على ضوء الاهتمامين الإعلامي والسياسي، إلى الظاهرة وعملت على مقاربتها من زوايا متعددة بتعدد التخصصات العلمية والأكاديمية (القانون، السوسيولوجيا، الاقتصاد، الجغرافيا، ...).

1 - Abdelkrim BELGUENDOUZ, « Le Maroc, une vaste zone d’attente ? », Plein Droit, 2003, n° 57, p. 35-40.

مجموعة من الدراسات والأبحاث الاجتماعية عملت على بحث موضوعات من قبيل: دوافع الهجرة، مسارات السفر، أشكال التعاون والتضامن، العلاقة مع المحليين، أنماط تدبر موارد العيش، ...

في المغرب، ومع طول مدة الانتظار، يعمل المهاجرون على محاولة إيجاد سبل للكسب ولجمع المال الضروري لمواصلة الطريق نحو أوربا، فبالرغم من أن الأبحاث الأخيرة تشير إلى اتجاه نسبة معينة منهم نحو الاستقرار بالمغرب [1] إلا أن الحلم بالعبور إلى أوروبا لا يزال واردا عند الغالبية العظمى منهم. أغلبهم يشتغلون بمهن صغرى ترتبط بالقطاع الغير المهيكل من قبيل البيع بالتجوال، التجارة الصغرى، البناء، البستنة، الاشتغال بالبيوت، ... كما أن هناك فئة منهم تعمل على كسب قوتها من خلال التسول بالشارع خاصة في إشارات المرور. فسلسلة الهجرة تكونت منذ بدايتها عن طريق المغامرة، والمحاولة والخطأ، والتعايش مع حالات الهشاشة الاقتصادية والاجتماعية، إنها هجرات فردية بمواقف متمردة على الواقع وعدوانية أحيانا، بدون سند عائلي، يصبح المهاجر فيها مثل اليتيم على طريق مجهولة في بعدها المكاني والزماني، يحاول وبحزن وبمشقة تكوين رصيده الضعيف من الموارد التي يستعين بها على المواصلة [2].

ويهدف هذا العمل البحثي الراهن إلى دراسة أوضاع هذه الفئة من المهاجرين الأفارقة المتسولين في إشارات المرور، وذلك خلال فترة الحجر الصحي الذي فرضته السلطات المغربية اتقاء لانتشار وتمدد الإصابات بداء كوفيد 19 (كورونا) والتي دامت زهاء ثلاثة أشهر متصلة.

صحيح جدا أن المهاجرين عموما وعلى اختلاف أوضاعهم اضطروا إبان هذه الفترة إلى التوقف عن مزاولة أنشطتهم الاقتصادية المدرة للدخل وأحيلوا شأنهم في ذلك شأن الساكنة المحلية على المكوث في البيوت وهو الأمر الذي من المحتمل جدا أن يضعهم في مواجهة مع قله ذات اليد، إلا أن الفئة المعتمدة على عملية التسول تظل الأكثر هشاشة خاصة وأن عددا منهم التحقوا حديثا بالمغرب. فالتسول في وضعية الهجرة كثيرا ما يندرج

---

1 - Institue For Public Research, Le mythe de transit : La migration subsaharienne au Maroc [en ligne], 2013, 81 p. (Consulté le15/6/2020).

2 - Timera MAHAMET, « Aventuriers ou orphelins de la migration internationale ? », Politique Africaine, octobre 2009, n° 115, p. 175-195.

في بداية قائمة الأنشطة التي يستهل بها المهاجرون نشاطهم عند حلولهم بالبلدان التي يعبرونها.

وينطلق هذا البحث من التساؤل المحوري التالي :

كيف تدبر المهاجرون الوافدون من دول الجنوب والمعتمدون على التسول كمصدر للعيش حياتهم خلال فترة الحجر الصحي بمدينة المحمدية ؟

وعن هذا التساؤل المركزي ينبثق السؤالان الفرعيان الآتيان :

ما هي أهم الصعوبات والإكراهات التي واجهتهم خلال هذه الفترة ؟

ما هي طبيعة الاستراتيجيات التي اعتمدوها لتجاوز الأزمة ؟

وقد تم الاعتماد على أدوات البحث الكيفية في عملية جمع المعطيات الميدانية، تمثلت في تقنيات المقابلة الموجهة، الملاحظة، والمجموعة البؤرية. وتم اختيار عينة من المهاجرين تضم 12 فردا: ثمانية رجال وأربعة نساء. مهاجرتان تتنقلان برفقة أطفالهما. وتم التواصل مع المفردات في إشارات المرور المنظمة لحركة السير، وفي ذلك تم اختيار ثلاث نقاط تقع في كل من شارع "المقاومة" وشارع "محمد السادس" بمدينة المحمدية.

وتشير الدراسة الكمية التي قامت بها الجمعية المغربية للدراسات والأبحاث حول الهجرة سنة 2008، والتي همت 2000 مهاجر في وضعية غير نظامية موزعين على خمس مدن مغربية : الرباط، البيضاء، وجدة، طنجة، والعيون إلى أن 59 ٪ من المفردات لا يتوفرون على أي مصدر للدخل ويتعذر عليهم الحصول على عمل قار. فيما عبرت نسبة 19 ٪ من المجموع عن مزاولتهم للتسول [1]. غير أن الدراسة الكمية التي أنجزتها الجامعة الدولية للرباط سنة 2016 والتي شملت 1453 مهاجرا في مدن : الدار البيضاء، المحمدية، الرباط، سلا، وطنجة أشارت إلى تراجع في نسبة المهاجرين الذين يلجئون إلى التسول بحيث لم يتجاوزوا نسبة 4 ٪ من المجموع الكلي لعينة الدراسة. تراجع يوازيه ارتفاع في مستوى التعليم الذي وصل عند 49 ٪ منهم إلى المستوى العالي وعند 37 ٪ منهم إلى المستوى الثانوي [2].

1 - L'Association Marocaine des Etudes et de Recherches en Migrations, L'immigration subsaharienne au Maroc[en ligne], 2008, 125 p. (Consulté le15/6/2020).

2 - Fouzi MOURJI, FERRIE., RADI., ALIOUA., Les migrants subsahariens au Maroc : Enjeux d'une migration de résidence [en ligne], 2016, 180 p, publié par Konrad Adenauer Stiftung.

ويتضح مما سبق أن نسبة المهاجرين المعتمدين على عملية التسول ضئيلة قياسا إلى عددهم الإجمالي، وذلك على الرغم من المنظورية (La visibilité) التي تبدو عليها الظاهرة أحيانا.

وقد اهتمت الباحثة الفرنسية « P.Anaik» بكيفية استعمال المهاجرين الصحراويين المتسولين للسجل الديني بهدف استدرار عطف ومساعدة الآخرين، و كيف أنهم يقومون بتطويع إيماءات الجسد بما يضمن الحصول على التصديق والتعاطف. فالمهاجرون الصحراويون بالمغرب ليسوا جميعهم مسلمين، لكن المسلمين منهم يحضون بتعاطف المغاربة، والصدقة في الدين الإسلامي تجوز في المقربين أولى من غيرهم، لذلك يجتهد بعض المهاجرين على اختلاف انتماءاتهم الدينية في التلاعب بهذا المعطى وهذا المورد الرمزي الديني عبر توظيف مجموعة من الإشارات مثل رفع الأصبع إلى السماء، تلاوة آيات من القرآن، اللباس، واستعمال فضاءات وأماكن بجوار المساجد. عرض وامتهان للجسد يؤكدون على أنه يشكل بالنسبة إليهم مصدرا للإحساس بالخجل وبالدونية الاجتماعية مما يدفعهم عند مزاولته إلى الابتعاد كثيرا عن الأحياء التي يسكنون بها [1].

كما أبان بحث ميداني اهتم بالحركة المجالية والتجربة الاجتماعية لمهاجري دول الجنوب بمدينة مكناس أن من بين الفضاءات التي يتمركزون بها في المدينة نجد إشارات المرور المتواجدة عند نقاط تقاطع الشوارع الكبرى. إنهم أشخاص ليسوا متسولين في بلدانهم ولكن ظروف الرحلة الطويلة والشاقة ونفاذ رصيدهم من المال أجبرهم على طلب يد العون من المارة، لذلك عليهم تكييف لباسهم وحركاتهم وكلامهم مع الموقف الجديد. وتجنبا للصدام الذي ينشب بينهم أحيانا فإنهم يعمدون إلى اقتسام المجال والعمل بشكل متباعد ما أمكن. أغلبهم من دولة الكاميرون، لكن يذهب البعض منهم إلى تقديم نفسه كمواطن سنغالي مسلم لكسب مزيد من تعاطف وكرم المغاربة ذلك لأنهم يعرفون حجم المشترك التاريخي والديني للمغاربة مع السنغاليين. إن التسول مدر للمال الضروري

(Consulté le 01/6/2020).

1 - Pian ANAIK, « Le corps-mendiant des migrant-e-s subsaharien-ne-s au Maroc », Corps, 2012, n° 10, p. 163-171.

للعيش ولمواصلة الرحلة غير أنه يشعرهم بالوصم، شعور ينضاف إلى ما يحسون به بسبب الاختلاف في لون البشرة [1].

المسارات الهجروية

ينتمي ثلثا عينة البحث إلى دولة الكاميرون، فيما تتوزع البقية على دول ساحل العاج، مالي، والسنغال. إنهم من فئة الشباب تتركز أعمارهم ما بين 21 و38 سنة، بلغوا في تعليمهم المستوى الإعدادي أو المستوى الثانوي. تتواجد عشرة منهم في وضعية إقامة غير نظامية بالمغرب، ويعيشون هنا مع شركاء لهم بدون وثائق رسمية تثبت الارتباط. لديهم أطفال بالبلد الأصلي أو بالمغرب أو فيهما معا. وتختلف مدة إقامتهم من ستة أشهر إلى خمس سنوات. لقد دخلوا إلى المغرب عبر الحدود مع الجزائر (باستثناء سيده إيفوارية جاءت بالطائرة) بعدما قطعوا مجموعة من البلدان الأخرى كالنيجر ونيجيريا.

البعض منهم قضى مدة طويلة في السفر وكان يتوقف في دول العبور قصد العمل وجمع المال لمواصلة المسير، كما أن منهم من قضى مدة أقل وهي المدة الضرورية لامتلاء وسائل النقل بالعدد الكافي من الركاب بين كل محطة ومحطة أخرى تليها. يؤكد جميع المستجوبون على صعوبات السفر ومخاطره الكثيرة والتي لم يكونوا على علم مسبق بها، فالطريق كانت شاقة وطويلة تخللتها فترات من الجوع ومن العطش والمرض وصلت إلى درجة فقدان البعض منهم ودفنهم على الطريق ثم مواصلة السير. البعض تعرض للسرقة وللنصب، أو للاعتداء البدني والذي كانت النساء من أكبر ضحاياه. مغامرة قد تتجاوز فيها بشكل كبير قيمة ما استثمروه حصيلة ما يمكنهم أن يجنونه في حال نجاح مشروعهم الهجروي نحو أوروبا [2].

التسول اختيار أم اضطرار

يمارس المستجوبون عملية التسول في إشارات المرور، يقفون على حافة الرصيف نساء ورجالا مصطحبين في بعض الأحيان لأطفالهم ولبعض الكراسي البلاستيكية الصغيرة التي يستعملونها للجلوس والاستراحة. خلال العمل ينتظرون سطوع الضوء

1 - Jaouad AGUDAL, « Les migrants subsahariens dans la ville de Meknès », in : L'immigration au Maroc, les défis de l'intégration [en ligne], 2017, p. 73-79. (Consulté le 01/6/2020).

2 - Claire ESCOFFIER, « La traversée du Sahara : une expérience initiatique ? » in : Les relations transsahariennes à l'époque contemporaine, Collections : Hommes et sociétés, Paris : Editions Karthala, 2003, p. 141-148.

الأحمر وتوقف وسائل النقل ثم يتجهون عند السائقين غالبا متحدثين إليهم ببعض الجمل المقتضبة من قبيل "صدقة" أو"عونا"، وفي المرات التي يكون فيها زجاج السيارات مغلقا يستعملون بعض الإيماءات الجسدية التي تشير إلى حاجتهم للأكل أو يلوحون فقط بالأيدي. لا يلحون كثيرا في الطلب وينصرفون إلى السائق الموالي بمجرد أن يحصلوا على رد سلبي من السائق الأول. عند حصولهم على المساعدة لا ينسوا تقديم الشكر والدعاء. وبخصوص معايير اختيارهم لإشارات المرور التي يقفون فيها أخبروا بأنهم يختارون الإشارات التي يأخذ فيها الضوء الأحمر مدة أطول وذلك حتى يتمكنوا من تسول عدد أكبر من الناس، بالإضافة إلى وجود الصبيب العالي من السيارات لأن الأمر يوفر أيضا فرصة أفضل، هذا مع ضرورة اختيار الأماكن التي لا يتعرضون فيها للمطاردة من دوريات الشرطة أو على الأقل أن تتوفر على أزقة قريبة يمكن الفرار منها في حالة ما إذا حدث ذلك.

وأبانت نتائج المقابلات أن 9 أفراد من أصل 12 منهم سبق لهم مزاولة عمل أو نشاط اقتصادي في السابق فيما البقية لم يسبق لها ذلك، والسبب راجع بالنسبة للفئة الأخيرة إلى كونهم لم يمض على قدومهم إلى المغرب سوى بضعة أشهر. وحول طبيعة الأنشطة المزاولة هناك: العمل في معمل لتحضير الطماطم، البناء، محلات إصلاح أجهزة التبريد، الحلاقة، والبيوت المغربية. وعبروا على أن هذه الأنشطة تميزت بالتعب الكبير وبساعات العمل الممتدة، ولكن بمقابل أجور زهيدة لا تكفي لتغطية مصاريف عيشهم. وأشارت النساء الأربعة في عينة البحث إلى اشتغالهن في البيوت، وإلى قسوة المشغلين وطول ساعات العمل بالإضافة إلى تعرضهن للازدراء بسبب لون البشرة. ثلاثة منهن أصبحن أمهات حديثا في إطار علاقات غير رسمية مما زاد من صعوبة وضعيتهن. هذا كما أن عدم توفر المهاجرين على وثائق الإقامة قلل كثيرا من فرص اشتغالهم في قطاعات أخرى تحترم الشروط القانونية للشغل.

(32 سنة) مهاجر من دولة الكاميرون :

« لا أتوفر على الوثائق، كما أن العمل الذي يمكن أن أقوم به لن أحصل فيه على أكثر من 1500 درهم في الشهر الشيء الذي لن يكفيني ولو لدفع إيجار السكن، والناس هنا ينظرون إلينا وكأننا بقايا بشر »

كما تقول جيزيكا (30 سنة) مهاجرة من الكاميرون :

« عملت في أحد البيوت لمدة خمسة أشهر، كانوا يعاملونني بقسوة ويحتقرونني لأني مهاجرة وذات لون بشرة أسود، أصبت بالتعب الشديد ومرضت من فرط استعمال محاليل التنظيف القوية، كل المال الذي حصلت عليه اشتريت به الأدوية. استيقظ في السابعة صباحا ولا أرتاح حتى منتصف الليل، كل ذلك مقابل 2000 درهم شهريا »

إن لجوءهم إلى القيام بعملية التسول كان اضطرارا وتصريفا منطقيا للظروف الصعبة التي يتواجدون عليها. إنهم في بحثهم عن الحياة الكريمة من خلال مشروع الهجرة يجازفون بفقدان ما تبقى منها على محك الأوضاع الشاقة التي يتعرضون لها وعلى حساب الإحساس بالقيمة وبالشرف، فالتقدم نحو أوروبا صعب والعودة تتطلب منهم توقعات وانتظارات يجب تحقيقها والمكوث في المغرب يتم وفق استغلال اقتصادي لا مفر منه [1].

وقد عبرت جميع مفردات البحث عن تمسكها بفكرة العبور نحو أوروبا، ولأجل تحقيق ذلك يقومون بعملية ادخار قدر يومي من المال الذي يحصلون عليه، بالإضافة إلى دفعهم لمستحقات التغذية، السكن، الفواتير، الهاتف، بعض الحوالات البسيطة للأهالي أحيانا، ومصاريف جانبية عند البعض منهم مثل التدخين، الأدوية، حليب الرضع، ...

فترة الحجر الصحي وصعوبات تدبر وسائل العيش

مع تسجيل المغرب لحالات إصابة بفيروس كوفيد 19 السريع العدوى قامت الدولة في العشرين من مارس الماضي بإعلان حالة الطوارئ الصحية وفرضت حجرا صحيا على جميع الساكنة للحيلولة دون تفشي الوباء. إجراء حثت من خلاله على ضرورة التزام الجميع بالمنازل باستثناء بعض الحالات الضرورية المحددة. الأحياء وشوارع المدينة تبدو فارغة، والحركة مقيدة، والسكون يعم الأمكنة، والمهاجرون عليهم التأقلم مع إكراهات وصعوبات الوضع الجديد.

لقد أبان البحث الميداني عن وجود عدد من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والنفسية التي عانى منها المهاجرون. في المقدمة هناك مشكل نقص الموارد المالية، إذ

1 - Pian ANAIK, « La migration empêchée et la survie économique : services et échanges sexuels des sénégalaises au Maroc », Cahiers du Genre, 2010, n° 49, p. 183-202.

أن الكل متوقف عن الخروج وعن الكسب لكن الاحتياجات المعيشية اليومية ظلت سارية ولم تتوقف. فأمور من قبيل التغذية، الأدوية، والسكن يجب تدبرها في جميع الأحوال. ومن أبرز الإكراهات التي جاءت في صدارة كلام ومقولات المستجوبين مسألة عدم القدرة على دفع سومة الكراء، هذا العجز تولد عنه مشكل اجتماعي تمثل في نشوب الشجار بينهم وبين ملاك المنازل وصل في بعض الحالات إلى درجة التهجم على بيوت المهاجرين ورمي أغراضهم.

تقول ليليان (30 سنة) مهاجرة من مالي :

« المشكل الأهم هو الكراء، لقد أرغمنا مالك البيت الذي نقطنه على دفع الإيجار كاملا وفي الوقت المعتاد، ودخلنا في صراع معه لأنه أمرنا بعدها بالإفراغ وهجم علينا حاملا سكينا في يده يطالبنا بالخروج إلى الشارع، وتدخل الجيران للفصل فيما بيننا. كنا فقط نريد منه أن يؤجل لنا الأقساط »

بعض المهاجرين الرجال لم يستطيعوا الصمود والاستسلام طويلا لما تمليه حالة الحجر، وبعد مدة توجهوا إلى جوار المحلات التجارية المتخصصة في بيع الأغذية والتي بقيت تشتغل في هذه فترة في محاولة منهم للحصول على المال أو على بعض الطعام، غير أن دورية الشرطة كانت تقوم باعتقالهم.

يخبر محمد (20 سنة) مهاجر سنغالي :

« لم أخرج في البداية لمدة أسبوعين، بعدها خرجت فقامت الشرطة باصطيادي واعتقالي، وبعد 48 ساعة تم إطلاق سراحي، رغم ذلك عدت إلى التسول مرة أخرى ولكن عيني دائما على دورية الأمن ومتأهب للفرار باستمرار »

لقد أدى مجموع هذه الإشكالات إلى إصابة المهاجرين بحالة من التوجس ومن القلق، فمصادر الدخل متوقفة والمصاريف اليومية يجب تدبرها بأي طريقة كانت، ولا أحد يدري في أي اتجاه ستسير الأمور في البلاد في الأيام القادمة وهل ستتم السيطرة على رقعة الوباء، أما التمديدات التي كانت تعرفها فترة الحجر الصحي فقد كان لها وقع سيء عليهم.

مشكل آخر عبر عنه بعض المستجوبين في المجموعات البؤرية تمثل في صعوبة حصولهم على المعلومة، إذ لا وجود لمن يخبرهم حول مساعدة جمعوية ما، أو قرار رسمي معين، أو يرشدهم إلى سبيل لمساعدة أنفسهم باعتبارهم أجانب، حتى التلفاز لا يتوفرون عليه كل ما لديهم هو الهاتف الذي يتواصلون به مع أهاليهم ومع بعضهم البعض، لكن رغم ذلك يعترفون بأن البعض منهم كان يتوانى في تعميم المعلومات الخاصة بالمساعدات ويجعلها مقتصرة على أصدقائه وأبناء بلده.

لقد شكلت فترة الحجر الصحي التي فرضها تبني واعتماد الأسلوب الوقائي من وباء كوفيد 19 مرحلة صعبة في حياة المهاجرين الأفارقة الذين يعانون من الهشاشة الاقتصادية سلفا، الأمر الذي فاقم أوضاعهم وزاد من قلقهم واضطرابهم وعدم استقرارهم، إنهم مدعوون ككل مرة إلى تجاوز الحالات الصعبة والغير المتوقعة والبحث عن طرق فردية وأخرى جماعية لتجاوزها.

استراتيجيات المواجهة

لقد سعى المهاجرون موضوع هذا البحث إلى التعاطي مع الإكراهات الجديدة التي انضافت إلى معيشهم بسبب فترة الحجر الصحي والتوقف عن الخروج وعن استعمال المجال العام، وكان التساؤل الأبرز لديهم يتمحور حول كيفية تدبر مصادر العيش وحول المدى الزمني الذي سوف تستغرقه الأزمة قبل أن تعود الأمور من جديد إلى سابق حالها.

ويقر المهاجرون من الرجال بأنهم وجدوا صعوبة بالغة في الالتزام بالبيوت وبأنهم كانوا يخرجون للبحث عن سبل للرزق بمعدل مرتين في الأسبوع تقريبا ، لكنهم لا يمكثون في إشارات المرور لأن حركة السير جد ضعيفة كما أن دوريات الشرطة تعرف حركة نشيطة في شوارع المدينة لفرض حالة الطوارئ. البعض منهم اهتدى إلى الوقوف في طابور الانتظار أمام متاجر بيع المواد الغذائية وكأنه ينتظر دوره للدخول إلى المتجر، بعض المغاربة يتفهمون الأمر ويقومون بتقديم المساعدة عند طلبها. البعض الآخر يقومون بالمشي على الأرصفة وحالما يصادفون شخصا قادما باتجاههم يستعطفونه بطلب المعونة. مهاجرون آخرون حملوا المكنسة وتركوا الشوارع وتوغلوا في الأحياء والأزقة، يقومون بالكنس دون طرق الأبواب لطلب المساعدة بل ينتظرون بعض الفرص التي يلقي فيها الناس ببعض القطع النقدية من النافذة. كل هذه الاستراتيجيات كانت

خاصة بالرجال فيما النساء لم يستطعن مواصلة الاشتغال مما جعلهن أكثر معاناة وتأثرا بالأزمة.

وأشار جميع المستجوبون إلى لجوئهم إلى صرف جزء من المدخرات كحل للتعاطي مع مشكلة الكراء. ويشكل الادخار لدى المهاجرين منطلقا وهدفا لمجموع أنشطتهم، فهم يعتبرون بأن العمل الذي لا يمكن ادخار جزء من عائداته هو عمل لا يجب تضييع الوقت والجهد في القيام به. إن هدفهم هو جمع المال الضروري لمواصلة مشروع هجرتهم المقررة نحو أوروبا، وبالتالي فإن اللجوء إلى هذه المدخرات وصرف نصيب منها عوض مراكمتها هو أمر قاموا به بتقشف وبحرص شديد.

وساهمت بعض الجمعيات المحلية وأخرى وطنية في دعم المهاجرين الصحراويين بمدينة المحمدية وفي التخفيف من حدة الأزمة التي عانوا منها من خلال توزيع مجموعة من الإعانات المحصلة. "فيدرالية المهاجرين الصحراويين بالمحمدية" [1] هي نموذج لإطار جمعوي محلي تأسس حديثا، يضم مجموعة من الإثنيات ويهدف إلى تقديم يد العون إلى المهاجرين الذين يتواجدون في ظروف صعبة. وفي ظروف الحجر الصحي بادرت الفيدرالية إلى طلب المساعدة من عدة جهات، وسعت إلى تحديد المهاجرين الأكثر فاقة وخصاصا ومدهم بالإعانات. وفي مقابلة مع "جاد ماريوس" وهو مهاجر إيفواري يشغل منصب رئيس الفيدرالية أكد أن عددا لا بأس به من المهاجرين استفادوا من الدعم الذي اتخذ شكل تقديم سلات من الأطعمة، والكمامات، ومواد التنظيف، بالإضافة إلى مبالغ مالية بقيمة 500 درهم خصصت لبعض العائلات ذوات الأطفال. إعانات حصلت عليها الجمعية من الهلال الأحمر المغربي ومن فاعلين اقتصاديين محليين غير أنها - يقول ماريوس - تبقى محدودة قياسا إلى عدد المهاجرين المتضررين وإلى مدة الحجر الصحي التي ما فتئت تتمدد. كما أنه وتفاديا للاستفادة المتكررة للمهاجر نفسه اشترطت الجمعية على المستفيدين تقديم وثائق تثبت هويتهم، هذا الأمر حرم مجموعة من المهاجرين الذين فقدوا جميع وثائقهم على الطريق.

تخبر بيرتين (38 سنة) مهاجرة من الكاميرون وأم لتوأم :

« إحدى الجمعيات اشترطت لأجل الاستفادة أن نقوم بدفع واجب الانخراط السنوي، هذا غير ممكن في هذه الظروف

1 : أنظر الرابط التالي - https://www.facebook.com/Fa2samo

الحالية، توصلت بمساعدات من جمعيات أخرى لكنها غير كافية ... لا لم نشعر بالجوع والمغاربة كانوا كرماء خلال شهر رمضان (الزكاة) وقد ساعدنا ذلك كثيرا »

خلاصة

شكلت فترة الحجر الصحي مرحلة صعبة بالنسبة للمهاجرين الوافدين من دول الجنوب المتواجدين بمدينة المحمدية والمعتمدين على التسول كمورد للعيش، صعوبات زادت من حدة وضعية الهشاشة الاقتصادية التي يعانون منها الشيء الذي دفعهم إلى تعبئة كل إمكانية متاحة لديهم (كسر الحجر الصحي، صرف جزء من المدخرات، الاستفادة من بعض المساعدات الجمعوية، ...) ومحاولة تطوير طرق وأساليب خاصة للخروج من المأزق.

ومن الملفت للانتباه أنه لم ترد منهم في جميع المقابلات أدنى إشارة إلى الخوف أو الاحتياط من الوباء المنتشر في المغرب وفي دول أخرى من العالم، فيما انصبت أغلب ملاحظاتهم في اتجاه التأكيد على قسوة الظروف التي يعيشونها وهو ما يمكن أن نستشف منه أن وباء الفقر والإقصاء الذي يرافقهم منذ انطلاق هجرتهم العابرة للأوطان كان أشد درجة وأكثر فتكا.

قائمة المراجع البيبليوغرافية

المقالات باللغة الفرنسية

- ANAIK Pian, « La migration empêchée et la survie économique : services et échanges sexuels des sénégalaises au Maroc », **Cahiers du Genre**, **2010**, n◈ **49**, p. **183-202**.

- ANAIK Pian, « Le corps-mendiant des migrant-e-s subsaharien-ne-s au Maroc », **Corps**, **2012**, n◈ **10**, p. **163-171**.

- BELGUENDOUZ Abdelkrim, « Le Maroc, une vaste zone d'attente ? », **Plein Droit**, **2003**, n◈ **57**, p. **35-40**.

- ESCOFFIER Claire, « La traversée du Sahara : une expérience initiatique ? » in : **Les relations transsahariennes à l'époque contemporaine**, Collections : Hommes et sociétés, Paris : Editions Karthala, **2003**, p. **141-148**.

- MAHAMET Timera, « Aventuriers ou orphelins de la migration internationale ? », **Politique Africaine**, octobre **2009**, n° **115**, p. **175-195**.

الوثائق الالكترونية باللغة الفرنسية

- AGUDAL Jaouad, « Les migrants subsahariens dans la ville de Meknès », in : **L'immigration au Maroc, les défis de l'intégration** [en ligne], 2017, p. 73-79. (Consulté le 15/6/2020).

- L'Association Marocaine des Etudes et de Recherches en Migrations, **L'immigration subsaharienne au Maroc** [en ligne], 2008, 125 p. (Consulté le 15/6/2020).

- Institue For Public Research, **Le mythe de transit : La migration subsaharienne au Maroc** [en ligne], 2013, 81 p. (Consulté le15/6/2020).

- MOURJI Fouzi, FERRIE., RADI., ALIOUA., **Les migrants subsahariens au Maroc : Enjeux d'une migration de résidence** [en ligne], 2016, 180 p, publié par Konrad Adenauer Stiftung.

(Consulté le 15/6/2020).

نكت مغربية في ظل مرض كورونا
مقاربة تحليلية

منير برقادي

باحث في علم الاجتماع

جامعة محمد الخامس-الرباط

إن الحاجة تبدو ماسة لفهم ومعرفة ما ينتشر من ممارسات اجتماعية معلنة إبان المرحلة الراهنة، أي في ظل انتشار وباء كورونا، وما تمخض عنه من ردود فعل وأفكار ومعاني يعبر بها الأفراد عن علاقاتهم مع هذا المرض المستفحل ويبنون عنه تمثلاتهم وتصوراتهم الخاصة، إذ إن الإحساس بالمعاناة والضغط المعنوي والجسدي يشعلان لدى الإنسان رغبة في الكتابة، وفك القيود التي تكبل طاقته عن طريق اللغة، أي التعبير عما يحوم في أعماق الذات من أحاسيس وتطلعات وانتظارات، والقيام بأنشطة ترفيهية متنوعة في مقدمتها نسج بعض النكت تفاعلا مع الجائحة للتخفيف من وطأة الضغط وقهر الظروف المستعصية التي تقهر الشعوب والمجتمعات في مختلف بقاع العالم.

تصبح النكتة تعبير فكاهي عن ظرفية اجتماعية قاهرة، وفي نفس الوقت تصير النكتة وسيط لتمرير خطاب نقدي وتساؤلي حول ظاهرة أو حدث ما داخل المجتمع، أو توجيه ملاحظات ورسائل غير مباشرة جريئة موجهة للمؤسسات السياسية التي تمتلك السلطة، أو توجيه انتقادات على شكل نكت وطرائف فكاهية لأشكال السياسات الصحية السائدة في البلد في ظل الجائحة، إذ نجد أنفسنا أمام تعدد لوظائف النكتة وتنوع معانيها وغنى الرموز المتضمنة فيها، والتي تتمفصل حول ما هو فكاهي وسياسي واقتصادي واجتماعي، إذ نجد أننا أمام خطاب أو محتوى متعدد الأوجه، ومعطيات معبر عنها لغويا، والتي تتطلب تحليلا سوسيولوجيا قائما بذاته، ومن هنا ستسعى هذه المقالة إلى محاولة تحليل مضمون ومحتوى بعض النكت المغربية التي نسجها المواطن المغربي في ظل

جائحة كورونا، فكيف تبرز هذه النكت في سياق هذه الأزمة الصحية ؟ وكيف يمكن تفكيك الرموز والدلالات المتضمنة في مضمون هذه النكت؟

أولا: في الدلالة الاجتماعية للنكتة

يبدو من الصعب إعطاء تعريف شامل وكلي لهذا المفهوم المسمى "النكتة"، وذلك باعتبار أنه مفهوم متعدد الدلالات والوظائف، ينفتح على مفاهيم ومعاني أخرى من قبيل الضحك، الدعابة، الفكاهة، والهزل والطرائف، وكلها مدلولات تصب في غاية واحدة هي تحقيق غاية الضحك وخلق الابتسامة والترفيه، وتجدر الإشارة إلى أن وراء وظيفة الضحك، تقبع مجموعة من الرموز والعلامات اللغوية يسعى الأشخاص إلى إبلاغها وتداولها، مما يجعل غاية النكتة ليس فقط الإضحاك، بل تتجاوز ذلك لأبعاد أخرى كانتقاد ظاهرة معينة أو حدث أو شخص أو ممارسة اجتماعية أو سياسية. وعموما يمكن النظر الى النكتة باعتبارها وسيلة من وسائل الإضحاك عامة وأكثرها فاعلية وانتشارا، كما أنها تتواجد على أوسع نطاق وتشمل كل المجتمعات والشعوب وتتطور بتطور الزمن والظروف الحاصلة في المجتمعات.

تتحدد النكتة من المنظور السوسيولوجي، باعتبارها ظاهرة اجتماعية متداولة على نطاق واسع، يتداولها الأفراد داخل المجتمع، كما أنها تقوم بوظائف متعددة كالتسلية والتخفيف من حدة التوتر وتقليص الضغينة والتخلص من الحقد، كما أنها أحيانا تتضمن معاني تحيل الى مفاهيم الفضيلة وتقويم الاعوجاج وفضح بعض الممارسات الاجتماعية والسياسية التي تثقل كاهل المواطنين، كما "أنها تعد وسيلة فعالة للتواصل الاجتماعي."[1] ويمكن القول أن النكتة تبقى تعبيرا اجتماعيا يمارسه الأفراد تفاعلا مع جملة الأحداث الحاصلة في حياتهم الاجتماعية، ولهذا فهي تصبح كآلية من آليات التواصل اليومي، متضمنة لحمولات دلالية ورمزية وثقافية مليئة بمعاني ومقاصد متعددة، والتي أحيانا تنكشف ظاهريا، وأحيانا أخرى تختفي عبر اللغة، إذ تكون مهمة تحليل محتواها ومضمونها هو مسألة هامة في ملامسة طبيعتها وتجلياتها، وفهم ما يقصده الأفراد أثناء تداولها ونسجها.

1 - أكثيري بوجمعة، النكتة لغتها ووظائفها، مجلة فكر الثقافية (على شبكة الانترنيت) بتاريخ 2015-8-23، تاريخ الاطلاع على المقال 2020-05-06.

تصبح النكت بالنظر إليها كتعبير اجتماعي ذلك المتنفس النقدي الذي يسخر من الواقع الاجتماعي الذي تعمه أزمات أو مشاكل أو أمراض اجتماعية وسياسية كالظلم والفساد والرشوة والقهر... فالنكتة تخفي الوجه الآخر للواقع الاجتماعي وتفضح بعض مظاهره غير المقبولة، والتي تسعى هذه النكت إلى تغييرها بطريقة فكاهية ساخرة، وهذا ما تم ملامسته في الآونة الراهنة، في سياق انتشار وباء كورونا والذي عرى العديد من الممارسات السياسية والتنظيمية والاجتماعية التي أثرت على الوضع القائم ووقفت كحاجز معيق يحد من تحقق جودة العمل والخدمات الصحية المثيلة وبروز الممارسة السياسية العقلانية. وهذا ما جعل العديد من الأفراد ينسجون نكتا وطرائف متنوعة تتفاعل مع ما يجري في المجتمع من ممارسات قد تبدو مبررة ومقبولة أحيانا، وغير مقبولة ومتناقضة أحيانا أخرى، وهذا ما يجعل النكتة كوسيلة من وسائل النقد والتجاوز وتوجيه أسهم الاتهام والتقويم والتعبير عن رفض بعض الممارسات والأخطاء والظواهر المخلة بتوازن وتقدم المجتمع.

استطاع الإنسان في مجال عيشه، أن يجسد حقا خاصيته الرمزية، باعتباره كائنا ذو رموز يملك شبكة أو جهازا رمزيا يوظفه للتعبير عن الأشياء المحيطة به، ويستعمله فنيا أو بطريقة ساخرة لتمرير رسائل وشفرات ومعاني رمزية تتضمن رسائل نقدية موجهة للآخرين أو لمؤسسات السلطة، وهذا ما يجعل النكتة ترتبط بالضحك لأنه يشكل وسيطها التي تمر منه، فالإنسان هو الكائن الذي يعرف الضحك بتعبير داروين، ويعرف كيف يضحك الآخرين، كما أن العديد من الباحثين والفلاسفة وعلى رأسهم الفيلسوف الفرنسي هنري برغسون، يرى "...بأننا نضحك فقط عندما نكون بصدد مشهد بشري."[1] أي أن ذلك العيب أو الخطأ المتكرر الذي يقع فيه البشر يتحول إلى نكت تضحك الإنسان أحيانا، فهي ترتبط بأفعاله وتتحول إلى ضحك وتسلية، وفي نفس الوقت قد تحمل معاني ودلالات أخرى بطريقة لا شعورية، وهذا ما يفسر الطابع التركيبي للنكتة وتعمق طبيعتها وتعدد غاياتها كما أبرزه برغسون.

إن التحليل السوسيولوجي للنكتة لا يتجه نحو إقحامها في معاني الضحك فقط، بل هي تعبير غير مباشر عن "مختلف المشاكل التي يعيشها أي مجتمع سواء بطريقة إيجابية لدعم تلك الأوضاع أو بطريقة سلبية لتفاديها، وفي كلتا الحالتين فإن النكتة

1 - H, Bergson : Le rire, P.U.F, Paris, 67ed, 1940, pp 2-3.

تعكس موقف الرأي العام في الكثير من القضايا المثارة،"[1] فالعديد من الناس يعتبرون النكتة تعبيرا نفسيا بسيطا عابرا، لكن حينما يتم تأمل وتحليل محتواها ومغزاها، فقد تنكشف من خلالها العديد من الرموز والمعاني التي تحتاج إلى الفهم والتأويل، والتي هي في العمق وجهات نظر ومواقف وتمثلات وآراء أصحابها الذين يعبرون عن تفاعلاتهم مع مختلف الاوضاع الاجتماعية والسياسية والصحية والاقتصادية، وهذا ما تم ملاحظاته في سياق المجتمع المغربي والعديد من المجتمعات في العالم، بحيث استطاع الأفراد أن ينسجوا قدرا هائلا من النكت المضحة التي تسخر من السياسات الصحية والسلطة السياسية والعلاقات الدولية ومنظمة الصحة العالمية والظروف الاجتماعية وبعض القيم السائدة والممارسات والسلوكيات القاصرة السائدة في المجتمع.

إذن، يمكن القول أن النكتة بالمعنى السوسيولوجي تبقى كتعبير اجتماعي ذو نزعة ساخرة وفي نفس الوقت هي خطاب نقدي يتضمن رموزا توحي إلى الرفض والخلاف والفضح والتوتر والضغط الذي تمارسه السلطة، وبذلك تشكل النكتة تلك القناة اللغوية التي يسعى الناس من خلالها أن يبلغوا ويمرروا مواقفهم ومعتقداتهم ووجهات نظرهم ورغباتهم وتوجهاتهم بشكل خفي بعيدا عن أعين الرقابة وسلطة المجتمع التي تقهرهم مباشرة.

ثانيا: النكتة في المجتمع المغربي

تصنف النكتة عادة في مجال الثقافة الشعبية أو التراث الشعبي، إذ يقدم الأفراد على نسج كم هائل من النكت حول ما يجري في بلدهم ومحيطهم، كذلك هو الشأن في المجتمع المغربي، إذ يمكن القول، أن من مميزات شخصية المواطن المغربي هو مقدرته على التفاعل مع العديد من الأحداث التي تحصل في محيطه، وهذا ما تبلور بشكل أكثر حضورا عبر العديد من المحطات البارزة من تاريخ المغرب، لقد استطاع المواطن المغربي أن يمارس فعل التنكيت وهو يسخر مما يقع في المشهد السياسي في البلاد، وما يستشري في المجتمع من ممارسات سياسية واجتماعية متناقضة، فقد استطاع أن يجابه هذا الواقع ويقاومه بنسج بعض النكت الهزلية والمضحكة والطريفة، لكن في عمقها، تكتسي حمولة رمزية ومعاني خفية ينبغي الكشف عنها، مثل الحديث عن النكتة المغربية التي انتشرت بشكل واسع في حقبة سياسية سابقة من تاريخ المجتمع المغربي، التي كان فيها حق

---

1 - محمد قرليفة، الدلالة الاجتماعية للنكتة في المجتمع الجزائري، بحث دكتوراه لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع، إشراف الدكتور جمال معتوق، جامعة الجزائر 2، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، السنة الجامعية 2010-2011، ص 76.

التعبير مهمشا ومقموعا على أوسع نطاق، خاصة في مرحلة السبعينيات من القرن الماضي، ومحتوى هذه الفكرة هو أنه سئل مغربي عن أكبر سدّ في المغرب فأجاب: "أكْبَر سدّ في المغرب هُو سْدّ فْمك."

إن لشخصية المواطن المغربي نوع من الخصوصية الثقافية بتعبير السوسيولوجي عبد الكبير الخطيبي، إذ أنه ينطق ببعض الكلمات والعبارات قد تستعمل في سياقات متعددة متناقضة أحيانا من قبيل "مَاشِي مُشكِل"، و"لُي ست مائة عم" و"صافي وخا"... إذ أن هذه العبارات تستعمل سواء أكانت العبارة موجهة من موظف إلى مواطن، أم من قبل وزير إلى وزير آخر، أو من زوج إلى زوجته... فإن هذه الجمل السحرية تحل كل المشاكل، أي أنها لا تحل أي شيء على حد تعبير الخطيبي. ومن هنا تبدو صورة المواطن المغربي ميالة نحو الهزل أحيانا وهذا ما يتجسد في لغته وبعض حركاته الجسدية في الفضاء العام، وهذا ما يشرحه الخطيبي بتفصيل، حينما يرى أن المواطن المغربي "كفرد، هو كائن إشكالي وتجزيئي، يعاني من انفصام في الشخصية، ومن صورة هشة عن نفسه. غير أنه باعتباره عضوا في مجموعة بشرية، يغدو كائنا تاكتيكيا ماهرا ومحنكا، وسليل محارب فتاك."[1] وهذا ما يشرح الفكرة القائمة على اعتبار أن المواطن المغربي يميل للتنكيت، لأنه يرى فيه ذاته، لتصبح النكتة كقناة للتفريغ عن متطلبات نفسية واجتماعية وسياسية لم تتحقق بعد في مجتمعه، أو أنه يعلن رفضه لممارسة سياسية قمعية في قالب نكتوي مصاغ بعناية وشغف، فالمواطن المغربي يتسم بوجود تعابير جاهزة لديه وقدرته على بث الردود العاجلة حول أي حدث يحصل في مجتمعه، كما هو الشأن في العديد من النكت التي انبثقت في ظل وباء كورونا، والتي صاغها الناس بشكل قصدي وتفاعلي وواعي مع مختلف الأحداث الصحية والسياسية والاجتماعية الحاصلة.

إن النكتة في المجتمع المغربي وفقا لما اعتبره المؤرخ المغربي ابراهيم القادري بوتشيش، هي في العمق تواصل وحوار غير مباشر بين السلطة والمجتمع، لذلك لا يخلو خطابها من نبرة الانتقاد اللاذع للمشهد السياسي، والتعبير عن شعور وأحاسيس ومواقف الرأي العام. كما أن مؤلفي النكتة يكونون دائما مجهولي الهوية، لذلك لا يتحملون أي مسؤولية عن قولهم، فيستغلون هذه الهوية المجهولة لإبراز الحقائق الممنوع تداولها في المجتمع، وهذا ما تجسد فعلا عبر الزخم الواسع من النكت التي صاغها العديد من المغاربة في سياق انتشار مرض كورونا، والتي تم تحليل العديد منها في هذا المقام، إذ

1 - عبد الكبير الخطيبي، المغرب العربي وقضايا الحداثة، منشورات الجمل، بيروت، بغداد، الطبعة الاولى 2009، ص 63.

توزعت مواضيع النكت بينما هو صحي وطبي وسياسي واجتماعي واقتصادي، كانت في غالبيتها نكتا تسخر من السياسات الصحية في البلاد ومن خرجات رجال ونساء السلطة ومسألة التعليم عن بعد وعلاقة الزواج، يلي ذلك وجود نكت تناقش أبعاد العلاقات الدولية ومنظمة الصحة العالمية أو الصراع بين أمريكا والصين، وهي كلها نكت مصاغة ومبنية بحبكة بسيطة لكنها تتضمن معاني ورسائل وشفرات متعددة، حينما تفككها تتعرف من خلالها على واقع آخر يقبع بين تفاصيلها.

إن النكتة في المجتمع المغربي هي تعبير شعبي عن مختلف التناقضات الحاصلة في المجتمع والظواهر والأحداث والوقائع السائدة فيه، وتكون طبيعة هذه النكت مدونة وشفهية ومسجلة تكتب باللغة العربية أو بالدارجة، والنكتة المغربية قد تشمل الطابوهات والحدود المفروضة على بعض المواضيع كالجنس والسياسة وأشكال التدين، ويمكن القول أنه في ظل جائحة كورنا تغيرت أشكال النكت لتصبح عبارة عن كلمات وعبارات وصور وفيديوهات تتناول محتويات ساخرة يتداولها وينشرها الناس على نطاق واسع في شبكات التواصل الاجتماعي، لكون أن طبيعة المرض (كورونا) تفرض على الأفراد المكوث في المنزل واحترام شروط السلامة الصحية، وهو ما جعل العديد يتفاعل مع هذا المرض بنكت مضحكة، أحيانا تناقش موضوع الكمامات الطبية، وأحيانا أخرى تتضمن انتقادات لبعض الأخطاء المرتبطة بالقرارات السياسية، وأخرى مرتبطة بتمثل المرض وكأنه ذلك الخصم الشرس الذي لا يتوقف عن معاداة حياة الأفراد وجعلهم أكثر قيدا ومنعهم من التحرك والتجول بكل حرية.

بذلك تصبح النكتة والضحك من وجه آخر "من المصائب التي تنزل بالآخرين وشعورنا نحوهم هو مزيج بين اللذة والألم."[1] وهذا ما يتم ملامسته في مضامين ومحتويات النكت الكثيرة التي انتشرت وتداولت بشكل واسع إبان بروز مرض كورونا الى الآن، كما أنه مع كل مستجد سياسي في القطاع الصحي، ينجم عنه نكت جديدة تسخر مما يحصل ويستشري في المجتمع.

ثالثا: نكت مغربية حول مرض كورونا

إن الإنسان بشكل أو بآخر كائن لا يقبل الركود والجمود، ففي ظل الأزمات التاريخية وما ينتشر من مآسي، نجده يبحث عن وسيلة أو "أسلوب يرفه به عن نفسه حتى

1 - سامي صالح، عالم الفكاهة والمرح، دار الطرابيشي للدراسات الإنسانية، القاهرة، بدون طبعة، ص 6.

يتمكن من الصمود وعدم الاستسلام لليأس من أجل ضمان الاستمرارية في البقاء،"[1] وهذا ما تجسد حقا خلال الأزمة الصحية التي تعيشها العديد من الدول، فقد أظهر المغاربة قدرتهم على نسج عدد كبير من النكت في آنها بكل تلقائية وقصدية وتفاعلية، إذ اتسم أسلوبهم في بناء النكتة بالبساطة اللغوية ووضوح المعنى، حيث برزت نكتا مثيرة وساخرة جعلت الآلاف من المواطنين يقهقهون ويضحكون من هول الاحداث التي سببها مرض كورونا على الصعيد الاجتماعي والسياسي والصحي، إذ تم إطلاق المئات من النكت الساخرة من الفيروس المعدي.

إن الاحترازات والطرق الوقائية التي قررتها المؤسسات الصحية والحكومية، جعلت المواطنين يجلسون في منازلهم أكثر من تجولهم وحركاتهم في الفضاءات الخارجية في المدينة، وهذا الأمر كان عاملا مباشرا في بروز نكت كثيرة حول الوباء وتمظهراته، أبدعها أشخاص كثر من أجل خلق أجواء من الترفيه والتسلية والضحك، رغم أن العديد من هذه النكت غير موقعة بأسمائهم، فالمهم بالنسبة لهم هو تحقيق قصدية وغاية الإضحاك ورسم البسمة على الوجوه والهزل مما يجري من ممارسات صحية واجتماعية وسياسية، فرغم حدة الوضع وما يطرحه من جدة وصرامة في التعامل معه ومحاولة تقنينه أكثر، إلا أن بعض المواطنين تخلصوا من هذا العبئ محاولين البحث عن متنفس للتسلية والترفيه والضحك، فوفقا للمثل الشعبي القائل: "كْثْرة الهَم ْكَتْضَحَكْ"، نجد العديد من الأشخاص صار في هذا الاتجاه ونسج نكتا تتنوع في مواضيعها تجمع بينما هو سياسي وصحي واقتصادي واجتماعي.

أ) نكت حول الصحة ومرض كورونا

برزت في المشهد العام للبلاد، العديد من النكت والصور والفيديوهات التي تتناول طرائف وأحداث مضحكة كرد فعل على القرارات السياسية والصحية المتخذة من طرف وزارة الصحة لتدبير ملف جائحة كورونا، يلي ذلك وجود نكت أخرى تفاعلت مع المرض وتأثيره على العلاقات الدولية، وهي كلها نكت وجدت أرضيتها الخصبة في شبكات التواصل الاجتماعي، التي شكلت نافذة أساسية لمراقبة ما يحصل في المجتمع من مستجدات بخصوص الوباء المستشري في البلاد.

---

1 - عبد الرحيم الراوي، النكتة في زمن كورونا، مقال منشور على موقع انترنيت anwarpress.com بتاريخ 6-4-2020، تاريخ مشاهدة المقال 2-6-2020.

إن تأمل وتحليل محتوى هذه النكت نجده يطفح بالعديد من المعاني والدلالات المركبة، فوراء الضحك والتسلية هناك بعض الرسائل التي تمرر بقصدية واعية وأحيانا لا واعية، الغاية منها هو التعبير عن رد فعل يحمل معنى الرفض والسخرية والنقد والمعارضة والنفور والاستهتار والحب و الكراهية... وترجع أهمية هذه النكت الاجتماعية حول الصحة والمرض، إلى كونها نتاجا تلقائيا شعبيا وليدا للحالة الراهنة في المجتمع، أو هي وليدة الحاجة إلى إقرار حلول سريعة لوضع حد للأزمة الصحية، فمن خصائص هذه النكتة الاجتماعية حول مرض كورونا طابعها البسيط والخفيف الذي لا يبدو جادا، وقدرتها على "التخفي" بتناول القضايا الشائكة بينما تبدو هكذا بسيطة وناعمة، وهذا ما تجلى عبر عدد كبير من النكت المضحكة التي تتناول موضوعات مرتبطة بطبيعة الإجراءات السياسية- الصحية، والمعدات والتجهيزات الطبية ومدى قدرتها على تغطية مسارات علاج الوباء، ثم مسألة وضعية الأطقم الطبية، ومسألة ارتداء الكمامات، ثم القرارات الصحية المرتبطة بالحجر والمكوث في المنزل وتقييد الحركة الجسدية الواسعة في الفضاء العام. ومن بين هذه النكت على وجه التحديد، نذكر النكتة التالية:

"جُوجْ إيلاَ مْشَاو مَا يْرجْعُوشْ: الصَحَة، وَأنا إِيلاَ خْرْجْت ْنهاَر 10 يُونيو."

يلاحظ من خلال هذه النكتة المضحكة أنها كتبت بأسلوب بسيط، تتناول مسألة الصحة ومسألة انتهاء الاحترازات الوقائية والرفع النهائي من الحجر الصحي، لكن موضوعها ينفتح على أكثر من تأويل، فالصحة هي رأسمال بشري أساسي ومرتكز لكل الأنشطة، فغيابها يعني غياب الممارسات الحياتية الطبيعية، وإذا ما تعرضت الصحة البشرية للاندثار أو المرض، انتفت الخيارات والحريات، لكون جسد الإنسان لا قدرة له في القيام بأي نشاط سليم ومتوازن، أما الشطر الثاني من النكتة يرتبط برأي الشخص الذي نسج محتوى النكتة، فهو يعبر عن رغبته في التخلص من قيد الحجر الصحي، وتفكيره بعد 10 يونيو في الخروج دون رجعة، وكأن خروجه من المنزل سيكون نهائي، وهذا ما يبرهن على وجود فكرة لا شعورية متضمنة في محتوى النكتة، مفادها أن ضغط المكوث في المنزل قد يولد الألم والمعاناة، ولهذا ينبغي التفكير في الانفراج، فكم ستستغرق مدة الحجر الصحي؟ مع العلم أنه يتم تمديدها من وقت لآخر، ولهذا فرغبة التخلص من أجواء الحجر الصحي تكون معلنة في محتوى هذه النكتة، والتي ينم صاحبها عن اشتياقه للحياة الخارجية والطبيعية.

إن هذه النكتة تشرح على نحو واضح، وجود رغبات نفسية تختفي وراء الستار الفكاهي، يعبر عنها أصحابها ببساطة، ولهذا نرى النكت تتضمن جملة من الإشارات النفسية والسوسيوثقافية التي يصعب فهمها خارج سياقها، كما أن هذه النكتة يتم صياغتها لغويا بشكل مكثف يتضمن تمثيلا غير مباشر، يفضي في نهاية المطاف إلى رغبة في الضحك والتسلية، وفي نفس الآن هي انبثاق تعبيري لشعور نفسي داخلي سببه ضغط الوضع الصحي في البلاد. فرغبة الانعتاق من قيد المرض واحترازاته تكون متضمنة في محتوى النكتة، إلا أنها لا تظهر بشكل مباشر وصريح.

هناك نكت كثيرة ومتنوعة أثثت المشهد الصحي والسياسي في البلاد، وهي نكت تم نسجها ببساطة لكنها تحقق غاية الضحك والتسلية والهزل، وفي نفس الوقت نجدها تطرح بعض المواضيع الجدية والمتناقضة، كمثال تلك النكتة التي تتناول مسألة تأثير الحجر الصحي على الحالة المهنية والاقتصادية والقوت اليومي للمواطنين، تقول النكتة:

"إذا أحسست بالأعراض التالية: حمى بدون حرارة، مزاج متوثر، لسان ثقيل، فليس بكوفيد 19 بل أنت شخص بْلاَ مَصْرُوف أو ما يسمى ب **2020** Pochvide".

هذه النكتة الفريدة من نوعها، بالرغم أنها تتضمن موضوعا صحيا معلنا، يرتبط بأعراض الإصابة بفيروس كورونا، إلا أنها تبين وجها آخر من الوضع القائم بالمجتمع، وهو الذي يعيشه العديد من المواطنين، يكمن هذا الوضع، في المعاناة التي يعبر عنها العديد من المواطنين جراء بقائهم في المنزل لمدة أطول، إذ أن التعويضات المالية الهزيلة ربما لا تكفي لسد رمق عيش الناس، وهنالك من لم يتوصل بها نهائيا، مما يجعلهم يحسون بالقلق وبعلامات مرض من نوع آخر، يسمى مرض "فراغ الجيب"، إذ تم استعمال هذا الإسم كدلالة على فقدان التوازن الشخصي والتعبير عن حالة من الفقر وتأزم الوضع المالي.

هناك نكت أخرى، ذات طابع طبي يناقش مسألة المفاهيم الطبية والصحية وهي المتعلقة بالتمييز بين إجراء الحجر الصحي وحالة الطوارئ، فنظرا لتداخل معانيهما واختلاف وظائفهما حسب السياق، وضع هذا النقاش المغاربة أمام متاهة تأويلية في محاولة إبراز الفرق بين مدلولهما، كالنكتة التي تقول: "لِكُل مَن يَسأل عَن الفرق بين حالة الطوارئ والحجر الصحي، رَاه ْالفَرْق بِين القَرْبَرْ وَالمَعْدْنُوسْ." وهذا ما يشرح سخرية بعض المغاربة من الجسد الصحي وتلك القرارات الصحية والإجراءات المتخذة لمحاصرة المرض.

وهو في نفس الاتجاه يعبر عن وجود ضعف للثقافة الصحية للأفراد وفي نفس الوقت يعري التقلبات التي تلحق السياسات الصحية في المجتمع.

من السمات المميزة للنكتة، باعتبارها خطابا شعبيا، قدرتها على المراوغة وإبلاغ بعض الرسائل والمعاني بطريقة غير مباشرة، فوراء الكلمات المكتوبة تقبع مواقف وآراء وتصورات وتمثلات لا شعورية للأفراد حول مختلف ما يجري في المجتمع. ولهذا نجد هذه النكتة تتضمن قصدية ملتوية تعكس وضعية الأفراد أمام السياسات الصحية التي تنهجها البلاد، مثل الحديث عن تلك النكت التي تتضمن انتقادات لوزارة الصحة ومستشفياتها ومراكزها الصحية، وأبرزها تعليق نكتوي ساخر الذي يقول أن "هذا الفيروس لن يؤدينا يقينا، لأنه سيرأف من حالنا حين سيرى وضعية مستشفياتنا وسيرحل نحو الدول الأوروبية التي تملك المستشفيات والتجهيزات العالية جدا".

إن النكتة نمط بارز من الفكاهة والكوميديا، وهي الأكثر تداولا، فقد صارت كما قال عنها الكوميدي شارل شابلن، "أقوى سلاح مضاد للكراهية والخوف، وذلك لأنها تبدد الريبة والخوف اللذين يسببان للعالم آلاما مبرحة واضطرابات مستديمة."[1] ولهذا نجد أن العديد من النكت والطرائف التي صاغها بعض الأشخاص تعكس ثقتهم في ذاتهم والتخلص من خوفهم والتعبير عن جرأتهم في تقييم ما يحدث في المجتمع، ومحاولة التخلص من الألم والاضطرابات التي يسببها المرض.

هناك زخم هائل من النكت التي تتناول الموضوعات المرتبطة بالصحة وفيروس كورونا، والتداعيات المرتبطة بهما، وهي نكت تعكس بشكل متداخل أو بآخر معنى الهزل والنقد في نفس الوقت، وخصوصا تلك النكتة المبنية على اللعب بالألفاظ، إذ تسهم هذه النكت الكثيرة في ترسيخ الألفة بين أفراد المجتمع الواحد، خصوصا منها الفئات الشعبية، كما أنها تساعد على تقوية صلة الأخوة والصداقة فيما بينهم وخلق أجواء يعمها الوئام والتضامن والتبادل. وتجدر الإشارة أن هذه النكت المتعددة قد يبدعها مواطن عادي، دون توفره على حس فني ونقدي كبير، لذلك، فجل موضوعاتها الساخرة مصاغة ببساطة واحترافية في نفس الوقت، وتبقى مجهولة المصدر، إلا أن محتواها يفصح عن معاني وإشارات وعلامات يريد الجمهور الواسع إيصالها بطرق مباشرة وغير مباشرة، وهذا ما يتم ملامسته تحليليا من خلال الكم الهائل للنكت التي نسجها المغاربة.

---

1 - سامي صالح، مرجع مذكور، ص 11.

ب) نكت حول السياسة وفيروس كرونا

إن تحليل متن ومحتوى النكت المغربية التي ظهرت في ظل أزمة كورونا، يبين غنى الإنتاج والتأليف الذي قام به المغاربة بكل تلقائية أمام ما يحدث من مستجدات ومحطات سياسية واقتصادية واجتماعية في تدبير الأزمة الصحية، فالعديد من النكت تتسم بالتكثيف والترميز والنقل والتمثل غير المباشر، وهي كلها تقنيات يلجأ إليها مؤلفي هذه النكت بطريقة غير مباشرة، إلا أنها توضح تلك السخرية من الأزمات من أجل التخفيف من الضغوطات النفسية والعصبية والجسدية، إذ تصبح هذه النكت كمرآة تعكس واقع مجتمعي تسوده الظروف القاهرة والمشكلات السياسية والتدبيرية، وهو ما يفسره الفيلسوف الفرنسي "هنري برغسون" ب "محاولة لقهر القهر".

إن العديد من النكت السياسية التي تم الاشتغال عليها وتحليل محتواها، تتمفصل حول موضوعات وعناصر محددة، تتقاطع في نقد الممارسة السياسية وتتمايز من حيث استعمالات وتأويلات الأفراد، إلا أن الفكرة المركزية التي يمكن إبرازها، هي أن هذه النكت تعكس إرادة الأفراد/المواطنين من التخلص من الخوف والضغط الذي تمارسه السلطة عليهم في ظل ما يعيشه في هذه الأزمة الصحية من عقبات وتحديات ومشكلات على المستوى السياسي والصحي والاجتماعي والاقتصادي، وهذا ما تم تحليله من خلال بعض النكت السياسية التي تسخر من الحكومة وقراراتها حول تدبير مرض كورونا، كما أن بعضا منها وصلت حتى إلى "مقدم" الحومة الذي وصفه المغاربة بـ"الحاكم الحقيقي في زمن كورونا، وبأن زوجته باتت أهم من زوجة الوزير، حيث هي الوحيدة التي قد تخرج بدون ترخيص". يلي ذلك نكت تسخر من الإجراءات الحكومية المتسارعة والمتناقضة أحيانا، وخصوصا في الفترات الأولى التي تم من خلالها الإعلان عن وضع الكمامات كاحتراز وقائي اجباري، في حين أن الكمامات لا تتواجد في الصيدليات بعد، وهذه الخطوة المتعثرة، كانت سببا مباشرا في بروز نكتا نسجها المغاربة بكل تلقائية، تفاعلا مع ما يجري في المجتمع، كالنكتة التي تقول:" إذا أردت شراء الكَمامة عليك بالخروج، وإذا أردت الخروج عليك بالكمامة!! حلل وناقش".

إن الاشتغال التحليلي على النكت السياسية، جعلنا ندرك "الأشياء والظواهر بوضوح من خلال عزل عناصرها بعضها عن بعض، ومعرفة خصائص أو سمات هذه العناصر

وطبيعة العلاقات التي تقوم بينها."[1] إذ من خلال العدد الكبير من النكت وما تتضمنه من موضوعات كسلطة "المقدم"، الأخطاء التنظيمية، مسؤولية رجال الأمن، قرارات سياسية حكومية، المقارنة بين المغرب ودول أخرى في التعامل مع الوباء، تدبير الملف الصحي، السخرية من الإجراءات المتخذة، وضعية التعليم عن بعد، السخرية من بعض السياسيين... كلها تشرح فكرة أساسية مفادها أن النكتة تبقى وسيلة دفاعية يحاول بعض الأفراد من خلالها رفض بعض الممارسات السائدة أثناء إجراءات تدبير الوباء.

إن جل هذه النكت التي تم الاشتغال عليها، مبطنة برسائل نقدية موجهة لمؤسسات الدولة وسلطها، يلي ذلك أن أبرز المضامين السياسية والاجتماعية والثقافية التي عبّرت عنها هذه النكت السياسية المرتبطة بأزمة كورونا، هي تجاوزها لوظيفة الهزل والإضحاك، لتصبح قناة لتقييم ومسائلة الأزمات السياسية ومراقبة غير مباشرة للسلطة، والوقوف على الفضائح والتناقضات السياسية التي تحصل أثناء تدبير هذه الأزمة الصحية، كما أنها تؤرخ لمشاكل المجتمع المستعصية مثل انتشار الأمية والبطالة وتراجع مستوى الخدمات الاجتماعية والصحية ونقص المعدات والتجهيزات الطبية، وضعف الموارد البشرية المتجلية في الحاجة إلى أطباء وممرضين، وهزالة الرواتب والتعويضات...

وتكشف هذه النكت الغزيرة عن أزمة المجتمع في تدبير الموارد المالية الكفيلة للتغلب على الوباء دون الاقتراض الخارجي، وتعبر أيضا هذه النكت بصدق صريح عن المعيش اليومي والممارسات السائدة في ظل الوباء، وعن تطلعات لتغيير وإصلاح المجتمع بعد المرض، كما تعبر أيضا وفقا لما أبرزه الباحث المغربي ابراهيم القادري بوتشيش عن معارضة المجتمع الذي يرى في بعض القرارات التي يتبناها المسؤولون، أو اختياراتهم تكريسا للتناقضات الاجتماعية، وعرقلة للاختيارات الشعبية.

إن العديد من النكت السياسية التي ارتبطت بأزمة كورونا، تضمنت موضوعات جريئة عرت من واقع المجتمع المغربي، وتساءلت ضمنيا عن مدى وجود تلك الإمكانات المالية والبشرية والتقنية والطبية في مواجهة المخاطر العاجلة، ومدى قدرة المؤسسات السياسية للدولة بسلطها التنفيذية والتشريعية والقضائية على بسط تدابيرها في التعامل مع الأزمات الصحية والاجتماعية بكل عقلانية وموضوعية وواقعية، ولهذا تم تحليل العديد من النكت التي تسخر من الإجراءات السياسية التي يقوم بها المغرب، إذ

1 - نسرين حسونة، تحليل المضمون، محدداته، استخدماته مقال ب د ف منشور على الانترنيت، على موقع شبكة الالوكة، تاريخ قراءة المقال: 4-6-2020، ص 1.

أنه يقلد في خطواته كل ما تقوم به فرنسا من إجراءات وقرارات متخذة لتنظيم أزمة كورونا، فمحتوى هذه النكت يبين أن المغرب قلد فرنسا في إجراءات كثيرة كقرار الإعلان عن حالة الطوارئ وفي إجبارية وضع الكمامات، إلا أن إجراء واحد لم يقلد فيه المغرب فرنسا، يكمن في إعفاء المواطنين من أداء رسوم الماء والكهرباء، بينما المغرب لم يقلدها في ذلك،"هاَذِي لاَ" كما تقول النكتة.

يبرهن هذا الأمر، على أن المغاربة من خلال ما ينسجونه من نكت، هم على دراية بما يحصل في المجتمع من تناقضات، ويعبرون عن رفضهم للسياسات المتخذة بطريقة غير مباشرة عن طريق الهزل والسخرية، وهذا ما يفسر قصدية النقد والمسائلة، والتي إن غابت بطرق مباشرة إلا أنها متضمنة بجلاء في مضمون هذه النكت المتداولة على أوسع نطاق، وهو ما يبين في نفس السياق رغبة الأفراد/المواطنين في إبلاغ مواقفهم ومعتقداتهم وتوجهاتهم وميولاتهم وملاحظاتهم حول الكيفية التي تمارس فيها السلطة في بلدهم، ونقد بعض التناقضات السياسية والقانونية التي تستشري في الجسد الاجتماعي ككل.

إن المعلن في هذه النكت السياسية حول أزمة كورونا هو معاني الهزل والضحك والترفيه عن النفس، بينما يتحدد المضمر في محتواها، في الكم الهائل من الرسائل النقدية التي يمررها بعض الأفراد/المواطنين بطريقة غير واعية لمؤسسات الدولة، تعكس تطلعات وعيهم الجمعي، وتفيد أن المجتمع المغربي بقدر ما راكمه من تجارب تنموية وسياسية سابقة، أصبح الآن في ظل أزمة كورونا وبعدها، مطالب بتغيير أشكال ممارسة السلطة وتنظيم السياسات بعقلانية وربط المسؤولية بالمحاسبة والاستثمار في الموارد البشرية وتنمية الإنسان وتمكينه وتقوية وإصلاح قطاعي التعليم والصحة، لكون أن العديد من الأحداث التي سببها وباء كورونا، برهنت على الضعف الذي يمس العديد من القطاعات في البلاد، وهو ما أرادت هذه النكت الساخرة المتعددة التطرق إليه والإفصاح عنه بدون خوف أو ضغط أو قهر.

ج- نكت حول التعليم ومرض كورونا

حظي قطاع التعليم هو الآخر في ظل انتشار وباء كورونا، بنقاش واسع من طرف العديد من الأفراد/المواطنين، إذ لم يخلو من التنكيت عنه، والسخرية منه على صعيد تناول بعض الموضوعات المتعلقة بالإجراءات والقرارات المتخذة لتدبير السنة الدراسية،

ومسألة التدريس عن بعد، وتزويد التلاميذ وأولياء أمورهم وأسرهم بالإنترنيت لمتابعة الدروس عن بعد، ثم النقاش الحاد بين التعليم العمومي والخصوصي، والذي عكس الوجه الحقيقي لصورة التعليم الخصوصي في المغرب، إذ تم تأليف كم هائل من النكت والطرائف التي تسخر وتضحك من هذا الخليط وهذه المتاهات في تدبير وضعية التعليم عن بعد والسهر على إكمال السنة الدراسية رغم تحديات الوباء.

إن هذه الأزمة الصحية المتجلية في انتشار مرض معدي (كورونا)، وزعزعته للاستقرار الاجتماعي، كان عاملا أساسيا في "قيام الإنسان بالتفاهم والتخاطب عن طريق استخدام مجموعة من التجريدات والرموز،"[1] في قوالب نظرية ومقولات لغوية عفوية أوقصدية، تعكس أشكال تفاعله مع هذا الوباء. وتعبر النكت التي ظهرت بهذا الصدد، عن هذا التوجه الإدراكي الذي يعيشه الإنسان، فالعديد من النكت التي تم فحصها وتحليلها حول تحدي المرض والتعليم عن بعد، عكست مقدارا من السخرية اللاذعة، سواء من التعليم العام أو الخاص، ففيما يرتبط بالخاص قام العديد من الأفراد/المواطنين من نسج نكت متعددة توجه صفعة وانتقادات كبيرة بعد البلاغ الذي خرجت به رابطة التعليم الخصوصي، التي ترغب في الاستفادة من صندوق "كورونا"، حيث علق المغاربة عليها بشكل ساخر بالقول: "المافيا الإيطالية تدعم الإيطاليين، والمافيا الروسية تدعم الروسيين، والمافيا المغربية تطمع في صندوق كورونا"، وتعكس هذه النكتة على نحو واضح، الخلل البنيوي الذي يعيشه قطاع التعليم في المجتمع، إذ أن في الأزمات التاريخية الكبرى، عوض أن نجد اصطفاف الجهود واتحاد النخب الاقتصادية في مواجهة الأزمة والمساهمة في محاصرتها والقضاء عليها، نجد بعض الفئات الرأسمالية الخاصة، تسعى إلى اصطياد الفرص لتحقيق مصالحها الشخصية دون مراعاة مصالح الوطن. وهذا ما انكشف لاحقا أيضا، فيما يخص إخراج مسودة قانون لتكبيل الأفواه ومنع حرية التعبير في شبكات التواصل الاجتماعي، إذ امتلأت فضاءات العالم الأزرق بنكت ومقاطع فيديو وصور تسخر من هذا القانون وتداعياته، ليتم بعد ذلك التراجع عنه.

إن النكت التي تم تأليفها حول التعليم عن بعد، في ظل التحديات التي فرضها الوباء، جعلت الدولة تقف أمام الأمر الواقع الذي لا مفر منه، وهذا ما تضمنته العديد من النكت من أقوال ومعاني ومقاصد وأفكار متنوعة، منها ما يوجه رسائل نقدية لمؤسسات

1 - حسن أحجيج وجمال فزة، البحث الكيفي في العلوم الاجتماعية، نظريات وتطبيقات، فضاء آدم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2019، ص 197.

الدولة وسلطها، ومنها من يكتفي فقط بالسخرية والهزل والضحك. وبقدر ما حاولت الدولة بكل جهودها في محاولة صد تداعيات الوباء حتى لا يؤثر على الوضعية التعليمية بأبعادها القصوى، يمكن القول أن بعض من هذه النكت أبرزت وأوضحت الوجه القيمي والإنساني الذي قامت به الدولة وإرادتها في تدبير الأزمة بكل تضحية وعناء. وهذا ما يجعل القول أن هذه النكت أيضا تحمل دلالات أخلاقية تمرر بشكل هزلي.

إن الإنسان من المنظور السوسيولوجي يرفض حالة الجمود والركود، ليسعى إلى البحث عن أفق للتغيير، وانتقاد ما من شأنه أن يعكر صفو حياته، فهو في "مواجهة مستمرة مع شروط وجوده،... وأن الأشخاص في حياتهم اليومية، يواجهون باستمرار وضعيات نموذجية."[1] وهذا ما تعكسه هذه النكت الغزيرة التي ألفها المغاربة بطريقة ساخرة، عفوية وقصدية، كان غايتها رفض ما يحصل من تجاوزات وتناقضات، والسخرية الهزلية من بعض القرارات والإجراءات التي تنهجها مؤسسات الدولة.

د- نكت اجتماعية ومرض كورونا

إن الوضع الاجتماعي لكل بلد، يكشف لك مدى نجاح أو فشل المنظومة الاقتصادية والسياسية والصحية فيه. فبعد الاشتغال على عدد واسع من النكت الاجتماعية التي نسجها المغاربة في ظل الوباء، أبرزت هذه الاخيرة، هشاشة الحياة الاجتماعية اليومية للمغاربة، إذ تضمنت بعض القضايا والموضوعات التي تكشف عن ضعف واختلال يمسان العلاقات الاجتماعية ومؤسسة الأسرة وسلم القيم الإنسانية والأخلاقية، والعلاقة بين الجنسين... فقد كانت العلاقات المتوترة بين المرأة والرجل، هي العنوان الطاغي على هذه النكت، حيث ألف المغاربة نكتا في هذا السياق بالتحديد، منها نكتة تقول: "ارحموا الأزواج في البيوت فهم أسرى حرب"، ونكتة أخرى مفادها: "زَوْجة طْلْبت مْن زَوْجها الخُروج من البِيت، فَرَد عَليْهَا بِأن جُلوسه في البيت اليوم بِمَرْسُوم قَّانون"، ، بينما تقول نكتة أخرى: "جْلْست أربَعة أيام في البَيت وْلِيتْ كَنْتسابَق مع الزوجة على الطْلاَن مْن النافِذَة"، ونكتة أخرى نقول: "الفِيُروس الحقيقي هو الرَاجْل إذاَ طرد من العمل وجلس في البيت"، أو نكتة أخرى: "جلست يُومَين فِي البِيت خَاطَبَتني زَوجتي اليوم قائلة: فِيكْ النَوْبَة فْي التسْيَاقْ، وغذا تقول لي جَاوْ فِيكْ الخُطَابْ"، وغيرها من النكت الكثيرة التي احتوت على آراء وتمثلات وتعليقات ومواقف ساخرة جدا من الحياة الزوجية في زمن "كورونا".

---

1 - حسن أحجيج وجمال فزة، مرجع مذكور، ص 202.

إن هذه النكت الاجتماعية كما تم تحديدها، تعكس على نحو منطقي وضعية الأسرة المغربية في بعض مظاهرها الهشة دون تعميم، وهي الوضعية التي تعيشها فئات عريضة في المجتمع، إذ إن توتر العلاقة بين الرجل والمرأة في إطار مؤسسة الزواج يعرف حالة من الاضطراب، ويشتد أكثر حينما تعيش الأسرة تحديا موضوعيا هو تجربة الوباء المعدي الذي يفرض عليها البقاء في البيت والتقيد بعدم الخروج، فالحجر الصحي كإجراء وقائي، عرى وكشف النقاب عن العديد من الحقائق أو المعيقات التي يعيشها الأزواج أو الاسرة، كتوزيع الادوار بين الرجل والمرأة، الدخل، أنثوية المرأة، هيمنة ذكورية، الصراع، العادات المنزلية، الأعمال البيتية،...

استنتاج

لا يمكن حصر الكم الهائل من النكت والطرائف التي نسجها المغاربة حول وباء كورونا في ظل هذا المرحلة الراهنة من تاريخ البشرية، فالمرض اجتاح العالم بأسره، وخلف ضحايا ومرضى من جهة، ومن جهة أخرى حفز الناس على التفكير في حياتهم من جديد والوقوف على أولوياتهم وتنظيمها وإعادة النظر في العلاقة بالعالم، كما جعلهم يعبرون عن تفاعلهم مع مستجدات المرض وإرهاصاته، بجملة من الأفعال والممارسات والإنتاجات العلمية والطبية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، التي كلها كانت وليدة اللحظة. وبقدر ما تعدد الخطاب الإنساني حول الوباء، والذي شمل الجانب السياسي والصحي والاجتماعي والاقتصادي، فقد لقي الترفيه والفكاهة والضحك مكانهم في هذا السياق، إذ استطاعت العديد من الشعوب الترفيه عن نفسها من وطأة الوباء وضغطه، بنكت ومقاطع فيديو وصور وطرائف تحتوي على أشكال ومقولات ومعاني ورموز، منها ما يحقق غاية الإضحاك المحض، ومنها ما يعري ويكشف القناع عن صورة الواقع الحقيقية وما يتخبط فيه من أزمات واضطرابات تمس البنيات الاجتماعية والصحية والاقتصادية والسياسية، وهذا ما هدفت هذه المقالة إلى دراسته في سياق المجتمع المغربي.

ببليوغرافيا

1. أحجيج، حسن، وفزة، جمال، البحث الكيفي في العلوم الاجتماعية، نظريات وتطبيقات، فضاء آدم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2019..
2. أكثيري بوجمعة، النكتة لغتها ووظائفها، مجلة فكر الثقافية (على شبكة الانترنيت) بتاريخ 2015-8-23، تاريخ الاطلاع على المقال 2020-06-05.
3. حسونة، نسرين، تحليل المضمون، محدداته، استخداماته مقال ب د ف منشور على الانترنيت، على موقع شبكة الالوكة، تاريخ قراءة المقال: 4-6-2020.
4. الخطيبي، عبد الكبير، المغرب العربي وقضايا الحداثة، منشورات الجمل، بيروت، بغداد، الطبعة الاولى 2009.
5. الراوي، عبد الرحيم، النكتة في زمن كورونا، مقال منشور على موقع انترنيت anwarpress.com بتاريخ 6-4-2020، تاريخ مشاهدة المقال 2-6-2020.
6. صالح سامي، عالم الفكاهة والمرح، دار الطرابيشي للدراسات الإنسانية، القاهرة، بدون طبعة.
7. قرليفة، محمد، الدلالة الاجتماعية للنكتة في المجتمع الجزائري، بحث دكتوراه لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع، إشراف الدكتور جمال معتوق، جامعة الجزائر 2، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، السنة الجامعية 2010-2011.
8. H, Bergson : Le rire, P.U.F, Paris, 67ed, 1940.



المحور الثاني:

الآثار التربوية للجائحة



التعليم عن بعد: بين هاجس ضمان الاستمرارية البيداغوجية وضرورة تجاوز الضغوط النفسية

إدريس بنعبد المالك

أستاذ بجامعة بن زهر-أكادير

نادية عاتقي

أستاذة بجامعة عبد المالك السعدي-تطوان

عبد العزيز عبد الصادق

باحث في سلك الدكتوراه بجامعة عبد المالك السعدي-تطوان

ملخص:

يعتبر المغرب من الدول التي كانت سباقة لاتخاذ إجراءات احترازية صارمة لمواجهة تهديد جائحة كورونا، عبر فرض الحجر الصحي وتعليق الدراسة الحضورية بالمؤسسات التعليمية والجامعية، مع التأكيد على ضرورة ضمان الاستمرارية البيداغوجية عبر آلية التعليم عن بعد، الذي عرف انخراطا واسعا لمختلف مكونات المنظومة من أطر تربوية وتلاميذ وطلبة.

غير أن سرعة تنزيل وعدم توفير الشروط الموضوعية لأجرأة ورش التعليم الرقمي بشكل مسبق، فتحا نقاشا واسعا حول مدى نجاعة التجربة وإكراهاتها، خاصة في ظل استمرار التباينات السوسيو-مجالية، واختلاف مستوى الفوارق الفردية بين المتمدرسين

حسب المستوى ووسط الإقامة، مما يدفعنا للتنبيه لإمكانية المس بمبدأ تكافؤ الفرص في الولوج للتعليم.

كما تعد مسألة التداعيات النفسية للحجر الصحي، من الجوانب الأساسية التي لم يتم الانتباه إليها، مما أدى لمجموعة من الاثار السلبية (الأرق- الخوف -التوتر- العنف الأسري)، مما يستدعي تضافر الجهود من أجل توفير التوازن النفسي والحماية الاجتماعية للمتمدرسين.

الكلمات المفاتيح: جائحة كورونا- التعليم عن بعد- الاستمرارية البيداغوجية - الحجر الصحي- الآثار النفسية.

Abstract

Morocco was among the first countries that had reacted decisively to the threat of Covid-19 pandemic, through the imposition of quarantine and the suspension of physical classes in primary and tertiary institutions. The emphasizing was to ensure continuity of teaching activities through distance education. Various components of the system such as educational frameworks and students had been widely involved in these activities.

However, the transition to digital education was established but there was no preparedness, by so doing this issue brought debate about the efficacy of the experiment and its constraints. Especially, the continuation of socio-economic disparities, impact in different levels of education and location of residence. These issues lead us to be alert and to improve the principle of equal opportunity in access to education.

The psychological effects of quarantine and basic aspects that had not been addressed led to a range of negative effects these includes insomnia, fear, stress, domestic violence etcetera. These negative effects which calls for concerted efforts to provide psychological balance and social protection for students.

Key Words: covid19- online education -pedagogical continuity- quarantine- psychological effects.

مقدمة

تواجه النظم والمناهج التعليمية - في العالم عامة والدول النامية خاصة - عدة تحديات وإخفاقات، مما فرض على الدول البحث عن بدائل منهجية وطرق تدريس جديدة أكثر فعالية ونجاعة، خاصة في ظل التزايد المطرد لأعداد المتمدرسين، وما يتطلب ذلك من أرصدة مالية لم تعد الحكومات قادرة على تعبئتها من جهة، وحتمية تعميم الحق في التعليم ودمقرطته من جهة أخرى، هذا الرهان الذي يستلزم ترشيد وعقلنة الموارد المتاحة، عبر التفكير في تقعيد ومأسسة التعليم عن بعد، الذي أضحت تتيحه الثورة الرقمية التي يعيشها عالم الألفية الثالثة.

هذا، ويعد المغرب من الدول التي تأخرت بشكل كبير في إدراج التعليم عن بعد في سياق المنظومة التربوية، الشيء الذي لا ينسجم والاختيار الاستراتيجي الذي راهن على رقمنة الاقتصاد والإدارة. غير أن ظهور فيروس كورونا المستجد "كوفيد19"، وتماشيا مع الإجراءات الاحترازية التي اتخذتها الدولة لمواجهة الجائحة، قررت وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والبحث العلمي اعتماد التعليم عن بعد كآلية لضمان استمرارية العملية التعليمية التعلمية، معتمدة على التكنولوجيا الرقمية وتجنيد موارد بشرية هامة مراهنة في ذلك على انخراط التلميذ والأسرة لإنجاح العملية. مما فتح نقاشا كبيرا بين مختلف مكونات المنظومة التربوية (هيئة التدريس-النقابات التعليمية-التلاميذ والطلبة-جمعيات آباء وأمهات التلاميذ...الخ).

في هذا السياق، تندرج هذه الدراسة الميدانية التي نتوخى من خلالها تقييم مدى نجاعة التعليم عن بعد من خلال رصد جوانبه الإيجابية وعوائقه في أفق تقويم وتجويد هذه التجربة الرائدة، والوقوف على آثار الحجر الصحي على نفسية المتعلم وانعكاسها على التحصيل الدراسي. انطلاقا من طرح التساؤلات التالية: ما جدوى ونجاعة التعليم عن بعد؟ ماهي وسائل وطرق تنزيله؟ وهل يمكن اعتباره آلية مستقبلية فعالة كفيلة بتعويض التعليم الحضوري؟ ما نتائجه وانعكاساته التربوية والنفسية على المتمدرسين؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة، قمنا بصياغة فرضيات، حاولنا إثبات مصداقيتها أو تفنيدها:

- التباينات السوسيو - مجالية عائق أمام نجاح التجربة وضرب لمبدأ العدالة وتكافؤ الفرص؛

- التعليم عن بعد وسيلة لضمان استمرارية الارتباط بالزمن المدرسي أكثر منها وسيلة للتلقين والتعليم؛
- الحجر الصحي واستمرار التعليم عن بعد سيؤديان لتفاقم التوازنات النفسية والاجتماعية للمتمدرسين.

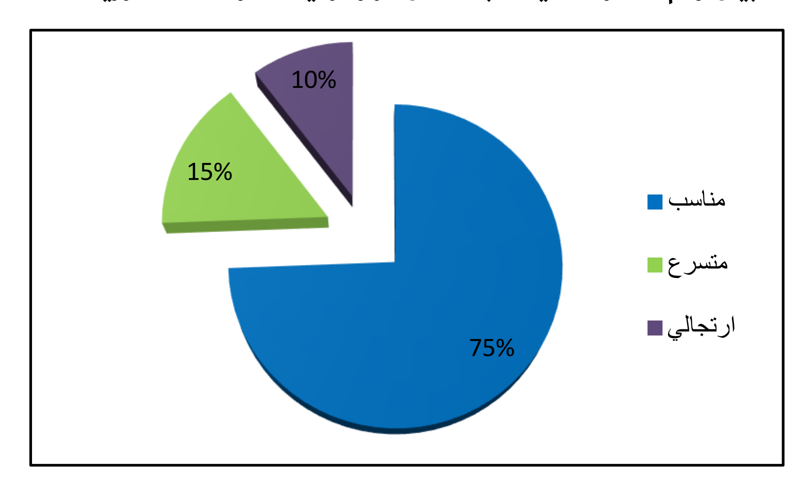
لمقاربة هذا الموضوع اعتمدنا منهجية تجمع بين **المنهج التوثيقي:** حيث شكل الاضطلاع على المقالات الإلكترونية التي عالجت موضوع الجائحة والتطورات المرتبطة بها دعامة أساسية في إنجاز هذا العمل، إلى جانب تتبع البلاغات الرسمية الصادرة عن الوزارة الوصية على قطاع التعليم، بالإضافة إلى الانفتاح على التخصصات المهتمة بموضوع طرق التدريس وعلم النفس التربوي ونخص بالذكر (علم الاجتماع، علم النفس، علم التربية)، **والمنهج الإحصائي- التحليلي:** حيث تم إنجاز استبيان إلكتروني وجه للمتمدرسين شمل مختلف الأسلاك والمستويات والجهات، وقد بلغ مجموع الاستمارات التي تم تعبئتها **614** الاستمارة، تم تفريغها على شكل جداول ومبيانات تم توظيفها للإجابة على التساؤلات المطروحة.

المحور الاول: التعليم عن بعد بين سرعة التنزيل وهاجس الفوارق المجالية والتباينات الاجتماعية

1 - عملية التعليم عن بعد: بين سرعة التنزيل الرسمي وهواجس الأسر

بعد ظهور أولى الحالات فيروس كورنا بالمغرب بداية شهر مارس 2020 اتخذت الدولة مجموعة من الإجراءات الاحترازية الهادفة لمنع تفشي الوباء ببلادنا، وكان تعليق الدراسة من أبرز هذه التدابير وما صاحب ذلك من نقاش عمومي، تلى ذلك إقرار عملية التعليم عن البعد لتعويض التعليم الحضوري ما دفع بالوزارة الوصية إلى التأكيد في العديد من بلاغاتها وبيانتها أن الهدف هو ضمان الاستمرارية البيداغوجية، مؤكدة أن التعليم عن البعد لن يعوض بأي حال من الأحوال التعليم الحضوري التقليدي، فهل كان قرار الوزارة في محله؟ وما هي تمثلات المتعلمين لهذا القرار؟ وهل للأسر دور في تتبع سير عمليات التعلم عن بعد مع أبنائهم؟


مبيان رقم 1: موقف عينة البحث من قرار توقيف الدراسة الحضورية (٪)



المصدر: إنجاز شخصي اعتمادا على استثمار معطيات الاستبيان الإلكتروني الذي شمل 614 استمارة خلال الفترة الممتدة ما بين 1 أبريل و30 ماي 2020.

يتضح من خلال قراءة المعطيات الواردة في المبيان أعلاه، تباين وجهات نظر المتمدرسين لقرار توقيف الدراسة الحضورية، وإن كانت نسبة أن 74,4٪ من عينة البحث، اعتبرت القرار صائبا وفي محله، ويصب في مصلحتهم، خاصة وأنه أكد على استمرار المواكبة البيداغوجية عن بعد، أما نسبة 15,3٪ اعتبرت القرار متسرعا، في حين أن 10,3٪ اعتبرت القرار ارتجاليا، هذه الفئة تبرر تمثلها بكون المسؤولين اتخذوا هذا القرار بشكل مرتجل دون إعداد أو دراسات مسبقة، أو تنسيق مع الأطر التربوية وجمعيات آباء وأمهات التلاميذ أو ممثلي الطلبة، كما أنه لم يأخذ بعين الاعتبار سواء بلورته أو تنزيله الإكراهات البيداغوجية والتقنية والمادية والسيكولوجية التي قد تضرب عرض الحائط بمبدأ تكافؤ الفرص في التعليم بين الجهات والفئات.

تعليم عن بعد : تجربة طموحة تعوقها التفاوتات البيمجالية

يعرف المجال المغربي تفاوتات مجالية بنيوية على المستويات الاقتصادية والاجتماعية وكذا التجهيزات العمومية والبنيات التحتية، ما دفع بالدولة للتفكير في تقسيم ترابي جديد يروم خلق توازن مجالي وبناء جهات تنافسية ومتضامنة عبر إحداث صندوق التضامن الجهوي. غير أن تنزيل ورش الجهوية هذا بشكله الجديد طرح مسألة

العدالة المجالية بين الجهات، بل بين الوسطين الحضري والقروي داخل نفس الجهة، وهو ما طرح بقوة في ظل جائحة كورونا والمخاوف المشروعة من تعميق الهوة بين مجالات وفئات خاصة في ظل عدم تكافؤ الولوجية لآلية التعليم عن بعد.

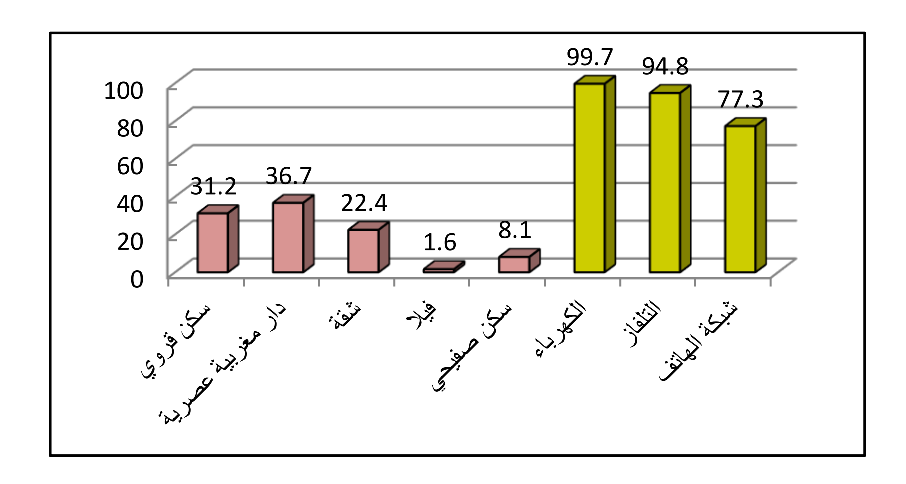
وقد كشفت نتائج الاستبيان حجم الاختلالات والتفاوتات بين الوسطين القروي والحضري من حيث استفادة المتعلمين في جميع الأسلاك من الاستمرارية البيداغوجية التي اقرتها الوزارة الوصية، حيث بلغت نسبة قاطني الوسط الحضري 57,5٪ مقابل 42,5٪ بالوسط القروي. ويفسر هذا التفاوت في الولوجية تبعا لوسط الإقامة بمجموعة من العوامل هي:

- **عوامل اقتصادية واجتماعية:** التفاوتات المسجلة بين الوسطين الحضري والقروي على مستوى الدخل الفردي ومعدلات الفقر والهشاشة، مما يجعل ساكنة المدن أكثر قدرة على توفير مستلزمات التعليم عن بعد لأبنائها من هواتف ذكية أو لوحات رقمية أو حواسيب علاوة على تعبئة الأنترنيت؛
- **عوامل ذاتية- سلوكية:** ترتبط بالاختلافات الفردية القائمة بين المتمدرسين، حيث نجد قابلية أكبر بالوسط الحضري بفعل تعودهم بشكل مسبق على التعامل مع الوسائط الالكترونية وشبكات الانترنيت لإنجاز الواجبات نظرا لتعودهم على ذلك منزليا.

2 - ملائمة نوع السكن وتوفير التجهيزات: مدخل أساسي لتقعيد التعليم الرقمي

تعد دراسة طبيعة السكن ومستوى التجهيزات مدخلا أساسيا للوقوف على مدى توفر الشروط الموضوعية لتقعيد التمدرس عن بعد، كما يعد في الآن ذاته آلية لإبراز التمايز السوسيو-مجالي بين المتمدرسين، باعتباره وعاء حاضنا ومعبرا عن المحتوى الاجتماعي والاقتصادي لقاطنيه وحمولاتهم الثقافية، وهو ما يوضحه المبيان رقم 2:

مبيان رقم 2 : طبيعة السكن ومستوى التجهيزات لدى عينة البحث (٪)



المصدر: إنجاز شخصي اعتمادا على استثمار معطيات الاستبيان الإلكتروني الذي شمل 614 استمارة خلال الفترة الممتدة ما بين 1 أبريل و30 ماي 2020.

يتضح من خلال تحليل المعطيات الواردة في المبيان أعلاه، تنوع أنواع السكن واختلاف درجة التجهيز، حيث نسجل سيادة نسبة السكن بدار مغربية عصرية بحوالي 36,7٪، والذي يهم الأسر المتوسطة الدخل ويسود أساسا بالمجالات الحضرية، يليها السكن القروي[1] بنسبة 31,2٪ وهو نوع من أنواع السكن الريفي الذي يسود عادة في المجالات القروية. ثم السكن في الشقق بنسبة 22,4٪، والذي يندرج ضمن السكن الاقتصادي[2] والاجتماعي[3] الذي يهم المدن وبعض الضواحي التي تعرف دينامية حضرية سريعة ويهم الأسر المتوسطة والمحدودة الدخل التي استفادت من برامج الإسكان الرامية للقضاء على السكن غير اللائق، ومن بينه السكن الصفيحي الذي يمثل 8,1٪ من عينة

1 - يختلف مفهوم السكن حسب وظائفه ومرافقه التي عرفت بدورها تطورا، وإذا كانت الوظيفة السكنية هي الصفة الأساسية الملازمة له بالوسط الحضري، فإنه بالوسط الريفي يتسم بتعدد وظيفي، إلى جانب الحيز المخصص للسكن، نجد مرافق أخرى موجهة لمزاولة أنشطة اقتصادية خاصة الفلاحة، ليصبح بذلك مفهوم السكن الريفي مركبا لواقع اجتماعي متعدد الأبعاد، ومن هذا المنطلق فإن المسكن بالبادية، خاصة إذا كان مرتبطا بالنشاط الفلاحي، يقوم –زيادة على إيواء الأسرة- بوظيفة أو وظائف اقتصادية تتمثل في إيواء الماشية وحفظ المعدات الفلاحية وخزن المنتوجات الزراعية وممارسة بعض الحرف ولا سيما التي لها صلة بالإنتاج الفلاحي...الخ.

2 - نعني بالسكن الاقتصادي، السكن المدعم من طرف الدولة والموجه للأسر المحدودة الدخل، بهدف القضاء على السكن العشوائي ودور الصفيح، نميز فيه بين شقق قيمتها 250 ألف درهم و أخرى قيمتها 140 ألف درهم.

3 - نقصد بالسكن الاجتماعي البقع الأرضية والشقق من النوع المتوسط والتي يشرف على إنتاجها القطاع الخاص وبعض المؤسسات شبه العمومية كمجموعة العمران، يبقى الهدف منه توفير تنوع في سوق السكن بشكل يتناسب وإمكانيات مختلف الشرائح الاجتماعية.

البحث، والذي يتمركز بالمجال الحضري وضواحي المدن التي تحتضن عادة الفئات الاجتماعية الفقيرة.

تعكس الاختلافات المسجلة بين عينة الاستبيان من حيث طبيعة السكن، التفاوتات الاجتماعية التي تطبع أسر المتمدرسين والتي من شأنها التأثير بشكل أو بآخر على درجة الانخراط والاستفادة من التعليم عن بعد، خاصة عند ربطها بمستوى التجهيزات الأساسية والضرورية في عملية التواصل والتعليم عن بعد، وكما يتضح من خلال نتائج الاستبيان الواردة في المبيان أعلاه، أن نسبة الربط بالكهرباء بلغت 99,7٪، كما أن حوالي 94,8٪ من العينة المستجوبة تمتلك جهاز تلفاز، و77,3٪ يتوفرون على الربط بشبكة الهاتف. وعموما نسجل تحسن مستوى التجهيزات الداخلية الأساسية، ويعزى هذا لما يلي:

أولا: للمجهودات التي بذلتها الدولة في العقد الأخير لتحسين مستوى الربط بالماء والكهرباء؛

ثانيا: انعكاس مباشر للتحولات التي لحقت بمفهوم السكن ووظائفه وشروط جودته. وهو ما يفسر مبدئيا الشروط الموضوعية لانطلاق التعليم عن بعد، وإمكانية استفادة نسبة مهمة إما من خلال تتبع القنوات التلفزية أو عبر الاتصال بالشبكة العنكبوتية والهواتف الذكية، مع ضرورة البحث عن بدائل للنسبة القليلة المتبقية، لكن الإشكال الذي ظل مطروحا في ظل المعطيات البنيوية للأسر المغربية التي تتميز بارتفاع متوسط في عدد أفرادها الذي يبلغ 4,6[1] ، وبالتالي فكل أسرة تتوفر في الغالب على أكثر من طفل في مرحلة التمدرس، وبالتالي صعوبة توفير جهاز تلفاز فردي، وتعبئة رصيد الانترنيت بشكل يومي للولوج للمنصات المحدثة ووسائل التواصل الاجتماعي، الشيء الذي يصعب توفيره لفئات عريضة من ذوي الدخل المحدود والمتوسط الذين تضرروا من توقف الأنشطة الاقتصادية.

1 - الموقع الرسمي للمندوبية السامية للتخطيط/ http://rgphentableaux.hcp.ma/Default1/

المحور الثاني: التعليم عن بعد: الفوارق الفردية بين المتمدرسين محددات حاسمة في التفاعل والمواكبة

1- حضور وازن للتعليم العمومي وتفاعل أكبر للعنصر النسوي والمستويات الإشهادية

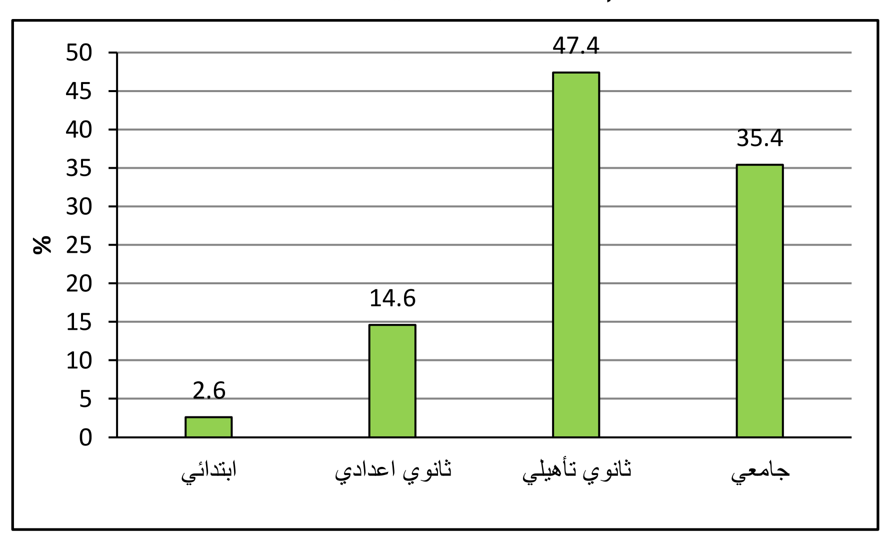
بالموازاة مع التباينات المجالية المسجلة للتفاعل مع التعليم عن بعد، كشفت نتائج الاستبيان عن مجموعة من المعطيات النوعية التي طبعها التباين والاختلاف:

- حسب طبيعة التعليم: سجلنا هيمنة واضحة للمنتسبين للتعليم العمومي بنسبة 96,4٪، ويمكن عزو هذا الأمر لعاملين رئيسيين، أولهما يتمثل في كون 86٪ من مجموع المتمدرسين برسم الموسم الدراسي 2019-2020 مسجلين بالتعليم العمومي[1]، وثانيهما مرتبط بحالة الارتباك التي وقعت فيها مؤسسات التعليم الخاص، وكذا الصراع مع آباء وأولياء التلاميذ حول أداء الرسوم الدراسية بعد توقف الدراسة، مما حرم المتعلمين من الاستفادة من الاستمرارية البيداغوجية[2].
- حسب جنس المتمدرسين: سجلنا ارتفاع نسبة الإناث 54,9٪من مجموع عينة البحث، وهو ما يمكن أن نفسره من جهة بنتائج السياسات العمومية الرامية إلى تمكين العنصر النسوي ودعم تمدرسهن ومحاربة الهدر والتسرب الدراسيين في صفوفهن.
- حسب المستويات الدراسية: يتضح من خلال قراءة المعطيات الواردة في المبيان رقم 3 التباينات الواضحة على مستوى تفاعل وانخراط المتمدرسين في التعليم عن بعد.

1- موقع وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي والبحث العلمي، تصريح وزير التربية والوطنية والتعليم العالي والبحث العلمي، الناطق الرسمي باسم الحكومة امام مجلس المستشارين، الثلاثاء 2020/05/12، www.men.gov.ma

2 - نفس المرجع السابق..

مبيان رقم 3: المستويات التعليمية لعينة البحث (٪)



المصدر: إنجاز شخصي اعتمادا على استثمار معطيات الاستبيان الإلكتروني الذي شمل 614 استمارة خلال الفترة الممتدة ما بين 1 أبريل و30 ماي 2020.

يعزى هذا التفاوت إلى إقبال تلاميذ المستوى الثانوي التأهيلي والطلبة على منصات التعليم عن بعد بمختلف أصنافها والانخراط في هذه العملية، بحكم ارتفاع نسبة حيازتهم للهواتف الذكية واللوحات الرقمية والحواسيب ودرايتهم النسبية بسبل التفاعل الرقمي، علاوة على حرصهم على تتبع الدروس خاصة بالنسبة للمستويات الإشهادية بعد تصريح وتأكيد الوزير على استحالة السنة البيضاء وضرورة اجتياز الامتحانات. بينما سجل ضعف حضور تلاميذ المستوى الابتدائي، الذين ظل ولوجهم لمنصات التعليم رهين بمدى تفرغ الآباء والأمهات وتباين درجة استعداهم للانخراط في عملية مواكبة تعليم أبنائهم نظرا للمعيقات الزمنية أو المعرفية أو النفسية.

1- مواكبة أكبر لتلاميذ الثانوي التأهيلي وطلبة كليات الاستقطاب المفتوح

تكتسي دراسة المستويات التعليمية للمتمدرسين أهمية كبرى، نظرا لارتباطها الوثيق وتأثيرها على المنظومة التربوية وقابليتها لإستعاب آلية التعليم عن بعد، وما لذلك من نتائج على مستوى المجهودات التي تبذلها الدولة من أجل ضمان الاستمرارية البيداغوجية.

وفي هذا السياق، أبانت المعطيات الرسمية المستقاة من الوزارة الوصية أن العدد الإجمالي للتلاميذ والطلبة والمتدربين برسم الموسم 2019-2020 بلغ 9,9 مليون متمدرس، موزعين بين 8 ملايين و208 ألف تلميذة وتلميذ، وما يفوق 680 ألف متدربة ومتدرب بالتكوين المهني أي ما يمثل 5,10٪، وما يناهز مليون و10 آلاف طالبة وطالب أي ما يمثل 10٪، ومن خلال قراءة معطيات الاستبيان المنجز، جاءت النتائج شاملة وممثلة لمختلف المستويات والتخصصات، موزعة كما هو مبين في الجدول التالي:

جدول رقم 1: تفاعل التلاميذ والطلبة مع الاستبيان حسب قطاعات التعليم (٪)

قطاع التعليم المدرسي			قطاع التكوين المهني	قطاع التعليم العالي			
				الكليات ذات الاستقطاب المفتوح			المدارس والمعاهد ذات الاستقطاب المحدود
التعليم الابتدائي	التعليم الثانوي الاعدادي	التعليم الثانوي التأهيلي	التكوين المهني	الآداب والعلوم الانسانية	كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية	كلية العلوم	الطب /الهندسة والتجارة والتدبير
5,4	14,7	79,9	6,87	42,2	38,3	16,9	2,6

المصدر: إنجاز شخصي اعتمادا على استثمار معطيات الاستبيان الإلكتروني الذي شمل 614 استمارة خلال الفترة الممتدة ما بين 1 أبريل و30 ماي 2020.

يلاحظ من خلال قراءة المعطيات الواردة في المبيان أعلاه التباين الواضح حسب المستويات في نسب التفاعل، الذي يرتفع عند تلاميذ مستوى الثانوي التأهيلي والطلبة الجامعيين مقارنة بتلاميذ المستويين الابتدائي والاعدادي، وهو ما يمكن أن يفسر بحيازة نسبة عالية من هاتين الفئتين للهواتف الذكية والحواسيب، وكذا امتلاكهم للكفايات التقنية التي تمكنهم من التفاعل والتجاوب مع الاستبيان. وبالنسبة للتعليم الثانوي

التأهيلي تفاعل تلاميذ الشعب العلمية بما نسبته 48,3٪، تليهم الشعب الأدبية بـ41,7٪ يليهم التكوين المهني بـ6,87٪ وأخيرا الشعب التقنية بحوالي 3٪.

وفي ما يخص قطاع التعليم العالي، سجلت هيمنة مطلقة لطلبة الكليات ذات الاستقطاب المفتوح خاصة بكلية الآداب والعلوم الانسانية بما نسبته 42,2٪ تليها كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بـ38,3٪، ثم كلية العلوم بـ16,9٪ وأخيرا المعاهد والمدارس ذات الاستقطاب المحدود كالطب ومدارس المهندسين بأقل من 3٪. أما بالنسبة للاختلافات المسجلة في نسب التفاعل حسب طبيعة الكليات، فيعزى أولا لعوامل ذاتية مرتبطة بارتباطنا بعدد مهم من طلبتنا الجامعين خاصة بكليات الآداب والعلوم الإنسانية، وثانيا لعوامل موضوعية تتمثل في ارتفاع عدد الطلبة بهذه الكليات مقارنة بالمعاهد والمدراس العليا.

2- وسائل التواصل الاجتماعي والدروس المصورة: تأكيد لجيل التواصل الافتراضي بامتياز

مباشرة بعد الإعلان عن تعليق الدراسة الحضورية بالمؤسسات التعليمية والجامعية، انخرطت جميع مكونات المنظومة التربوية في التفكير في سبل ضمان الاستمرارية البيداغوجية للتلاميذ والطلبة، عبر تسخير جميع الإمكانيات التقنية المتاحة من وسائل التواصل الاجتماعي (الفيسبوك والواتساب) وأقسام افتراضية (جوجل كلاس روم) ومنصات تفاعلية (مسطحة Teams) ومنصة (TelmidTICE) حيث تجاوز مجموع الأقسام المحدثة "بالتعليم العمومي 725 ألف أي بنسبة تغطية بلغت 96٪، في حين بلغ عدد الأقسام المحدثة بالتعليم الخصوصي حوالي 108 ألف قسم افتراضي، بنسبة 70٪؛ ليصل بذلك مجموع المستعملين لـ 85 ألف أستاذ و300 ألف تلميذ "[1]. وقد تباين مستوى تفاعل واستجابة الفئات المستهدفة مع الوسائط الموظفة للتعلم عن بعد تبعا لمجموعة من المحددات، وهذا ما يوضحه الجدول رقم 2.

1- موقع وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي والبحث العلمي، تصريح وزير التربية والوطنية والتعليم العالي والبحث العلمي، الناطق الرسمي باسم الحكومة امام مجلس المستشارين، الثلاثاء 2020/05/12، www.men.gov.ma

جدول رقم 2: وسائل التواصل وطبيعة المحتويات الرقمية المفضلة (٪)

طبيعة وسائل الموظفة في التعليم عن بعد (٪)					طبيعة المحتويات الرقمية (٪)		
التواصل الاجتماعي	التلفاز	منصات أكاديمية وجامعية	منصات الوزارة	أكثر من وسيلة	فديوهات	مكتوبة	سمعية
57,5	5,21	8,6	10,39	18,3	61,7	23,9	9,4

المصدر: إنجاز شخصي اعتمادا على استثمار معطيات الاستبيان الإلكتروني الذي شمل 614 استمارة خلال الفترة الممتدة ما بين 1 أبريل و30 ماي 2020.

يتبين من خلال قراءة وتحليل المعطيات الواردة في الجدول أعلاه، تباين طبيعة وسائل التواصل المستعملة من طرف عينة البحث، حيث استحوذت وسائل التواصل الاجتماعي على ما نسبته 57,5٪ بفعل مبادرة الأساتذة بشكل مبكر للتواصل مع التلاميذ والطلبة عبر مواقع التواصل الاجتماعي، خاصة وأن نسب كبيرة منهم أضحت منفتحة بشكل دائم وتتعامل بشكل مرن مع هذه الوسائط، علاوة على الكلفة المالية المحدودة التي قد لا تتجاوز ثلاثون درهما شهريا، إضافة إلى إتاحة إمكانية التواصل والتفاعل المباشر والآني بين طرفي العملية التعليمية التعلمية. في المقابل ظل توظيف باقي الوسائل محدودا 8,6٪ لمنصة الأكاديميات والجامعات، و10,39٪ بالنسبة للمنصة التابعة للوزارة، نظرا لتعقد وصعوبة عملية التسجيل بهذه المنصات، وضعف صبيب الأنترنيت وسرعة استهلاك الرصيد، من جهة، بينما لم تتجاوز باقة القنوات التلفزية نسبة 5,21٪، رغم تعبئة أربع قنوات تلفزية وطنية، ويتعلق الأمر بالقنوات التالية: "الرياضية" "الثقافية" "الأمازيغية" و"العيون"، ويمكننا تفسير تدني مستوى ونسب التتبع والمشاهدة لمجموعة من الاعتبارات المرتبطة بالإكراهات التقنية والزمنية المتعلقة بتعدد أفراد الأسرة وصعوبة التوفيق بين رغبات الاستفادة من تتبع البرامج التلفزية خاصة في شهر رمضان (برامج تعليمية، مسلسلات، أفلام، رياضة...الخ)، والحواجز النفسية التي تعمقت لسنوات بين الشباب المغربي والقنوات التلفزية الوطنية بفعل عدم مسايرة برامجها لتطلعاتهم وانتظاراتهم.

كما تجدر الإشارة إلى أن نسبة 18,3٪ كانت تجمع بين أكثر من قناة ووسيلة لتأمين التعليم عن بعد، خاصة وسائل التواصل الاجتماعي والتلفاز والمنصات الأكاديمية والجامعية.

أما بخصوص طبيعة المحتويات الرقمية، فنسجل تزايد عدد المضامين المنجزة والتي بالكاد كانت تتجاوز" 600 مورد عشية تعليق الدراسة، ليصل اليوم إلى أزيد من 6000 "[1] مورد رقمي حاليا بجميع الأسلاك والمسالك والمستويات الدراسية وجميع المواد الدراسية. نفس الأمر ينطبق على مؤسسات قطاع التعليم العالي حيث تم توفير حوالي 100 ألف مورد رقمي، والتي غطت ما بين 70 و100 في المائة من المضامين البيداغوجية المبرمجة التي تم نشرها على البوابات الإلكترونية للجامعات والمؤسسات التابعة لها ومختلف الوسائل السالفة الذكر. وقد جاءت نتائج الاستبيان لتؤكد أننا نعيش زمن الصورة بامتياز، حيث عبرت نسبة 61,7٪ من عينة الاستبيان تفضيل المحتويات الرقمية على شكل فديوهات تعليمية مسجلة أو مباشرة، نظرا لإمكانية التفاعل الآني التي يتيحها مع الأستاذ، مقابل 21,9٪ تفضل الدروس المكتوبة نظرا لوضوح منهجية الكتابة، بينما لم تتجاوز المحتويات المسموعة 9,4٪.

بناء على ما سبق، يمكن أن نخلص إلى كون التعليم عن بعد يثير مجموعة من التخوفات المرتبطة أساسا بإمكانية تعميق التباينات المجالية بين تلاميذ المناطق الحضرية الذين يتوفرون على الولوجية التقنية للمنصات والمضامين التعليمية، بفضل جودة تغطية شبكات الهاتف والتقاط ترددات القنوات التعليمية، مقارنة تلاميذ العالم القروي الذي لا زال يعاني من ضعف التغطية، التي يفاقم من حدتها الإكراه الاجتماعي الذي يتفاقم بين فئات اجتماعية قادرة على مواكبة تعليم أبنائها وتوفير الوسائل اللوجستيكية من هواتف ذكية وربط بالانترنيت، وفئات عريضة تعاني الهشاشة في أبعادها المعرفية والمادية، مما سيؤثر لا محالة على عملية التعلم ويقوض شعار المدرسة المواطنة العادلة والدامجة.

1- نفس المرجع السابق..

المحور الثالث: التعليم عن بعد: رصد للعوائق واستشراف للفرص واستثمار للإمكانات المتاحة

1- صعوبات ذاتية وموضوعية تعيق نجاعة تجربة التعليم عن بعد

بعد مرور فترة على انطلاق تجربة التعليم عن بعد، أضحى بالإمكان إنجاز تقييم أولي تفتح على ضوئه مساحات للتفكير والنقاش العلمي الجاد والمسؤول، الذي يروم تثمين المكتسبات وتصحيح التعثرات والبحث عن حلول وبدائل لمجموعة من العراقيل والصعوبات، التي واجهت مختلف مكونات المنظومة التربوية، والتي يعرض الجدول رقم 3 جانبا منها.

جدول رقم 3: طبيعة صعوبات وعراقيل نجاعة التعليم عن بعد (٪)

طبيعة الصعوبات	صعوبات تقنية/مالية	صعوبات بيداغوجية	صعوبات تنظيمية	صعوبات أخرى
(٪)	41,1	35,8	17,7	5,4

المصدر: إنجاز شخصي اعتمادا على استثمار معطيات الاستبيان الإلكتروني الذي شمل 614 استمارة خلال الفترة الممتدة ما بين 1 أبريل و30 ماي 2020.

يتبين من خلال تحليل معطيات الجدول أعلاه، تنوع وتعدد الصعوبات التي قد تحد من نجاعة وفعالية التجربة الفتية، والتي يمكن أن نصنفها إلى:

- عوائق ذاتية: متعلقة أساسا بالجوانب المالية والتقنية والتي مثلت نسبة 41,1٪ بفعل ارتفاع الكلفة الاقتصادية لتوفير العدة الديداكتيكية من حاسوب أو لوحة رقمية أو هاتف ذكي بالإضافة إلى مصاريف الربط بشبكة الأنترنيت التي تشكل عبئا إضافيا على كاهل الأسرة. علاوة على مشكل الفجوة الرقمية المتمثلة في افتقار نسبة مهمة من المتمدرسين لمهارات التعامل مع البرامج المعلوماتية والمنصات الرقمية خاصة بالنسبة للمستويات الابتدائية والإعدادية بالوسط القروي خاصة.
- عوائق موضوعية: متعددة ونميز فيها بين الصعوبات البيداغوجية بنسبة 35,8٪، حيث نجم عن سرعة التنزيل نقص في الموارد الرقمية وغياب الضوابط المنهجية والبيداغوجية والديداكتيكية مما جعل عمليات التعلم تقتصر على سرد سريع ومختزل

للمعطيات والمعلومات عوض بناء معرفة تفاعلية، مما أثر على درجة استيعاب المضامين والكفايات المستهدفة، أما بالنسبة للصعوبات التنظيمية فقد بلغت 17,7٪، والتي تتمثل في تزامن عدة حصص في نفس التوقيت بفعل غياب التنسيق بين المواد، بالإضافة لصعوبة التحكم في الزمن الدراسي، مما جعل مسألة تبني استراتيجية تعليمية انتقائية تقوم على التواصل مع أساتذة المواد الإشهادية بالنسبة لتلاميذ الثانوي التأهيلي بـ53,6٪، بينما اختار 63 ٪ من الطلبة الجامعيين التواصل مع أساتذة المواد النظرية مقابل 21٪ للدروس التطبيقية. وأخيرا عوامل أخرى مرتبطة بغياب ثقافة الفصول الافتراضية، ويظهر ذلك من خلال صعوبة ضبط بعض عناصر المجموعة الذين قد تصدر عنهم مجموعة من السلوكات والممارسات التي قد تشتت انتباه المرسل والمتلقي على حد سواء.

وفي الأخير، نشير إلى أن نسبة مهمة من عينة البحث عبرت عن كون الصعوبات معقدة ومركبة تجمع بين الذاتية والموضوعية، والتي تختلف وفق ثنائية: مجالية (حضري/قروي)، اجتماعية (أسر فقيرة/أسر ميسورة)، وحسب المستوى (ابتدائي-إعدادي/ثانوي-جامعي). وبالتالي فالرهان على تطوير التعليم عن بعد يقتضي تدخلا سياسيا وفق مقاربة نسقية.

2 - التعليم عن بعد آلية مستقبلية ضرورية تستلزم تدارك شروط الجودة والتعميم

إذا كانت جائحة كورنا فرضت ضرورة اعتماد التعليم عن بعد لضمان الاستمرارية البيداغوجية، وتحقيق الأهداف التعليمية-التعلمية المسطرة، فقد بات من الضروري التفكير في ضرورة تطوير هذا النوع من التعليم مستقبلا ليكون دعامة تعلمية وتربوية لطرق التعليم التقليدية من جهة، ومن جهة أخرى تماشيا من رقمنة الإدارة التي أصبحت الشغل الشاغل للحكومة المغربية، يؤكد ذلك رغبة الوزارة الوصية في جعل التعليم عن بعد عملية تربوية ممأسسة مستندة في ذلك على القانون الإطار[1].

في هذا الإطار، ولفهم تمثلات المتعلمين للتعليم عن بعد كآلية مستقبلية من خلال استثماره واعتماده كبديل عن التعليم الحضوري، أكدت نسبة 21.4 ٪ من الطلبة

1 - موقع وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي والبحث العلمي، تصريح وزير التربية والوطنية والتعليم العالي والبحث العلمي، الناطق الرسمي باسم الحكومة امام مجلس المستشارين، الثلاثاء 2020/05/12، www.men.gov.ma

والتلاميذ الذين شملتهم عينة البحث أنه يمكن اعتماد هذا النوع من التعليم مستقبلا، لكن مع الاحتفاظ ببعض الحصص الحضورية التي من شأنها المساهمة في خلق ترابط وجداني واقعي بين الأستاذ والمتعلم وخلق تفاعل مباشر بينه وبين المجموعة داخل الفصل وبين المتعلمين فيما بينهم، مع ضرورة توفير شروط نجاحه وتحقيقه للأهداف التعليمية التعلمية. هذا وقد صرحت نسبة 78.6٪ منهم أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال اعتماد هذا النوع من التعليم مستقبلا نظرا لعدم توفر الشروط الموضوعية لنجاحه في المغرب.

وبناء على ما سبق، نستنتج مجموعة من الترابطات التي تفسر اختلاف التصورات المستقبلية للمتعلمين حيال تجربة التعليم عن بعد، فالذين صرحوا بإمكانية اعتماد هذا النوع من التعليم هم الفئات المتمكنة من استعمال الوسائل التكنولوجية الحديثة الذين يتوفرون على الإمكانيات المادية وهم المنحدرون من الأسر الحضرية المتوسطة والميسورة وبالأخص فئة الطلبة الجامعين، أما الذين صرحوا بصعوبة اعتماد التعليم عن بعد كبديل مستقبلا فهم من فئات التلاميذ المنتمين في الغالب للوسط القروي والأسر المحدودة الدخل في الوسط الحضري والذين يجدون صعوبة في الولوجية للأنترنيت وامتلاك الوسائل التكنولوجية الحديثة التي من شأنها تمكينهم من تتبع تعليمهم عن بعد.

ولتفعيل أنجع لهذا النمط من التعليم مستقبلا، اقترح المستجوبون المعنيون بهذه الدراسة جملة من الاقتراحات التي من شأنها المساعدة على تفعيل وبلورة استراتيجية وطنية لصياغة نموذج مغربي للتعليم عن بعد، خاصة أن الدولة بصدد إعداد النموذج التنموي الجديد، انطلاقا من مقاربة تشاركية تقوم على الانفتاح على جميع الفعاليات والمكونات المجتمعية للخروج بمقترحات واقعية للنهوض بقضايا منظومتنا التعليمية:

- مقترحات تقنية: تعزيز الاندماج الرقمي والتكنولوجي، "وتشمل بالأساس تصميم منصات إلكترونية توافق جميع الأجهزة وتتميز بالسلاسة والمرونة"[1] في إمكانية التصفح والحد من الإعلانات المشوشة، ثم اعتماد تقنية البث المباشر للدروس والمحاضرات، والحد من اعتماد وسائل التواصل الاجتماعي أو تقنين وضبط محتوياتها

1 - الشرقاوي سعيد، 2020، "التعليم عن بعد في التجربة الرقمية في ظل اللامساواة الرقمية"، مجلة القانون الدستوري والعلوم الإدارية، العدد السادس، منشورات المركز الديمقراطي العربي، برلين، ألمانيا، ص39.

وما يروج عبرها، بالإضافة إلى توفير صبيب كاف للإنترنت لضمان تكافؤ الفرص، مع ضرورة ضبط توقيت الدراسة وفق جدولة متوازنة للحصص.

- مقترحات تربوية: يظل البعد التربوي الهاجس الأكبر لأي سياسة تعليمية، لهذا كان من الضروري أن يشغل هذا الجانب اهتمام كافة الفاعلين للنهوض بالقطاع وإعادة هيكلة المنظومة التربوية بشكل شمولي، حتي تتلاءم ومتطلبات التعليم عن بعد مستقبلا، وذلك من خلال التنصيص على توحيد المقررات والمناهج التعليمية المعتمدة، واعتماد المقاربة التشاركية لتسطير برنامج مكثف لتأهيل وتكوين الموارد البشرية، وإلغاء الامتحانات الإشهادية[1]، بالإضافة لتخصيص حصص لإنجاز التمارين والتقويم القبلي، والتي يمكن إدراجها في خانة الروائز التقييمية التي تنجز عادة في بداية كل موسم دراسي، بالإضافة للتحسيس بأهمية هذه الخدمة من أجل استثمارها مستقبلا بعد العودة إلى الدراسة بشكل عادي وطبيعي والاهتمام بالمعلوميات والوسائل الرقمية من المستوى الابتدائي.
- مقترحات سوسيو-اقتصادية: يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار الوضع الاقتصادي والاجتماعي للمتمدرسين والأساتذة، خلال مراحل تصور وبلورة المشاريع والمخططات التعليمية، من خلال الحرص على فك العزلة التكنولوجية عن المناطق القروية والنائية، وتمكين المتمدرسين المنحدرين من فئات اجتماعية هشة من بعض الامتيازات المقارنة التي تتيح لهم الولوج للخدمات التعليمية (توفير لوحات رقمية، الربط بشبكة الأنترنيت...الخ)، وهو ما يتطلب تعبئة الشركات المواطنة وإسهام الجماعات الترابية.

المحور الرابع: التعليم عن بعد: بين بناء الذات والإكراهات النفسية والدعم الأسري والمجتمعي

1 - ضعف إدارة الوقت زمن الحجر الصحي: إفراز لثقافة مجتمعية ونتاج استيلاب رقمي

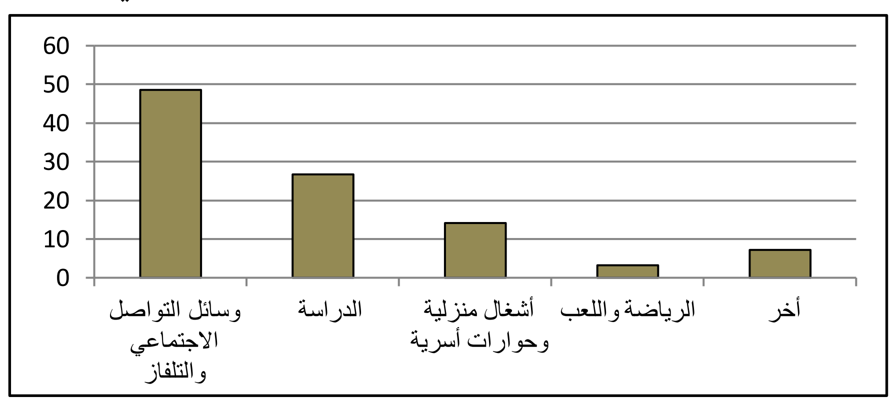
يقصد بإدارة الوقت قدرة الفرد والمجتمع على التخطيط والبرمجة والتحكم في عنصر الزمن في علاقته بالأهداف المسطرة، والآليات والأدوات المتاحة والموظفة بغية

1 - تم الغاء الامتحانات الإشهادية في السلك الابتدائي والاعدادي خلال الموسم الدراسي 2019-2020 بعد توقف الدراسة بسبب فيروس كورنا، وهو ما استحسنه الكثير من الفاعلين التربويين الذين ينادون بضرورة الغائها حتي قبل ظهور فيروس كورنا، لكون بدون تأثير.

تحقيق النجاعة والفعالية، ويعتبر هذا المعطى مؤشرا لقياس نجاح الأفراد وتقدم المجتمعات. وقد أضحى هذا المعطى يفرض نفسه بقوة في ظل الحجر الصحي، مما يجعلنا نتساءل عن مدى حضور ثقافة التخطيط وإدارة الوقت لدى الأسرة والمتمدرس المغربيين، وعن خصائص وتوزيع البرنامج اليومي؟

وفي هذا السياق، أبانت نتائج الاستبيان أن 72,1٪ من التلاميذ والطلبة، لا يتوفرون على برنامج يومي محدد ومضبوط، مقابل 27,9٪ فقط يعملون على تسطير برنامج يومي ويحاولون الالتزام به، أما بخصوص طبيعة الأنشطة المزاولة طيلة اليوم فتتوزع كما هو مبين في المبيان رقم 4:

مبيان رقم 4: طبيعة الأنشطة المزاولة يوميا خلال الحجر الصحي (٪)



المصدر: إنجاز شخصي اعتمادا على استثمار معطيات الاستبيان الإلكتروني الذي شمل 614 استمارة خلال الفترة الممتدة ما بين 1 أبريل و30 ماي 2020.

تتيح لنا قراءة النتائج الممثلة في المبيان أعلاه، استخلاص مجموعة من الملاحظات الأولية من أبرزها: غياب التوازن في توزيع الأنشطة اليومية لدى عينة البحث، وكذا سيادة الأنشطة التي تعتمد على الصورة والجمود، حيث يشكل تتبع وسائل التواصل الاجتماعي والقنوات التلفزية 48,6٪، وهو ما يثير مخاوف تفاقم مشكل السلوك الإدماني والقلق الرقمي الذي ينعكس سلبا على المتمدرس من خلال زيادة منسوب التوتر والقلق الذي قد يتطور في بعض الحالات إلى مستوى الاكتئاب، وكذا تراجع درجة التركيز والتحصيل الدراسي الذي يخصص له 26,8٪ من الأنشطة اليومية.

أما بخصوص الأنشطة ذات الصبغة الحسية-العاطفية والحركية، والتي من شأنها تعزيز الذكاء الاجتماعي وتوطيد الروابط الأسرية فتبقى محدودة، إذ لم تتجاوز 14,1٪، ويمكن أن نجزم في هذا الإطار أن الحجر الصحي شكل فرصة لإعادة اكتشاف مؤسسة الأسرة بعد عقود من التفكيك الناجم عن التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي زادت من حدتها الثورة الرقمية، ووضع ميثاق أسري جديد يروم ضمان الحقوق والواجبات وسبل العيش المشترك وتقاسم المهام وتنظيم الحيز الزمكاني، مما فتح هامشا من النقاش والحوار. أما بالنسبة للوقت المخصص للعب والأنشطة الرياضية ورغم أهميتها في تحقيق التوازن النفسي والذهني فلم تتجاوز 3,3٪، وهو ما يمكن أن نفسره بضيق مساحة المنازل وسيادة ثقافة الخمول.

بناء على ما سبق، نقول إن القدرة على تنظيم الوقت مهارة مكتسبة تختلف من شخص لآخر تبعا لمجموعة من المتغيرات كمستوى الثقة وروح المسؤولية التي يتحلى بها كل فرد، علاوة على دور الوسط العائلي في المراقبة والتوجيه.

2 – تفاقم التداعيات النفسية والصراعات الأسرية للمتمدرسين في ظل الحجر الصحي

يعتبر تبني خيار الحجر الصحي إجراء استثنائيا اضطراريا، كانت له مجموعة من التداعيات على مختلف الجوانب الحياتية للدولة والأسرة والفرد، حيث أكدت 52,2٪ من عينة البحث معاناتها من مجموعة من الانعكاسات السلبية، كما هي موضحة في الجدول التالي:

جدول رقم 4: طبيعة تداعيات الحجر النفسي على المتمدرسين حسب المستوى (٪)

طبيعة المشاكل / المستويات	اضطرابات نفسية وسلوكية			أشكال العنف الأسري	
	الساعة البيولوجية	الأرق	الكوابيس	نفسي	جسدي
الابتدائي	07,9	05,1	03,5	12,5	63,9
الثانوي الإعدادي	22,3	11,5	16,3	17,3	26,4
الثانوي التأهيلي	37,6	33,8	47,0	40,2	07,4
التعليم العالي	32,2	49,6	33,2	30,0	02,3
المجموع	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00

المصدر: إنجاز شخصي اعتمادا على استثمار معطيات الاستبيان الإلكتروني، الذي شمل 614 استمارة خلال الفترة الممتدة ما بين 1 أبريل و30 ماي 2020.

تبين المعطيات الواردة في الجدول أعلاه، تعدد تمظهرات المشاكل والصعوبات التي واجهت التلاميذ والطلبة إبان فترة الحجر الصحي، مع تسجيل اختلاف وقعها حسب المستوى الدراسي، والتي يمكن تصنيفها كما يلي:

أ) **اضطرابات نفسية وسلوكية:** شكلت ما نسبته 53,6 ٪ من مجموع الصعوبات المعبر عنها، وتوزعت بين عدد كبير من الأعراض أهمها:

- اضطرابات النوم: تعتبر مؤشرا معبرا عن مدى الارتياح الذهني والتوازن النفسي للإنسان، وقد شكلت 54,8٪ من مجموع المشاكل النفسية والسلوكية المعبر عنها، ونميز فيها بين اضطرابات كبيرة في الساعة البيولوجية بلغت47,1٪، حيث لوحظ تراجع في معدل عدد ساعات النوم الذي انتقل من ثمان ساعات في المتوسط في الأيام العادية إلى حوالي ست ساعات ونصف حاليا، كما طرأ تغيير على ساعات النوم بالنسبة لجميع المستويات حيث انتقل المعدل من الساعة 23 و30 دقيقة ليلا إلى حوالي الساعة 2 صباحا، ونفس الملاحظة تنطبق على ساعة الاستيقاظ حيث تشكل

الفترة الممتدة بين الساعة 7 و8 صباحا وقت الذروة في الأيام الدراسية الاعتيادية، بينما لم تعد تمثل خلال الحجر الصحي 11٪، لنسجل بذلك انزياحا في فترة ذروة الاستيقاظ إلى الفترة الممتدة ما بين الساعة 10 و11 صباحا بحوالي 39,7٪. كما رافقت الاضطرابات النوم، مجموعة من المشاكل خاصة الأرق الذي شكل 34,8٪، ثم الكوابيس 18,1٪.

- الخوف والقلق: تشكل هذه الأعراض أمراض العصر الأكثر انتشارا، بسبب الاحساس الدائم من خطر مجهول وخوف من المستقبل، وهي أعراض موضوعية في ظل الظروف الاستثنائية، إذ تمثل حسب نتائج الاستبيان 41,8٪ من مجموع المشاكل النفسية المعبر عنها في الاستبيان، موزعة بين الخوف (47,4٪) من الإصابة الشخصية بالفيروس أو فقدان أحد أفراد الأسرة، والقلق والتوتر (36,3٪) بسبب الغموض الذي شاب مصير السنة الدراسية في البداية وعدم القدرة على التزام الحجر المنزلي، بينما شكل الإحساس بالوحدة والملل ونقص التركيز (16,3٪) وذلك بفعل غياب برنامج يومي منظم ومتنوع ومتوازن.
- الاكتئاب والنوبات العصبية: تمثل ما نسبته 3,4٪ من عينة البحث، وتعد مرحلة متقدمة وخطيرة من الضغط النفسي والاضطرابات السلوكية التي قد يصل إليها الإنسان نتيجة الدخول في مرحلة فراغ وصعوبة الخروج منها، بفعل سيطرة التفكير السلبي وانعدام الحافز والرغبة في الاستمرار.

ونشير في هذا الصدد للتباينات المسجلة تبعا للمستويات الدراسية، حيث ترتفع في صفوف تلاميذ الثانوي التأهيلي والطلبة الجامعيين، وهو ما يمكن أن نعزوه للضغط النابع من مصير السنة الدراسية وتطور الحالة الوبائية وارتفاع نسبة تملك الهواتف الذكية وتزايد مدة الارتباط بشبكة الأنترنيت، أما بالنسبة لضعف هذه المؤشرات عند تلاميذ المستوى الابتدائي فيمكن أن نشير من جهة إلى رقابة الآباء، ومن جهة أخرى للمعطيات الطبية التي أكدت أن الأطفال أقل عرضة للإصابة. هذه المشاكل ذات الصبغة النفسية والسلوكية ستنعكس لا محالة على الجانب العلائقي داخل مؤسسة الأسرة.

ب) **صراعات عائلية:** تعد الخلافات داخل مؤسسة الأسرة واقعا اجتماعيا، نابعا من التباينات البنيوية في طباع وتصورات وسلوكات الأفراد، وتعتبر القدرة على احتواء الخلافات وتدبير الأزمات والحفاظ على التماسك من معايير الأسرة الناجحة، غير أنه وفي

ظل الحجر الصحي وما رافقه من تزامن للضغوط النفسية والاقتصادية، التي ستؤدي بدورها لزيادة احتمال انتقال الخلافات إلى مستوى الصراع والذي يتخذ أشكال عنف متعددة (جسدي- نفسي -...الخ)، شكلت هذه النسبة من عينة البحث ما نسبته 21,4٪، موزعة بين العنف النفسي كالسب والشتم والازدراء والحرمان (65.6٪) ثم العنف الجسدي كالضرب (24,4٪).

والجدير بالذكر في هذا المقام، أن نسب العنف الجسدي ترتفع في صفوف تلاميذ المستوى الابتدائي وكذا في صفوف الإناث، بينما يرتفع مؤشر العنف النفسي في صفوف تلاميذ المستوى الثانوي التأهيلي خاصة في صفوف الذكور، ويعزى تنامي مظاهر العنف في هذه الفترة، لمجموعة من العوامل المرتبطة أساسا بالدوافع الاقتصادية والاجتماعية المتأزمة وما رافقها من تزايد الحاجيات المالية للمتمدرسين سواء من أجل تعبئة الأنترنيت أو من أجل اقتناء لوحة رقمية أو هاتف ذكي يمكن من مواصلة التعليم عن بعد، إضافة إلى الدوافع السلوكية المتمثلة في عدم التزام بتدابير السلامة خاصة من لدن الذكور (النظافة، الخروج من المنزل...الخ)، وكذا صعوبة التعايش في ظل ضيق السكن وعدم التوفر على غرفة مستقلة، مما يترتب عنه مشاكل بخصوص التنظيم المجالي والزماني (الخلافات الناجمة عن ترتيب الغرفة- الضجيج- أوقات النوم والاستيقاظ- الإنارة...الخ).

وعليه، نقول إنه من الطبيعي أن تكون هناك فوارق فردية إيجابية وسلبية في سلوكات ومناعة المتعلمين في هذه الظرفية الاستثنائية، والتي تتجلى من خلال تواصل بعضهم وعزوف البعض الأخر، ويمكن أن نفسر هذا الأمر بتبعات الصدمة الأولى الناتجة عن انبهار المجتمع والأسر بصفة عامة والمتمدرسون بصفة خاصة، الذين وجدوا أنفسهم بين عشية وضحاها مجبرين على تقبل العيش في ظل الحجر المنزلي والتقييد بإجراءات جديدة لم يألفوها، والتي أدت إلى ارتفاع منسوب الخوف النابع من هيمنة مفاهيم جديدة سواء في الإعلام أو الشارع أو الأسرة (وباء، كورونا، الحجر الصحي، الأرقام المتزايدة للإصابات وأعداد الوفيات...الخ)، مما أدى لزعزعة البنية النفسية للمتعلمين بسبب الأسئلة المصيرية التي أضحت تؤرق بالهم من قبيل (ما مصيرنا؟ وما مصير السنة الدراسية؟...الخ). وعليه نؤكد على ضرورة انخراط الأسر والمؤسسات والإعلام كل من موقعه من أجل تذليل صعوبات هذه المرحلة وذلك بالتأطير والمصاحبة الاجتماعية والمواكبة التربوية والدعم النفسي أثناء وبعد الحجر الصحي.

3 - الدعم النفسي والمواكبة الاجتماعية جوانب يجب تداركها

تعددت مظاهر الضغوط النفسية التي نجمت عن الحجر الصحي واستمرارية التعليم عن البعد، وباتت فئة عريضة في حاجة ملحة ومستعجلة للمواكبة النفسية، تفاديا لتطور الوضع للأسوأ، وفي هذا السياق أبانت نتائج الاستبيان المنجز أن نسبة 81,3٪ من عينة البحث، عبرت عن رغبتها في الاستفادة، بينما لم تتجاوز نسبة الذين استفادوا من الدعم 22,6٪ موزعين بين الإناث بـ 67٪ والوسط الحضري بـ 70٪ .

تعددت الجهات والأطراف التي قدمت الدعم النفسي خلال فترة الحجر للمتمدرسين ولو بطريقة تطوعية وعفوية، وقد شكلت الأسر ما نسبته 69,4٪، حيث أشرفت على تقديم الدعم النفسي لأبنائها، وحرصت على زيادة منسوب الثقة وإشاعة الإحساس بالأمن والحماية، بالإضافة للدعم الاجتماعي من خلال نقل العادات والتقاليد والقيم السائدة داخل الأسرة وتزويدهم بأساليب التكيف النفسي والأسري والاجتماعي مع مثل هذه الوضعيات[1] ، إلى جانب الدعم الاقتصادي من خلال تسخير كل الإمكانيات المادية للأسرة خدمة للأبناء حتى يتمكنوا من متابعة تعليمهم عن بعد بشكل سليم، وبالتالي تجاوز الضغوط النفسية الناجمة عن الحجر الصحي، وفقدان الحياة الاجتماعية والجماعية التي توفرها عادة الفضاءات العمومية خاصة المؤسسات التعليمية.

إلى جانب الأسر، لجأ عدد كبير من المتمدرسين الذي يعانون من الاضرابات النفسية في إطار بحثهم عن حلول لتجاوز هذه الوضعية للبرامج التلفزية والفيديوهات على قنوات اليوتيوب والتي قدمها أخصائيون في الطب النفسي وعلماء الاجتماع وأساتذة التنمية الذاتية بنسبة 16,5٪، أملا في الحصول على الإرشادات والنصائح التي من شأنها المساعدة على التكيف مع وضعية الحجر الصحي والتغلب على الضغوط النفسية الناتجة عنه. بينما لم تتجاوز نسبة الذين لجأوا لاستشارة طبيب نفسي 4,3٪، وهو رقم يعبر من جهة عن الخصاص الكبير في هذا التخصص خاصة على مستوى المستشفيات والمستوصفات العمومية، ومن جهة أخرى لاستمرار نظرة المجتمع للمرض النفسي وتعامله معه بمنطق الطابوهات المسكوت عنها، في حين استعانت النسبة المتبقية (8,8٪) بجهات أخرى للحصول على الدعم والاستشارة النفسية كالجمعيات والأصدقاء، أو الاقتصار على القراءة والمطالعة للخروج من الروتين اليومي الذي فرضه الحجر الصحي.

---

1 - حسن موسى عيسى، 2009، "الممارسات التربوية الاسرية وأثرها في زيادة التحصيل الدراسي في المرحلة الأساسية"، دار النشر المنهل، الأردن، ص 38.

إن تشخيص الوضع النفسي للمتمدرسين في ظل الحجر الصحي، كشف عن جسامة العمل الذي ينتظر جميع مكونات المجتمع بعد عودة الحياة إلى مجراها الاعتيادي خاصة:

- المؤسسات التعليمية: عبر تفعيل الأندية وخلق خلايا الانصات والتتبع وتكثيف أنشطة الحياة المدرسية (الرسم، المسرح، الرياضة...الخ)، واستثمار العلاقة الوجدانية والعاطفية، التي تربط التلاميذ بالمؤسسات التعليمة بمختلف مكوناتها؛ وإعادة النظر في العلاقة التربوية السائدة بين المتعلم-الأستاذ-المادة-المؤسسة.
- المجتمع المدني: بعث دينامية جديدة في دور الشباب وتنظيم مخيمات صيفية وحضرية لأكبر عدد ممكن من المستفيدين، وهي تدبير من شأنها المساعدة على الاندماج الاجتماعي والتأهيل النفسي لتجاوز الآثار النفسية والاجتماعية، التي خلفتها أشهر من الوحدة والعزلة والعودة لحالة التوازن والاعتدال السوي.

وعليه، نقول إن تدبير وقع وآثار الحجر الصحي على الجوانب التربوية والنفسية للمتمدرسين يقتضي وضع استراتيجية بديلة تنتقل في "مقاربتها لقضايا التعليم من منطق رد الفعل إلى فلسفة الفعل الإستباقي الذي يطرح الأسئلة الحقيقية، ويعالج التغراث الجوهرية التي سيكون بفضلها تناول الجوانب العرضية أمرا متاحا متى توفرت وتضافرت إرادة الدولة وانخراط المجتمع"[1].

خاتمة

يعتبر المغرب من الدول التي كانت سباقة لاتخاذ إجراءات احترازية صارمة لمواجهة تهديد جائحة كورونا، عبر فرض الحجر الصحي وتعليق الدراسة الحضورية بالمؤسسات التعليمية والجامعية، مع التأكيد على ضرورة ضمان الاستمرارية البيداغوجية عبر آلية التعليم عن بعد، الذي عرف انخراطا واسعا لمختلف مكونات المنظومة من أطر تربوية وتلاميذ وطلبة.

غير أن سرعة تنزيل وعدم توفير الشروط الموضوعية لأجرأة ورش التعليم الرقمي بشكل مسبق، فتحا نقاشا واسعا حول مدى نجاعة التجربة وإكراهاتها، خاصة في ظل استمرار التباينات السوسيو-مجالية، واختلاف مستوى الفوراق الفردية بين المتمدرسين حسب المستوى ووسط الإقامة، مما يدفعنا للتنبيه لإمكانية المس بمبدأ تكافؤ الفرص في الولوج للتعليم.

---

1 - شكري (مصطفى)، 2020، "التعليم عن بعد بالمغرب في زمن كورونا، حقائق الواقع وآمال المستقبل"، مؤلف جماعي "جائحة كورونا والمجتمع المغربي: فعالية التدخلات وسؤال المآلات" تنسيق ميلود الرحالي، منشورات المركز المغربي للأبحاث وتحليل السياسات، ص 142.

كما تعد مسألة التداعيات النفسية للحجر الصحي، ومن الجوانب الأساسية التي لم يتم الانتباه إليها، مما أدى لمجموعة من الآثار السلبية (الأرق- الخوف -التوتر- العنف الأسري)، مما يستدعي تضافر الجهود من أجل توفير التوازن النفسي والحماية الاجتماعية للمتمدرسين.

وفي الختام نؤكد، على ضرورة استثمار اللحظة الاستثنائية التي عاشتها المنظومة التربوية في ظل الحجر الصحي، لفتح نقاش علمي وسياسي رصين ومسؤول حول واقع التعليم المغربي بصفة عامة، والتفكير في سبل استثمار التجربة والموارد التي تمت مراكمتهما من خلال تجربة التعليم الرقمي، من أجل إعادة النظر في المناهج والبرامج وملاءمتها مع خصوصيات الرقمنة والبحث عن الآليات الكفيلة بضبط وتأطير ما يتم تلقينه في الأقسام الافتراضية.

لائحة المراجع:

- حسن موسى عيسى، 2009، "الممارسات التربوية الاسرية وأثرها في زيادة التحصيل الدراسي في المرحلة الأساسية"، دار النشر المنهل، الأردن الأردن.
- الشرقاوي سعيد، 2020، "التعليم عن بعد في التجربة الرقمية في ظل اللامساواة الرقمية"، مجلة القانون الدستوري والعلوم الإدارية، العدد السادس، منشورات المركز الديمقراطي العربي، برلين، ألمانيا.
- شكري مصطفى، 2020، "التعليم عن بعد بالمغرب في زمن كورونا، حقائق الواقع وآمال المستقبل"، مؤلف جماعي "جائحة كورونا والمجتمع المغربي: فعالية التدخلات وسؤال المآلات" تنسيق ميلود الرحالي، منشورات المركز المغربي للأبحاث وتحليل السياسات، المغرب.
- المندوبية السامية للتخطيط، /http://rgphentableaux.hcp.ma/Default1
- وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي والبحث العلمي، تصريح وزير التربية والوطنية والتعليم العالي والبحث العلمي، الناطق الرسمي باسم الحكومة امام مجلس المستشارين، الثلاثاء 2020/05/12. www.men.gov.ma.

جائحة كورونا والكشف عن اختلالات نظام التعليم بالمغرب تساؤلات واقتراحات في أفق بلورة نموذج تنموي جديد

المصطفى شكدالي

أستاذ علم النفس الاجتماعي
المعهد العالي الدولي للسياحة بطنجة

ملخص:

يتناول هذا المقال موضوع نظام التعليم بالمغرب في ظل جائحة كورونا وما ترتب عنها من اختلالات، مباشرة وغير مباشرة، كشفت عن نواقص عديدة لهذا النظام. وانطلاقا من رصد هذه الاختلالات، يحاول هذا المقال أن يقدم بعض الاقتراحات في أفق بلورة نموذج تنموي جديد.

النقط الأساسية التي يطرحها هذا المقال للنقاش والتفكير متعددة ومتداخلة حول فكرة أساسية مفادها أن التعليم ملك عمومي يرتبط بالمنفعة العامة للمجتمع، وأنه يشكل الركن الأساسي للنهوض بالتنمية المنشودة والرفع من مستوى الأفراد وتنمية قدراتهم الإدراكية لينخرطوا في مجتمع قادر على استشراف المستقبل والتأقلم مع التغير والأزمات الطارئة.

كلمات دالة:

جائحة كورونا - النظام التعليمي - الملك العمومي - التعليم عن بعد - التعليم العمومي - التعليم الخصوصي - المسؤولية الاجتماعية - التعليم الرقمي - مشروع مجتمعي.

1. مقدمة

منذ عقود ونظام التعليم بالمغرب يعاني من اختلالات هيكلية، استدعت مجموعة من إصلاحات متتالية إلى درجة أن كل إصلاح كان يأتي لتقويم الإصلاح السابق دون الوصول إلى نتيجة مستدامة. وهو بذلك مشكل مزمن يحتل الصدارة ضمن مجموعة من المشاكل الأخرى بتعبير محمد عابد الجابري (1973). ولعل التحولات الاقتصادية وما نتج عنها من تحولات قيمية وثقافية وانعكاساتها على المستوى السيكوسوسيولوجي، أصبحت تشكل في الوقت ذاته تقاطعات بين الأسباب والتداعيات المرتبطة بالأزمة التي يتخبط فيها نظام التعليم بالمغرب.

ليست الغاية هنا، أن نعود إلى الوراء من أجل القيام بعملية تقيمية-نقدية لكل الإصلاحات التي عرفها نظام التعليم بالمغرب، مادامت جائحة كورونا (كوفيد 19) قد كشفت عن جوانب كثيرة من الاختلالات السابقة وأخرجتها إلى العلن حيث لم يعد التستر عنها ممكنا. ذلك أنه مع التوقف الاضطراري للدراسة في منتصف شهر مارس من سنة 2020 بطريقة فجائية بفعل الجائحة، توقف مفعول عملية الإنعاش والتنفس الاصطناعي التي خضع لها نظام التعليم عبر سنوات. وبذلك يكون نظام التعليم قد وصل في زمن كورونا إلى مرحلة الإعلان عن إفلاسه، حيث بتوقف الدراسة والتمدرس كأنما توقف دوران الدم في أوعيته التي كانت تمكنه من الاستمرار حتى وهو في حالة الوهن والمرض.

فإذا كانت الجائحة تفتك بالأجساد التي ليست لها مناعة، فإنها كذلك وبنفس الطريقة، تفتك بالأنظمة والأنشطة والمؤسسات التي لا تتوفر على مناعة تقيها الانهيار كما حصل للعديد منها في جوانب كثيرة من مقوماتها الأساسية. من هنا، لا يمكن أن نحصر خسائر الجائحة في نسبة المرض والفتك بالأرواح البشرية فقط، بقدر ما يجب التركيز، كذلك، على كل الأنظمة الاجتماعية التي كان نصيبها من عملية الفتك الوبائي واضحا للعيان. وهو ما يعني أن أزمة الجائحة قد شخصت مكامن الخلل في المكونات الأساسية لمؤسسات وأنظمة اجتماعية من بينها نظام التعليم بالمغرب والتي وجب تداركها بطريقة استباقية لمواجهة كل الأزمات المحتملة في المستقبل.

وعليه، فإن هذا المقال يروم إلى المسك بالخيوط التي أفصحت عنها الجائحة، بطريقة أو بأخرى، فيما يخص اختلالات نظام التعليم بالمغرب والتي كانت مضمرة تحت ضمادات الإصلاحات المتعاقبة. هذه الخيوط التي كانت إلى وقت قريب تندرج ضمن قائمة

اللامفكر فيه أو بمعنى آخر؛ كانت مُغيبة عن الإدراك بفعل العمى المنظم الذي كان مُنطلقا لكل العمليات الإصلاحية السابقة للتعليم.

2. التعليم مِلكٌ عمومي... ذلك هو الدرس الأقوى للجائحة

عندما أوقفت الجائحة المدرسة بشكل اضطراري، انخرطت هذه الأخيرة في التعليم عن بعد. وقد اتضح جليا، منذ البداية، حجم الاضطرابات المُصاحبة لهذه العملية لعدم ترسيخها مسبقا في العملية التعليمية-التعلمية. فالتعليم عن بعد لم يأتي كنتيجة لمسار تربوي مرسخ عن طريق ثقافة رقمية مندمجة[1]، وإنما كحل إكراهي لسد الفراغ الحاصل. وقد اتضحت هذا الاضطرابات بشكل جلي في القرارات والتدابير المتضاربة التي اتخذتها الوزارة الوصية على التعليم، لتقرر في نهاية المطاف الإبقاء على إغلاق المدارس حتى شهر شتنبر والذي يوافق الدخول المدرسي المقبل مع الاقتصار على إجراء امتحانات الباكالوريا.

ورغم انخراط مؤسسات عديدة في عملية التعليم عن بعد على صعيد جل المستويات التعليمية، إلا أن الإقرار بإلغاء الامتحانات هو إقرار ضمني بفشل هذه العملية. الشيء الذي عجل بظهور إشكالية الثنائية بين التعليم العمومي والتعليم الخصوصي. هذا الأخير الذي أصبح محط انتقاد آباء وأولياء التلاميذ الذين رفضوا أداء الوجبات الشهرية معتبرين أن التعليم عن بعد لم يكن مُجديا وبالتالي لا يمكن تأدية واجب خدمة تم الإقرار بفشلها. ودون الاصطفاف إلى هذا الجانب أو ذاك، فإن الجائحة كشفت عن جوهر مشكلة التعليم والمتمثلة أساسا في كونه يرتبط ارتباطا وثيقا بالمنفعة العامة للمجتمع وهو بذلك يندرج في الملك العمومي سواء كان الإشراف عليه من طرف الدولة أو من طرف الخواص. وهو ما يعني أن التعليم ينتمي للفضاء العام على اعتبار أنه فضاء يفضي إلى التواصل والتبادل المشترك بين مكونات المجتمع الواحد (زهير الخويلدي 2016).

فمن خلال ما أثارته مسألة التعليم الخصوصي في قضية أداء الواجب الشهري طيلة التوقف الذي عرفته الدراسة في شكلها الحضوري واعتماد نظام التعليم عن بعد، يمكننا أن نستشف مجموعة من القضايا في مقدمتها مجانية التعليم في شقه العمومي. والأسئلة التي تفرض علينا نفسها في هذا الصدد متشابكة ومتداخلة ومن أهمها؛ هل في مقابل

1 - لابد من التذكير هنا بأن وزارة التعليم انخرطت في رقمنة التعليم منذ سنة 2004 من خلال برنامج جيني génie والذي تعثر لسنوات حيث خضع لإصلاحات متتالية ولم يعطي ثماره بالشكل المطلوب إلى حد الساعة.

قطاع التعليم الخصوصي المؤدى عنه، يمكننا بالفعل الحديث عن مجانية التعليم في شقه العمومي؟

1.2 الجائحة و مغالطة "مجانية التعليم العمومي"

من المغالطات الكبيرة التي يُروج لها، عن قصد أو غير قصد، هي ما يسمى بمجانية التعليم العمومي إلى درجة أن هناك من ينادي بإلغاء مجانية التعليم وكأن الأمر يتعلق بالفعل بالمجانية. ولقد أماطت الجائحة اللثام عن عيوننا، مرة أخرى، من خلال قضية التعليم الخصوصي ومشكل أداء الواجبات الشهرية خلال التوقف الاضطراري لنتساءل: أليس ما نسميه بمجانية التعليم العمومي لا تعدو أن تكون فقط قضية التعليم الممول من طرف دافعي الضرائب؟ أليس من حق آباء وأولياء تلاميذ قطاع التعليم العمومي المطالبة بتجويده مادام هذا الأخير ليس مجانيا وإنما له النصيب الأوفر في تحقيق المنفعة العامة على اعتبار مساهمته في بناء الفرد والمجتمع انطلاقا من تمويل دافعي الضرائب؟ إن التعليم بهذا المعنى يقوي الروابط الاجتماعية ويخلق ثقافة الانتماء بين أفراد المجتمع (لطيفة إبراهيم خضر- 2000)

قد نفهم ونتفهم لجوء الدولة إلى التعليم الخصوصي للتخفيف من نفقات الميزانية التي يتطلبها هذا القطاع الحيوي، إلا أن الشيء غير المفهوم هو كيف سمحت الدولة بازدواجية المعايير المتعلقة بجودة التعليم بين التعليم العمومي والتعليم الخصوصي؟ وهي بذلك، تتخلى عن وظيفة التعليم الأساسية المتمثلة، ليس فقط في اكتساب المعارف، وإنما كذلك في التنشئة الاجتماعية وما تقتضيه من بناء معرفية اجتماعية Cognition sociale مشتركة بين أبناء المجتمع الواحد. ولعل الفوارق التي ترسخت بين التعليم العمومي والخصوصي من حيث المؤهلات والإمكانيات لصالح هذا الأخير، كانت الدافع الأساسي وراء لجوء الآباء نحو التعليم الخصوصي. وهكذا، أصبح المجتمع أمام نظامين من التعليم، في تكريس واضح لإعادة إنتاج التراتبية الاجتماعية من خلال قطاع كان من المفروض أن يكون ملكا عموميا مادام يرتبط بالمنفعة العامة للمجتمع.

2.2 الجائحة والتعليم الخصوصي

في ظل جائحة كورونا، ظهرت مشكلة التعليم الخصوصي من خلال الأزمة مع أولياء الأمور وجمعيات الأباء بخصوص الواجبات الشهرية لخدمة التعليم عن بعد. وبغض النظر عن ظاهر هذه الأزمة حتى وإن كانت لا تشمل كل مدارس القطاع الخاص، فإنها كشفت

عن حقيقة مفادها: "هل الاستثمار في هذا القطاع بهدف تقديم خدمة عمومية، أم أنها خدمة مؤدى عنها تؤمن فقط بالجانب الربحي؟"[1]. فإذا كان الجانب الربحي هو الهدف الوحيد للتعليم الخصوصي، فإنه بهذا المعنى لا يعدو أن يكون مجرد احتلال لملك عمومي يرتبط بخدمة عمومية هدفها تكوين الفرد وتأطير المجتمع. إن الوقوف على هذه الحقيقة يستدعي على مستوى صياغة النموذج التنموي المنتظر، الانطلاق من تحرير التعليم باعتباره ملكا عموميا هدفه الأسمى بناء الانسان الذي تتحقق من خلاله التنمية المنشودة.

إن تعليق الدروس الحضورية على إثر حلول الجائحة الوبائية، كان له الفضل في إبراز قضية مهمة لها الوقع المباشر على بناء المجتمع وتنميته. إن الدرس الذي أفرزته الجائحة في هذه النازلة، يتمثل أساسا في كون التعليم خدمة عمومية لا يمكن التنازل عليها حتى في الحالات التي يتحول فيها إلى استثمار من طرف الخواص. من هنا، فإن الاستثمار في التعليم الخصوصي، بكل مستوياته، لابد أن يكون مقرونا بمفهوم المسؤولية الاجتماعية التي تبني تصوراتها وممارساتها على احترام المصلحة العامة للمجتمع في تناغم تام مع مختلف الشركاء. وعليه، فإن الحلول الآنية لهذه الأزمة بمقترحات توافقية متسرعة لا يمكنها أن تستوفي الغرض مادامت لا تبرح منطق ديمومة المؤقت والعلاج بالضمادات. إن النموذج التنموي المنتظر سيجد نفسه مطالبا في هذه القضية بالبحث عن حلول مستدامة قوامها استنبات قيم المسؤولية الاجتماعية بطريقة عرضانية حتى تجعل من التعليم الرافعة الأساسية لبناء الإنسان المحرك لعملية التنمية في بعدها الشامل. وذلك سواء تعلق الأمر بالاستثمار في التعليم من طرف الدولة أو من طرف الخواص.

3. الجائحة وضرورة التأسيس الفعلي للتعليم الرقمي

قبل حلول الجائحة بسنوات وعقود، كان العالم قد بدأ الدخول في زمن الرقمنة كحقبة تاريخية حققت للبشرية قفزة نوعية على مستوى التواصل حيث أصبح الافتراضي واقعا يتحقق عن بعد. والرقمنة، بهذا المعنى، لم تتغير فقط نظم بناء العلاقات الاجتماعية وإنما كذلك نظم اكتساب المعارف وطرق الاشتغال والتواصل لتصبح المنصات الرقمية أمكنة وفضاءات للتفاعل الاجتماعي بين الأفراد والجماعات، مخترقة بذلك الحدود الضيقة

1 - https://www.andaluspress.com/ - تاريخ الزيارة 26/ 2020/06

للمجتمع الواحد باتجاه المجتمع الكوني المرقمن وما ينطوي عليه من تنوع ثقافي وحمولات قيمية متعددة تصل إلى حد التضارب.

وبالنظر إلى كل ذلك، فإن التعليم بصفة عامة والمدرسة بصفة خاصة لا يمكنها أن تظل خارج زمن الرقمنة. ولقد اتضح مع أول اختبار بحلول الجائحة، أن نظام التعليم بالمغرب لم يكن بوسعه تطبيق نظام التعليم عن بعد، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، بكل ما يمليه هذا النظام من مواكبة بيداغوجية وسيكولوجية فعالة لتحقيق الأهداف والغايات المسطرة. إن الرسالة المشفرة للجائحة بهذا الصدد تقول: إن الرقمنة ليست خيارا ثانويا أو اضطراريا في التواصل بين الناس، وإنما هو بمثابة أسلوب حياة لا بديل عنه. وهو ما يعني أن الرقمنة بمضامينها واستعمالاتها في أوساط الشباب الذين وُلدوا في كنفها أصبحت رافدا أساسيا من روافد تنشئتهم الاجتماعية وتكوين هويتهم النفسية-الاجتماعية، الشيء الذي يعني أن محيطهم لا يحدده القرب المباشر وإنما كذلك تفاعلهم عن بعد والذي يصبح راهنيا في تداخل وتقاطع مع حياتهم اليومية.

إن الرقمنة بتعريفها الحديث لا تنحصر في مسألة استعمال الوسائل التكنولوجية، وهي بذلك لا تختزل في تدريس المعلوميات بقدر ما هي تصورات ومضامين تؤثر في السلوك الفردي والجماعي. وبالنظر إلى الطرق التقليدية المتجاوزة التي لازالت سارية المفعول في النظام التعليمي بالمغرب، والتي تجعل هذا الأخير في موقع ما يمكن تسميته بالتنافر بين التنشئة المدرسية وقيمها وبين المحتويات الرقمية وحمولتها، وكأن اللقاء بين المدرسة وروادها من الشباب لقاء يتم في المكان وينتفي في الزمان. وعليه، فإن النموذج التنموي الجديد المنتظر بالمغرب، لا يمكنه التغاضي عن تطوير نظام التعليم بالموازاة مع ترسيخ الثقافة الرقمية بما يقتضيه ذلك من إدماج للمقاربات السيكوسوسيولوجية لفهم وتفسير محتويات هذه الثقافة كرافد من روافد التنشئة الاجتماعية وتكوين الهوية النفسية-الاجتماعية.

4. الجائحة وضرورة تطوير البحث العلمي

لقد اتضح للعيان بحلول الجائحة؛ أن الحاجة إلى تطوير البحث العلمي وجعله المحرك الأساسي للنظام التعليمي أصبح ضرورة لا مفر منها. ذلك أنه تحت وطأة الجائحة لم يعد بالإمكان التستر على قيمة البحث العلمي في كل المجالات لمواجهة مخلفات الوباء القاتل. والجائحة بهذا المعنى، قد كشفت عن واقع نظام التعليم بالمغرب في مسألة

البحث العلمي والذي "يفترض أن تكون مؤسسات التعليم العالي والجامعي معقلا له، دوره التنموي والتحديثي الريادي، ووظيفته التوجيهية في عقلنة القرار السياسي والاجتماعي وفي ترشيد الممارسة الفكرية والاجتماعية بشكل عام." [1] وأمام غياب هذا الدور الريادي يصبح السؤال مُلحا: هل سيكون للنموذج التنموي المبحوث عنه معنى في ظل استمرار تجاهل البحث العلمي في نظام تعليمي يعتمد على النقل والتلقين وإعادة إنتاج التصورات النمطية؟

إن العمل على تطوير البحث العلمي وإعادة الاعتبار للجامعة المغربية ودعم الباحثين في تخصصات مختلفة كفيل، ليس فقط بالنهوض بالنظام التعليمي، وإنما كذلك بإضفاء المصداقية على النموذج التنموي الجديد؛ بحيث لا يمكن تحقيق أي تنمية في غياب البحث العلمي. لذلك وجب "على الدولة المغربية أن تسرع في تغيير استراتيجيتها التنموية مع التركيز على الجانب العلمي، وتشجيع الطاقات المحلية تكوينا وتمويلا واستثمارا، حتى تتمكن من تحقيق الاكتفاء الذاتي، والعمل على التصدير أيضا في كل المجالات المعرفية والإنتاجية." [2]

5 . الجائحة والتعليم : في الحاجة إلى مشروع مجتمعي

لا يمكن لأي نظام تعليمي أن يكون متناسقا في أهدافه وغاياته التربوية في غياب مشروع مجتمعي يحدد مساره واتجاهاته. فإذا كان المجتمع يمتلك موروثا ثقافيا يربطه بماضيه، فإن مشروعه المجتمعي هو تلك المنارة التي تستشرف مستقبله. وبالرجوع إلى الجائحة، فإن مواجهتها تطلبت التعبئة الشاملة والاعتماد على العنصر البشري للحد من أضرارها. وقد لاحظنا كيف أن الأمر بالمغرب استدعى التحسيس بمخاطر الوباء والالتزام بالحجر المنزلي، فكان الخطاب موجها إلى الإدراك الاجتماعي من أجل فهم واستيعاب طبيعة الجائحة ومخاطرها وطرق الوقاية منها. غير أن هذا الخطاب لم يُدرك في كل أبعاده من طرف شرائح اجتماعية واسعة مما يؤشر على هشاشة في مسألة إدراك المخاطر.

ولعل الرسالة الخفية للجائحة في هذه القضية، تظل مرتبطة بمستوى تربية وتكوين أفراد المجتمع، مما يحيل بطريقة غير مباشرة على غياب التعليم النقدي وترسيخ فكر يكون بمقدوره قراءة الواقع والوقائع والتأقلم مع معطياتهما. من هنا، فالحاجة إلى

1 - https://annahjaddimocrati.org/ar/2428 تاريخ الزيارة 2020/06/30

2 - - https://www.akhbarona.com/national/300084.html - تاريخ الزيارة 2020/06/27

مشروع مجتمعي تصبح ضرورية تكون غاياته أن يتجسد على مستوى التعليم، ليس فقط على مستوى تعميمه، وإنما كذلك على مستوى مضامينه في أفق بناء الشخصية الأساسية لأفراد المجتمع حتى يصبح بمقدورهم التكيف مع التغير الاضطراري وإدراك مخاطر الأزمات والقدرة على استشراف المستقبل.

وبالرجوع إلى وضعية نظام التعليم الساري المفعول الآن، فإننا نلاحظ غياب ملامح أي مشروع مجتمعي موحد، حيث تتضارب الغايات والأهداف بتضارب محتويات ومضامين التنشئة الاجتماعية بين التعليم العمومي والخصوصي من جهة، وتعليم مدارس البعثات الأجنبية من جهة أخرى. والسؤال الذي يطرح نفسه : هل بمضامين تنشيئية مختلفة ومتضاربة يمكننا الحصول على تجانس وتقارب في تكوين اتجاهات وتصورات أبناء المجتمع الواحد؟ أم أن ذلك سيكون مصدرا للتنافر والفوارق والصراع بين أبناء الجيل الواحد؟ ليس الغرض من هذه الأسئلة أن نجعل من المشروع المجتمعي الذي يجب أن يستمد منه التعليم غاياته منبعا لسلوكيات المطابقة بين أفراد المجتمع أو خلق مجتمع من المتشابهين، وإنما الغرض هو خلق أرضية مشتركة للتواصل بين أفراد المجتمع لتكون القاعدة التي ينطلق منها الأفراد نحو الخلق والإبداع والاختلاف والانفتاح على العالم.

بهذا المعنى، فإن الأسئلة التي يجب أن ينطلق منها أي مشروع مجتمعي، لابد أن تحيل على طبيعة الفرد الذي نريده في المجتمع، في معزل عن تكوين الموظفين والأطر، فهل نريده طموحا ومثابرا ومبدعا خلاقا أم على العكس من كل ذلك أن يكون خنوعا ومحبطا غير مدرك لمسؤولياته إزاء المجتمع؟ لقد علمتنا الجائحة أن تعبئة المجتمع لا تتحقق بمجرد إنتاج خطابات ورسائل توعوية، ذلك أن المستهدفين لا تسعفهم قدراتهم الذهنية على فهم واستيعاب محتوياتها. لكل هذه الاعتبارات، فإن النموذج التنموي المنتظر مطالب في مسألة التعليم، بصياغة مشروع مجتمعي يدفع بنظام التعليم نحو العمل في أفق إخراج شرائح كبيرة من المجتمع من الشح المعرفي والعجز المكتسب. فلا فائدة من تنمية لا تستهدف الرفع من قدرات الأفراد للرقي بالمجتمع ومواجهة الأزمات الطارئة.

6. التعليم قضية إنسانية فوق كل الاعتبارات السياسية

إن الدرس الخفي الذي يجب استخلاصه من الجائحة في مسألة التعليم يتمثل في كون هذا الأخير، قضية إنسانية والتي يجب أن لا تخضع لأي مزايدات سياسية أو مذهبية ترتبط بمصلحة فئة اجتماعية دون أخرى. فالجائحة في فتكها بالأجساد لم تميز بين الفئات الاجتماعية وقد تمت مواجهتها من طرف أفراد وفاعلين اجتماعين من أطباء ورجال سلطة وأساتذة باحثين وغيرهم كل من موقعه. ولقد كان للتعليم الفضل الأكبر في تكوينهم وتأهيلهم للقيام بهذا الدور. وهو ما يعني أن العنصر البشري هو أصل الثروة الاجتماعية وأن التعليم هو الآلية المنتجة لها.

إن النموذج التنموي المنتظر بعد الجائحة، لا مناص له من التأسيس لنظام تعليمي يكون الرافعة التي تُبنى حولها كل التدابير المتعلقة بالقطاعات الحيوية الأخرى. ذلك أن قضية التعليم هي قضية "إنسانية صرفة، واهتمام الشعوب بهذه القضية معناه حرص الشعوب على التمتع بإنسانيتها، لأن الكيان البشري عندما يفقد حقه في التعليم، تنعدم فيه الإنسانية."[1] فلا جدوى من نموذج تنموي تضيع فيه إنسانية الإنسان. وهو ما يعني استحالة التخطيط لنموذج تنموي يكون فيه الإنسان فاقدا لحقه في العلم والتعلم، فالجائحة علمتنا أن المعرفة وحدها من يمكننا من تجاوزها واستشراف مخاطرها.

7. خاتمة

غيض من فيض، هي كل تلك التساؤلات والاقتراحات المقدمة آنفا في هذا المقال بخصوص نظام التعليم بالمغرب على إثر جائحة كوفيد 19. أكيد أن هناك جزئيات لم يتم التطرق لها على اعتبار أن المقاربة هنا كانت شاملة ومبنية على فلسفة عامة، بحثت في المعنى والغايات الكبرى التي بعثت بها لنا الجائحة كرسائل مشفرة.

إن أهم الخلاصات التي توصلنا إليها من خلال ما سبق، تتلخص في فكرة جوهرية تحيل على إعادة النظر في الفلسفة التي انبنى عليها نظام التعليم الساري المفعول، والذي ينتج ويعيد إنتاج الفوارق الاجتماعية والهشاشة الفكرية. ذلك أن كل الإصلاحات السابقة لهذا النظام كانت تحاول معالجة الأعراض دون الوصول إلى كنه المشكل، والمتمثل في غياب مشروع مجتمعي يجعل من التعليم ملكا عموميا يساهم في بناء شخصية الإنسان الذي نريده المحرك الأساسي للتنمية في بعديها الاقتصادي والبشري.

1 - http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=43087&r=0- تاريخ الزيارة 2020/07/01

لقد كشفت لنا الجائحة، في جوانب عديدة، مدى الإمكانيات التي يتوفر عليها العنصر البشري بالمغرب عندما يتعلق الأمر بالتعبئة لمواجهة الصعاب والأزمات. وفي ذلك مؤشر قوي على أن المادة الخام موجودة، وأن التعليم والتأطير هو السبيل القويم لصقل إمكانياتها وإخراجها من المؤقت إلى المستدام. فالجائحة الوبائية قد تكون عرضية لكنها تظل مستجدة باستمرار عندما يتم التطبيع مع ما كشفت عنه من اختلالات في العلاقات الاجتماعية التراتبية.

عندما نعتبر التعليم ملكا عموميا، فإن ذلك لا يعني أن تحتكر الدولة الاستثمار فيه وإنما أن تكون الضامن الأساسي لتحقيق تكافؤ الفرص والحد من جعله آلية لإنتاج الفوارق والتنافر بين أفراد المجتمع الواحد على مستوى التصورات وأنماط التفكير. فالحرب، على سبيل الكناية، حتى وإن كان يخطط لها ضباط لا يمكنها أن تقود إلى النصر إلا عن طريق الجنود على خطوط النار. وهو ما يعني أن الاستراتيجيات المتعلقة بالتنمية تفقد معانيها عندما لا يستطيع مستهدفيها قراءتها وتنزيلها على مستوى السلوك والممارسات.

مراجع

- زهير الخويلدي - فلسفة التربية والتعليم والحاجة إلى التثوير - E- Kutub - لندن - الطبعة الأولى - 2016

- لطيفة إبراهيم خضر - دور التعليم في تعزيز الانتماء -عالم الكتب للنشر والتوزيع - القاهرة - الطبعة الولى - 2000

- محمد عابد الجابري - أضواء على مشكل التعليم بالمغرب - دار النشر المغربية- الدار البيضاء- الطبعة الاولـــــــــــــى - 1973

ويبوغرافيا

- https://www.andaluspress.com/- تاريخ الزيارة 26/ 2020/06

- https://annahjaddimocrati.org/ar/2428 تاريخ الزيارة 2020/06/30

- https://www.akhbarona.com/national/300084.html تاريخ الزيارة 2020/06/27

- http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=43087&r=0- تاريخ الزيارة 2020/07/01

المنظومة التعليمية وصدمة الحالة الوبائية

حالة التعليم عن بعد بالتعليم

ربيع حمو

دكتور باحث في قضايا التربية والتكوين

لقد أذهلت الحالة الوبائية العالمية COVID-19 التي اجتاحت العالم بقوة وسرعة فائقتين، المنتظمَ الدولي ومختلف البنيات الوطنية والإقليمية والدولية؛ كما أثارت نقاشات فكرية واستشرافات مستقبلية عديدة، واستنفرت إمكانات الدول التشريعية والاقتصادية والاجتماعية والبحثية، كما ساءلت بنياتها الصحية ومدى تأهبها لمواجهة الأوبئة والمخاطر المحتملة.

كما أن إجراءات الحجر الصحي الذي نهجته معظم البلدان التي أصابها الوباء ومنها المغرب، قد فرض تعطيل أهم مرفق عمومي يستقبل أزيد من سبعة ملايين مرتفق، وهي المدرسة؛ مما أحدث إرباكا على مستوى المنظومة التعليمية وتعاملها مع هذا المستجد، وهو إرباك عاشته مختلف البلدان، مما سيجعلها تستنفر كفاءاتها ومقدراتها في التعامل مع هذا الوضع.

وفي هذا السياق تسائل هذه الورقة المنظومة التعليمية المغربية بمختلف مكوناتها:

- ✓ كيف تفاعلت المنظومة التعليمية على المستوى التربوي والتنظيمي مع توقيف التعليم الحضوري والانخراط في ما سمي "التعليم عن بعد"؟
- ✓ كيف تفاعل المتعلمون والمتعلمات مع هذا الوضع؟
- ✓ ما هي الوظائف الجديدة التي تحملتها الأسر المغربية في تعليم أبنائها؟

✓ كيف تفاعلت مؤسسات التعليم الخصوصي مع عملية التعليم عن بعد؟

المحور الأول: كرونولوجية تفاعل المنظومة التعليمية مع حالة الطوارئ الصحية، عرض وقراءة

منذ بدء تفشي فيروس كورونا covid-19 أصدرت وزارة التربية الوطنية مذكرة بتاريخ 06 مارس 2020، دعت إلى اتخاذ مجموعة من الإجراءات الاحترازية والوقائية والتوعوية من أجل التصدي لانتشار الوباء، ومن ذلك[1]:

- تكوين لجن اليقظة الإقليمية والجهوية لمواكبة تطورات الفيروس والحالة الوبائية؛
- منع اللقاءات والتجمعات الكبرى؛
- التحسيس والتوعية داخل المؤسسات التعليمية؛
- تدابير وقائية متعلقة بالجانب الصحي والنظافة.

1- الاستمرارية البيداغوجية وعملية التعليم عن بعد:

في إطار التدابير الاحترازية الرامية إلى الحد من العدوى وانتشار "وباء كورونا" (كوفيد 19)، أعلنت وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي توقيف الدراسة بجميع الأقسام والفصول انطلاقا من يوم الاثنين 16 مارس 2020 حتى إشعار آخر بما في ذلك رياض الأطفال وجميع المؤسسات التعليمية ومؤسسات التكوين المهني والمؤسسات الجامعية التابعة لوزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي، سواء منها العمومية أو الخصوصية، وكذا مؤسسات تكوين الأطر غير التابعة للجامعة والمدارس ومراكز اللغات التابعة للبعثات الأجنبية وكذا مراكز اللغات ومراكز الدعم التربوي الخصوصية.

ولكنها في نفس الوقت نبهت إلى أن الدروس الحضورية ستعوض بدروس عن بعد تسمح للتلاميذ والطلبة والمتدربين بالمكوث في منازلهم ومتابعة دراستهم عن بعد. وقد اتخذت عملية التعليم عن بعد، أشكالا مختلفة منها:

---

1 التدابير الاحترازية والوقائية من فيروس كورونا المستجد COVID-19، وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي، مذكرة 20/014 الصادرة بتاريخ 06 مارس 2020.

- **بث دروس عبر القنوات الرسمية:**

استحضارا لعدم تمكن عدد من المتعلمين والمتعلمات لولج المنصات الرقمية (مثل منصة تيمس) أو التواصل مع مدرسيهم عبر وسائل التواصل الاجتماعي أو الواتساب، فقد استبقت الوزارة ذلك من خلال بث دروس مختلف المواد والمستويات من خلال القناة الثقافية في البداية لتشمل قنوات أخرى لاحقا (القناة الأمازيغية وقناة العيون)[1].

وقد انطلق التسجيل مباشرة مع إعلان توقيف الدراسة مركزيا في الرباط؛ ثم سيعمم التسجيل في باقي الأكاديميات والمديريات عبر التراب الوطني من خلال حركية أثمرت عدة تسجيلات. منها ما تم بثه على القنوات التلفزية المخصصة لذلك، وأخرى سيتم استثمارها في باقي المنصات.

ومن خلال ذلك الاستنفار تم بث أولى حصص "التعليم عن بعد" من خلال تلك القنوات ابتداء من يوم الإثنين 16 مارس 2020، والذي لا زال مستمرا، حيث تقدم الدروس وحصص الدعم والاستعداد للامتحانات الإشهادية الخاصة بالسنة الأولى والثانية باكلوريا.

وقد بلغ، بتاريخ 18 ماي، عدد الدروس التي تبث يوميا على هذه القنوات حيث وصل مجموع الدروس المصورة، 59 درسا. حيث وصل مجموع الدروس المصورة 3441 درسا منذ انطلاق هذه العملية[2].

- **عبر البوابة الإلكترونية** TelmidTice[3]**:**

قدمت البوابة الالكترونية TelmidTice **دروسا مصنفة حسب الأسلاك والمستويات التعليمية وكذا المواد الدراسية. ففي مرحلة أولى تم نشر الموارد الرقمية المتوفرة سابقا لدى الوزارة، وقد كان عددها قليلا، ثم استمر تطعيم هذه البوابة بصفة منتظمة بدروس جديدة وذلك وفق برمجة زمنية تراعي التدرج البيداغوجي المعتمد في الدروس الحضورية.**

1 علّل وزير التربية الوطنية هذا الاختيار بكون " 91 % من الأسر بالوسط القروي كانت تتوفر على الأقل على تلفاز واحد سنة 2015 "، انظر جواب السيد وزير التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي خلال جلسة الأسئلة الشفهية المبرمجة يوم الاثنين 18 ماي 2020 بمجلس النواب. انظر: https://www.men.gov.ma/Ar/Documents/MAmzazi-Prlmnt180520.pdf .

2 المصدر السابق.

3 رابط البوابة الإلكترونية هو: http://telmidTICE.men.gov.ma

وقد بلغ مجموع الموارد الرقمية المتوفرة حاليا 6200 مورد رقمي تغطي جميع الأسلاك (ابتدائي، إعدادي، ثانوي) والمسالك والمستويات والمواد الدراسية وهو إنجاز غير مسبوق لم يتم تحقيقه خلال العشر سنوات الأخيرة. ويصل معدل التتبع اليومي للتلاميذ عبر هذه المنصة: 600 ألف تلميذ[1].

وقد أتاحت تلك المنصة تقديم نفس الدرس من قبل عدة أساتذة، مما يعد تنويعا للعرض التربوي من جهة، لكنه يربك المتعلم المتلقي الذي قد يفتقر لمنهجية التعامل معها ويضعه في حيرة نظرا لغياب التوجيه.

- **منصة «Teams» والسعي لهيكلة عملية التعليم عن بعد:**

من أجل تمكين الأساتذة من التواصل المباشر مع تلامذتهم، وكذا تنظيم دورات للتعليم عن بعد عبر أقسام افتراضية تتيح إمكانية إشراك التلاميذ في العملية التعليمية التعلمية، أطلقت الوزارة العمل بالخدمة التشاركية المدمجة في منظومة مسار «Teams»، وهي منصة تتيح تواصل الأساتذة مع تلامذتهم انطلاقا من حسابهم في منظومة مسار وتمكن من التواصل صوتا وصورة، وتوظيف مجموعة من التطبيقات المساعدة في عرض الدروس.

وقد ناهزت نسبة تغطية مجموع الأقسام الافتراضية المحدثة بالتعليم العمومي ٪96، فيما وصلت بالتعليم الخصوصي إلى٪71. وهمت هذه الخدمة أكثر من 85 ألف أستاذ، و300 ألف تلميذ.

كما عملت بنيات الوزارة والأكاديميات المكلفة على توفير مقاطع فيديو من أجل تيسير ولوج المنصة واستعمالها. فقد ظل اعتمادها محدودا، لمشاكل تقنية ومادية.

- **تواصل الأساتذة مع التلاميذ:**

بعد صدور منشور وزارة الاقتصاد والمالية وإصلاح الإدارة رقم 1/2020، بتاريخ 16 مارس 2020 في شأن خطة الاستمرارية الإدارية للتصدي لجائحة فيروس كورونا، شرعت الوزارة في تنزيله، ومن ذلك دعوة الأساتذة إلى الاستمرارية البيداغوجية، من خلال التعليم عن بعد، وتفاعلا مع ذلك، بذل الأساتذة والأطر الإدارية جهودا مشكورة، بعضها

---

1 جواب السيد وزير التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي خلال جلسة الأسئلة الشفهية المبرمجة يوم الاثنين ماي 18 2020 بمجلس النواب. انظر https://www.men.gov.ma/Ar/Documents/MAmzazi-Prlmnt180520.pdf

ذاتي، في محاولة إيجاد وسائل ملائمة للتواصل مع التلاميذ، من خلال مجموعات التواصل الاجتماعي والواتساب، أما منصة «Teams» فقد ظل توظيفها محدودا كما سلفت الإشارة.

2- قراءة في واقع الاستمرارية البيداغوجية والتعليم الإلكتروني عن بعد:

أ) التعليم عن بعد بين الوثائق الرسمية وواقع المنظومة:

إذا كان التعليم عن بعد هو نوع من التعليم لا يحضر فيه المتعلمون والطلاب للفصول الدراسية داخل المدارس والمعاهد والجامعات، وإنما يتلقون مواد ومقررات وموارد رقمية أعدت من قبل الأساتذة من قبل، كما يتفاعلون معهم مباشرة عن طريق الوسائط التكنولوجية لإرشادهم وتوجيه تعلمهم[1]؛ فإن الرؤية الاستراتيجية للإصلاح 2015-2030 قد اعتبرت نوعا من الخدمة التي ينبغي أن تقدمها المدرسة موازاة مع التعلمات المقدمة داخل الفصول الدراسية، فدعت إلى "تنمية وتطوير التعليم عن بعد، باعتباره مكملا للتعلم الحضوري، ثم العمل على "رقمنة المضامين والوثائق التعليمية"[2].

وفي هذا السياق نجد أنه قد سبقت الدعوة إلى ضرورة الارتقاء بتكنولوجيا المعلومات والاتصال وإدماجها في المنظومة التعليمية في كل من الميثاق الوطني للتربية والتكوين والبرنامج الاستعجالي، كما رصدت لذلك ميزانيات استهدفت تأهيل البنيات التحتية للمؤسسات التعليمية، وتنظيم بعض التكوينات لفائدة الأساتذة[3]، وهذا ما أكدت عليه الرؤية الاستراتيجية فجعلت من أهدافها: "تعزيز إدماج التكنولوجيات التربوية في النهوض بجودة التعلمات، وإعداد استراتيجية وطنية جديدة لمواكبة المستجدات الرقمية، والاستفادة منها في تطوير مؤسسات التربية والتكوين والبحث، ...بإدماج البرمجيات التربوية الإلكترونية، والوسائل التفاعلية، والحوامل الرقمية، في عمليات التدريس وأنشطة التعلم والبحث والابتكار"[4].

---

1 Peters, Otto, 1994, “Distance Education: The Industrialization of Teaching and Learning”, Edt, Desmond Keegan, London: Routledge

2 رؤية استراتيجية للإصلاح 2015ـ 2030، من أجل مدرسة الإنصاف والجودة والارتقاء، المملكة المغربية، المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، ص63.

3 لقد سجل ضعف النتائج التي تحققت على مستوى تنفيذ أهداف البرنامج الاستعجالي في هذا المجال. انظر تقرير المجلس الأعلى للحسابات، المملكة المغربية، تقرير حول تقييم تدبير البرنامج الاستعجالي، ماي 2018، ص76.

4 ص39.

من خلال ما سبق، يتبين أن التعليم عن بعد، باعتباره نوعا من أنواع التعلم الذي ينبغي أن تقدمه المدرسة كان حاضرا في الوثائق المؤطرة للمنظومة، لكن إدماجه في فعل التعلم هو الذي عرف تعثرا كبيرا من حيث:

- ✓ إعداد منصات للتعليم عن بعد وتدريب عناصر العملية التعليمية على استعمالها؛
- ✓ إنتاج موارد رقمية ملائمة للمناهج والبرامج الدراسية؛
- ✓ تكوين المدرسين على بناء سيناريوهات بيداغوجية تستثمر تلك الموارد؛
- ✓ إكساب المتعلمين والمتعلمات للمهارات اللازمة للتعلم الذاتي والتعامل مع التعليم الرقمي وحسن توظيف تكنولوجيا المعلومات والاتصال
- ✓ توفير الإمكانات المادية واللوجيستية اللازمة لمختلف الأطراف من أجل الانخراط في فعل التعلم.

ب) أسباب محدودية نتائج عملية التعلم عن بعد:

إن غياب الشروط التي سبق ذكرها شكلت أحد عوامل تعثر عملية التعليم عن بعد، رغم الجهود المستعجلة المبذولة من قبل الوزارة والأطر التربوية والإدارية في فترة الطوارئ الصحية. لذلك فإن خدمة التعليم عن بعد وتقييمها ينبغي أن يرتكز على قيم مركزية تعتمدها المنظومة ويقرها الدستور المغربي، وهي قيمتي الجودة والإنصاف، وبناء على ذلك فإن المتتبع لهذه العملية التربوية سيجد أنها واجهت عدة عوائق أسهمت في محدودية آثار هذه العملية من خلال المستويات الآتية:

▪ الهشاشة الاقتصادية والاجتماعية لأسر التلاميذ:

إذا كانت متابعة القنوات والدروس المبثوثة عبرها تمكن عددا كبيرا من المتعلمين من متابعتها حتى في العالم القروي، فإن إكراهات أخرى تفرض نفسها مثل إشكالية متابعة تلميذين أو أكثر داخل نفس الأسرة لدرسين مبثوثين في قناتين مختلفتين، كما أن تلك الدروس ينقصها البعد التفاعلي بين المتعلمين والأستاذ، كما تغيب عنها الأمثلة والتطبيقات الكافية التي تسهم في إدماج التعلمات، كما لا يحضر فيها اعتبار للإيقاعات المختلفة للتعلم لدى المتعلمين. وقد أسهم الغلاف الزمني المحدد للدروس في أن يركز الأساتذة اللذين قدموها على المكتسبات المعرفية الأساس.

أما عملية التعليم عن بعد، من خلال وسائل التواصل الاجتماعي وصفحات المؤسسات التعليمية، ومجموعات الواتساب، فقد عرفت إشكالات عدة، منها:

- ✓ عدم توفر جميع المؤسسات على صفحات خاصة بها بوسائل التواصل الاجتماعي، وعدم وجود انخراط سابق للأساتذة والمتعلمين بها.
- ✓ عدم توفر جميع المتعلمين على هواتف ذكية أو حواسيب، ليواكبوا من خلالها التعليم عن بعد، أو تناوب عدد من الإخوة عليها؛
- ✓ عدم توفر كثير من المتعلمين والمتعلمات على الأنترنيت، مع رداءة خدمته المقدمة في هذه المرحلة؛ كما يسجل أن شركات الاتصالات قد أتاحت الولوج إلى المنصات التعليمية الرسمية مجانا في مرحلة متأخرة، لكن في ضوء الصبيب المنخفض ظلت الاستفادة محدودة.

▪ مسؤولية الأسرة عن المصاحبة التربوية:

لقد اضطلعت الأسر بمسؤوليات وأعباء متعلقة بمواكبة أبنائهم وبناتهم في عملية التعليم عن بعد، لاسيما في المرحلة الابتدائية، حيث يحتاجون لآبائهم في استخدام الهاتف، واستعمال تطبيقات ومنصات مختلفة، مثلClassroom، وهذه المسؤوليات تستدعي كفاءة ومهارات لا يتوفر عليها كثير من الآباء، كما أن مستوى كثير منهم لا يؤهلهم لمساعدة أبنائهم في المسار الجديد الذي سلكوه في التعلم عن بعد.

كما أن التزامات الوالدين بعملهم الحضوري أو عن بعد، كبد الأسرة مسؤوليات وضغوطا جديدة.

▪ غياب المقاربة البيداغوجية المؤطرة لعملية التعليم عن بعد:

على الرغم من أن عملية التعليم عن بعد اتخذت في سياق استثنائي، وأن هم الوزارة قد انكب على تقديم منتوج سريع لعموم المتعلمين؛ فإن ذلك لا يعفيها من ضرورة التأطير البيداغوجي لمختلف عمليات التعلم عن بعد.

ولئن كانت عناية الدروس المقدمة على القناة الثقافية قد لقيت عناية من قبل الوزارة، ومتابعة من قبل المجتمع، فقد توجه النقد عبر وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي لبعض تلك الدروس المقدمة، فإن ما كان يقدمه عموم الأساتذة لتلامذتهم عبر الوسائل والوسائط المتاحة يعد أكثر أهمية اعتبارا للفئة العريضة المستهدفة.

أما كثير من المدرسين يكتفون بتقديم ملخصات للدروس وتمارين، ثم إرسالها للمتعلمين في ملفات وورد أو بدف أو مصورة عن مخطوطاتهم؛ دون مراعاة للسيرورة العقلية التي يشتغل بها المتعلمون في الاكتساب. خصوصا وأن مجموعة من الدراسات نبهت إلى بعض سلبيات التعليم عن بعد التي ينبغي أخذها بعين الاعتبار، ومن ذلك: "غياب الأجواء الإنسانية المباشرة بين المتعلم والمادة التعليمية الإلكترونية، واستهدافه لفئات محددة من الراغبين في التعلم عن بعد. وهناك مقررات تعليمية قد تصلح للتعليم الإلكتروني المباشر، وتحقيق فعالية عالية في الأداء"[1].

لذلك كان من مسؤوليات الوزارة أن تعمل على تأطير هذه العملية، من خلال استصدار دليل للتعليم عن بعد، يقدم توجيهات ومقاربات ديداكتيكية للمدرسين من أجل التواصل والتفاعل مع المتعلمين، وبناء سيناريوهات بيداغوجية تراعي إيقاع التعلم عن بعد وخصوصيته، وتتيح النقل الديداكتيكي للتعلمات وتقويم تحصيلها.

وفي ظل غياب هذا الدليل والتأطير الكافي والتكوين اللازم، فقد عمل عدد من الأساتذة على بذل مجهودات متميزة من خلال الارتقاء بمهاراتهم في التعامل مع تلك الوسائط تحت إشراف المفتشين التربويين، وتحقيق أكبر تفاعل ممكن مع المتعلمين، وذلك ما أسهم في إغناء المواد الرقمية المعروضة في منصات الوزارة. لكن عددا من الأساتذة ظلت إنتاجاتهم ضعيفة بسبب عدم تمكنهم من التعامل بفعالية مع تكنولوجيا المعلومات، والقدرة على تقديم موارد رقمية جذابة للمتعلمين تتيح قدرا من التفاعل لديهم.

- **الوضعية النفسية للتلاميذ وعزوف بعضهم عن التعلم عن بعد:**

كان للتوقف عن التعلم الحضوري في المدارس أثره النفسي. ولا يخفى ما تمثله المدرسة بالنسبة للأطفال. على اختلاف أعمارهم. فالأطفال في المرحلة الأولى للتعليم الابتدائي يكون لهم تعلق عاطفي ووجداني كبير بمدرساتهم ومدرسيهم، لذلك فغياب ذلك الاتصال المباشر كان له أثر نفسي بالغ، أما تلاميذ المرحلة الثانية من الابتدائي والإعدادي والتأهيلي، فالمدرسة ليس مصدرا للمعرفة والتعلم فقط، وإنما فضاء اجتماعي نسجوا فيه علاقاتهم، وصارت مجموعة أصدقائهم تشكل جزءا من هويتهم ووجودهم.

1 الحراثي ميلاد، التعلم والتعليم عن بعد والحاجة إليه، مقدمة مفاهيمية وصفية فنية للتعليم عن بعد وإدارة جودته، مجلة الجودة في التعليم، العدد الخامس، الصادر بتاريخ 5 دجنبر 2013، من تنظيم الجمعية المغربية لتحسين جودة التعليم، ص332.

لذلك ففي غياب تواصل مباشر عبر منصات لغالبية المتعلمين كرس هذا الوضع النفسي، وبالإضافة لما سبق من أسباب، فقد أعرض بعض التلاميذ عن عملية التعليم عن بعد، لا سيما بعدما علموا أن مرحلة ما بعد توقيف التعلم الحضوري لن تحتسب في التقويم[1]

المحور الثاني: إشكالات قطاع التعليم الخصوصي

1- واقع التعليم الخصوصي في المنظومة التعليمية المغربية:

لقد بدأ قطاع التعليم الخصوصي في تنام مستمر، وذلك بفعل مجموعة من عوامل الاكتظاظ في المدرسة العمومية والإضرابات، والرغبة في تعليم أكثر جودة، جعلت أولياء أمور الأطفال يلجؤون لمؤسسات التعليم الخصوصي. ويبلغ عدد المتمدرسين في هذا القطاع برسم الموسم الدراسي 2018 ـ 2019 أزيد من مليون متمدرس ومتمدرسة، والذين يشكلون نسبة 14.50 ٪ من مجموع التلاميذ بالقطاع المدرسي، يتوزعون على الأسلاك كالآتي[2]:

السلك	عدد المؤسسات	عدد المسجلين	النسبة من مجموع التلاميذ
التعليم الابتدائي:	3331	768753	17.34 ٪
التعليم الثانوي الإعدادي:	1577	172327	9.91٪
التعليم الثانوي التأهيلي:	920	101540	9.96 ٪
المجموع	5828	1042620	14.50 ٪

1 انظر بلاغ وزارة التربية الوطنية، حول مصير الموسم الدراسي، الصادر بتاريخ 12 ماي 2020.

2 انظر موجز إحصائيات التربية 2018 ـ 2019 الصدر عن وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي والبحث العلمي والتكوين المهني.

وتتمركز هذه النسبة بشكل كبير في محور القنيطرة ـ الجديدة.

وقد رصدت مجموعة من التقارير الرسمية اختلالات يعرفها هذا القطاع على مستوى البنيات المادية ومصاريف التسجيل والتأمين واحترام المناهج والبرامج. وقد جعلت الرؤية الاستراتيجية والقانون الإطار هذا القطاع من أوليات أهداف الإصلاح، ومن تلك الأهداف[1]:

- ✓ مراجعة نظام الترخيص والاعتماد والاعتراف بالشهادات، ومنظومة المراقبة والتقييم المطبقة على المؤسسات المذكورة.
- ✓ تحديد ومراجعة رسوم التسجيل والتأمين والخدمات ذات الصلة بمؤسسات التربية والتعليم والتكوين الخاصة وفق معايير.
- ✓ جعل التكوين المستمر إلزاميا وضمن عناصر تقييم الأداء.

ولقد ظلت هذه الإشكالات مصاحبة لهذا القطاع الحساس، والذي تم تغييب شريك أساسي فيه، وهو جمعيات آباء وأولياء أمور التلاميذ، فعلى الرغم من أن الوزارة دعت هذه المؤسسات إلى ضرورة الدعوة إلى تأسيس هذه الجمعيات لتسهم في الارتقاء بهذا القطاع التربوي وأوكلت متابعة ذلك إلى المديريات الإقليمية والأكاديميات الجهوية للتربية والتكوين[2]، فلقد ظلت كثير من تلك المؤسسات تعرقل تأسيسها.

ومما يسجل على هذه المؤسسات تغييبها لأنشطة الحياة المدرسية ومساعدة المتعلمين والمتعلمات على الاندماج في الحياة العامة، مما يؤثر سلبا على شخصية التلاميذ اللذين ينشؤون في تلك المؤسسات التي لا تضم معظمها فضاءات ملائمة للأنشطة الرياضية وأنشطة الحياة المدرسية.

---

1 انظر المادة 13 و14 من القانون الإطار رقم 51.17 المتعلق بمنظومة التربية والتكوين والبحث العلمي، الجريدة الرسمية، عدد 6805، 17 ذو الحجة 1440 (19 أغسطس 2019)، ص 5627-5628.

2 انظر المذكرة 80الصادرة بتاريخ 24 يونيو 2003، في موضوع تأسيس جمعيات آباء وأولياء أمور التلاميذ بمؤسسات التعليم المدرسي الخصوصي.

2- موجة الغضب الأولى تجاه مؤسسات التعليم الخصوصي بداية الحجر الصحي:

بعد توقيف الوزارة للتعليم الحضوري بمختلف مؤسسات التربية والتكوين بمختلف أصنافها بتاريخ 16 مارس 2020، توقفت الدراسة بمؤسسات التعليم الخصوصي حضوريا، ثم عملت تلك المؤسسات على القيام بأنشطة للتعليم عن بعد.

وعلى الرغم من أن الأولياء قد أدوا مستحقات شهر مارس، فإن الهيئات الممثلة لأرباب تلك المؤسسات (الفيدرالية المغربية للتعليم و التكوين الخاص FMEFP و كذا رابطة التعليم الخاص بالمغرب AEPM ثم الهيئة الممثلة للمدارس الكبرى CDGE) سارعت إلى مراسلة رئيس الحكومة من أجل المطالبة باعتبار قطاع التعليم الخصوصي ضمن القطاعات الهشة والمهددة بالإفلاس، والتي يجب دعمها، للاستفادة من الصندوق الخاص الذي أنشئ لدعم القطاعات المتضررة من فيروس كورونا المستجد، وتمكينهم من الاستفادة من آجال أداء المستحقات الاجتماعية والضريبية، ووقف أداء مستحقات الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي وإعفاء المؤسسات من الغرامات المترتبة عن تأخر الأداء. كما طالبت بتعويض المستخدمين كلا أو جزءا، في حالة عجز المؤسسة عن تأدية الأجور[1].

هذه المراسلة أثارت سخطا وغضبا عارما، خصوصا في مواقع التواصل الاجتماعي، فقد اعتبر موقفا نشازا في الجو العام من حملات التضامن والتكافل، ومساهمة كل المؤسسات والأشخاص الذاتيين في دعم صندوق مواجهة الجائحة.

وهذا الغضب سيجعل رابطة التعليم الخصوصي تصدر بلاغا تعتذر فيه عن مراسلتها السابقة، ومما جاء فيه: "نأسف لما خلفته هذه الرسالة من استياء لدى مجموعة من المتتبعين للشأن التربوي خاصة، والشأن الوطني عامة...ونلفت الانتباه إلى أن الرسالة الموجهة للسيد رئيس الحكومة لم تتضمن أي طلب باستفادة المستثمرين أو مالكي المؤسسات التعليمية من صندوق تدبير جائحة فيروس كورونا، وإنما جاء الطلب مرتبطا بدعم بعض مستخدمي القطاع، في حالة عجز بعض المؤسسات عن صرف رواتب الأساتذة والمستخدمين كلا أو جزء، في حالة تمديد فترة التوقف عن الدراسة وما قد يرافقها من

1 انظر مراسلة هيئات التعليم الخاص الموجهة لرئيس الحكومة، في موضوع: تداعيات فيروس كورونا المستجد على قطاع التعليم والتكوين الخاص، بتاريخ 18 مارس 2020.

عجز آباء وأولياء التلاميذ المتضررين من الأزمة عن أداء تكاليف دراسة الأبناء؛ وهو وضع لا نريده ولا نتمناه"[1].

وقد صرح وزير الشغل والإدماج المهني، خلال اجتماع لجنة التعليم والشؤون الثقافية بمجلس المستشارين اليوم الثلاثاء والذي خصص لمناقشة مشروع قانون رقم 25.20 بسن تدابير استثنائية لفائدة المشغلين المنخرطين بالصندوق الوطني للضمان الاجتماعي والعاملين لديهم المصرح بهم، المتضررين من تداعيات تفشي جائحة فيروس كورونا (كوفيد ـ19)، فقال: "خلال مارس الماضي، وقع لنا مشكل حقيقي بالنسبة للمدارس الخاصة"، مضيفا أنها "صرحت بأكثر من 48 ألف أجير باعتبارهم فقدوا شغلهم وهم استخلصوا واجبات مارس من الآباء والأولياء"[2].

لقد أدت هذه الأحداث وما ترتب عليها من ردود أفعال شعبية وحكومية أيضا، إلى تقديم صورة سلبية عن عدد كبير من مؤسسات التعليم الخصوصي.

3- النزاع بين أولياء أمور التلاميذ وأرباب مؤسسات التعليم الخصوصي:

مع بداية شهر أبريل طفا نزاع بين مؤسسات التعليم الخصوصي وأولياء أمور التلاميذ، بعد مطالبتها بواجبات التمدرس كاملة بل بعضها طالب بمقابل خدمات النقل المدرسي والإطعام التي لم تؤد بأي شكل من الأشكال. هذا النزاع سيتسع ويتمدد، ويتخذ أبعادا مختلفة؛ من خلال عرائض منددة بمطالبة المؤسسات الخاصة بمقابل خدمات لم تؤدها، وتأسيس تنسيقيات لأولياء أمور التلاميذ بتلك المؤسسات، وتكوين مجموعة وطنية خاصة بهم، حملت اسم "اتحاد آباء وأولياء تلاميذ مؤسسات التعليم الخاص بالمغرب" والتي بلغت بتاريخ 16 يونيو أكثر من 43 ألف منخرط. وستنظم وقفات أمام تلك المؤسسات والمديريات الإقليمية، وسيتحول النزاع إلى نقاش مجتمعي غطته وسائل الإعلام المحلية والدولية، وعلى الرغم من تباين مطالب أولياء الأمور في تفاصيلها إلا أنها تجمع على أن خدمة التعليم عن بعد لا تضاهي الخدمة المتعاقد عليها، مما يستوجب تخفيض تلك الرسوم بالنسبة لأشهر ماي وأبريل، مع المطالبة بإلغاء رسوم شهر يونيو.

وسأحاول أن أستعرض جوانب النزاع بين الطرفين:

---

1 بلاغ رابطة التعليم الخاص بالمغرب، الصادر بتاريخ 19 مارس 2020.

2 انظر: https://www.hespress.com/societe/467623.html، اطلع عليه بتاريخ 17 ـ 06 ـ 2020.

- **المستوى القانوني:**

تمارس مؤسسات التعليم الخاص وفق القانون رقم 06.00 بمثابة النظام الأساسي للتعليم المدرسي الخصوصي الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.00.202 بتاريخ 15 من صفر 1421(19ماي2000)، وهذا القانون يحدد الخدمة التي تقدمها عموم مؤسسات التعليم الخصوصي للمتعلمين والمتعلمات في تلك المحددة في المناهج والبرامج الدراسية المقررة، والتي تشمل الدروس الحضورية، ومراقبة التلاميذ ومواكبة مسار تدريسهم من خلال مختلف أنشطة الحياة المدرسية؛ أما خدمة التعليم عن بعد فقد وضع لها المشرع ضوابط نصت عليها المادة 19 من القانون والتي جاء فيها: "يتم الانتساب إلى مؤسسات التعليم عن بعد وبالمراسلة بموجب عقد يبرم بين المؤسسة والتلميذ أو ولي أمره، تحدد فيه حقوق وواجبات المتعاقدين.

ويجب أن يتضمن العقد بوجه خاص شروط تلقي التعليم عن بعد وبالمراسلة، ولا سيما ما يتعلق بخدمات المساعدة التربوية والتعليمية المتعلقة بطرق العمل والأشغال والتمارين وعملية التصحيح.

ويجب أن يلحق بالعقد تصميم الوحدات الدراسية ومدة كل منها ومستوى التعلمات الواجب توفرها لدى التلميذ من البرنامج المعد له.

ويتم احتساب نفقات الكتب والأدوات والوسائل التعليمية الضرورية لتلقي هذا النوع من التعليم على حدة ويكون بثمن كلفتها.

ويكون باطلا كل عقد لم يتضمن البيانات الواردة في الفقرتين الثانية والثالثة من هذه المادة"[1].

من خلال ما سبق، يتبين أن التعليم عن بعد لا يندرج بأي حال ضمن الخدمة المتعاقد عليها أساسا مع أولياء أمور المتعلمين، كما أن النص القانوني يشترط عقدا خاصا بعملية التعليم عن بعد الذي يجب أن يتضمن بيانات وتوصيفات محددة لتلك الخدمة على المستوى التنظيمي والبيداغوجي؛ وهذا ما لم تقم به مؤسسات التعليم الخصوصي عند شروعها فيما سمي عن بعد.

1 القانون رقم 06.00 بمثابة النظام الأساسي للتعليم المدرسي الخصوصي الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.00.202 بتاريخ 15 من صفر 1421(19ماي2000).

وإذا كان هذا المستند الرئيس الذي استند إليه آباء وأولياء أمور التلاميذ في موقفهم، فإنه ينضاف إليه سبب جزئي يتعلق بما لحق بعض الأسر من ضرر مادي في مدخولهم نتيجة الحالة الوبائية[1].

كما أن عملية التعليم عن بعد قد أعفت المؤسسات التعليمية من كثير من المهام التي تقوم بها، من استقبال المتعلمين ومراقبتهم زمن التعلم، وتوفير فضاءات التعلم وشروطه، وما يتعلق بها من مسؤوليات تربوية وإدارية. ومن جهة أخرى أثقلت الأسر بمسؤوليات وأعباء مالية جديدة، منها:

- ✓ **توفير حواسيب أو لوحات إلكترونية أو هواتف لكل طفل داخل الأسرة؛**
- ✓ **توفير صبيب أنترنيت مرتفع للتمكن من مواكبة التعلم عن بعد؛**
- ✓ **مواكبة الوالدين الدائمة لمساعدة المتعلمين ومراقبتهم لا سيما في المرحلة الابتدائية؛**
- ✓ **تحمل الآثار النفسية والصحية للتعليم عن بعد، والاستعمال المفرط للشاشات.**

وهذه الحيثيات كلها، جعلت الأولياء ينظرون إلى مشروعية مطلبهم بالتخفيض من واجبات التمدرس، بل رأوا أن الأداء الجزئي في ضوء تلك الشروط ينبغي تدقيقه.

كما أن قانون العقود والالتزامات يأخذ بعين الاعتبار الحالات القهرية التي لا يستطيع فيها أحد الطرفين الوفاء بالتزاماته، فقد جاء في الفصل 338 من الباب الثاني من قانون الالتزامات والعقود على ما يأتي: "إذا كان عدم تنفيذ الالتزام راجعا إلى سبب خارج عن إرادة المتعاقدين، وبدون أن يكون المدين في حالة مَطل، برئت ذمة هذا الأخير، ولكن لا يكون له الحق في أن يطالب أداء ما كان مستحقا على الطرف الآخر.

فإذا كان الطرف الآخر قد أدى فعلا التزامه، كان له الحق في استرداد ما أداه، كلاً أو جزءا بحسب الأحوال، باعتبار أنه غير مستحق"[2].

أما مؤسسات التعليم الخصوصي فترى أنها قدمت خدمات التعليم عن بعد، ولها التزامات مالية تجاه أجرائها وأساتذتها، مما يستدعي التزام الأولياء بأداء واجبات

---

1 ينظر في بعض تصريحات أولياء أمور التلاميذ وممثليهم، وعلى سبيل المثال: https://m.al3omk.com/550250.html ، اطلع عليه بتاريخ 15-06-2020.

2 وزارة العدل، مديرية التشريع، قانون العقود والالتزامات المحين بتاريخ 18 فبراير 2016، ص: 75.

التمدرس، وقد عملت بعض تلك المؤسسات على الضغط بأشكال مختلفة تداولتها بيانات ممثلي الأولياء، مثل إقصاء المتمدرسين الذين لم يؤد أولياؤهم واجبات التمدرس من مجموعات التعليم عن بعد، وعدم منحهم الشواهد المدرسية، أو التهديد بعدم تسليمهم استدعاءات الامتحان الإشهادي...

وأمام تفاقم هذا الوضع وتصاعد الاحتقان الذي بدأ يتشكل، تدخلت الوزارة مركزيا وجهويا من أجل ما سمي بالوساطة بين ممثلي بعض فيدراليات أولياء أمور التلاميذ وممثلي هيئات التعليم الخاص، وقد نصت على:

- ✓ اعتبار مصلحة المتعلمين والمتعلمات خطا أحمر لا ينبغي المساس به ولا بحقوقهم الأخرى؛
- ✓ الدعوة إلى الحوار وإيجاد حلول؛
- ✓ الدعوة إلى أخذ وضعية الأسر المتضررة بعين الاعتبار.

لكن الاحتقان سيظل قائما، لا سيما وأن الوزارة اتخذت مسافة من النزاع، وسكتت عن تناول الإشكال الرئيسي المتعلق بالجانب القانوني، وركزت على مراعاة المؤسسات الخاصة لوضعية الأسر المتضررة.

▪ المستوى التربوي:

لما كان لجوء أولياء أمور التلاميذ إلى التعليم الخصوصي من أجل تحصيل تعليم أكثر جودة لأبنائهم، فقد كانت صدمة بعضهم كبيرة نتيجة ضعف المنتوج الذي قدم أثناء التعليم عن بعد، ومن ذلك:

- ✓ الاكتفاء بإرسال الدروس والتمارين عبر الواتساب في ظل غياب تفاعل حقيقي يستوفي معايير جودة التعليم عن بعد؛
- ✓ تقليص الغلاف الزمني وحذف بعض المواد الدراسية، لا سيما في الثانوي، فقد صارت الأقسام الافتراضية تضم 90 تلميذا وأكثر، مما اعتبره بعض الأولياء جشعا من طرف المؤسسة، التي حاولت أن تضاعف أرباحها، من خلال عملية ضم الأقسام، لا سيما وأن جل الأساتذة العاملين بالثانوي هم متعاقدون يؤجرون حسب ساعات عملهم؛

✓ مقارنة تسجيلات الدروس المقدمة على القنوات أو على مواقع التواصل الاجتماعي مقارنة مع ما تقدمه بعض المؤسسات

✓ غياب مواكبة ومتابعة تربوية لسيرورة الاكتساب لدى المتعلمين كما في التعليم الحضوري.

كل تلك الملاحظات التي سجلها بعض أولياء الأمور، جعلتهم ينظرون إلى المنتوج المقدم في التعليم عن بعد لا يرتقي إلى مستوى واجبات التمدرس التي تطالب بها المؤسسات.

وتجدر الإشارة إلى أن تفاعل مؤسسات التعليم الخصوصي كان متباينا من مدينة لأخرى، ومن مؤسسة لأخرى، ففي الوقت الذي استبقت فيه بعض المؤسسات الأحداث، وأعفت أولياء الأمور من الأداء الكلي أو الجزئي، اعتبارا لخصوصية المرحلة والخدمات المقدمة، واعتبارا لوضعية بعض الأسر ماديا؛ نجد مؤسسات أخرى سلكت مسلك تجاهل مطالب الأولياء والتنسيق فيما بينها، واتخاذ إجراءات جرت عليها انتقادا واسعا من قبيل التهديد بعدم إعادة تسجيل التلاميذ أو عدم منحهم شهادة المغادرة ...

وهذا الاختلاف يطرح سؤال أخلاقيات هذا النوع من المقاولات، ومآلات هذا النزاع، الذي قد لا تقف تبعاته عند حدود أشهر ثلاثة وقع عندها النزاع..

4- مآلات النزاع بين مؤسسات التعليم الخصوصي وأولياء أمور التلاميذ:

أثار النزاع الذي وقع إشكالات متعددة متعلقة بمصاريف التسجيل والتأمين والمبالغ المرتفعة وغير المنضبطة التي تهيمن على واقع هذا القطاع، كما أن مصداقية المدرسة الخصوصية قد اهتزت في نظر الرأي العام، وتعالت دعوات بالرجوع إلى المدرسة العمومية، بل طالب 180 ولي أمر تلميذ بفاس عبر محاميهم أن يمنح أبناؤهم شهادة المغادرة نحو مدارس عمومية.

أما وزارة التربية الوطنية فقد استشعرت تأخرها في معالجة المشاكل المتعلقة بهذا القطاع والتي جعلتها الرؤية الاستراتيجية من أهدافها، ودعا القانون الإطار إلى معالجتها عبر نص تنظيمي؛ وبناء على ذلك سارعت إلى إطلاق لقاءات تشاورية منها اللقاء التشاوري المنعقد بمقر الوزارة بالرباط يوم الخميس 11 يونيو الجاري بين مدير التعاون والارتقاء

بالتعليم المدرسي الخصوصي ومدير الشؤون القانونية والمنازعات، مع الهيئات الممثلة لمؤسسات التعليم المدرسي التابعة للقطاع الخاص، حول المقترحات التشريعية الجديدة المتعلقة بهذه المؤسسات، والتي تروم تحيين القانون رقم 06.00 الجاري به العمل حاليا[1].

لكن الهواجس المهيمنة على النقاش المجتمعي، هو مدى استحضار الوزارة لمصلحة المتعلمين والمتعلمات وأولياء أمورهم، وهل النص القانون الذي سيصدر سيسعى إلى معالجة الاختلالات القائمة أم أنه سيعطي المشروعية لها؟

خلاصات وتوصيات:

من خلال هذه الورقة التي حاولت تسليط الضوء على تفاعل المنظومة التعليمية المغربية مع الحالة الوبائية وتأثيراتها على سيرورة الفعل التعلمي بكل من المدرسة العمومية والخصوصية، من خلال ما سمي بالاستمرارية البيداغوجية، يمكن أن نخلص إلى ما يلي:

- ✓ **لقد كان لوزارة التربية الوطنية تفاعل سريع مع الحالة الوبائية من حيث قرار توقيف التعليم الحضوري، والتسريع ببث دروس التعلم عن بعد من خلال القنوات التلفزية، والانطلاق في تسجيل الدروس وإنتاج الموارد الرقمية؛**
- ✓ **إن عدم قطع أشواط مهمة في إنجاز أهداف استراتيجية حددتها مختلف الوثائق المؤطرة للمنظومة التعليمية كان له أثر على فعالية الإجراءات المتخذة من خلال عملية التعلم عن بعد، ويتجلى ذلك في:**
  - **غياب تكوين معمم لجميع المدرسين على الاشتغال على المنصات الإلكترونية وإنتاج موارد رقمية، وتدبير سيناريوهات بيداغوجية؛ وتمكينهم من الشروط المادية والتقنية لاعتماد التعليم الرقمي في ممارستهم البيداغوجية؛**
  - **عدم وجود موارد رقمية منسجمة مع المنهاج التعليمي مراجعة ومصادق عليها في جميع المواد والمستويات؛**

---

1 انظر البلاغ الإخباري للوزارة بخصوص اللقاء، والصادر بتاريخ 11-06-2020.

- ✓ إن إصدار دليل للتعلم عن بعد يراعي مختلف المستويات والمواد الدراسية، والإمكانات المتاحة، كان حاجة ملحة لتأطير الفعل التربوي للمدرسين والمدرسات أثناء فترة الحجر الصحي، وكان بإمكانه أن يرفع من فعالية أدائهم؛
- ✓ إن عدم توفر وسائل التعلم عن بعد لجميع المتعلمين والمتعلمات على حد سواء قد غيّب شرط الإنصاف عن هذه المرحلة، وجعل ذلك التعلم في حكم المعدوم، حيث لم تعتمد في المستويات الإشهادية، وينبغي اعتبارها مكتسباتها غير متوفرة لدى المتعلمين في المستويات الموالية، مما سيلقي أعباء تربوية على المستوى الدراسي المقبل؛
- ✓ يعد قطاع التعليم الخصوصي قطاعا اجتماعيا اعتبارا لعدد المشتغلين به، كما أنه يخفف من أعباء الدولة في التعلم من خلال ما يبذله أولياء أمور التلاميذ في سبيل تحصيل أبنائهم، لكن واجبات الدولة تتجلى في ضبط هذا القطاع من الجانب التنظيمي والتربوي، لكن يلاحظ أنه في سياق الجائحة بروز أثر التأخر في إهمال إنجاز أهداف الرؤية الاستراتيجية في ها القطاع والتي تهم تنظيمه؛ لذلك يجب على الدولة الإسراع في تنظيم هذا القطاع على مستوى واجبات التسجيل والتأمين وضبط الحقوق والالتزامات، من خلال رؤية شمولية تراعي طبيعة حق التعلم للشريك الحقيقي في هذا القطاع وهم آباء وأمهات التلاميذ والذين فضلوا أن يتحملوا مؤونة تعليم أبنائهم.
- ✓ التدخل المحتشم للدولة في معالجة المشكل الواقع بين أرباب مؤسسات التعليم الخصوصي وأولياء أمور التلاميذ ستكون له آثار وخيمة من حيث اهتزاز صورة هذا التعليم، وفقدانه لنصيب كبير من الثقة التي كان يحملها جزء من المجتمع، وذلك يمكن أن تكون له آثار وخيمة على تراجع هذا القطاع، والهجرة نحو المدرسة العمومية.

إن الحالة الوبائية وما أفرزته من إشكالات ومبادرات على مستوى قطاع التعليم، قد أثارت انتباه مختلف المتدخلين السياسيين والتربويين والاجتماعيين إلى مساحات للاشتغال والتطوير والإصلاح، لذلك ينبغي اغتنام تلك الدروس المستفادة.

لائحة المراجع المعتمدة:

- تقرير المجلس الأعلى للحسابات، المملكة المغربية، تقرير حول تقييم تدبير البرنامج الاستعجالي، ماي 2018.

- الحراثي، ميلاد، التعلم والتعليم عن بعد والحاجة إليه، مقدمة مفاهيمية وصفية فنية للتعليم عن بعد وإدارة جودته، مجلة الجودة في التعليم، العدد الخامس، الصادر بتاريخ 5 دجنبر 2013، من تنظيم الجمعية المغربية لتحسين جودة التعليم.
- رؤية استراتيجية للإصلاح 2015ـ 2030، من أجل مدرسة الإنصاف والجودة والارتقاء، المملكة المغربية، المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي.
- القانون الإطار رقم 51.17 المتعلق بمنظومة التربية والتكوين والبحث العلمي، الجريدة الرسمية، عدد 6805، 17 ذو الحجة 1440 (19 أغسطس 2019).
- القانون رقم 06.00 بمثابة النظام الأساسي للتعليم المدرسي الخصوصي الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.00.202 بتاريخ 15 من صفر 1421(19ماي2000).
- موجز إحصائيات التربية 2018 ـ 2019 الصدر عن وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي والبحث العلمي والتكوين المهني.
- وزارة العدل، مديرية التشريع، قانون العقود والالتزامات المحين بتاريخ 18 فبراير 2016.
- Peters, Otto, 1994, "Distance Education: The Industrialization of Teaching and Learning", Edt, Desmond Keegan, London: Routledge

❖ **مذكرات وبلاغات ومراسلات:**

- بلاغ إخباري لوزارة التربية الوطنية بخصوص اللقاء مع هيئات مؤسسات التعليم الخصوصي، والصادر بتاريخ 11 يونيو 2020.
- بلاغ رابطة التعليم الخاص بالمغرب، الصادر بتاريخ 19 مارس 2020.
- بلاغ وزارة التربية الوطنية، حول مصير الموسم الدراسي، الصادر بتاريخ 12 ماي 2020.
- مذكرة في موضوع تأسيس جمعيات آباء وأولياء أمور التلاميذ بمؤسسات التعليم المدرسي الخصوصي، رقم:80 الصادرة بتاريخ 24 يونيو 2003.

- **مذكرة في موضوع: التدابير الاحترازية والوقائية من فيروس كورونا المستجد COVID-19 وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي، رقم 20/014 الصادرة بتاريخ 06 مارس 2020.**
- **مراسلة هيئات التعليم الخاص الموجهة لرئيس الحكومة، في موضوع: تداعيات فيروس كورونا المستجد على قطاع التعليم والتكوين الخاص، بتاريخ 18 مارس 2020.**

المغرب وتجربة التعليم عن بعد زمن كوفيد 19

جمال والزين

أستاذ بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين
درعة تافيلالت، فرع ورزازات

- ملخص الورقة:

تعالج هذه الورقة تجربة المغرب في التعليم عن بعد زمن كوفيد 19، وتحاول أن ترصد الإجراءات التي اتخذتها الدولة في شخص الوزارة الوصية عن القطاع، مبرزة الإكراهات التي اعترضتها. كما تسائل حصيلة التجربة، وتستشرف آفاقها وشروط استثمارها في سياق إعداد النموذج التنموي الجديد حتى يكون التعليم عن بعد رافعة من الرافعات الأساسية لتحقيق مجتمع المعرفة.

- الكلمات المفاتيح:

التعليم عن بعد – الاستمرارية البيداغوجية – كوفيد 19 – مدرسة المستقبل.

1-تقديم:

باغتت جائحة "كورونا" العالم بأسره، ولم يكن أمام الدول من حل غير فرض الحجر الصحي حفاظا على سلامة مواطنيها، ولتطويق انتشار الفيروس في ظل عجز المختبرات ومراكز الأبحاث الطبية عن إيجاد دواء فعال ضد الوباء. ولم يكن المغرب بدعا من الدول، فقد سارع إلى اتخاذ تدابير استباقية لمواجهة الجائحة، كان لها آثار على مختلف الأصعدة الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية.

ويعد قطاع التربية والتعليم أحد القطاعات الحيوية التي طالتها الإجراءات الاستباقية، بل كان أحد القطاعات الحيوية الأولى التي تأثرت بتداعيات مواجهة كوفيد 19، حيث سارعت الوزارة الوصية إلى تعليق الدراسة في كل المؤسسات التعليمية بمختلف أسلاكها حتى قبل أن يفرض المغرب حالة الطوارئ الصحية. ولعل هذا الإجراء قد أملته

الاحتياطات الصحية وضرورة التباعد الاجتماعي –الذي عُدَّ أهم حل وقائي-خصوصا إذا استحضرنا حالة الاكتظاظ التي تعرفها فضاءات التربية والتعليم، والخوف من انتشار الفيروس في صفوف التلاميذ والطلبة.

لقد كان قطاع التربية والتعليم إذن واحدا من القطاعات الحيوية التي برزت فيه تداعيات مواجهة جائحة كورونا، حيث أقدمت الوزارة الوصية على اتخاذ إجراء احترازي غير مسبوق تمثل في التوقف بشكل نهائي عن التعليم الحضوري، واعتماد التعليم عن بعد لضمان الاستمرارية البيداغوجية لأزيد من عشرة ملايين متمدرس.

انطلاقا من هذا السياق، تعالج هذه الورقة موضوع: "المغرب وتجربة التعليم عن بعد زمن كوفيد 19" من خلال مقاربة جملة من الإشكالات أهمها:

- هل كان التعليم عن بعد خيارا استراتيجيا في منظومة التربية والتعليم المغربية أم قرارا اضطراريا أملته جائحة كوفيد 19؟
- كيف دبرت الوزارة الوصية ملف التعليم عن بعد؟ وما الإكراهات التي اعترضت التجربة؟
- ما النتائج المحصلة؟ وما آفاق التجربة في مغرب ما بعد كورونا؟

2- التعليم عن بعد.. اضطرار لا اختيار:

لم يكن الحديث عن التعليم أو التعلم عن بعد في المغرب وليد جائحة "كورونا"، بل كان خيارا اعتمدته الدولة باعتباره مكملا للتعليم الحضوري. وبالعودة إلى وثيقة الرؤية الاستراتيجية 2015-2030، نجد ذكرا للتعلم عن بعد ضمن المدخل الأول من المداخل الأربعة الواردة في الرافعة العشرين المعنونة ب"الانخراط الفاعل في اقتصاد ومجتمع المعرفة".

وقد نصت الوثيقة على "تنمية وتطوير التعلم عن بعد باعتباره مكملا للتعليم الحضوري، وعاملا في تنمية ثقافة العمل الجماعي والتشاركي".[1] وقد حافظ قانون – إطار رقم 51.17 المتعلق بمنظومة التربية والتكوين بما ورد في الرافعة العشرين من الرؤية الاستراتيجية، وجاء في المادة 33 من القانون الإطار ما يلي[2]:

1 المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، من أجل مدرسة الإنصاف والجودة والارتقاء، رؤية استراتيجية للإصلاح 2015-2030، ص 59، المملكة المغربية.

2 الجريدة الرسمية، قانون إطار 17.51، عدد 6805 – 17 ذو الحجة 1440 (19 أغسطس 2019).

"يتعين على الحكومة أن تتخذ جميع التدابير اللازمة والمناسبة لتمكين مؤسسات التربية والتعليم والتكوين والبحث العلمي في القطاعين العام والخاص من تطوير موارد ووسائط التدريس والتعلم والبحث في منظومة التربية والتكوين والبحث العلمي، ولاسيما من خلال الآليات التالية:

ـ تعزيز إدماج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في النهوض بجودة التعلمات وتحسين مردوديتها؛

ـ إحداث مختبرات للابتكار وإنتاج الموارد الرقمية وتكوين مختصين في هذا المجال؛

ـ تنمية وتطوير التعلم عن بعد، باعتباره مكملا للتعليم الحضوري؛

ـ تنويع أساليب التكوين والدعم الموازية للتربية المدرسية والمساعدة لها؛

ـ إدماج التعليم الإلكتروني تدريجيا في أفق تعميمه.

انطلاقنا من قراءتنا للنصين القانونيين المشار إليهما أعلاه، نسجل أن اعتماد التعلم عن بعد:

- جاء في سياق رؤية المجلس العلمي الأعلى للتعليم بضرورة فتح المدرسة المغربية لورش وازن يهم الانخراط الفاعل في اقتصاد ومجتمع المعرفة باعتباره واحدة من الرافعات الست المعول عليها لتحقيق مدرسة الارتقاء بالفرد والمجتمع؛

- يعد آلية ضمن آليات أخرى، تهدف إلى إدماج التكنولوجية في المدرسة باعتبارها شرطا حاسما في تجديدها والارتقاء بها وبجودة التعلمات، واستحضارا للأهداف التي وضعتها "استراتيجية المغرب الرقمي"؛

- يندرج ضمن سياسة تبني استراتيجيات جديدة للتعلم الذاتي، وتعلم التعلم، والتعلم مدى الحياة، والاكتشاف والمبادرة، من خلال اعتماد برامج ووسائط رقمية وتفاعلية، وتكوين مكتبات وموارد تربوية إلكترونية، وتوسيع الفرص في هذا المجال؛

- يُمَكِّن المتعلم من اكتساب كفايات جديدة على رأسها الكفاية التكنولوجية.

- ليس بديلا عن التعليم الحضوري، بل مكملا له. وقد أكدت بلاغات الوزارة الصادرة بعد تعليق الدراسة هذا الأمر، كما أكده السيد وزير التربية والتعليم والبحث

العلمي في معرض جوابه عن أسئلة البرلمانيين بشكل واضح وصريح بقوله: "قمنا بإطلاق هذه العملية ونحن واعون تمام الوعي أن هذا النوع من التعليم لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يعوض الدروس الحضورية"[1].

يتضح إذن من خلال ما سبق أن المغرب كان على وعي بأهمية التعليم عن بعد، لكن هذا الخيار ظل حبيس الأوراق ولم يجد طريقه إلى التنزيل في ظل غياب الشروط الموضوعية المساعدة على ذلك خصوصا ما يتعلق بالعدة البيداغوجية وبتكوين الأطر في هذا المجال، اللهم إذا استثنينا بعض المحاولات المحتشمة من قبل بعض الجامعات خاصة جامعة محمد الخامس بالرباط التي خاضت التجربة منذ 2002 بإنشاء خلية للتعليم عن بعد، لتتحول في 2005 إلى مركز الموارد الجامعية ثم في 2011 لمركز التعلم عن بعد، ليصبح هذا الأخير في 2019 مركز التعلم الرقمي[2]، لكنها ظلت تجربة محدودة إن على مستوى عدد المستفيدين من العملية أو على مستوى المواد الدراسية التي وظفت فيها هذه التقنية. أما باقي المؤسسات التعليمية خصوصا في السلكين الابتدائي والثانوي، فقد ظل التعليم عن بعد مجرد أماني.

يمكن القول إذن، إن عملية التحول الرقمي التي شهدها المغرب في قطاع التربية والتعليم لم تكن تنزيلا لخيار استراتيجي برؤية واضحة وإجراءات دقيقة، بل كانت قرارا اضطراريا أملته تداعيات جائحة كوفيد 19، بل إن "اللجوء إلى التعليم عن بعد كان الخيار الوحيد لضمان الاستمرارية البيداغوجية في ظل تعليق الدراسة الحضورية، وكذا في ظل تدابير الحجر الصحي التي اتخذتها بلادنا"[3]. وقد بدا الأمر واضحا من خلال تدبير الوزارة الوصية للعملية، والذي اتسم أحيانا بالارتباك، وبالتدرج في توسيع قاعدة الاستفادة من الموارد الرقمية المعدة لذلك وقنوات تصريفها.

3- تجربة التعليم عن بعد: التدابير والإكراهات:

لا يسع المتتبع لسير عملية التعليم عن بعد بالمغرب خلال مرحلة كوفيد19 إلا أن يثمن الجهود المبذولة من قبل مختلف الفاعلين وفي مقدمتهم الوزارة الوصية بكل

---

1 أمزازي سعيد، جواب السيد وزير التربية الوطنية والتعليم والبحث العلمي، جلسة الأسئلة الشفهية المبرمجة بمجلس النواب، 18 ماي 2020م.

2 وكالة المغرب العربي للأنباء، الموقع الالكتروني، /https://www.mapnews.ma/ar، التعليم عن بعد.. أربعة أسئلة لرئيس جامعة محمد الخامس محمد غاشي، تاريخ الزيارة: 12 ماي 2020م.

3 أمزازي سعيد، جواب السيد وزير التربية الوطنية والتعليم والبحث العلمي بمجلس النواب.

مستوياتها الوطنية والإقليمية والمحلية، وبمختلف مكوناتها الإدارية والتربوية. فقد عملت الوزارة الوصية على اتخاذ جملة من التدابير والإجراءات من أجل مواجهة تداعيات جائحة كورونا على منظومة التربية والتكوين والبحث العلمي، يهمنا منها ما يتعلق بما اصطلح عليه ب "ضمان الاستمرارية البيداغوجية". فقد اتخذت الوزارة مجموعة من الإجراءات من أجل توفير "التعليم عن بعد" لكافة التلاميذ والطلبة والمتدربين. ويمكن إجمال هاته التدابير والإجراءات في ما يلي:

- الشروع في تنزيل عملية التعليم عن بعد ابتداء من يوم الاثنين 16 مارس 2020، أي في نفس اليوم الذي تقرر فيه توقيف الدراسة الحضورية. وهذا الإجراء السريع كان له الأثر الفعال في انخراط الجميع في العملية، واستبعاد فرضية "العطلة الاستثنائية"، وهو ما فتئت تؤكد عليه البلاغات الوزارية الأولى، حيث نصت على أن "توقيف الدراسة لا يعني مطلقا إقرار عطلة مدرسية استثنائية، وإنما ملازمة التلاميذ منازلهم، ومتابعة دراستهم عن بعد عوض الدروس الحضورية"[1].

- استعمال منصة "TelmidTICE" من أجل توفير موارد رقمية للمتعلمات والمتعلمين: وقد بلغ مجموع الموارد الرقمية المتوفرة بالمنصة 6200 مورد رقمي تغطي جميع الأسلاك (ابتدائي، إعدادي، ثانوي) والمسالك والمستويات والمواد الدراسية، كما وصل معدل التتبع اليومي للتلاميذ عبر هذه المنصة 600 ألف تلميذ[2]. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الوزارة، ومنذ اليوم الأول لانطلاق عملية التعليم عن بعد، نبهت التلاميذ والأطر التربوية والإدارية والأسر إلى "أن أي مسطحة رقمية أو برامج معلوماتية يتم تداولها غير تلك التي أعلنت أو ستعلن عنها بشكل رسمي لا يعتد بها"[3]. وهو ما يفهم منه حرص الوزارة الوصية على الإشراف الكامل على العملية مخافة أن يتسرب إلى المتعلمين ما يتعارض وكفايات ومقاصد المنهاج التربوي الرسمي من جهة، وحماية لهم من الإرباك الذي يحدثه تعدد مصادر التلقي خصوصا إذا استحضرنا التدفق الرهيب للمعلومات والفوضى التي يعرفها العالم الرقمي بهذا الخصوص، مما يجعل المتعلم حقا عاجزا على التمييز بين الصالح والطالح.

---

1 وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي، بلاغ صحفي، 13 مارس 2020م – بلاغ إخباري رقم 2 (تعليق الدراسة بجميع مؤسسات التربية والتكوين)، 14 مارس 2020م.

2 أمزازي سعيد، جواب السيد وزير التربية الوطنية والتعليم والبحث العلمي. (مجمل الأرقام المتعلقة بالحصيلة تهم العملية إلى حدود يوم تقديم الوزير لجوابه أمام مجلس النواب).

3 وزارة التربية الوطنية، بلاغ إخباري رقم 2.

غير أن عجز الوزارة عن توفير الموارد الرقمية لكل الأسلاك التعليمية، ناهيك عن الإكراهات التقنية جعلها تستدرك في بلاغاته اللاحقة، وتطالب الأطر الإدارية والتربوية ب"أخذ المبادرة من أجل اقتراح بدائل أخرى مبتكرة تضمن التحصيل الدراسي للتلميذات والتلاميذ".

-بث الدروس المصورة عبر القنوات التلفزية الوطنية: وقد انطلق البث بداية مع القناة الثقافية يوم 16 مارس 2010م مع إعطاء الأولوية للمستويات الإشهادية، واتسع البث في المرحلة الثانية ليشمل القناة الأمازيغية (23 مارس 2020)، ثم قناة العيون في المرحلة الثالثة (24 مارس 2020)، وهو ما مكن من تغطية جميع المستويات الدراسية من السنة الأولى ابتدائي إلى السنة الثانية بكالوريا. وقد عمدت الوزارة إلى اعتماد البث التلفزي سعيا إلى ضمان الإنصاف وتكافؤ الفرص وتقليص الفوارق بين الأسر التي تتوفر على التجهيزات وتلك التي لا تتوفر على هذه التجهيزات، وأخذا بعين الاعتبار وضعية بعض المناطق بالعالم القروي غير المربوطة بشبكة الأنترنيت[1]. ويبلغ عدد الدروس التي تبث يوميا على القنوات الثلاثة 59 درسا، حيث وصل مجموع الدروس المصورة التي تم بثها 3441 درسا منذ انطلاق العملية[2]، بما في ذلك حصص الدعم والتقوية عن بعد التي عمدت الوزارة إلى إدراجها بشكل تدريجي في شبكة برمجة الدروس المتلفزة.

- إطلاق العمل بالخدمة التشاركية "Teams" المدمجة في منظومة مسار: وقد بدأ العمل بهذه الخدمة يوم 23 مارس 2020م، وكانت الغاية منها تمكين الأساتذة من التواصل المباشر مع تلاميذهم، وكذا تنظيم دورات التعليم عن بعد عبر أقسام افتراضية تتيح إمكانية إشراك التلاميذ في العملية التعليمية التعلمية[3]. وقد ناهزت نسبة تغطية مجموع الأقسام الافتراضية المحدثة بالتعليم العمومي 96٪، فيما وصلت بالتعليم الخصوصي إلى 71٪. وهمت هذه الخدمة أكثر من 85 ألف أستاذ و300 ألف تلميذ.

- الولوج المجاني إلى جميع المواقع والمنصات المعتمدة في التعليم عن بعد: ونسجل أن هذا الولوج هو إجراء مؤقت، حيث أشار بلاغ الوزارة أنه "وبعد التشاور بين الأطراف المعنية بما فيها الوكالة الوطنية لتقنين الاتصالات، قررت شركات الاتصالات الثلاث: اتصالات المغرب "Maroc Telecom" وأورونج "Orange" وإنوي "Inwi" بالنسبة

1 وزارة التربية الوطنية، بلاغ إخباري، الحصيلة المرحلية للتعليم عن بعد، 2 أبريل 2020م.
2 أمزازي سعيد، جواب السيد وزير التربية الوطنية والتعليم والبحث العلمي أمام مجلس النواب.
3 المرجع نفسه.

للشبكات الثابتة والمتنقلة، أن "يصبح الولوج مجانيا بصفة مؤقتة إلى جميع المواقع والمنصات المتعلقة بـ"التعليم أو التكوين عن بعد" الموضوعة من طرف وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي رهن إشارة التلاميذ والطلبة المتدربين، مع الإشارة إلى أن هذه المجانية لا تشمل قناة اليوتوب "Youtube"[1].

وقد تعزز هذا الإجراء بإطلاق الوزارة ل"منظومة معلوماتية تمكن التلميذات والتلاميذ من الولوج المجاني إلى منصة التعليم عن بعد "TelmidTICE" وكذا تحميل المواد الرقمية بدون ضرورة التوفر على رصيد "أنترنيت"[2]. ويأتي هذا الإجراء تعزيزا لمبدأ تكافؤ الفرص بين المتعلمين وكذا تمكينهم من الاستفادة من جميع الدروس التي تقدمها المنصة وخاصة حصص الدعم والتقوية والتحضير لامتحانات البكالوريا[3].

- إطلاق "الخدمة الإلكترونية إنصات": تم إطلاق هذه الخدمة من خلال الرقم الأخضر 0800001122 "وذلك لتلقي جميع الاستفسارات والاقتراحات حول سير عملية التعليم عن بعد"[4]. وقد تعززت هذه الخدمة بإطلاق رقم أخضر جديد (0800009361) متعلق باستعمال منصات التعليم عن بعد للإجابة عن استفسارات وتساؤلات المتعلمين وأولياء أمورهم وكذا الأطر التربوية والإدارية بخصوص منصات التعليم عن بعد. وتهدف هذه الخدمة الجديدة التي أطلقتها الوزارة بشراكة مع جامعة محمد السادس متعددة التخصصات بخريبكة وكذا مدرسة "1337 للبرمجة والابتكار" و"مدرسة يوكود" إلى "تمكين جميع مستعملي المنصات الإلكترونية "TelmidTICE" وكذا الخدمة التشاركية "Teams" من استثمارها على الوجه الأمثل، حيث تمكنهم من الحصول على جميع المعلومات التقنية المتعلقة بها"[5]. وقد تلقى المكلفون باستقبال المكالمات 7500 مكالمة بما مجموعه حوالي 450 ساعة، وتمحورت مجمل الأسئلة حول: كيفية الولوج إلى المنصات الرقمية، ومجانية الولوج لهذه المنصات، وبرمجة الامتحانات الدراسية.

- تأجيل العطلة الربيعية: تجدر الإشارة إلى أن قرار تعليق الدراسة جاء حوالي أسبوعين قبل موعد العطلة البينية الربيعية المقررة بدءا من 29 مارس، وهي مدة غير كافية ليستأنس الجميع بتجربة التعليم عن بعد، وهو ما دعا الوزارة إلى اتخاذ قرار تأجيل

1 وزارة التربية الوطنية، بلاغ مشترك مع وزارة الصناعة والتجارة والاقتصاد الأخضر والرقمي، 22 مارس 2020م.

2 وزارة التربية الوطنية، بلاغ إخباري، 31 ماي 2020م.

3 المرجع نفسه.

4 وزارة التربية الوطنية، بلاغ إخباري رقم 4، 15 مارس 2020م.

5 وزارة التربية الوطنية، بلاغ إخباري، 8 أبريل 2020م.

العطلة الربيعية في جميع الأسلاك الدراسية التابعة لقطاعات التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي "ضمانا للاستمرارية البيداغوجية وتفاديا للآثار السلبية التي قد يسببها أي توقف في التحصيل الدراسي والعلمي الذي يتم حاليا من خلال التعليم عن بعد"[1]، وعليه " فقد تقرر مواصلة التعليم والتكوين عن بعد... دون توقف وبالتالي تأجيل العطلة الربيعية التي كانت مقررة"[2].

كما يهدف هذا الإجراء حسب بلاغ الوزارة إلى "تمكين التلاميذ والطلبة والمتدربين من استكمال الدروس المبرمجة"، وهو ما يعكس حرص الوزارة على إنهاء المقرر الدراسي تفاديا لأي انعكاس سلبي لذلك على تحصيل المتعلمين. وهذا الهاجس يبدو جليا من خلال تقليص مدة العطلة من أسبوعين إلى أسبوع، وبرمجتها بعد مواصلة التعليم عن بعد لمدة ستة (6) أسابيع دون توقف.

إلى جانب هذه الإجراءات لا يمكن أن نغفل عن الجهود الكبيرة التي بذلها رجال ونساء التعليم بمختلف أسلاكهم وبإمكاناتهم الذاتية خصوصا حرصهم على ضمان الاستمرارية البيداغوجية باستثمار كل الوسائل المتاحة خاصة شبكات التواصل الاجتماعي، وتحديدا شبكة التواصل الفوري "واتساب"، ناهيك عن اعتماد عدد منهم لمنصات التواصل عن بعد من قبيل "زووم" و"كوكل ميتين"، وهو ما فتئت الوزارة تشيد به وتعتبره سلوكا ينم عن الحس الوطني، واستجابة لدعواتها المتكررة بضرورة انخراط الجميع لإنجاح عملية التعليم عن بعد، والتغلب عن الآثار السلبية لجائحة كورونا. كما لا يفوتنا أن ننوه بالمبادرات التي قادها عدد من الباحثين همت بالخصوص إنشاء منصات خارج ما هو معتمد رسميا، ومن هاته المبادرات نخص بالذكر مِنصَّةُ "**أدرُس** "ADROSS- للتعليم والتدريب التفاعُلي عن بُعد؛ هي منصة تعليمية مغربية 100٪، تهتمُّ بتدريس المنهاج التعليمي المغربي عبرَ خِدمة التعليم التفاعلي المُتزامِن عن بُعد، يُقَدِّم محتوياتها مجموعة من الأساتذة الأكفاء في مختلف المواد التعليمية لفائدة تلاميذ المدرسة المغربية[3].

لا يسع المتتبع لهاته الجهود المبذولة إلا أن يثمنها خصوصا إذا استحضرنا ظروف الجائحة المفاجئة، غير أن هاته الجهود واجهتها إكراهات عديدة نجملها في ما يلي:

1 وزارة التربية الوطنية، بلاغ إخباري، الأحد 29 مارس 2020م.

2 المرجع نفسه.

3 رابط المنصة على الأنترنيت: https://adross.ma/

- التعليم عن بعد والإكراهات التقنية والبيداغوجية: يعد الإلمام بالجوانب التقنية شرطا لازما لنجاح عملية التعليم عن بعد، وهو ما لم يألفه الأساتذة والمتمدرسون على السواء، وعلى الرغم من بعض الجهود التي بُذلت من أجل إدماج التكنولوجية في التعليم إلى أنه لا نزال نسجل ضعفا في تكوين الفاعلين التربويين في تكنولوجيا الإعلام والاتصال والبيداغوجيات الرقمية، بل انعدامه أحيانا. وأكدت دراسة أجرتها جامعة محمد الخامس بالرباط إبان فترة الحجر الصحي أن أكثر من 70٪ من الطلبة لم يسبق لهم أن استعملوا تقنيات التعليم عن بعد، كما أكد 72٪ من الأساتذة المستجوبين عدم إلمامهم بتقنيات التعليم عن بعد[1]، وهو ما أثر سلبا على مستوى الولوجية للمنصات الرقمية التي أنشئت للتعليم عن بعد. وهذا ما يفسر إقبال الأساتذة والمتمدرسين على السواء على استعمال شبكات التواصل الاجتماعي، وهو ما أكده تقرير المندوبية السامية للتخطيط، حيث أفاد أن شبكات التواصل الاجتماعي هي القنوات الأكثر استخداما لمتابعة الدروس عن بعد، حيث بلغت النسبة في التعليم العمومي: 40٪ في المستوى الابتدائي و44٪ في المستوى الإعدادي و46٪ في المستوى الثانوي. ويبرز التقرير أن هذه الشبكات أكثر استخداما في التعليم الخاص، بنسب تبلغ على التوالي 65٪ و61٪ و48٪[2]. وترتبط هاته الإكراهات أيضا بمشكلة الربط بالأنترنيت التي تنعدم في عدد من المناطق النائية، ويضعف صبيبها في مناطق أخرى، وهذا يعطل عملية التعليم عن بعد لارتهانها إلى الأنترنيت.

-التعليم عن بعد وتكافؤ الفرص: من الإكراهات الحقيقية التي واجهت عملية التعليم عن بعد عدم تكافؤ الفرص بين المتمدرسين إما بسبب التفاوت المجالي بين مناطق الوطن، حيث نجد مناطق عديدة تحسب على الوسط القروي غير مرتبطة بشبكة الأنترنيت مما يعزلها كليا عما يجري في دواليب الوزارة وتدابيرها ويحرم أبناءها من الاستمرارية البيداغوجية. وإما بسبب الفقر والهشاشة الاجتماعية وما يخلقه من تفاوت طبقي يحرم عددا من المتمدرسين من متابعة الدروس عن بعد. وسجلت المندوبية السامية للتخطيط في تقريرها أن غياب أو عدم توفر قنوات الولوج يشكل السبب الرئيسي لعدم متابعة الدروس عن بعد أو لعدم انتظامها لأكثر من نصف الأسر (51٪) التي لديها أطفال متمدرسون في الابتدائي و48٪ في الإعدادي. وهذا السبب أوردته على الخصوص

---

1 هسبريس، الموقع الإلكتروني، https://www.hespress.com/ دراسة حول تقنيات التعليم عن بعد، تاريخ الزيارة: 05 يونيو 2020م.

2 المندوبية السامية للتخطيط، بحث حول تأثير فيروس كورونا على الوضع الاقتصادي والاجتماعي والنفسي للأسر، ص 21، (14-23 أبريل 2020م).

الأسر المقيمة بالوسط القروي (55٪ بالنسبة للابتدائي و54٪ بالنسبة للإعدادي) والأسر المنتمية للطبقة الفقيرة بنسب تبلغ على التوالي 69٪ و53٪. وصرحت 41٪ من الأسر التي لديها متمدرسون في السلك الثانوي، و29٪ في التعليم الجامعي بأن الصعوبة الرئيسية في متابعة الدروس تكمن في عدم كفاية قنوات الوصول إليها.[1]

لقد استشعرت الوزارة التفاوت المجالي والاجتماعي الحاصل بين الأسر لذلك عمدت إلى بث الدروس عبر القنوات التلفزية الوطنية من أجل ضمان تحقيق مبدأ الإنصاف وتكافؤ الفرص، وتوفير الدروس للتلاميذ الذين لا يتوفرون على الحواسيب أو على الربط بالأنترنيت خصوصا في العالم القروي، كما عمدت إلى توزيع كراسات للمراجعة والدعم التربوي والتعلم الذاتي في مواد اللغة العربية والرياضيات واللغة الفرنسية، بشكل مجاني، على مليون تلميذ يتابعون دراستهم بالسلك الابتدائي بالمناطق النائية بالوسط القروي والمناطق ذات الخصاص بجميع أنحاء البلاد[2].

وينضاف إلى التفاوت الاجتماعي في شقه المادي بين الأسر تفاوت في المستوى التعليمي، فقد وجدت الأسر نفسها في مواجهة مباشرة مع ما يقتضيه التعليم عن بعد من مواكبة مستمرة لأبنائها، وهو أمر غير مألوف عند كثير من الأسر، بل ليس في مقدورها أن تقوم به نظرا لمستواها التعليمي المتدني أو المنعدم أحيانا، وهو ما أكده تقرير المندوبية السامية، حيث أورد أن نسبة الأسر التي لا يساعد فيها الآباء أبناءهم المتمدرسين في متابعة الدروس عن بعد بلغت 25٪، وتصل هذه النسبة إلى 67٪ في الأسر التي يرأسها شخص لا يتوفر على أي مستوى تعليمي[3]. وإذا كانت الأسر المغربية تنفق مكرهة على أبنائها في الدروس الخصوصية والساعات الإضافية لعدم قدرتها معرفيا وبيداغوجيا على دعم أبنائها، فكيف يُتصور أن تسهر على متابعة تعليمهم عن بعد في ظروف الحجر الصحي؟

- التعليم عن بعد والإكراهات القيمية: يعد التحدي القيمي من الإكراهات التي تواجه التعليم عن بعد، ذلك أن التعليم الحضوري لازمته مجموعة من القيم من قبيل الانضباط الصفي، والتفاعل الصفي، وحضور الأستاذ بصفته قدوة، إلا أن هاته القيم تلاشت أو تضاءلت في ظل التباعد المفروض، إذ من الصعب مثلا التأكد من مدى متابعة

1 المرجع نفسه.

2 أمزازي سعيد، جواب السيد وزير التربية الوطنية أمام مجلس النواب.

3 المندوبية السامية للتخطيط، بحث حول تأثير فيروس كورونا على الوضع الاقتصادي والاجتماعي والنفسي للأسر، ص 22.

المتعلم وانضباطه في حصة التعليم عن بعد، لكن في المقابل فإن التعليم عن بعد يحمل المتعلم مسؤولية التعلم الذاتي، وينقل توظيفه السلبي لتقنيات التواصل إلى ممارسة إيجابية باعتبارها حاملا رقميا للمعرفة، كما يهيئ المتعلم لمواجهة تحديات الحياة، وهي قيم وجب ترسيخها لدى المتعلم حتى يكون استثماره للتعليم عن بعد استثمارا أمثل.

- التعليم عن بعد وسؤال الجودة: يرى بعض المتتبعين أن هم إكمال المقرر الدراسي، أو هاجس الاستمرارية البيداغوجية كما سهرت على تنزيله الوزارة الوصية قد أثر سلبا في جودة المنتج التربوي، كما أن معظم الموارد الرقمية التي تبث عبر المنصات والقنوات التلفزية لا تخرج عن كونها معلومات ومعارف، وليست أنشطة تعليمية تعلمية تم الاشتغال عليها بطرائق بيداغوجية حديثة باستثمار التكنولوجية، مما يجعلها تفتقد إلى الجاذبية والتفاعلية، وهذا ما يثير السؤال حول العملية برمتها: هل كنا فعلا أمام تعليم عن بعد أم أن العملية لا تعدو أن تكون مجرد نقل لمعارف ومعلومات بمختلف الوسائل المتاحة؟

ويعزز هذا عدم الرضا الذي عبرت عنه نسبة مهمة من الأسر. فقد أورد تقرير المندوبية السامية أن سبع أسر من بين عشرة راضون بشكل متوسط أو غير راضين على الإطلاق على القناة المستخدمة لمتابعة الدروس عن بعد بالنسبة للأسلاك الثلاثة الأولى من التعليم العام، وتبلغ هذه النسبة 59٪ بالنسبة لسلك التعليم العالي. كما شكل غياب التفاعل مع أعضاء هيئة التدريس السبب الرئيسي لعدم رضا 39٪ من الأسر التي لديها أطفال في الابتدائي، و35٪ بالنسبة للإعدادي، و43٪ للتعليم الثانوي، و29٪ للتعليم العالي[1].

- التعليم عن بعد والإكراهات النفسية: لا شك أن ظروف الحجر الصحي التي فرضت اللجوء إلى التعليم عن بعد لها أثر نفسي على المتمدرسين والأساتذة على السواء، ويصيب الجميع بإرهاق نفسي وجسدي، وهذا مما لا شك سيؤثر سلبا على سير العملية ومردوديتها، ناهيك عن المخاوف التي انتابت المتعلمين بمصير السنة الدراسية والخوف من حصول سنة بيضاء، إضافة إلى القلق الذي انتابهم بخصوص سير الامتحانات خاصة الإشهادية. وقد أورد تقرير المندوبية السامية أن القلق يشكل أهم أثر نفسي للحجر الصحي لدى الأسر بالنسبة ل 29٪ منهم، وتصل هذه النسبة إلى 54٪ لدى الأسر المقيمة

---

1 المرجع نفسه، ص 21.

في أحياء الصفيح مقابل 41٪ لدى الأسرة التي تقيم في مساكن عصرية[1]. ولا شك أن المتمدرسين بمختلف مستوياتهم كانوا في قلب العاصفة وهم أول من تقع عليهم التداعيات النفسية للحجر الصحي. وقد تنبهت الوزارة الوصية إلى هذا الأمر فاتخذت إجراءات للتخفيف من الآثار النفسية للجائحة منها: - إقرار عطلة بعد مواصلة التعليم عن بعد لمدة ستة أسابيع "من أجل تمكين التلاميذ والطلبة والمتدربين من أخذ قسط من الراحة وتجديد نشاطهم الذهني والجسدي"[2]. – بث حصص لمادة التربية البدنية "تهدف الحد من مخاطر التوتر النفسي عند التلاميذ وتجديد طاقتهم الإيجابية لمواصلة التحصيل الدراسي عن بعد في ظروف مريحة"[3]. – إدراج حصص ترفيهية، وإطلاق مسابقات فنية وثقافية ورياضية، كما أطلقت الوزارة مسابقة وطنية للإبداعات الحركية تهم التلاميذ في وضعية إعاقة[4]. – بث كبسولات حول اكتساب المهارات الحياتية وتعزيز منظومة القيم: ويهدف هذا الإجراء إلى "تطوير المهارات الحياتية وتعزيز منظومة القيم عبر تكييف الأنشطة التعليمية-التعلمية المتضمنة في مختلف المواد الدراسية، وكذا اكتساب المتعلمين للمهارات الحياتية بيسر في مرحلة الشباب بغية الانتقال والانخراط في الحياة المهنية بنجاح" "والحصول على مستقبل آمن والقدرة على التكيف مع تقلبات الحياة"[5].

4-التعليم عن بعد: الحصيلة والآفاق:

من السابق لأوانه إجراء تقييم موضوعي لحصيلة التعليم عن بعد يشمل مختلف الجوانب التقنية والبيداغوجية والقيمية للعملية لأن ذلك سيكون فيه كثير من التجني، ومن المطلوب أخذ مسافة من هذه المرحلة وإجراء التقييم بشروطه العلمية في ظروف عادية بعيدا عن ضغط المرحلة. وكل ما يمكن إثارته بخصوص الحصيلة يبقى مجرد انطباعات يسجلها الفاعلون والمراقبون. وعليه تبقى الحصيلة منحصرة في بعدها الرقمي من حيث عدد المستفيدين ومجموع المواد الرقمية المتداولة والوسائل المعتمدة لتيسير

1 المرجع نفسه، ص 27.

2 وزارة التربية الوطنية، بلاغ إخباري، 26 أبريل 2020م.

3 أمزازي سعيد، جواب السيد وزير التربية الوطنية أمام مجلس النواب – وزارة التربية الوطني، بلاغ إخباري حول إدراج حصص التربية البدنية والرياضية ضمن دروس التعليم عن بعد، 15 أبريل 2020.

4 أمزازي سعيد، جواب السيد الوزير أمام مجلس النواب.

5 وزارة التربية الوطنية، بلاغ إخباري، 8 يونيو 2020.

عملية التعليم عن بعد، وهي أرقام ومعطيات وردت في بلاغات الوزارة الوصية، وسبقت الإشارة إليها في ثنايا هذا المقال.

ويبقى أهم معطى رقمي متعلق بالحصيلة هو ما أورده تقرير المندوبية السامية للتخطيط، حيث سجل التقرير أن أسرة واحدة من أصل خمسة لا يتابع أطفالها المتمدرسون الدروس عن بعد، وبلغة النسب يسجل التقرير أن الأطفال المتمدرسين لـ 18٪ من الأسر لا يتابعون الدروس عن بعد بتاتا، وبنسبة أكبر بالوسط القروي (29٪) مقارنة بالوسط الحضري (13٪). وتتوزع هذه النسب حسب المستويات التعليمية كالآتي:

-في المستوى الابتدائي: يشير التقرير إلى أن أطفال 21٪ من الأسر لم يتمكنوا من متابعة الدروس عن بعد، 33٪ منهم بالوسط القروي، و14٪ بالوسط الحضري، و24٪ بالقطاع العام مقابل 4٪ بالقطاع الخاص. كما تبلغ النسبة 24٪ من الأطفال المنحدرين من أسر فقيرة.

-في المستوى الإعدادي: تصل هذه النسبة إلى 17٪، 27٪ في الوسط القروي مقابل 12٪ في الوسط الحضري.

-في المستوى الثانوي: لم يحظ أبناء 10٪ من الأسر بهذا المستوى بمتابعة الدروس عن بعد، موزعين بين الوسط القروي (21٪) والوسط الحضري (10٪).

يتضح إذن من خلال المعطيات الرقمية التي أوردها التقرير أن شريحة عريضة من المتعلمين لم يتمكنوا من متابعة الدروس عن بعد للأسباب المختلفة التي أشرنا إليها سلفا. وبعيدا عن الحصيلة الرقيمة يثار سؤال المردودية والأثر وهو ما يصعب تقييمه، غير أن قرار الوزارة الوصية بحصر الامتحانات الإشهادية في الدروس الحضورية يكشف، بما لا يدع مجالا للشك، استشعار الوزارة الوصية للإكراهات التي حالت دون تحقيق التعليم عن بعد لأهدافه المتوخاة، كما يبرز استشعارها لمحدودية الأثر الذي يمكن أن يحدثه التعليم عن بعد على مردودية المتعلمين وتحصيلهم الدراسي.

إننا مهما سجلنا من ملاحظات عن عملية التعليم عن بعد، فإنها تبقى تجربة مفيدة وجديرة بالتطوير، وهي تجربة لا تزال في طفولتها، وتحتاج لإسناد قانوني وبيداغوجي حتى يشتد عودها، ويصبح التعليم عن بعد فعلا رافعة من رافعات الإصلاح وآلية معينة على تحقيق مجتمع المعرفة. ولتحقيق ذلك لابد من العمل على اتخاذ إجراءات وتدابير نجمل أهمها في ما يلي:

- الإسناد القانوني: ونقصد بذلك مأسسة التعليم عن بعد في الأطر التنظيمية والتشريعية، وإعداد الترسانة القانونية والتشريعية من مراسيم ومذكرات توجيهية تجعل من التعليم عن بعد جزءا أساسيا في منظومة التربية والتكوين إلى جانب التعليم الحضوري، بما في ذلك الاعتراف بالشهادات التي يمكن للمتعلمين تحصيلها عن طريق التعليم عن بعد.

- الإسناد البيداغوجي: ونقصد به إعداد المادة البيداغوجية الرقمية التفاعلية، وهذه مهمة الوزارة الوصية، ولا يمكن إلقاء حملها على كاهل رجال التعليم، بل لابد من إسنادها إلى متخصصين يجمعون بين التكوين التكنولوجي والبيداغوجي والتواصل. كما يتطلب الأمر إعادة النظر في المنهاج التربوي برمته بحيث يراعي خصوصيات المتعلم المعاصر وحاجياته المعرفية والنفسية، ورقمنة الكتاب المدرسي، إذ لا يعقل أن يتم اعتماد التعليم الإلكتروني بوسائل تعليمية تقليدية.

- التكوين والتكوين المستمر: ونقصد بذلك تكوين المدرسين في تقنيات وأساليب التعليم عن بعد، بل أصبح لزاما على المراكز الجهوية للتكوين إدراج مجزوءات خاصة بتقنيات التعليم عن بعد حتى نتمكن من صناعة المدرس بمواصفات حاجيات مدرسة المستقبل.

- توفير الشروط المادية واللوجستيكية: وذلك بتقليص الفوارق الاجتماعية بين الأسر حتى يكون بمقدورها امتلاك الوسائل الإلكترونية اللازمة للتعليم عن بعد، والعمل على تحقيق العدالة المجالية بين مختلف مناطق المغرب، ذلك أن مغرب القرن الواحد والعشرين يعيبه أن تظل عدد من مناطقه معزولة عن العالم بسبب عدم ربطها بشبكة الأنترنيت.

- تشجيع البحوث العلمية والدراسات الهادفة في مجال تكنولوجيا التعليم والبيداغوجيات الرقمية، والاستفادة من التجارب الدولية الناجحة في هذا المجال.

5- على سبيل الختم:

لقد أكدت جائحة كوفيد 19، بما لا يدع مجالا للشك، أن التعليم عن بعد لم يعد ترفا ولا أمرا تحسينيا، بل أصبح ضرورة وشرطا لمواجهة الطوارئ، خصوصا مع ما يتهدد العالم من أوبئة قد تفرض على الدول مزيدا من التباعد والعزل. وتؤكد جل الأبحاث على

أن التعليم عن بعد سيكون حاضرا بقوة في المستقبل القريب باعتباره أحد الشروط اللازمة لولوج مجتمع المعرفة، وعليه أصبح لزاما على المغرب أن يعمل على استثمار التجربة التي أتيحت زمن كورونا وتطويرها وتوسيع قاعدة المستفيدين منها، ولا شك أن ذلك سيرفع من جودة التعلمات، ويسهم في تحقيق دمقرطة التعليم وتكافؤ الفرص، كما سيمكن من اختزال زمن التمدرس، ومن تجاوز كثير من الإشكالات التي تعانيها المدرسة التقليدية من قبيل الاكتظاظ والهدر المدرسي، ذلك أن التعليم عن بعد سيمكن أولئك الذين لم تسمح ظروفهم الاجتماعية من مسايرة التعليم الحضوري، خصوصا فتيات العالم القروي اللواتي يجبر عدد منهن على مغادرة الفصل الدراسي لأسباب يختلط فيها ما هو اجتماعي اقتصادي بما هو عرفي ثقافي.

إن ما تحقق في مسألة التعليم عن بعد زمن كورونا، يحتم على المغرب، وهو بصدد إعداد نموذجه التنموي، استثمار ذلك لما بعد الجائحة، والخروج من التفكير بمنطق الأزمة الذي فرضه الوباء المفاجئ إلى التفكير الاستراتيجي الذي يضع في الحسبان حاجيات المتعلم المعاصر وشروط مدرسة المستقبل لوضع رؤية جديدة ومتجددة لمدرسة بلا أسوار.

المراجع المعتمدة:

1-أمزازي سعيد، جواب السيد وزير التربية الوطنية والتعليم والبحث العلمي، جلسة الأسئلة الشفهية المبرمجة بمجلس النواب، 18 ماي 2020م.

2-الجريدة الرسمية، قانون إطار 17.51، عدد 6805 – 17 ذو الحجة 1440 (19 أغسطس 2019).

3-المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، من أجل مدرسة الإنصاف والجودة والارتقاء، رؤية استراتيجية للإصلاح 2015-2030، المملكة المغربية.

4-المندوبية السامية للتخطيط، بحث حول تأثير فيروس كورونا على الوضع الاقتصادي والاجتماعي والنفسي للأسر، (14-23 أبريل 2020م).

5-هسبريس، الموقع الإلكتروني، https://www.hespress.com/.

6-وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي:

- بلاغ صحفي، 13 مارس 2020م.

- بلاغ إخباري رقم 2 (تعليق الدراسة بجميع مؤسسات التربية والتكوين)، 14 مارس 2020م.
- بلاغ إخباري رقم 4، 15 مارس 2020م.
- بلاغ مشترك مع وزارة الصناعة والتجارة والاقتصاد الأخضر والرقمي، 22 مارس 2020م.
- بلاغ إخباري، الأحد 29 مارس 2020م.
- بلاغ إخباري، الحصيلة المرحلية للتعليم عن بعد، 2 أبريل 2020م.
- بلاغ إخباري، 8 أبريل 2020م.
- بلاغ إخباري حول إدراج حصص التربية البدنية والرياضية ضمن دروس التعليم عن بعد، 15 أبريل 2020م.
- بلاغ إخباري، 26 أبريل 2020م.
- بلاغ إخباري، 31 ماي 2020م.
- بلاغ إخباري، 8 يونيو 2020م.

7-وكالة المغرب العربي للأنباء، الموقع الالكتروني، https://www.mapnews.ma/ar/.



المحور الثالث:

الآثار النفسية للجائحة



الاستعمال المفرط للأجهزة الإلكترونية
خلال الحجر الصحي

محمد القدام

أستاذ علم النفس المعرفي
جامعة محمد الخامس-الرباط

ملخص:

تعتبر فئة الأطفال والمراهقين وذوي الاضطرابات النفسية الأكثر حساسية للتغيرات التي تهم حياتهم اليومية، وأي اضطراب في سيرها العادي، يجعلهم عرضة للتيه والقلق والاضطراب. وبما أن مجتمعاتنا تعيش حالة استثنائية من الحجر الصحي والانعزال في المنازل، وجدنا أنفسنا أمام ضرورة الحديث عن آثار ذلك على معيش الأطفال والمراهقين، من خلال التطرق لموضوع ذي أهمية خاصة، وهو الإفراط في استعمال الشاشات الذكية من هواتف ولوحات وألعاب إلكترونية ...إلخ، ومدى خطورة عدم ضبط هذا الاستعمال الذي قد ينتهي بالإدمان عليه، خاصة وأن ما يعمق المشكل هو اعتقاد الأولياء بأن هذه الوسائل من الأشياء التي تفرضها الحداثة والتطور التكنولوجي، وغير ذلك، وكأنهم يجدون مبررا لفشلهم في تدبير الموضوع، متجاهلين المشكل بحصره في حضور هذه الوسائل، وليس بالنظر إلى المشكل من زاوية طريقة وكيفية ضبط استعماله. وهنا وجب التنبيه إلى أن عدم إيلاء الموضوع كل الاهتمام الذي يستحقه قبل فوات الأوان، وظهور انعكاساته السلبية على الصحة والتمدرس والاندماج الأسري والاجتماعي للطفل، سيصعب من تدارك حالة الطفل والمراهق على حد سواء، وسيجعل العلاج مكلف على جميع المستويات. وحتى نقرب القارئ من الموضوع أكثر، ركزنا في هذا المقال على مظاهر إدمان الأطفال على الشاشات الإلكترونية، وآثار ذلك على صحتهم النفسية والجسدية واندماجهم الاجتماعي، وقدمنا باختصار بعض النماذج من المقاربات التي اشتغلت على موضوع الإدمان وسعت لفهم هذا السلوك، وتم الختم ببعض الاقتراحات للحد منه ومن آثاره.

مقدمة:

عرفت جل مجتمعات العالم منذ نهاية السنة الماضية صدمة صحية، تجلت في اكتساح الفيروس التاجي Covid-19 لجل الدول، وإصابة ملايين البشر ووفاة الآلاف منهم، مما استدعى من الحكومات اتخاذ إجراءات وقائية صارمة للحد من انتشاره ومن عدد المصابين والوفيات. هذه الإجراءات وإن كانت تهدف لحماية الأفراد، فثمنها اقتصاديا واجتماعيا ونفسيا كان باهظا. والسبب طبعا الهلع الذي تسببت فيه وسائل الإعلام من جهة، وغموض الفيروس وجهل العلماء بخصائصه وميزات وكيفيات انتقاله، وكذا العجز عن الجزم بإمكانية إيجاد علاج أو لقاح له. الشيء الذي فتح المجال أمام سيل من التأويلات، حيث نجد حيث من ذهب إلى حد القول بالمؤامرة، ومن يعتقد بكون الفيروس ناتج عن خطأ بشري. وهذا كله جعل الفرد في مجتمعه وأسرته لا يحس بالأمان.

وتبقى أكثر الإجراءات تأثيراً على نفسية الفرد هو الحجر الصحي. فبين ليلة وضحاها أصبح الفرد مجبرا على البقاء في منزله. سُلِبت منه حرية التنقل والخروج والاتصال بالآخرين، والسبب طبعا عدو مجهول غير مرئي، ألا وهو الفيروس التاجي. أصبح الكل يعتقد أن مجرد الخروج من باب المنزل يعرضه للعدوى، وكأن الفيروس قابع أمام باب بيته ينتظره لينقض عليه.، مما زاد من الهلع لدى الناس، حتى صار الفرد يجد صعوبة في العودة لبيته أكثر من الخروج منه. فعودته محفوفة بالمخاطر، فهو يشك في أنه قد يحمل معه الفيروس إلى داخل بيته. هنا يبدأ مسلسل تغيير الملابس تنظيف المشتريات .... إلخ.

كل هذا أثر بشكل مباشر على الأطفال وغير من سلوكياتهم في ظل تسامح أولياء أمورهم وتخفيف إجراءات المنع المرتبطة باستعمال الهواتف والحواسب واللوحات الإلكترونية، خاصة وأن التوقف عن الدراسة فسح المجال أمام التلاميذ لاستعمال هذه الوسائل للتواصل مع مدرسيهم والاستمرار في تنفيذ البرامج والمقررات الدراسية. الشيء الذي جعل ملازمتهم هذه الوسائل يتم بطلب ورعاية من الأسرة وتشجيع كذلك. لكن هذا الاستعمال المفرط وغير المراقب لهذه الوسائل ولمدة معينة، قد يسبب مشكلا أمام الأسرة في إعادة ضبط وثيرة استعمال الأطفال لهذه الوسائل فيما بعد. فمحتمل أن تجد الأسرة نفسها مضطرة للاستعانة بمختصين لتجاوز الأمر. بعبارة أخرى هذا الموضوع يجعلنا نقلق حول إمكانية إدمان الأطفال لهذه الوسائل، ونقلق على مستقبل علاقة الأسرة بالأطفال وتأثرها بالفشل في التعامل مع هذا الموضوع. خاصة وأن استعمال هذه الوسائل خلال الحجر الصحي، وإن كان في الأساس من أجل الاتصال بالمدرسين وأفراد الأسرة، فإنها تستعمل للعب وزيارة بعض المواقع. وهذا الاستعمال المفتوح قد يفضي بالعديد إلى العجز عن التخفيف من وثيرته بعد الحجر الصحي.

1- بعض مؤشرات إدمان استعمال الأطفال والمراهقين للهواتف واللوحات الإلكترونية

تتحدث المنظمة العالمية للصحة عن ثلاثة مؤشرات دالة عن إدمان الأطفال المراهقين استعمال هذه الوسائل من هواتف وحواسب ولوحات إلكترونية، أولها فقدان التحكم، وثانيها المدة الزمنية الكبيرة التي يخصصها الطفل المراهق لهذه الوسائل، ثم

ثالثها الانعكاسات السلبية على حياته وعلاقاته مع أفراد الأسرة وأقرانه. ومع تكرار الاستعمال لمدد طويلة ومتصلة، يصبح الطفل المراهق سجين هذه الممارسة، ويصعب عليه الابتعاد عنها. الشيء الذي يجعله يتخلى مقابل هذا الإدمان عن مبدأ توزيع الاهتمام بمكونات حياته الخاصة. فنجده يتهرب من اللعب مع إخوته وأقرانه، ويهمل دراسته، ولا ينجز واجباته الدراسية المنزلية، لا يريد الخروج مع أسرته. أكثر من ذلك، فقد يؤثر هذا على نظامه الغذائي، وعلى جودة نومه، ويفضي إلى اضطرابات نفسية، من قبيل القلق والاكتئاب، مما يجعله يتصرف بنوع من العدوانية مع أفراد محيطه الاجتماعي. وحتى مسألة المكافأة تصبح مرتبطة لديه بموضوع الإدمان. كل شيء يمر عبر هذا النشاط.

من الأشياء التي تساهم في تعميق هذا الإدمان هناك عوامل مرتبطة بالأسرة وأخرى بالمحيط، ثم بالطفل المراهق نفسه. والمقصود هنا العوامل السيكولوجية، وتلك المرتبطة بنضج الجهاز العصبي المركزي، فنجد فيما يخص الآباء أنهم قد يهملون أطفالهم بسبب ارتباطاتهم المهنية، أو بسبب عدم التوافق الأسري المتمثل في الخلافات بينهما فيما يخص طريقة تربية الأبناء، وكذلك قد يكون السبب هو جهل فئة منهم بالانعكاسات السلبية للاستعمال المفرط لهذه الوسائل. أما المحيط فدوره يتجلى في توفير هذه الوسائل للأطفال منذ سن مبكرة، وكذلك عدوى استعمالها التي تنتقل من الكبار إلى الصغار، خصوصا حينما يجعل الأولياء من هذه الأدوات وسيلة لإسكات الأطفال والتخلص من الاحتكاك بهم. أضف الى ذلك بقاء الأطفال في المنازل دون نشاط ترفيهي أو رياضي. مما يجعل الطفل يصاب بالملل ويبقى استعمال كل هذه الوسائل هو ملجؤه الأخير.

إن إدمان الأطفال المراهقين هذه الأدوات أو الإدمان عامة، له بعض المبررات أو المسببات أو المحفزات، فقد يكون عدم الاهتمام بالطفل من أبرزها، وكذلك عدم إشراكه في حديث الأسرة قد يكون دافعا له لسلك ذلك المسلك، وهو البحث عن شيء يكون دائما رهن إشارته، ولا يفقده. وهذا ما يسمح لنا بالقول إن الإدمان هو في الأساس نداء استغاثة، ونتيجة معاناة من صعوبة ما [1] (Goldberg ; 1995)، سنتطرق لبعضها في الفقرات اللاحقة من خلال المقاربات التي سنتحدث عنها.

1 Goldberg I. (1995). IAD, in Cinti M. E. (a cura di) Internet Addiction Disorder un fenomeno sociale in espansione (pp.6-7).

2- بعض مخاطر الاستعمال المفرط للهواتف واللوحات والشاشات الإلكترونية على صحة الأطفال المراهقين

إن أقوى مظاهر تأثير هذه الوسائل على صحة الطفل المراهق هو حينما يصبح مهووسا بها، فحتى عندما لا يتمكن من الوصول إليها واستعمالها، يتحدث عنها. كما نلاحظ أن الأطفال في هذه الحالة يُسَخِرون كل الإمكانيات المتاحة لهم من وقت ومجهود وحتى النقود لخدمة هذا الإدمان. فهم لا يشاركون أفراد الأسرة في وجباتهم ولا يجالسونهم لمشاهدة التلفاز، ولا يريدون الخروج معهم للتنزه، وبذلك يفقدون العلاقات التواصلية حتى داخل الأسرة. كما أنه غالبا ما يفضي هذا الوضع إلى شجار وخصام مع الأولياء. مما يغذي لدى الطفل الإحساس بالتهميش. وهو ما ينتج سلوك انعزالي وحتى انطوائي يزيد من تعقيد الوضع. وينتهي بتضييع الحياة الاجتماعية خارج البيت وداخله.

إن الطفل أثناء سعيه للاستمرار في استعمال هذه الأدوات يطور استراتيجيات من قبيل رفض الدراسة، التظاهر بالمرض، رفض الطعام، الكذب. وهذا كله للضغط على الأولياء لإعادة تمكينه من هذه الأدوات. أما على المستوى النورو-عصبي، فهذا الإدمان له تأثيرات سلبية على صحة الطفل المراهق، من قبيل اضطراب النوم سواء على مستوى الكم أو الكيف. كما يساهم في تدهور البصر عند الأطفال، نتيجة لارتفاع مدة ثبات وجمود عضلات العينين على مستوى معين مرتبط بالمسافة الثابتة بين اللوحة أو الحاسوب أو الهاتف والعينين، ناهيك عن الترهلات التي تصيب عضلات العمود الفقري وما ينتج عنه من انزلاقات غضروفية. هذه الأخيرة كلما كان السن مبكرا كلما كانت تأثيراتها كارثية.

من الناحية النفسية، فإنه لا يوجد هناك مدمن رغما عنه، ففي البداية، يمكن أن يكون الطفل أو المراهق مندمجا في مجموعته ومع زملائه، ومتابعاً لدراسته، بمجرد احتكاكه مع هذه الأجهزة وشروعه في استعمالها للعب وتصفح مواقع الأنترنت تصبح ملاذه ومصدر راحته النفسية. ويعجز عن الابتعاد عنها. الأمر الذي يحيلنا على طبيعة علاقة هذا الطفل مع الموضوع ويثير التساؤل حول ميزات شخصيته ومدى تحكمه في رغباته. وفي هذا الإطار يتحدث كل من فالور و فيليا [1] (M. Valleur et D. Véléa ; 2002) عن بعض ميزات شخصيات المدمنين على هذه الأجهزة التي تربطهم بالأنترنت، وتتمثل بالنسبة لهم في عدم النضج الوجداني، الفراغ الهوياتي le vide identificatoire،

1Valleur M, Velea D. Les addictions sans drogue(s). Revue Toxibase n°6. Juin 2002. p 1-16

الحرمان وعدم القدرة على تجاوزه، القلق، اضطرابات السلوك والتعلق أو التبعية الوجدانية، الإحساس بالتهميش والميل للانعزال، ثم الفراغ الوجداني.

3- مساهمة بعض المقاربات في فهم الإدمان

استأثر موضوع الإدمان بلا شك باهتمام العديد من الباحثين، وخصصت له العديد من الدراسات بمختلف المقاربات[1] (Ersche, K.D et autres)، لكن المبدأ الذي ميز هذه المقاربات هو كونها تتكامل وتتظافر في فهم هذا الموضوع. هذا التظافر وُجِدَ المبرر له في صعوبة انفراد مقاربة واحدة به، على المستوى النظري بفهم الظاهرة أو عمليا بعلاجها. وهكذا نجد أن مقاربات علم النفس لموضوع الإدمان تأخذ بعين الاعتبار الجوانب المعرفية والوجدانية والبنية النفسية والشخصية والعصبية. الشيء الذي جعلنا في هذا المقال نحاول أن نقدم فكرة ولو عامة عن أهم المقاربات، بهدف تحفيز القارئ الباحث على تعميق فهمه للمقاربة التي تستحوذ على اهتمامه وتجيب عن تساؤلاته حول الموضوع.

بالنسبة إلى أصحاب المقاربة نور العصبية، يستوجب فَهْمُ الإدمان فَهم كيفية اكتساب وبناء سيرورة المراقبة الذاتية، بحيث ينظر أصحاب هذا التوجه إلى هذه السيرورة في مستويين اثنين، الأول يهم نمو البنية العصبية، والثاني يهم نضج وظيفتها. هذه السيرورة حسب بيندر[2] (Binder ; 2017) هي نتيجة لتكامل وظائف ثلاث كتل دماغية (ثلاثة أدمغة)، يبدأ نضجها البنيوي وتشرع في القيام بوظائفها ابتداءً من الشهر الرابع من المرحلة الجنينية إلى حدود سن 25 سنة تقريباً ، إذ تتشكل هذه الكتل بالتتابع، حيث أن أحدثُها يتحكم ويراقب اشتغال أقدمِها. هذه الأدمغة، بما أنها تتشكل بالتتابع وأحدثها يراقب ويتحكم في أقدمها، فإن كل منطقة تكون هي المتحكمة في أخد القرار خلال الفترة التي تكون فيها هي الأحدث، وهذا ما يفسر الحديث هنا عن ثلاثة أدمغة. تأتي ككتلة أولى (الدماغ الأول) تحت مسمى الدماغ الهامي Le cerveau reptilien، الذي يتكون من الجدع الدماغي Tronc cérébral، والمخيخ Cervelet. وهذه المنطقة هي التي تتولى القيادة والقرارات ابتداء من لحظة الولادة. هذا الدماغ يتميز بتصرفه الآلي في مواجهة أي مثير حسي، وهو يستمد قراراته مما هو متوفر عنده على المستوى الجيني أي المورثات. فهو لا يحلل ولا يجتهد، بل يطبق ما هو جاهز عنده، وهو مرتبط بالنوع. وأبرز مهامه هي

1 - Ersche, K.D., Turton, A.J., Pradhan, S., Bullmore, E.T. & Robbins, T.W. (2010). Drug addiction endophenotypes: impulsive versus sensation-seeking personality traits. Biological Psychiatry

2 - Binder Philippe. Intervenir sur les addictions en médecine générale. Exercer 2017 ; 129 : 24-31.

ضمان الحاجيات الأساسية والحيوية، ونخص هنا الأكل والشرب والنوم. بعد ذلك هناك الكتلة الثانية (الدماغ الثاني) تحت مسمى دماغ الثدييات Cerveau Mammifère، الذي هو أساسا جيري (حوفي) Limbique، ويتمثل في الباحات الارتباطية والقشرية Les Aires Associatives et Corticale، وفيه تتم المراقبة التناظرية Contrôle Analogique، بحيث ينضج حوالي سن السبع سنوات، ويسهر على مقابلة المثيرات الخارجية مع مضمون الذاكرة الوجدانية والإجرائية القادمة من اللوزة الدماغية L'amygdale ومن الحصين Hippocampe.

يتأثر اشتغاله بالتربية والعادة والمحيط الثقافي، فكيفية استجابته للرغبات وإشباعها، هو الذي يحدد الخطوط العريضة للشخصية المستقبلية. وأخيرا الكتلة الثالثة (الدماغ الثالث) وهو ما يسمى بالدماغ البشري Cerveau Humain، ويتشكل أساساً من الفص الجبهي وتحت المداري Sous-Orbitaire. وهذه المنطقة تعتبر مركز المراقبة المعرفية ومقر الوظائف التنفيذية عامة، والتي تستمر في النمو إلى حدود سن 25 سنة تقريبا. هذه الأخيرة تمكن الفرد من المعالجة المنطقية للمعلومات القادمة من الدماغ الإنساني. وتسمح له ببلورة المشاريع ووضع الخطط وتحقيق الأهداف. وبذلك يحدد الشخصية النهائية للفرد.

حسب بيندر دائما[1] (Binder Philippe ; 2017)، فإن مسار المكافأة المرتبط ارتباطا وثيقا بسلوك الإدمان (الشكل 1)، يمر عبر الطرق الحسية. وهكذا، فإن معالجة الدماغ للمعلومات تنطلق من المثير الحسي الوارد عبر المُستقبِل، بعد ذلك تمر عبر المعالج الآلي أي الجدع الدماغي والمهاد (Le Tronc Cérébral et le Thalamus)، ثم تتم تصفيتها في باحات المناطق الارتباطية والنظام الجيري Les aires associatives et le système limbique وهو ما يفسر تدخل الذاكرة من خلال إعطاء المعنى للمثير، وأخيرا الباحة الجبهية والتي تقوم بالمعالجة المنطقية للمثير. هناك مكونات أخرى، وهي الخلايا العصبية les Neurones التي تشتغل لضمان توازن السيرورات، وتحافظ على وحدة الاشتغال الذهني، وتتمثل أساسا في النورادرينجيك Les noradrénergiques، التي تقوم بزيادة مستوى اليقظة والانتباه. والسيروطونينرجيك les Sérotoningiques التي تعمل على ضبط سرعة الاستجابة للمثيرات، وذلك تفاديا للوقوع في المبالغة في

1 - Binder Philippe. Intervenir sur les addictions en médecine générale. Exercer 2017 ; 129 : 24-31.

الاستجابة. أما الدوبامينرجيك Les dopaminergiques، فتمكن الدماغ من التعبير عن اللذة ومواجهة الكأبة والقلق (Binder ; 2017) [1].

فيما يخص الاحتفاظ بأثر التجارب وتكوين الذاكرة الوجدانية، فإنه يتم دمج هذه التجارب واستدخالها بالتعزيز الإيجابي، الذي يحدث على مستوى نواة الخلية المتكئة Noyau Accumbens ، حيث أنه عندما يفضي فعل ما، أو تصرف ما إلى أثر إيجابي، فهو يعطي الانطلاقة لسيرورة اللذة والارتياح والتثبيت من خلال تفريغ شَحَنٍ من الدوبامين Dopamine في النواة المتكئة Noyau Accumbens [2](Baler RD, Volkow ND ; 2006). بعد ذلك تأتي مرحلة انخفاض النشاط الذي يتم على مستوى الفص الجبهي مترجما الإحساس بالارتخاء والراحة. آنداك يتم تسجيل وربط التجربة باللذة عند مستوى الباحات الارتباطية والحوفية Aires Associatives et Limbique، بالتحديد المكون الوجداني يخزن في اللوزة الدماغية L'amygdale والمكون الإجرائي يحتفظ به في الحصين L'hippocampe. كل هذه المراحل والمعالجات والإفرازات والتخزين هو ما يشكل حلقة المكافأة حسب بيندر(Circuit de récompense selon Binder) (الشكل 1). إن تكرار نفس هذه التجارب يحفز إفراغ الدوبامين ويؤسس ترابطات سنابسية جديدة Connexions Synaptiques. وهذه التغيرات هي المحددة لعملية التعلم[3] (Engert .F, Bonhoeffer T. ; 1999)

بالمقابل في وضعية مؤلمة، يتم تحرير جزيئات القلق المزعجة Molécules Anxiogène Dysphorique، ومضادات شبائه الأفيون Anti-opioïdesفي نواة الخلية المتكئة Noyau Accumbens وكذلك الستيروئيدات القشرية La corticotropin releasingfactor (CRF) في اللوزة الدماغية الجيرية L'amygdale Limbique[4] (Naassila M ; 2014). هذه التجربة الأليمة سيتعلمها الفرد، حتى يتمكن فيما بعد من استباق الحالات المشابهة وتفاديها. وبذلك يتعلم الفرد الحفاظ على ذاته من التعرض للأذى والألم، وهو ما يحدث تحت مراقبة الفص الجبهي،، الذي لا يكتمل نضجه خلال المراهقة، الشيء الذي يفسر غياب المراقبة الصارمة على اللوزة الدماغية L'amygdale.

---

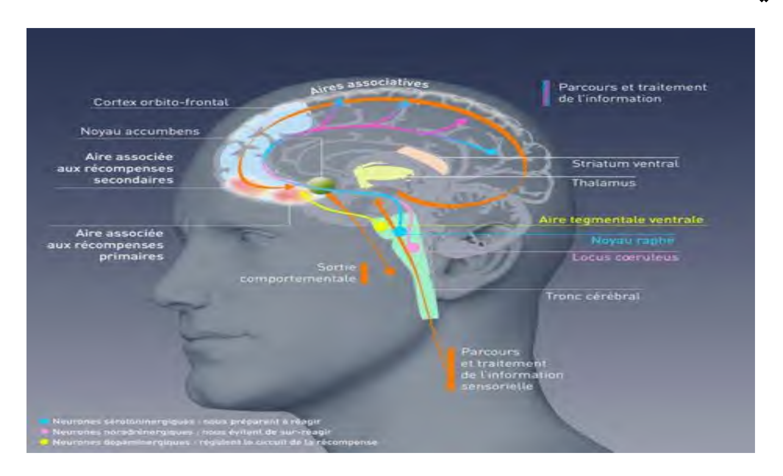
1 -ibidem

2 - Baler RD, Volkow ND. Drug addiction : the neurobiology of disrupted self-control. Trends Mol Med 2006 ; 12 : 559-66.

3 - Engert F, Bonhoeffer T. Dendritic spine changes associated with hippocampal longterm synaptic plasticity. Nature 1999 ; 6731 : 66-70.

4 - Naassila M. Neurobiologie de l'addiction. In : addictions et comorbidités. Paris : Dunod, 2014.

لهذا نلاحظ الإصرار والبحث المستمر في هذه المرحلة العمرية عن الإثارة والاكتشاف والمغامرة المتسمة بنوع من التهور وعدم الاكتراث بالمخاطر والعواقب. كما تتميز أيضا بالسعي وراء العلاقات العاطفية والوجدانية والإحساسات القوية التي غالبا ما تفضي، المرتبطة منها بالمواد أو السلوك، إلى الإدمان. هكذا إذن، يحدث الإدمان حسب هذه المقاربة التي تتميز بإرجاعه في الأساس إلى نقص المراقبة الذاتية وعدم اكتساب المناعة الذاتية في مواجهة الرغبات وإيجاد البدائل عند تدبير وضبط التوازنات النفسية الداخلية.



الشكل -1-مسار المكافأة حسب بندر (Le circuit de la récompense. Selon Philippe Binder)

من جانبهم، إيرتش وآخرون، من داخل المقاربة المعرفية[1] (Ersche, Turton, Pradhan, Bullmore et Robbins, 2010) يرجعون الإدمان إلى طبيعة علاقة الفرد بمحيطه، بحيث تتميز هذه العلاقة بكونها محكومة ببعض المواقف المعرفية الخاصة، كالبحث عن الإثارة والاندفاع بقوة الحساسية للقلق، اضطراب بعض الوظائف التنفيذية والآليات الساهرة على الانتظام والتوازن الوجداني. لكن يبقى أهم ما حققه علم النفس المرضي المعرفي (Psychopathologie Cognitive)، الذي يعطي مكانة خاصة للجانب الوجداني في مقاربته لمعيش الفرد من أهم المساهمات في بناء هذه المقاربة لموضوع الإدمان، خاصة إذا نظرنا إلى ما حققته أبرز الدراسات التي همت موضوع الاستعدادات والاستجابات التي تحكمها، من جهة آليات المراقبة والمعالجة الوجدانية، ومن جهة أخرى، السيرورات المعرفية والوظائف التنفيذية ، والتي ركزت على موضوع البرود وعدم التفاعل

---

1 - Ersche, K.D., Turton, A.J., Pradhan, S., Bullmore, E.T. & Robbins, T.W. (2010). Drug addiction endophenotypes: impulsive versus sensation-seeking personality traits. Biological Psychiatry

الوجداني الراجع أساسا إلى فشل في المعالجة المعرفية للعواطف والوجدان (L'Alexithymie)، إذ نلاحظ أن الإشكال بالنسبة إلى هذه الدراسات لا يتعلق بمسألة إرجاع أسباب الإدمان لما هو مرتبط بالبنية النفسية أو المعرفية، بقدر ما يحال الأمر على كيفية تفاعل وتجاذب كل هذه المكونات، من أجل تحديد شكل الاشتغال الكلي والنهائي، الذي أنتج بنية معرفية ونفسية لم تعمل على حماية الفرد من الإدمان. لأن العديد من الدراسات في علم النفس المرضي المعرفي أبانت عن ارتباط وثيق بين العدوانية والاندفاعية وعدم التحكم في العواطف والوجدان من جهة، واضطراب الوظائف المعرفية من جهة ثانية([1]) (Giancola, et autre, 1999).

في الفقرات الموالية، من هذا المقال، سنحاول تقديم أهم ما قدمته المقاربة المندمجة حول موضوع الإدمان، من خلال المقاربتين المعرفية والسيكو-ديناميكية، بحيث تنطلق المقاربة المعرفية من التركيز على سيرورتي الكف والمراقبة، في حين يتم التركيز في المقاربة السيكو-ديناميكية على وظيفة الترميز (Symbolisation)، المتمثلة حسب[2] أندرونيكوف (Andronikof-Sanglade, 1993, P.73) في عملية الربط بين الموضوع والمفهوم، لأن الأمر بالنسبة إلى واضعيها يتعلق بما هو تجسيدي Incarnation. هاتان المقاربتان ستتم مفصلتهما من خلال دراسة الفشل في المعالجة المعرفية للعواطف والوجدان (L'Alexithymie). ولقد أبانت هذه الدراسات عن وجود علاقة موضوع خاصة بمسألة الإدمان [3] (Bonnet et Pedinielli, 2010).

في موضوع الترميز، وقبل الخوض في هذه المقاربة، لابد من الإشارة إلى أنه سيرورة مهمة في الاشتغال النفسي، كونه مرتبطاً بالنشاط الاستيهامي Activité fantasmatique الذي يدخل في دينامية الرغبة وتحويل المصدر الجسدي الطاقي إلى تمثل، تحت تأثير النشاط الغريزي، الذي يفضي إلى الاستثمار النفسي للموضوع في البداية، ثم بعد ذلك بناء الموضوع الداخلي[4] (Miel ; 2002). لذلك، فهو ضروري للسيرورات الثانوية، التي وكما سنرى في الفقرات الموالية، هي المسؤولة عن الوقاية من

1 Andronikof-Sanglade, A. (1993). L'abstraction au Rorschach comme mécanisme d'anti-symbolisation : réflexion autour du protocole d'une adolescente suicidaire. Bulletin de la société du Rorschach et des Méthodes Projectives de Langue Française, 37, 71-91.

2 Bonnet, A. & Pedinielli, J.-L. (2010). Processus et subjectivité dans l'addiction. Psychologie française, 55(4), 325-339.

3 Miel, C. (2002). L'identification projective dans la toxicomanie. Évolution psychiatrique, 67(2), 326-336

4 Jeammet, P. (2005). Adolescence et Dépendance. Psychotropes, 11(3), 9-30.

السقوط في الإدمان. تضع المقاربة السيكو-دينامية لموضوع الإدمان في صلب الموضوع مكانة الجسدي وعنف الغرائز، ثم النرجسية، كما هو الشأن بالنسبة إلى المقاربة المعرفية التي تضع بدورها في صلب الموضوع الجسد كحامل للإدمان من وجهة نظر نورو فيسيولوجية، ويخضع مباشرة لتأثيرات استهلاك المخدر أو ممارسة سلوك ما، وبذلك اختبار تجربة الإدمان.

بهذا، فإن المقاربة السيكو-دينامية من خلال جيميت (Jeammet, 2005) تقدم الإدمان كاضطراب في التصرف[1] عند محاولة إشباع الذات للرغبة الجسدية، بحيث ينظر إلى هذا التنشيط من خلال الجسدي على أنه الوسيلة الوحيدة لتحقيق ما هو وجداني، والذي لا يمكن تمثله بشكل آخر. فهو يحيل على السيرورات الأولية Processus Primaire، التي يكون فيها الاشتغال النفسي من خلال التكرار والانعكاس، المحكومين بأسبقية الإحساس والتحيين المستمر لإشكالية الجسدي، مما يسمح لنا بتعريف فعل الإدمان على أنه خلل في التوظيف الرمزي للجسد[2] (Pedinielli, 1994). أكثر من ذلك، وحسب بيرجري[3] (Bergeret, 2008) فإن عدم غنى الاستيهام (la pauvreté des fantasme) والشعور بالفراغ والملل خصوصا عند المراهق يلعبان دورا مهما في البحث عن الإثارة. وبالتالي يأتي السقوط في الإدمان ليربط وبشكل ملموس الجسد بالإدمان خلال المراهقة. وهو ما أفضى بالعديد من المختصين في علم النفس المرضي إلى الربط بين المراهقة والجرح النرجسي، الذي يزداد تفاقما مع التقدم في النضج، حيث تصبح مسألة التبعية- الانفصال حاسمة في نمو المراهق إلى أن يصبح راشدا. وفي هذه المرحلة من العمر يعرف الجانب المعرفي تطورا متسارعا، حيث يبرز التفكير الصوري- المجرد، وتتطور الوظائف التنفيذية والمعرفية وميتا- المعرفية. وهذا التطور يجد نفسه في علاقة الطفل-المراهق مع الواقع، من خلال الاستثمار فيه. ومن جانبها تلعب الوظائف التنفيذية دورا مهما في المراقبة، وفي بناء القدرات الجديدة والبنيات المعقدة المؤَسِسَة للتفكير والاشتغال المعرفي [4] (Bee et Boyed, 2003).

1 J.-L Pedinielli. (1994). Dépendance et conduites de dépendance. (25-26 mars 1993 Lille) Paris Masson.

2 Bergeret, J. (2008). Psychologie pathologique : théorique et clinique. Paris : Masson.

3 Bee, H. & Boyed, D. (2003). Les âges de la vie. Canada : De Boeck.

4 Acton, G. (2003). Mesurement of impulsivity in a hierarchical modelof personality: implication for substance use. Substance Use & Misuse, 38(1), 67-83.

يكون الاختلال أو الاضطراب في الاشتغال المعرفي لدى الأطفال المراهقين المدمنين على مستوى التضبيط المعرفي والوجداني، خاصة عند مواجهة القلق، وعند التعرض للاستفزاز والإثارة الخارجية والكبح السلوكي(19) (Acton, 2003 ; Butler et Montgomery, 2004) . ولذلك فأي اضطراب في وظيفة الكف المعرفي، يكون هو المسؤول عن الاضطراب الكلي المفضي للسلوكيات الإدمانية، خاصة وأن هناك علاقة مميزة بين صعوبات الكف واستهلاك بعض المواد[1] (Li et Sinha, 2008). كما أثبتت المقاربة السيكو- الدينامية من خلال الدراسات التي تمت حول شخصية المدمنين افتقارهم النضج الوجداني وعدم القدرة على التضبيط والتحكم في الانفعالات والعواطف، خاصة في المواقف الغير اعتيادية. وهو ما تحدث عنه كل من زميرمان وآخرون [2]، (Zimmermann ; et autre. 2008).

خلال المراهقة، يُضعف الاستثمار المفرط للأنا وللجسد الوظيفة الرمزية، بسبب تعقيدات الصراعات التي على الطفل المراهق استدخالها واستيعابها، من هنا تبرز أهمية هذه الوظيفة في إيجاد الحلول للصراعات النفسية[3] (Jeammet, 1994). من جانبه بيلندا (Pelanda, 1997) يقول بأن عدم التمتع بلذة التفكير وعدم الاستثمار فيه وإعطائه الأولوية يعود بالسلب على المراهق، ويجعله يبحث عن ملذات من طبيعة أخرى، ولا يُعمِل التفكير، بقدر ما ينساق مع الإثارة، دون التفكير في العواقب. وهو ما ينتج عنه ما يسميه جياميت[4] (Jeammet, 2005) شلل التفكير عند المدمن، ويُرجِعُهُ للصراع، وحتى الاصطدام العنيف بين المكون النرجسي والمكون الموضوعي الواقعي. الشيء الذي يؤثر سلبا على الحياة الاستيهامية والوجدانية مقابل المراقبة، من خلال الاستناد على الحياة الخارجية، كاستثمار مضاد للواقع الداخلي للفرد، بحيث نجد عند المدمن نوعا من التشوه على المستوى الرمزي (Défaillance symbolique)، الذي يتم عادة تشخيصه عند ذوي الاضطرابات النفس-جسدية Psychosomatiques وذوي اضطرابات الشخصية الحدية Patients borderline . أما سزتيلمان[5] (Sztulman, 2010) فيرى أن الإدمان يتميز

1 Li, C.-R. & Sinha, R. (2008). Inhibitory control and emotional stress regulation: Neuroimaging evidence for frontal-limbic dysfunction in psycho-stimulant addiction. Neuroscience and behavioral Reviews, 32(3), 581-597.

2 Jeammet, P. (1994). Dépendance et séparation à l'adolescence. Point de vue psychodynamique. Dans D. Bailly et J-L. Venisse (dir.), Dépendance et conduites de dépendance (p. 134-143). Paris : Masson.

3 Jeammet, P. (2005). Adolescence et Dépendance. Psychotropes, 11(3), 9-30.

4 Jeammet, P. (2005). Adolescence et Dépendance. Psychotropes, 11(3), 9-30.

5 Sztulman, H. (2010). Vers le concept de personnalités limites addictives. Une relecture plurielle. Pensée plurielle, 1(23), 37-51.

بخوف مرضي من التفكير، والذي يتمظهر في عدم التسامح إطلاقا مع الإحساس بالحرمان والألم النفسي غير المبلور، أي أمام عدم القدرة على التمثل، وعلى صياغة المشكل وعلى ترميزه، والمقصود هنا صعوبات التواصل الداخلي، حيث يكون المدمن مجبراً على إنتاج أفعال في شكل أعراض تعرقل كل محاولة للبلورة النفسية الثانوية Elaboration Secondaire ، في حين بولز[1] (Boulze, et autres ; 2007) وآخرون أن السقوط في الإدمان يساعد على تفادي الألم، من خلال تجنب التفكير واشتغال الذاكرة الشخصية، لتفادي الشخصنة المؤلمة Subjectivation douloureuse، مما يفسح المجال أمام حصر الإدمان بالمراهقة.

بالنسبة إلينا، حينما نتحدث عن الكف المعرفي، لابد من التطرق لنموذج باسكوال ليون (Pascual-Léone, 1991)[2]، الذي عرف الكف كسيرورة نشطة لحذف وإلغاء وتحييد المعطيات غير المناسبة نهائيا، ومنع المعلومات المستهلكة من البقاء في ذاكرة العمل، والتي إن بقيت ستفضي إلى اضطراب السيرورات المعرفية. فهذه الوظيفة جد مهمة، تشمل مجموعة من آليات مراقبة السيرورات المعرفية من حيث الإجراءات والمضامين. والهدف طبعا، هو تدعيم السيرورات الملائمة لإنجاز المهمة فقط. إذ تساهم هذه الآليات حسب ارنيشفيجي وبيجوركلند[3] (Harnishfeger et Bjorklund, 1993) في انتقاء المعلومات المناسبة واستحضارها لذاكرة العمل والاحتفاظ بها هناك، إلى حين تحقيق الهدف وحذف المعلومات المناسبة والتي لم تعد ضرورية. إن الكف كسيرورة نشطة للمراقبة هي الضامنة لوحدة التفكير والفعل، لأنها تساهم في التكيف أثناء مواجهة التغيرات والعراقيل التي تأتي من المحيط وسياق التنفيذ [4] (Li et Sinha ; 2008).

إن المراقبة التي يمارسها الكف كوظيفة تنفيذية، تتقوى مع فترة المراهقة إلى حين الرشد، وهي مرحلة نمو الفصوص الجبهية من الدماغ، التي تسمح بمراقبة وضبط

---

1 Boulze, I., Launay, M., Bruère-Dawson, G. & Pédinielli, J.-L. (2007).Actualité de l'addiction et nécessaire retour au travail de mémoire. Pratiques psychologiques, 13(1), 43-51.

2 Pascuale-Léone, J. (1991). Emotion, development and psychotherapy: a dialectical-constructivist perspective. Dans J.-D. Safran & L.-S. Greenberg (dir.), Emotion, Psychotherapy and Change (p. 302-329). New York : The Guilford Press.

3 Harnishfeger, K.K. & Bjorklund, D.F. (1993). The ontogeny of inhibition mechanisms: a renewed approach to cognitive development. Foundation, 1, 28-48.

4 Li, C.-R. & Sinha, R. (2008). Inhibitory control and emotional stress regulation: Neuroimaging evidence for frontal-limbic dysfunction in psycho-stimulant addiction. Neuroscience and behavioral Reviews, 32(3), 581-597.

الاندفاعية المعرفية والسلوكية (Iselin et Decoster, 2011)[1]، والتي يصفها باسكوال ليون (Pascual-Leone ; 1991) بالمرحلة الصورية في النمو المعرفي، والتي تعتبر الأخيرة في سيرورة النمو، بحيث تتوازى مع اكتمال ونضج وظيفة الكف، خاصة وأن هذا الاكتمال، كما سبقت الإشارة الى ذلك، يكون نتيجة لنمو الفصوص الأمامية من الدماغ. الشيء الذي يسمح بتحسين فعالية ذاكرة العمل (Nagy, et autres ; 2004)[2]. والقدرة على التضبيط المعرفي على حد قول فيلد وآخرون (Field et Stevens-Graham ; 2002)[3]، ذلك أن سلوك الإدمان يتم تحديده بشكل كبير من خلال النموذج الاعتيادي لتنشيط المفاهيم التي تستعمل باستمرار في ذاكرة العمل. إن هذه المفاهيم (خطاطات الفعل، أحاسيس، تمثلات ذهنية، رموز ...) الاعتيادية التي تتميز بكونها من جهة مثارة بشدة، ومن جهة أخرى صعبة الكف، تكون في متناول المراهق [4] (Stacy, et autres ; 1996). وهو ما يجعل الباحثين يربطون بين وظيفة الكف وقابلية المراهق للإدمان من خلال قابلية خضوعه لأحاسيسه وعدم قدرته على مقاومة الإحساس بالراحة واللذة، حتى ولو كان عبر إدمان سلوك معين أو استهلاك مادة مضرة. بحيث إذا لم يتمكن الفرد من كف هذه الخطاطات، فإنه سيفتح الباب أمام بزوغ بناءات واحتمالات جديدة، ستنتهي بتكرار السلوك الشبه آلي الناتج عن نشاط غير خاضع بالشكل الصحيح للمراقبة المعرفية في السلوك الإدماني، مما يفتح المجال أمام مُساءلة سيرورات نضج الوظائف التنفيذية التي من المفروض أن تنمو وتتقوى خلال فترة المراهقة.

بهذا يمكن الربط بين السلوك الإدماني وفشل الكف كوظيفة تنفيذية، في إيقاف تكرار الأفكار والأحاسيس والسلوكيات الاندفاعية، وهو ما يمكن أن يتيح إمكانية الحديث عن مقاربة نفس-عصبية للسلوك الإدماني، والقول بأنه أعراض وتمظهرات لاضطراب وظيفة الكف (Goldstein et Volkow, 2002)[5]. فهذا الاشتغال من وجهة النظر السيكو-

1 selin, A.-M. & DeCoster, J. (2011). Unique relations of age and delinquency with cognitive control. Journal of Adolescence, 36(2), 367-379.

2 Nagy, Z., Westerberg, H. & Klingberg, T. (2004). Maturation of white matter is associated with the development of cognitive functions during childhood. Journal of Cognitive Neuroscience, 16(7), 1227-1233.

3 Field, R.-D. & Stevens-Graham, B. (2002). New insight into neuronglia communication. Science, 298(5593), 556-562.

4 Stacy, A.-W., Ames, S.L., Sussman, S. & Dent, C-W. (1996). Implicit cognition in adolescent drug use. Psychology of Addictive Behaviors, 10(3), 190-203.

5 Goldstein, R-Z & Volkow, N-D, (2002). Drug addictions and its underlying neurobiological basis: Neuroimaging for the involvement of the frontal cortex. Journal of Psychiatry, 159(10), 1642-1652.

دينامية، ينم عن أشكال إكلينيكية للاضطرابات تعود أساسا إلى هشاشة الأنا، التي يمكن تلخيصها في النقط التالية:

- هشاشة النرجسية والأنا.
- نقص في البلورة الأوديبية التي تفسر الاعتماد الضعيف على السيرورات والآليات الثانوية العصابية.
- الآليات الدفاعية الأولية، تقسيم الموضوع تحت تأثير القلق Clivage، المرور للفعل.

صعوبات الصياغة والبلورة (ونعني بها هنا الاشتغال النفسي الترابطي، الذي يسمح بالتمكن من المثيرات وخفض مستوى القلق، الذي بدوره يحمي الفرد من المرور إلى الفعل l'élaboration)، وصعوبة التمثل Difficultés de Symbolisation.

- الصدمات النفسية.
- إشكالية بلورة واحتواء وتدبير الفقدان.

4- بعض الإجراءات الواجب اتخاذها

إذا كنا قد تحدثنا في الفقرات أعلاه عن بعض مؤشرات إدمان استعمال الأطفال والمراهقين للهواتف واللوحات الالكترونية، وعن بعض مخاطر الاستعمال المفرط لها على صحة الأطفال المراهقين، وقدمنا من ثم الخطوط العريضة لبعض المقاربات التي اشتغلت حول الإدمان. فإن السؤال المطروح هنا، هو: ماذا يجب فعله في مواجهة هذا المشكل؟

يبقى الجواب في هذا المقال مختزلا عند مستوى الحديث عن أن تحمل وعلاج الإدمان عامة، يستلزم تدخلا مندمجا حتى يأتي بنتائج جيدة. فالجانب الطبي يتدخل بالأدوية للعلاج والتخفيف من آثار انسحاب المادة أو المواد من الجسم، كما قد يتدخل ببعض المهدئات والأدوية المساعدة على تنظيم المزاج وضبط إيقاع النوم مثلا، عند انسحاب المادة من الجسم أو التوقف عن ممارسة سلوك بعينه. وعلى المستوى الاجتماعي هناك عمل يجب القيام به، من قبيل تأهيل المدمن وتسهيل إعادة إدماجه في الحياة السوسيو-اقتصادية، ثم العلاج السيكولوجي والعلاج المعرفي السلوكي، والذي يتم فيه التركيز على الجوانب السلوكية والمعرفية والوجدانية للمدمن، كما لا يجب إغفال الاهتمام

بالجانب التحفيزي والمساعدة على تحمل نتائج التغير في السلوك والمواقف بعد التوقف عن الإدمان، تفاديا للانتكاسة والعودة للإدمان عند مواجهة أول صعوبة. لكن يبقى تجنيب الأطفال المراهقين السقوط في إدمان الشاشات الإلكترونية، هو الحل الأمثل. ولهذا ارتأينا تقديم بعض الاقتراحات لأولياء الأطفال المراهقين المعرضين لهذه الآفة، حتى يتمكنوا من الحد من هذا الاستعمال وضبطه.

في البداية يمكن الحديث عن وجود ثلاثة طرق تُتداول بين المختصين، وهي الطريقة البناءة والطريقة التعويضية، ثم الطريقة التقييدية. هذا وتتمثل الفكرة في الطريقة البناءة في إبرام نوع من الاتفاق مع الطفل المراهق حول طريقة وشروط استعمال هذه الوسائل، حيث يجب على الطفل الحصول على الإذن والموافقة قبل الاستعمال، وهو ما سيمكنه من بناء المراقبة الذاتية الخاصة به، حيث سيعي بأن الاستعمال لا يمكن أن يكون آليا، بمجرد انطلاق الرغبة ستتحقق، بل هناك اعتبارات أخرى تتدخل في مدى المرور للفعل أم لا. من جهة أخرى، هناك شروط أو ثمن يجب تأديته للحصول على ما يريد، كأن يشترط الأولياء الحصول على نتائج دراسية جيدة، أو المساهمة في أشغال البيت من تنظيف أو ترتيب أو اعتناء بالحديقة، مقابل السماح له باستعمال هذه الأدوات. أما طريقة البدائل، فتنبني على فكرة مزاولة أنشطة متعددة، وعدم التركيز على نشاط وحيد، حتى لا يحدث نوع من الترابط والتبعية لهذا النشاط. وأهم هذه الأنشطة هو الخروج بالطفل للتنزه وربط علاقات مع أقرانه، حتى يعلم أنه مرغوب فيه من طرف الآخرين، مما سينعكس طبعا على تصوره للآخر وتقديره لذاته. كما أنه سيفهم بأن مصادر التوازن النفسي والراحة والفرح واللعب قد تكون خارج إطار هذه الآليات والوسائل الإلكترونية الجامدة. أما الطريقة التقييدية، فتنبني على المنع والحد المباشر والنهائي من استعمال هذه الأدوات، والتي يجب أن تبدأ بالحد والتقليص من مدة الاستعمال اليومي بشكل تدريجي، حتى تنطفئ لدى الطفل تلك الرغبة القوية في استعمال هذه الوسائل، ويمكنه من ثم اللجوء إلى التخلص من هذه الأدوات بشكل سلس لا يثر الغضب والانزعاج ، حتى لا يكون لذلك أثر عكسي على علاقته بوالديه وعلى التزاماته الدراسية أو سلوكه اتجاه إخوانه وأقرانه.

على سبيل الختم:

إن الحديث عن موضوع الإدمان في الحالات التي تجتاز فيها المجتمعات وضعيات خاصة، من حروب وصراعات وأوبئة، تمليه النتائج الكارثية التي تنتج عن ذلك، خصوصا مع خفض المراقبة واعتقاد أن الحالة الطارئة يمكن خلالها أن يفعل الفرد ما هو غير عاد. وفي هذا الإطار جاء حديثنا حول موضوع الاستعمال المفرط خلال الحجر الصحي ببلادنا لمواجهة انتشار فيروس Covid-19، وذلك لمدة غير هينة. كما ساهم التعليم عن بعد في تسهيل ولوج الأطفال المراهقين للوحات الإلكترونية. مما قد يفضي إلى صعوبة ضبط سلوكهم حتى بعد رفع الحجر. لكن الشيء المهم الذي يجب الوقوف عنده هو ضرورة تحمل الأسرة لمسؤولياتها اتجاه الأطفال المراهقين، فيما يخص ضبط استعمالهم للشاشات الإلكترونية في جميع الظروف، حتى لا يجدوا أنفسهم في متاهة البحث عن العلاج وما ينتج عنه من عواقب وخيمة على صحة الأطفال النفسية والعقلية وعلى تحصيلهم الدراسي، وعلى اندماجهم الاجتماعي.، مع ضرورة الإشارة إلى أهمية استعانة الأسرة بمختصين ومساعدين لمصاحبتهم في التعرف على مؤشرات الإدمان، وعلى الطريقة المثلى للتعامل مع الوضع، حتى لا تتعقد الأمور بردود فعل ، قد تكون خارج السياق المطلوب، وتفضي إلى توترات بين الأبناء والآباء.

Bibliographie

1. Goldberg I. (1995). IAD, in Cinti M. E. Internet Addiction Disorder un fenomeno sociale in espansione.
2. Valleur M, Velea D. Les addictions sans drogue(s). Revue Toxibase n° 6. Juin 2002. p 1-16
3. Binder Philippe. Intervenir sur les addictions en médecine générale. Exercer 2017
4. Bee, H. et Boyed, D. (2003). Les âges de la vie. Canada : De Boeck.
5. Bergeret, J. (2008). Psychologie pathologique : théorique et clinique. Paris : Masson.
6. Bonnet, A. et Pedinielli, J.-L. (2010). Processus et subjectivité dans l'addiction. Psychologie française.
7. Ersche, K.D., Turton, A.J., Pradhan, S., Bullmore, E.T. et Robbins, T.W. (2010). Drug addiction endophenotypes : impulsive versus sensation-seeking personality traits. Biological Psychiatry.
8. Giancola, P.R., Mezzich, A.C., Clark, D.B. et Tarter, R.E. (1999). Cognitive distorsions, aggressive behaviour, and drug use in

adolescent boys with and without a family history of substance use disorder. Psychology of Addictive Behaviors.

9. Jeammet, P. (2005). Adolescence et Dépendance. Psychotropes.
10. Pedinielli, J.-L. (1994). Corps et dépendance. Point de vue psychodynamique. Dans D. Bailly et J.-L. Venisse (dir.), Dépendance et conduites de dépendance. Paris
11. Acton, G. (2003). Mesurement of impulsivity in a hierarchical modelof personality: implication for substance use. Substance Use et Misuse.
12. Li, C.-R. et Sinha, R. (2008). Inhibitory control and emotional stress regulation: Neuroimaging evidence for frontal-limbic dysfunction in psycho-stimulant addiction. Neuroscience and behavioral Reviews.
13. Zimmermann, G., Salamin, V. et Reichert, M. (2008). L'alexithymie aujourd'hui : essai d'actualisation avec les conceptions contemporaines des émotions et de la personnalité. Psychologie française.
14. Jeammet, P. (1994). Dépendance et séparation à l'adolescence. Point de vue psychodynamique. Dans D. Bailly et J-L. Venisse (dir.), Dépendance et conduites de dépendance .Paris .
15. Andronikof-Sanglade, A. (1993). L'abstraction au Rorschach comme mécanisme d'anti-symbolisation : réflexion autour du protocole d'une adolescente suicidaire. Bulletin de la société du Rorschach et des Méthodes Projectives de Langue Française.
16. Sztulman, H. (2010). Vers le concept de personnalités limites addictives. Une relecture plurielle. Pensée plurielle.
17. Boulze, I., Launay, M., Bruère-Dawson, G. et Pédinielli, J.-L. (2007). Actualité de l'addiction et nécessaire retour au travail de mémoire. Pratiques psychologiques.
18. Pascuale-Léone, J. (1991). Emotion, development and psychotherapy: a dialectical-constructivist perspective. Dans J.-D. Safran et L.-S. Greenberg (Dir.), Emotion, Psychotherapy and Change. New York : The Guilford Press.
19. Harnishfeger, K.K. et Bjorklund, D.F. (1993). The ontogeny of inhibition mechanisms: a renewed approach to cognitive development. Foundation.

20. Iselin, A.-M. et DeCoster, J. (2011). Unique relations of age and delinquency with cognitive control. Journal of Adolescence.

21. McGue, M., Iacono, W.G., Legrand, L.N., Malone, S. et Elkins, I. (2001). Origins and consequences of age at first drink. Associations with substance use disorders, disinhibitory behavior and psychopathology and P3 amplitude. Alcoholism: Clinical and Experimental Research.

22. Nagy, Z., Westerberg, H. et Klingberg, T. (2004). Maturation of white matter is associated with the development of cognitive functions during childhood. Journal of Cognitive Neuroscience.

23. Field, R.-D. et Stevens-Graham, B. (2002). New insight into neuronglia communication. Science.

24. Stacy, A.-W., Ames, S.L., Sussman, S. et Dent, C-W. (1996). Implicit cognition in adolescent drug use. Psychology of Addictive Behaviors.

25. Goldstein, R-Z et Volkow, N-D, (2002). Drug addictions and its underlying neurobiological basis: Neuroimaging for the involvement of the frontal cortex. Journal of Psychiatry.

26. Miel, C. (2002). L'identification projective dans la toxicomanie. Évolution psychiatrique.



شهادات



تجربة طبيب نفساني زمن جائحة كوفيد-19

محمد السعيد الكرعاني

طبيب نفساني

يوم 02 مارس 2020 سجل المغرب أول حالة لفيروس كوفيد-19 لمغربي قادم من الديار الإيطالية. منذ ذلك التاريخ بدأت الأطقم الصحية تدرك أنها مسألة أيام فقط ليدخل المغرب في معركة صحية غير مسبوقة في تاريخ هذا الجيل. و كان الأطباء النفسانيون على دراية بأن الأمر لن يتوقف عند آثار الجائحة على مستوى تجلياتها العضوية و لكن أيضا و بدرجة لا تقل خطورة على مستوى تجلياتها النفسية.

أحكي هنا تجربة شخصية من موقعي كطبيب نفساني زمن جائحة كوفيد-19. الزمان هو الفترة الممتدة من بداية شهر مارس 2020 إلى بداية يونيو 2020 و المكان هو مدينة ورزازات .

ظلت مدينة ورزازات آمنة مطمئنة ترقب الوضع الوبائي المتنامي بالعديد من المدن المغربية و تتلقى تنويه السلطات نظرا للانضباط الكبير الذي أظهرته الساكنة أمام إجراءات الحجر الصحي, حتى أطل علينا فيروس كوفيد-19 ذات صباح أواسط أبريل 2020. علمنا حينها أن ساعة الحقيقة قد دقت. عرف الجسم الصحي تعبئة شاملة لمواجهة العدو الخفي و تأكدنا أننا جنود هذه المعركة.

رغم ذلك ظل الوضع تحت السيطرة نظرا لعدد الحالات المحدودة التي سجلت في الأيام الأولى. ثم كانت المفاجأة، متمثلة في ظهور بؤرة جديدة: تسجيل مئات الحالات بالسجن المحلي بورزازات ما بين موظفين و نزلاء و مخالطين. كانت هذه اللحظة منعطفا في الوضع الوبائي داخل المدينة. بلغ الرقم الإجمالي ما يقرب من 400 حالة في مجموع الإقليم.

كان علينا أن نجمع بين مهامنا الاعتيادية داخل مصالحنا بالمستشفى والمهمة الجديدة المتمثلة في التكفل بحالات المرضى المصابين بكوفيد-19. ودعنا أسرنا و أبناءنا متوقعين حدوث كل شيء. أو لم تنقل لنا أخبار دول أخرى عدد الإصابات والوفيات في صفوف العاملين في الصفوف الأمامية لمواجهة كورونا؟ كل شيء كان متوقعا. كانت مشاعر مختلطة تجمع بين خوفنا البشري وبين رغبة جامحة في الانتصار. صارت أيامنا

نقضيها بين المستشفى و الفندق حيث نقيم, حتى نجنب أسرنا خطر العدوى المحتملة. كنا نتعايش مع فكرة الإصابة بالعدوى كلما هجمت علينا. ترتفع معنوياتنا أحيانا و تنخفض أحيانا أخرى. كان بعض العاملين يصاب بالذعر بين الحين و الآخر خوفا من احتمال الإصابة وكان حينها تضامن الآخرين هو الملاذ.

كنا نواجه عدوا لا نعرف عنه إلا القليل. عدوا لا يرى. كنا نرتدي الملابس الوقائية ثم ننظر إلى بعضنا البعض حتى نسد كل فجوة محتملة لعبور العدو. وعندما ندخل إلى جناح المرضى، كان الخوف يتلاشى، إذ كان علينا أن نكون مصدر طمأنينة للمرضى وأن نمنحهم الأمل في أن الأمور ستكون على ما يرام.

كان بعض المصابين يشعرون بنوبة خوف بين الحين والحين، أو بالملل و أحيانا بنوبة بكاء عندما تعود التحاليل المخبرية إيجابية مما يعني مزيدا من الأيام الإضافية بين جدران المستشفى.

رغم أن عدد الوفيات كان محدودا بالنظر إلى العدد الإجمالي للإصابات، لكن كل حالة وفاة كانت صعبة على نفوسنا و نحن نرى الحزن في أعين العائلات.

في كل هذه المواقف كان علينا أن نمنح المرضى و عائلاتهم فضاء للبوح و للغضب أحيانا. هي مشاعر إنسانية إذا تم احتضانها أثمرت قدرة على التجاوز وعلى استئناف الحياة.

نعم علينا أن نستأنف الحياة كأفراد وكمجتمع. جائحة كوفيد-19 كانت مدرسة نفسية لنا جميعا. التعاطف مع الآخر و تذكر المحروم و المقهور هو الدرس الكبير. تربية أسرية و مدرسية تعنى ببناء الإنسان المتعاطف مع غيره لم تعد ترفا، إنها مسألة وجود، مسألة حياة أو موت. أنانيتنا الصغيرة و رفاهيتنا الزائفة لم تصمدا طويلا عند أول اختبار. تأكدنا أننا ملزمون ببناء المجتمع الجديد. مجتمع يضع على رأس أولوياته العناية بالبناء النفسي لأبناءه عنايته بطعامهم و لباسهم. الأمم التي ستنج في المستقبل هي التي ستحسن صناعة الإنسان. و هل يستقيم الإنسان من غير بناء نفسي قويم؟

تأثير جائحة كوفيد-19 على الصحة النفسية للمغاربة

يوم 02 مارس 2020 كان المغرب على موعد مع أول حالة مؤكدة الإصابة بفيروس كوفيد-19. و منذ تلك اللحظة دخل المغاربة على غرار بلدان العالم في سلسلة متتالية من الإجراءات و التدابير الاحتياطية للتقليص من حجم الضرر الذي يمكن أن تسببه الجائحة، خاصة أن المعطيات القادمة من الدول التي سبقتنا في خوض معركة كوفيد-19 تفيد بأن الأضرار كانت بالغة الخطورة إلى درجة لم تعد معها منظوماتها الصحية قادرة على مواكبة حجم الضغط الذي سببه عدد الإصابات و الوفيات و ما صاحب ذلك من آثار نفسية هزت الفرد و الأسرة و المجتمع.

فكيف مرت جائحة كوفيد-19 بالبيت المغربي؟ و وبأي قدر أثر الحجر الصحي على الصحة النفسية للمغاربة؟

نعرض هنا لدراسة قامت بها المندوبية السامية للتخطيط، توثق للآثار النفسية لهذه الجائحة على الصحة النفسية. وقد شملت هذه الدراسة 2350 أسرة خلال الفترة الممتدة بين 14 و 23 أبريل 2020[1].

احتل القلق المرتبة الأولى من بين الآثار النفسية للجائحة والحجر الصحي، بنسبة 49 في المائة من بين الأسر التي شملت بالبحث. مع ارتفاع هذه النسبة إلى 54 في المائة في الأحياء الهامشية وانخفاضها إلى 41 في المائة بالنسبة للأسر القاطنة في سكن عصري. يأتي بعد ذلك الخوف بنسبة 41 في المائة، مع ارتفاع ملحوظ بالنسبة للأسر التي تشرف عليها نساء (47٪) و الأسر الفقيرة (43٪). جاءت بعد ذلك آثار نفسية أخرى من قبيل: رهاب الأماكن المغلقة (30٪) وأشكال متعددة من الرهاب (25٪) و اضطرابات النوم بنسبة 24 في المائة، مع ارتفاع نسبة هذه الأخيرة في المدن أكثر منها في البوادي (28٪ مقابل 14٪).

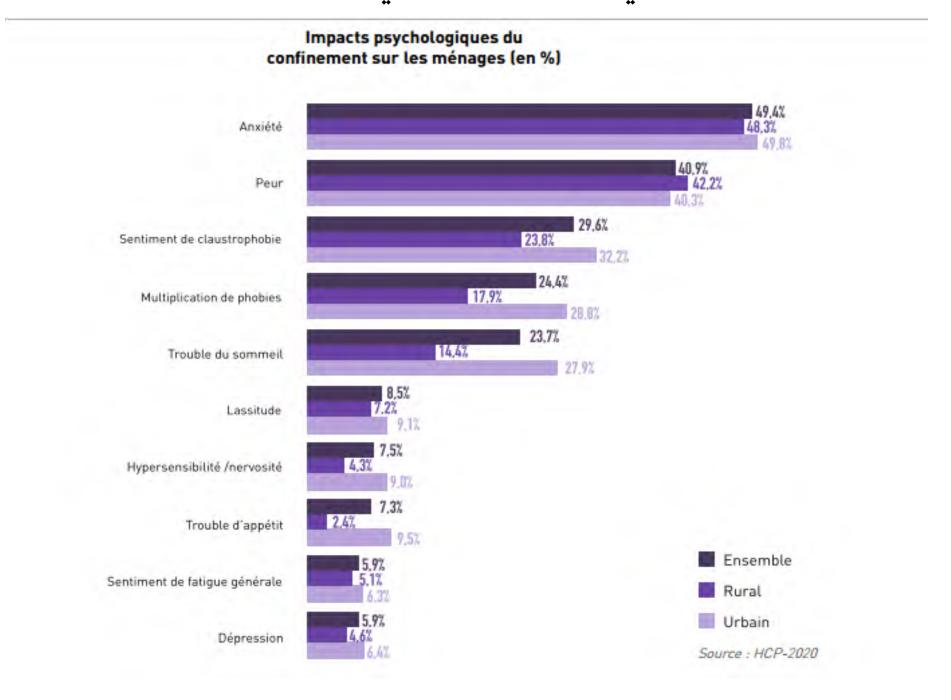
ترجع الأسر المستجوبة سبب قلقها في هذه الظروف إلى عدة أسباب: 48 في المائة منها عبرت عن قلقها من احتمال الإصابة بالعدوى. وعبرت 13 في المائة من الأسر الفقيرة عن قلقها من عدم القدرة على إطعام أفرادها مقابل انعدام هذا الشعور (0٪) عند الأسر الميسورة.هذا المعطى الأخير الذي يستوقفنا حول عمق أزمة العدالة الاجتماعية و انعكاسها على الحالة النفسية للفئات التي تعيش في وضعية الفقر والهشاشة.

تأثرت العلاقات سلبا بين أفراد الأسرة الواحدة بفعل الحجر الصحي بنسب متفاوتة بين الوسط الحضري (20٪) و الوسط القروي (12٪) و كذلك بالنسبة للأسر الفقيرة (19٪) مقارنة بالأسر الميسورة (13٪). ويدخل في ذلك عدة اعتبارات مرتبطة بعدد أفراد الأسرة و عدد الغرف المتوفرة. إذ لوحظ ارتفاع الضغط على الأسر الكثيرة العدد و المتوفرة على عدد قليل من الغرف.الشيء الذي يجعلنا نساءل سياسات التعمير والإسكان التي اتبعت منذ عقود و مدى الضرر النفسي الذي تسببه ظروف السكن حين تتسم بضيق مساحة البيت و غياب الفضاءات الخضراء وتلك الخاصة بالطفل والمراهق.

1- -المندوبية السامية للتخطيط: البحث الوطني حول آثار فيروس كورنا على الوضعية الإقتصادية والإجتماعية والنفسية للأسر

حاولت الأسر مواجهة الضغط الذي سببه الحجر الصحي بالقيام بأنشطة متعددة من قبيل: مشاهدة الأفلام والمسلسلات أو المطالعة وما شابه ذلك من أنشطة فكرية أو ترفيهية بنسبة 66 في المائة. كما كان قضاء وقت أطول مع الأسرة متنفسا بالنسبة ل 51 في المائة من المستجوبين. وحسب الدراسة شكّل الدين ملجأ بالنسبة إلى 37 في المائة من المشمولين بالبحث و35 في المائة كانوا حريصين على التواصل مع عائلاتهم وأصدقائهم من خلال وسائل التواصل. النشاط الرياضي داخل المنزل لم يكن حاضرا إلا بنسبة 12 في المائة فقط مع تسجيل أن هذه الممارسة ترتفع عند الأسر الميسورة إلى 26 في المائة مقابل انخفاضها إلى 7 في المائة لدى الأسر الفقيرة.

يأتي إذن هذا البحث الذي قامت به المندوبية السامية للتخطيط ليكشف حجم الضرر النفسي الذي خلفته الجائحة و الحجر الصحي المصاحب لها، و تستوقفنا الأرقام الواردة في نتائج البحث لنلاحظ كيف تزيد ظروف السكن غير اللائق و ظروف الهشاشة و الفقر في تدهور الأحوال النفسية أثناء الأزمات. ولعل هذه الأزمة الصحية وما تبعها من أزمات اقتصادية واجتماعية تعلمنا من الدروس ما يكفي لتكون الصحة النفسية وما يرتبط بها من محددات اجتماعية في صلب برامج التنمية في المستقبل.

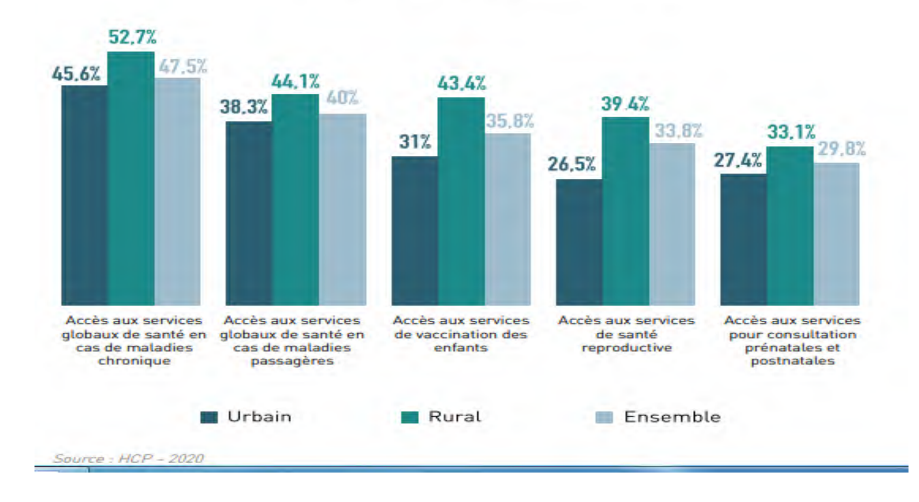


تأثير جائحة كوفيد-19 على ولوج المغاربة إلى الخدمات الصحية

بعد الإجراءات الوقائية التي اتخذتها السلطات المغربية للحد من انتشار وباء كوفيد-19 ابتداء من لحظة تسجيل أول حالة بالمغرب يوم 2 مارس 2020 و التي تمثلت في مجموعة من التدابير على رأسها إخراج قانون الطوارئ الصحية و ما واكبه من خطوات عملية كان من أبرزها فرض الحجر الصحي و فرض رخصة استثنائية للسماح بالخروج من المنازل لضرورة العمل أو التسوق أو العلاج... فإن ذلك أثر على ولوج المغاربة إلى الخدمات الصحية خاصة تلك المرتبطة بالأمراض المزمنة كما أشارت إلى ذلك نتائج البحث الوطني حول آثار جائحة كوفيد-19 على الأسر المغربية الذي أجرته المندوبية السامية للتخطيط في الفترة الممتدة بين 14 و 23 ابريل 2020 والذي شمل 2350 أسرة[1].

فمن بين الأسر التي شملها البحث, 30٪ منها تعاني من أمراض مزمنة. لم يتمكن ما يقرب من نصفها (48٪) من الحصول على الخدمات الصحية. و تزداد حدة المشكلة في الوسط القروي حيث تبلغ هذه النسبة 53٪ مقابل 46٪ في المناطق الحضرية. ومن بين 29٪ من الأسر التي تضررت بالأمراض الاعتيادية، لم يتمكن 40٪ منها من الحصول على الخدمات الصحية، مع ارتفاع هذه النسبة إلى 44٪ في المناطق القروية. 11٪ من الأسر المغربية لديها أطفال في حاجة إلى التلقيح. اضطرت 36٪ منها أن تتخلى عن هذه الخدمات ،مع بلوغ هذه النسبة إلى 43٪ في المناطق القروية مقابل 31٪ في المناطق الحضرية. كذلك الشأن بالنسبة للخدمات الصحية المرتبطة بالاستشارة الصحية لما قبل الولادة و ما بعدها فإن 30٪ من الأسر المعنية اضطرت أن تتخلى عن هذه الخدمات أثناء فترة الحجر الصحي. ونفس الأمر تم تسجيله بخصوص صعوبة الولوج للخدمات المرتبطة بالصحة الإنجابية حيث تعذرت الاستفادة منها على 34٪ من الأسر المعنية.

1- المندوبية السامية للتخطيط – المغرب: البحث الوطني حول آثار فيروس كورنا على الوضعية الإقتصادية و الإجتماعية و النفسية.



أما فيما يخص علاقة الحالة الوبائية بضعف الولوج إلى الخدمات الصحية فإن 40٪ من الأسر تخلت عن الخدمات الصحية في حالة الأمراض المزمنة خشية العدوى بفيروس كوفيد-19، و53٪ في حالة الأمراض الاعتيادية، و61٪ في حالة تلقيح الأطفال، و51٪ في حالة الاستشارات السابقة للولادة واللاحقة لها، و64٪ في حالة خدمات الصحة الإنجابية.

Raisons de non accès aux services de santé durant la période du confinement

	Peur de contamination	Difficultés d'accès aux cabinets médicaux	Accueil hospitalier	Cherté du service	Autre
Maladies chroniques	39,5%	16,1%	23,8%	16,5%	4,2%
Maladies ordinaires	52,5%	18,3%	14,6%	12,3%	2,2%
Vaccination des enfants	61,4%	13,0%	14,3%	3,9%	7,4%
Consultations prénatales et postnatales	51,4%	24,0%	22,4%	2,2%	-
Santé reproductive	64,3%	12,2%	20,8%	2,8%	-

Source : HCP-2020

تعكس هذه الأرقام حجم الأثر الذي خلفته جائحة كوفيد 19 على ولوج المغاربة إلى الخدمات الصحية بمختلف فروعها. مما يفتح باب التساؤل حول الضغط الذي سيقع على

كاهل المنظومة الصحية بعد نهاية الحجر الصحي و المتمثل في الإقبال الكثيف المتوقع حدوثه خاصة بالنسبة للأمراض المزمنة التي تحتاج متابعة طبية منتظمة و التي عرفت تراجعا أثناء فترة الحجر الصحي مما يعني توقع ارتفاع حجم المضاعفات الصحية المرتبطة بأمراض القلب و الشرايين و السكري و غيرها من الأمراض المزمنة.

قصة دواء الكلوروكين زمن جائحة كوفيد-19

غزلان السليماني

طبيبة مقيمة- تخصص الطب النفسي

كسب هيدروكسي كلوروكين اهتماما عالميا غير مسبوق أواخر فبراير2020 بعدما أعلن البروفيسور الفرنسي ديدييه راوولت من المعهد الاستشفائي الجامعي (إي أش أو ميديتيرانيه) في مرسيليا، استنادا إلى دراسة صينية غير مفصلة أجريت على 62 مريضًا مصابين بـ كوفيد-19 في ووهان و التي خلصت أن هيدروكسي كلوروكوين أظهر مؤشرات إيجابية في علاج مرضى كوفيد-19(1). وازداد الاهتمام العالمي بهذا العقار بعدما دافع عنه الرئيس الأميركي دونالد ترامب، لدرجة إعلانه أنه يتناوله كإجراء وقائي(2). يدافع عن العقار أيضا الرئيس البرازيلي جايير بولسونار المقتنع بآثاره الإيجابية رغم عدم ثبوتها، لدرجة أن أوصت وزارة الصحة البرازيلية استخدامه لعلاج كافة مرضى الوباء حتى أولئك الذين يعانون من عوارض خفيفة(3).

وبدأت منظمة الصحة قبل أكثر من شهرين تجارب سريرية تشمل خصوصا عقار هيدروكسي كلوروكين بهدف التوصل إلى علاج فاعل لكوفيد-19. وقال مدير المنظمة إن "أكثر من 400 مستشفى في 35 بلدا تستعين (حاليا) بمرضى وتمت الاستعانة بنحو 3500 مريض في 17 بلدا.(4)

وأظهرت الدراسة المسهبة التي نشرتها "ذي لانسيت" 22 ماي 2020 ، أن الكلوروكين والهيدروكسي كلوروكين لم يثبتا فاعلية ضد كوفيد-19 لدى المرضى في المستشفيات، بل إن هذه المركبات تزيد من خطر الوفاة ومن عدم انتظام ضربات القلب. وأعلنت منظمة الصحة العالمية في 25 ماي 2020 أنها علقت "موقتا" التجارب السريرية للعقار بعدما شككت دراسات في مدى سلامة استخدامه لمحاربة كوفيد-19. وقال المدير العام للمنظمة تيدروس أدهانوم غيبرييسوس إن المنظمة علقت موقتا التجارب في انتظار "تحليل المعطيات" الناتجة من التجارب السابقة(5).

طلب وزير الصحة الفرنسي أوليفييه فيران في 23 ماي 2020 "مراجعة القواعد الناظمة لوصف" عدد من العقاقير بينها هيدروكسي كلوروكين، بعد ظهور دراسة في مجلة "ذا لانست" المرموقة جدا في صفوف العلماء. شملت الدراسة 96 ألف مريض، و تشير إلى عدم فاعليته ومخاطر استخدامه في معالجة كوفيد-19.

وأعلنت وزارة الصحة الفرنسية يوم 27 ماي 2020 في بيان جاء عقب نشر مرسوم بشأن منع العقار في الجريدة الرسمية "ينبغي عدم وصف هذه التركيبة للمرضى المصابين بوباء كوفيد-19 سواء في منازلهم أو في المستشفى". ويلغي المرسوم إمكانية وصف هيدروكسي كلوروكين للعلاج، خارج إطار التجارب السريرية، ويأتي غداة تقييم سلبي للمجلس الأعلى للصحة العامة في فرنسا حوله.

وأوصى المجلس ، بعد طلب استشارة من الحكومة، "بعدم استخدام هيدروكسي كلوروكين في علاج مرضى كوفيد-19" خارج التجارب السريرية، سواء لوحده أو مع مضاد حيوي.وكان ممنوعا أصلا وصف العقار الذي يباع في فرنسا باسم "بلاكينيل" لمعالجة مرضى فيروس كورونا المستجد خارج المستشفيات.

ويستخلص المرسوم الذي نشر في الجريدة الرسمية "الاستنتاجات من رأي المجلس الأعلى للصحة العامة"، بعد أن طلب وزير الصحة أوليفييه فيران رأيه في الأمر، وفق ما توضح الوزارة، مشيرة إلى أن "فرنسا شهدت مآسي صحية مرتبطة بإساءة استخدام بعض العقاقير"(6).

في 28 ماي 2020 طالب عدة علماء من دول مختلفة بمعرفة المزيد عن البيانات المستعملة في الدراسة الواسعة المنشورة في مجلة "ذي لانست". إلى جانب ديدييه راوول، صدرت تساؤلات في فرنسا عن عدة أطباء وباحثين، على غرار طبيب القلب فلوريان زور الذي أشار على تويتر إلى "غياب" بعض البيانات ووجود ثغرات منهجية في الدراسة(7).

وفي السياق المغربي أكد وزير الصحة، السيد خالد أيت الطالب، يوم 28 ماي 2020 ، أن نجاعة دواء الكلوروكين في علاج فيروس كورونا المستجد "كوفيد 19 " يمكن إثباتها عمليا.

وقال السيد أيت الطالب، في تدخل له أمام لجنة القطاعات الاجتماعية بمجلس النواب في نفس اليوم ، إن "المغرب أخذ على عاتقه هذه المسؤولية نظرا لنجاعة هذا الدواء، والتي يمكن إثباتها اليوم علميا"، مشددا على أن "المملكة لم تتخذ هذا الإجراء

عبثا، أو لأنها لم تجد غيره، بل كانت هناك دراسات سريرية أعطت نتائج جد إيجابية"، ومشيرا إلى أن الوزارة تتوفر على دراسات في هذا الشأن، كما تقوم بثلاث دراسات حول استعمال الكلوروكين.

وبعد أن سجل أن "الكلوروكين يتم استعماله منذ زمن في الأمراض المزمنة والملاريا، ولم تكن تتم مناقشة جوانبه السلبية إلا الآن"، شدد على أن الكلوروكين يستخدم وفق شروط، وهو من جملة توصيات اللجنة العلمية الوطنية، مسجلا أن ثمن هذا الدواء لا يساوي إلا 12 درهما للعلبة.

ولفت إلى أن منظمة الصحة العالمية لم تقل بوجوب توقيف العلاج بالكلوروكين، بل بتعليق الاستعمالات السريرية الخاصة به، لأن الأمر يتعلق بالاقتناع العلمي للطبيب الذي يظل وحده من يتخذ القرار بأن الكلوروكين ناجع أم لا في علاج المرض، موضحا، في هذا الصدد، أن نجاعة الكلوروكين تأتي في المرحلة الأولى لدخول الفيروس إلى الخلية، إذ يعمل على كبح ميكانيزمات التوالد لدى الفيروس.

وأوضح أن المغاربة يتعافون بالنظر لاستعمال الكلوروكين في المرحلة الأولى من الإصابة بالمرض، ويتم بالتالي الحد من انتشاره، ونتيجة لذلك، يضيف الوزير، فإن عدد الوفيات بالمغرب يعد من النسب جد الضئيلة في العالم، وبالتالي لا يمكن التشكيك في نجاعة الدواء، مبرزا أنه سيتم إخراج تقارير اللجنة العلمية بشأن عدد الحالات التي تعالج بالدواء والفترة التي تم خلالها تقديم العلاج(8).

و فجأة سحبت اثنتان من أكبر المجلات الطبية في العالم مقالات تتعلق بكوفيد 19، استنادًا إلى البيانات المقدمة من شركة أمريكية ، (Surgisphere) سورجيسفير.

فقد أعلنت مجلة لانسيت يوم 4 يونيو سحب الدراسة المنشورة في 22 مايو بين صفحاتها ، والتي تشير إلى أن هيدروكسي كلوروكوين ، سواء كان مرتبطًا أو غير مرتبط بمضاد حيوي مثل أزيثروميسين ، زاد من معدل الوفيات وعدم انتظام ضربات القلب في المرضى. وقد اتبعت هذه الدراسة في فرنسا بإلغاء الإعفاء الذي سمح باستخدام هذا الدواء ضد الفيروس التاجي الجديد وتعليق التجارب السريرية التي تهدف إلى اختبار فعاليتها.

فعلت مجلة نيو إنجلاند الطبية (NEJM) نفس الشيء لمقال نشر في أعمدتها في 1 مايو ، والذي أعلن أن تناول الأدوية الخافضة للضغط لم يكن له تأثير على شدة كوفيد

19. في كلتا الحالتين ، كان المؤلف الرئيسي للدراسة هو مانديب مهرا(من كلية الطب بجامعة هارفارد) وكانت البيانات من سورجيسفير(9).

وقال المدير العام للمنظمة، تيدروس أدهنوم غيبريسوس، في لقاء صحفي، يوم 03 يونيو، إن خبراء اللجنة المعنية نصحوا بإعادة "هيدروكسي كلوروكين" إلى برنامج "تجربة التضامن" الخاص بالاختبارات الدولية للأدوية المحتملة ضد عدوى فيروس كورونا المستجد، مشيرا إلى أنه "بناء على المعلومات المتوفرة حول مستوى الوفيات، قدم أعضاء اللجنة توصية مفادها أنه لا توجد أسباب لتغير بروتوكولات الاختبارات".

ويعتبر قرار منظمة الصحة العالمية انتصارا للسياسة الدوائية التي اعتمدها خالد آيت الطالب وزير الصحة ورئيس اللّجنة التقنية والعلمية للبرنامج الوطني للوقاية والحدّ من انتشار الإنفلونزا والالتهابات التنفسية الحادة والشديدة، في مواجهة جائحة "كوفيد 19"، والذي أقر بروتوكول علاجي مكنَ المملكة المغربية من تحقيق نتائج جد إيجابية في مجال مكافحة انتشار فيروس كورونا المستجد، بعد أن ارتفعت عدد حالات الشفاء من الفيروس واستقرت حالات الوفاة الناجمة عن المرض(10).

المراجع:

1. Chen Z, Hu J, Zhang Z, Jiang S, Han S, Yan D, et al. Efficacy of hydroxychloroquine in patients with COVID-19: results of a randomized clinical trial. Epidemiology; 2020 mars. Disponible sur: http://medrxiv.org.

2. Covid-19 : Donald Trump prend de l'hydroxychloroquine à titre préventif. Sciences et Avenir. Disponible sur: https://www.sciencesetavenir.fr.

3. AFP avec. Coronavirus. Le Brésil maintient l'utilisation de l'hydroxychloroquine. Ouest-France.fr. 2020. Disponible sur: https://www.ouest-france.fr.

4. Essai clinique « Solidarity » de traitements contre la COVID-19 [Internet]. Disponible sur: https://www.who.int.

5. فيروس كورونا: منظمة الصحة العالمية تعلق موقتا التجارب السريرية لعقار هيدروكسي كلوروكي ، فرانس 24. Disponible sur: https://www.france24.com.

6. فرنسا توقف استخدام عقار هيدروكسي كلوروكين في علاج مرضى كوفيد-19 - فرانس 24

Disponible sur: https://www.france24.com.

7. Chloroquine: Raoult contre-attaque sur le fond à l'étude du Lancet (et il n'est pas le seul). Le HuffPost. 2020.

Disponible sur:https://www.huffingtonpost.fr.

8. السيد أيت الطالب يؤكد أن نجاعة الكلوروكين يمكن إثباتها عمليا في علاج "كوفيد 19" – ماپ إكسپريس.

Disponible sur: http://www.mapexpress.ma.

9. « The Lancet » annonce le retrait de son étude sur l'hydroxychloroquine. Le Monde.fr [Internet]. 4 juin 2020; Disponible sur: https://www.lemonde.fr.

10. منظمة الصحة العالمية تنتصر لقرار وزير الصحة آيت الطالب بشأن علاج مرضى "كوفيد19" بالكلوروكين، سياسي.2020

Disponible sur: https://www.siyassi.com

التأطير الطبي–النفسي عبر منصات التواصل الاجتماعي في زمن الجائحة: تجربة طبيب مقيم بمصلحة الطب النفسي بالمستشفى الجامعي بمراكش

أحمد الكرعاني

طبيب مقيم - تخصص الطب النفسي

مع وصول جائحة كورونا الى المغرب، و مع الإعلان على حالة الطوارئ الصحية، تزايد الضغط النفسي على الأفراد و على الأسر وتزايد معه الطلب على المعلومة النفسية والتوجيه النفسي.

منذ بدء الإعلان عن الحالات الأولى لانتشار العدوى بفيروس كوفيد 19 بالمغرب، اتضح للعاملين في مجال الصحة النفسية أن هذه الجائحة و ظروف الحجر الصحي المرافقة لها ستؤثر لا محالة على الحالة النفسية لشرائح واسعة من المواطنين، مما حدا بهم إلى اتخاذ مجموعة من المبادرات التأطيرية الهادفة إلى التخفيف من وقع الجائحة النفسي و تزويد المستفيدين بالمعلومة النفسية الصحيحة و مهارات التعامل مع الأزمات على المستوى الفردي و الأسري.

أعرض هنا تجربتي بوصفي طبيبا مقيما بمستشفى ابن النفيس للأمراض النفسية التابع للمستشفى الجامعي بمراكش. هذه التجربة المتمثلة في مجموعة من اللقاءات التأطيرية عبر منصات التواصل الاجتماعي بهدف تمكين المواطنين من فهم سليم لحالتهم النفسية أثناء الجائحة و كذا سبل التعامل الصحي معها.

كانت اللقاءات تتم بعرض السياق العام، المتسم بالجدة و الجدية، و العالمية، مع الإشارة إلى أهم عوامل الضغط النفسي خلال هذه الفترات، والتي تتلخص في:

- ضعف الشعور بالأمان
- عدم وضوح الرؤية
- الشك في المعلومات و الأخبار
- تجدد المعطيات الوبائية طوال الوقت
- ضيق مساحة تصرف الشخص في مجريات حياته اليومية.

فالشك كان راجعا بالأساس إلى تغير المعلومات بسرعة: المعلومات تتجدد على مدار الساعة، وأحيانا لا تتجدد فقط ، بل تتناقض، خصوصا أن الأمر يتعلق بأمر جديد ، ليس لدى المواطن ولا العاملين في الخطوط الأولى تجربة يحتكمون إليها و يطمئنون إليها في هذا المجال، فيعيشون بالتالي حالة من الارتباك. فمثلا كان ارتداء الكمامة غير إلزامي في بداية الجائحة ثم أصبح إلزاميا و شبيه به ذلك النقاش الدائر حول دواء الكلوروكين، هل هو فعال ام لا؟... الخ .

ناهزت هذه اللقاءات التأطيرية خلال فترة الحجر الصحي عشر لقاءات، وكانت تتم عن طريق البث المباشر عن بعد و تدور حول الحفاظ على الصحة النفسية وتدبير التوتر الذي سببه هذا الوضع لجميع أفراد الأسرة، بحيث أصبح الجميع في حالة اجتماع متواصل على مدار اليوم و الليلة و في كثير من الأحيان تسبب ذلك في تشنج في العلاقات بين أفراد الأسرة الواحدة. فتناقض احتياجات الأفراد و عدم فهم هذه الخاصية الطبيعية و عدم المعرفة بطرق تدبيرها فاقم من حالة التوتر الأسري. فالأسرة تضم كبارا وأطفالا ومراهقين وكل فئة لها احتياجات مختلفة عن الأخرى فيما يتعلق بأوقات الراحة وأوقات اللعب وأوقات الدراسة عن بعد للأبناء المتمدرسين. ينضاف إلى ذلك أن معظم الأسر تعيش في منازل ضيقة المساحة مما زاد من حالة التوتر لدى العديد منها. وكانت بعض الطلبات تدعوا إلى التطرق إلى خصوصية التلاميذ المقبلين على الامتحانات الإشهادية، والذين كان عليهم ضغط الحجر الصحي وضغط الاستعداد للامتحانات، مع عدم وضوح الرؤية (هل هناك سنة بيضاء؟ كيف سيتم الامتحان في ظل الحجر الصحي؟...)، فكان من اللازم تخصيصهم بتوجيه نفسي يأخذ ظروفهم بعين الاعتبار. بحيث يتم تزويدهم بأهم مهارات تدبير المشاعر المتسمة بالخوف و القلق و تقنيات تدبير الوقت و تعلم التفكير المركز حول الحلول بدل التفكير المركز حول المشكل و غيرها من التقنيات المستمدة من المهارات المعرفية و السلوكية لتدبير التوتر.

أهم الوسائل التي كان يُنصح بها : تقبل المشاعر والأفكار السلبية الواردة على النفس، واعتبارها نتيجة عادية لوضع استثنائي .

عند تكرار الأفكار السلبية ، ينظر الشخص الى طبيعة الفكرة المزعجة، فإذا كانت تطرح عليه مشكلا موضوعيا مطروحا الآن ، قابلا للحل الآن، يقوم بالحل و يرتاح. أما إن كان المشكل المطروح غير وارد الآن، و ربما سوف يصبح ممكنا في غضون شهور، فيقوم بتأجيل التفكير فيه، حيث يخصص نصف ساعة في اليوم، يختلي فيها بنفسه، و ينظر إلى المشاكل المؤجلة، ويفكر في وجود حل لها، و في مدى جديتها .

كنت أنصح بشدة، بممارسة التنفس البطيء، و بجعله جزء من نمط العيش، خصوصا في مثل هاته الظروف، وخصوصا لدى الأشخاص الذي يتأثرون نفسيا خلال الحجر الصحي.

حيث أن هذا النوع من التنفس، يعتبر مفتاحا للعديد من المشاكل النفسية، خصوصا المشاعر السلبية من قلق و هلع و غضب ..

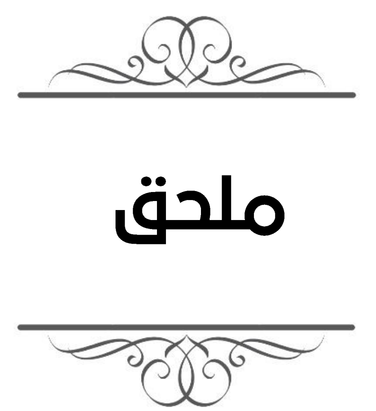
هذا دون أن أنسى التنبيه إلى أهمية النوم المبكر وقضاء ساعات كافية من النوم من أجل تحسين جودة الصحة النفسية. وكان محور التعامل مع وسائل التواصل الاجتماعي يحتل حيزا معتبرا في النصائح الموجهة للمشاركين وذلك لما تشكله هذه المواقع من عامل ضغط إضافي بسبب كثرة المعلومات التي تدور في معظمها حول أخبار الجائحة وعدد الإصابات والوفيات و المدن المصابة والأحياء السكنية المعنية بل وأحيانا أسماء الأشخاص المعنيين. فكان لابد من ترشيد استعمال هذه الوسائل الرقمية خاصة لدى فئة المراهقين.

وكنت أتلقى بعد كل لقاء اتصالا أو اتصالين من طرف جهة أو أكثر (جمعيات أو مجموعات فايسبوكية) تطلب لقاء مماثلا، أو تزيد عليه بعض الإضافات والخصوصيات المتعلقة بالتلاميذ، الأسر، الخ ..

وكان الطلب يتزايد بعد كل لقاء، فظهر لي جليا بأن المعلومة الطبية -النفسية عليها طلب كبير في هذه الظروف وأن من واجبنا تعميم ثقافة نفسية صحيحة على عموم المواطنين مع التركيز على الأهمية القصوى التي تلعبها المهارات النفسية و الإجتماعية (دبير التوتر، التقدير الذاتي، السلوك التوكيدي، مهارة التعاطف والعطاء ...) في الوقاية النفسية. ولقد اتضح جليا أن مستقبل الأسرة والمدرسة لابد له من برامج تعنى بهذه المهارات حتى لا يبقى الأفراد مجردين من أدوات التمنيع النفسي التي يحتاجون إليها في حياتهم العادية وفي ظل الأزمات من باب أولى.



ملحق



مرض كوفيد-19 عام2020: قراءة في الإحصائيات الطبية والتجارب العلاجية

ابراهيم أوباها

دكتور باحث في الميكروبيولوجيا وتفاعلات النبات-الكائنات الحية الدقيقة بجامعة الحسن الأول-سطات

الحسين المكحول

باحث في سلك دكتوراه بجامعة الحسن الأول –سطات

مبارك أركوكو

باحث في سلك دكتوراه بجامعة الحسن الأول -سطات

مقدمة

لا شك أن أزمة كورونا، التي أضحت تشغل بال كافة دول العالم من أقصاه إلى أقصاه تعد تحدياً غير مسبوق، ابتدأت في منتصف شهر دجنبر 2019 ، عندما أصيب مجموعة من الناس يرتبط الكثير منهم بوجودهم في سوق شعبي في مدينة وهان الصينية، بالتهاب رئوي حاد دون أي أسباب واضحة، بعد ذلك ربط العلماء الصينيون الالتهاب الرئوي بسلالة جديدة عرفت بإسم كوفيد -19[1]، وفي 10 يناير 2020 تم الإبلاغ

1 - تعد فيروسات كورونا فصيلة كبيرة من الفيروسات التي تسبب اعتلالات تتنوع بين الزكام وأمراض أكثر وخامة، مثل متلازمة الشرق الأوسط التنفسية(MERS-CoV) ، ومتلازمة الالتهاب الرئوي الحاد الوخيم (سارس .(SARS-CoV) (ويمثل فيروس كورونا المستجد (nCoV)سلالة جديدة لم يسبق تحديدها لدى البشر من قبل.
وتعد فيروسات كورونا حيوانية المصدر، ويعني ذلك أنها تنتقل بين الحيوانات والبشر. وتوصلت الاستقصاءات المستفيضة إلى أنَّ فيروس كورونا المسبب لمتلازمة الالتهاب الرئوي الحاد الوخيم (سارس) قد انتقل من سَنَانير الزبّاد إلى البشر، بينما انتقل فيروس كورونا المسبب لمتلازمة الشرق الأوسط التنفسية من الجمال الوحيدة السنام إلى البشر. وينتشر العديد من فيروسات كورونا المعروفة بين الحيوانات، ولم تُصيب البشر بعد.
وتشمل الأعراض الشائعة للعدوى أعراضًا تنفسية والحمى والسعال وضيق النفس وصعوبات في التنفس. وفي الحالات الأكثر وخامة، قد تسبب العدوى الالتهاب الرئوي، ومتلازمة الالتهاب الرئوي الحاد الوخيم، والفشل الكلوي، وحتى الوفاة.
انظر:/http://www.emro.who.int .

عن أول حالة وفاة و41 إصابة مؤكدة سريريًا ناجمة عن هذا الفيروس الجديد[1] ، وبحلول 22 يناير 2020، انتشر الفيروس في المدن والمقاطعات الرئيسية الصينية، وقد تم الإبلاغ عن 571 حالة مؤكدة و17 وفاة، وإلى حدود تلك الفترة كان هذا الفيروس يعتبر مشكلة صينية بحثة، يشاهد العالم فصولها دون مبالاة والحياة مستمرة بكل تفاصيلها، إلى أن أصبح هذا الفيروس في أغلب بقاع العالم، وبات عابرا للحدود، لا يفرق بين قوة عظمى وعالم ثالث. ومن هنا كان قد انتشر الفيروس ليجتاح ما يزيد عن 140 دولة في العالم، لتصنفه منظمة الصحة العالمية وباءا عالميا[2].

وترتيبا على اعتباره من طرف منظمة الصحة العالمية كجائحة، سارعت مختلف الدول الموبوءة إلى اتخاذ مجموعة من الإجراءات والتدابير الهادفة إلى الحد من انتشار هذا الفيروس، حيث تباينت الإجراءات من دولة إلى أخرى ارتباطا بدرجة تفشي الفيروس فيها ومدى قدرة منظومتها الصحية على استيعاب هذا المتغير الجديد.

وتبعا لتداعيات الفيروس على مختلف مناحي الحياة الطبيعية، وإيمانا منها بقدسية الحق في الحياة، هدفت الدول إلى إطلاق برامج الأبحاث وتطوير اللقاحات، قصد إيجاد علاج فعال لهذا الفيروس المستجد، وإلى حدود كتابة هذه الأسطر تتباين وثيرة تقدم هذه الابحاث، فيما يبقى الكثير منها قيد الكتمان لاعتبارات عديدة.

بناء على ما قيل سنحاول رصد تطور الحالة الوبائية في المغرب وفي أغلب دول العالم، وكيف تحارب الدول هذا العدو الغير مرئي المشترك؟ ما الذي يحدد استراتيجية كل دولة؟ ولماذا تأخرت دول كبرى في وضع استراتيجيات لمواجهته؟ وأين وصلت مختلف التجارب السريرية لإيجاد لقاح فعال لهذا الفيروس؟

ولمقاربة هذه الاشكاليات سوف نعتمد على التقسيم التالي:

المحور الأول: تطور الحالة الوبائية بالعالم وبالمغرب

المحور الثاني: التدابير الوقائية للحد من انتشار الفيروس

المحور الثالث: التجارب السريرية ورهان إيجاد لقاح لفيروس كورونا

1 -Qin, Amy; Hernández : "China Reports First Death From New Virus". Newspaper The New York Times, Number -Javier C. (2020-01-10) -.https://www.nytimes.com.

2 - أعلنت منظمة الصحة العالمية التابعة للأمم المتحدة يوم 11-03-2020 وذلك على لسان مديرها العام" تيدروس أدهانوم غيبرييسوس" أنه بات يعتبر الفيروس المسبب لمرض "كوفيد-19" الذي أصاب أكثر من 110 آلاف شخص حول العالم منذ دجنبر 2019، والذي تفشى حول العالم "جائحة"، أي أنه وباء متفشي عالميا.

انظر الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية: https://www.who.int/ar

المحور الأول: تطور الحالة الوبائية بالعالم وفي المغرب

أولا: تطور الحالة الوبائية بالعالم

إن تتبع تطور الحصيلة الوبائية لفيروس كورونا عبر العالم، فرض علينا اعتماد الإحصائيات التي تقدمها منظمة الصحة العالمية في تقاريرها اليومية بخصوص تطور الحالة الوبائية بالعالم، وكذلك موقع "وورلد ميترز" المتخصص في رصد ومتابعة حالات فيروس كورونا في العالم[1].

وحسب الاحصائيات المعلن عنها بلغ مجموع الحالات المصابة في العالم بهذا الفيروس إلى حدود يوم فاتح يوليوز-2020 ما يقارب 12.000.000 مصاب، منها 4.054.153 حالاتهم نشطة، و مجمل هذه الاصابات هي في حالة معتدلة عددهم 3.996.485 بنسبة 99٪ من مجموع الاصابات النشطة، في حين 60.867 مصاب حالتهم خطيرة وحرجة بنسبة تقدر ب 1٪ من مجمل الإصابات النشطة[2]. أما ما يتعلق بحالات الشفاء فقد بلغت 5.376461 حالة شفاء من هذا الفيروس بنسبة 92٪ من مجموع الحالات المؤكد إصابتها بفيروس كوفيد -19، في حين بلغ عدد الوفيات 497.363 حالة وفاة بنسبة تقدر بـ 8.0٪.

من خلال الإحصائيات المقدمة أعلاه، يتبين أن مستوى الانتشار الكبير الذي عرفه فيروس كورونا كوفيد -19 في العالم، وقوة قدرته على العدوى والانتشار فكل مصاب يمكن أن ينقل العدوى إلى أشخاص أخرين بمعدل 2 إلى 4.5٪، وهو ما يعكس مدى خطورة تفشي هذا الفيروس الذي أربك مجمل النظم الصحية للدول حتى تلك التي لها قدرة أكثر على التحمل[3].

وفي ذات السياق، سوف نحاول الوقوف على توزيع الحالة الوبائية حول القارات لعلنا نقترب من معرفة سبب تفشي هذا الفيروس بهذا الشكل السريع عالميا، رغم أن أغلب الدول فرضت مجموعة من الإجراءات والتدابير الاحترازية الصحية كتعليق كل الرحلات الجوية وفرض حجر صحي على عدة مدن ومنها من قام بإغلاق تام للحدود.

1- https://www.worldometers.info/coronavirus/#countries. (تاريخ آخر اطلاع، فاتح يوليوز)
وورلد ميترز هو موقع ويب مرجعي يوفر إحصاءات لمواضيع متنوعة، تمتلكه وتديره شركة داداكس المحدودة للبيانات بواسطة فريق دولي من المطورين والباحثين والمتطوعين.

2- https://www.worldometers.info/coronavirus/#countries. (تاريخ آخر اطلاع، فاتح يوليوز)

3 - تقرير لمنظمة الصحة العالمية حول استراتيجية كوفيد 19 المحدثة ، صدر بتاريخ 14 أبريل 2020.ص.2

جدول1: توزيع الحالات المؤكدة حسب القارات

القارة	الاصابات	الشفاء	الوفيات
أمريكا الشمالية	2,976,803	1,301,988	164,873
أمريكا الجنوبية	2,050,155	1,172,972	79,564
أوروبا	2,397,490	1,337,971	190,324
استراليا	9,273	8,570	126
افريقيا	362,938	175,746	9,317
آسيا	2,135,089	1,383,129	53,289

من خلال الجدول أعلاه، يتبين أن هناك تفاوتا بخصوص حالات الاصابة بهذا الفيروس بين القارات، حيث تتصدر القارة الأمريكية معدل الاصابات بنسبة 29.9٪ بأمريكا الشمالية و20.6٪ بأمريكا الجنوبية، وتليها القارة الأوروبية التي عرفت هي الأخرى تفشي واسع لهذا الفيروس وقد بلغت نسبة الاصابات حوالي 24.1٪ من اجمالي الاصابات في العالم، ثم بعد ذلك تأتي القارة الأسيوية بنسبة بلغت 21.5٪، وتليها قارة أفريقيا بنسبة 3.6٪ وأخير القارة الأسترالية.

جدول2: توزيع الحالة الوبائية لدى بعض الدول[1]

الدولة	مجموع الاصابات	مجموع الوفيات	حالات الشفاء	الحالات النشطة	مجموع الاختبارات
ايطاليا	239,961	34,708	187,615	17,638	5,215,922
فرنسا	162,936	29,778	75,351	57,807	1,384,633
المانيا	194,399	9,026	177,500	7,873	5,412,655

1 - احصائيات يقدمها موقع : https://www.worldometers.info/coronavirus/#countries.

الولايات المتحدة الأمريكية	2,553,068	127,640	1,068,768	1,356,660	31,354,678
البرازيل	1,280,054	56,109	697,526	526,419	2,925,935
الصين	83,483	4,634	78,444	405	90,410,000
ايران	220,180	10,364	180,661	29,155	1,583,542
السعودية	174,577	1,474	120,471	52,632	1,479,759
مصر	62,755	2,620	16,737	43,398	135,000
المغرب	11.877	220	8.723	2.934	627,379

هذه الإحصائيات تتعلق بانتشار الفيروس لدى بعض الدول في العالم، وما يلاحظ هو تباين تفشي الاصابة بفيروس كوفيد-19 فيما بينهم. وتسجل الولايات المتحدة الأمريكية أعلى معدل اصابات بنسبة تبلغ 25.7٪ من مجموع الاصابات في العالم. وتليها البرازيل بنسبة 12.8٪ ثم بعد ذلك تأتي الدول الأوروبية باعتبارها أول مناطق تفشي فيروس كورونا بعد الصين، حيث كانت إيطاليا أول دولة أوربية تأثرت بهذا الوباء[1]، ثم توالت ظهور حالات الاصابة المؤكدة بدول اوروبية أخرى (الحالة الصفر) كفرنسا وألمانيا واسبانيا، وحسب الإحصائيات التي أوردناها أعلاه يظهر لنا جليا مدى قوة انتشار الفيروس لدى أغلب البلدان.

ويرجع سبب تفشي الوباء في هذه الدول إلى التباين في تبني الإجراءات الاحترازية المتدرجة والجزئية فمثلا إيطاليا انتظرت حتى يوم 22 فبراير 2020 لتقر أول حجر صحي ل 50 ألف شخص في المناطق الشمالية من إيطاليا؛ حيث أغلقت المدارس ومنعت الأنشطة الرياضية، لكن يبدو أن قرار الحجر الصحي الذي أقر يوم 8 مارس 2020 كان متأخرا، بعد أن وصلت الحالات المصابة قرابة 20 ألف مصاب. وبقيت نسب الاصابات في ارتفاع طيلة شهر مارس إلى بداية شهر ماي، وهو ما وضع القطاع الصحي الإيطالي وبعض الدول الأوروبية كإسبانيا تحت الضغط الشديد، إلى درجة أنه فرض على الأطباء الاختيار

1 - Amante, Angelo; Pollina, Elvira -Reuters Magazine .«Two first coronavirus cases confirmed in italy» WORDLD NEWS-30 JANUARY 2020 / 11:05 PM.

الصعب حول من يتلقى العلاج أولا لإنقاذ حياته؟ ومن يحرم منه وفقا لتقييم الحالة المرضية لقدرتها على الاستجابة للعلاج؟[1].

وبالتالي هذا التباين على مستوى نسب الاصابة بين أغلب دول العالم. لدرجة أنه لم يشكل الفارق الزمني بين تسجيل أول إصابة عاملا أساسيا في ارتفاع عدد الاصابات، هو أمر يجعلنا نتساءل عن مختلف العوامل المساهمة في تباين معدلات انتشار الفيروس بين دول العالم؟

يعد الاختلاف في التدابير التي اعتمدتها أغلب دول العالم عاملا رئيسيا في تباين نسب الاصابة، والتي تتجلى أساسا في تتبع الحالات التي أصيبت ورصد المخالطين والرفع من عدد الاختبارات، بالإضافة إلى توقيت وكيفية إعلان حالة الطوارئ وما تبعها من فرض لإجراءات الحجر الصحي[2]، فأغلب البلدان التي تقيدت بهذه الإجراءات في تدبيرها لهذه الجائحة وذلك حسب ما أقرته منظمة الصحة العالمية في تقاريرها، أن هذه الأخيرة استطاعت التحكم في حالتها الوبائية، وهو انعكس بشكل إيجابي على قدرتها في تقديم الرعاية السريرية ذات الجودة، وتقليل الوفيات الناجمة عن أسباب أخرى من خلال استمرار توفير الخدمات الصحية الضرورية بشكل آمن، كدولة نيوزيلندا التي حققت هدفها الطموح المتمثل في محاصرة انتشار فيروس كورونا[3]، بعد خطوات تعتبر من أول وأقسى إجراءات العزل الذاتي في العالم، وهو ما جعلها تصل إلى معدل قليل في عدد الاصابات بلغ 1,522 اصابة ، تعافت منها 1,484 حالة ، وماتت 22 حالة[4].

ومن بين الدول التي اعتمدت هذه المقاربة في التصدي لهذه الجائحة أيضا، وتمكنت من السيطرة على الوضع الوبائي بها، الصين البلد مصدر هذه الجائحة والتي

---

1 - انهيار منظومات الحماية الصحية والاجتماعية، ونموذج دولة الرفاه الاجتماعي في دول كان يضرب بها المثل في ذلك؛ حتى إننا لم نعد نميز بين هشاشة تلك المنظومة في هذه الدول ونظائرها بعض دول الفقيرة، وانهزمت قيم التضامن وانكشفت خلفيات بعض الدول التي كانت تقدم نفسها على أنها مهد للقيم والتضامن والديمقراطية، خاصة بعد أحداث مصادرة الكمامات والمعدات الطبية بين عدة دول فيما بينها.

2 - الفرق بين العزل الذاتي والحجر الصحي الذاتي والتباعد الجسدي:

- الحجر الصحي يعني تقييد الأنشطة وعزل الأشخاص غير المرضى هم أنفسهم ولكنهم ربما تعرضوا للإصابة بعدوى كوفيد-19. والهدف هو منع انتشار المرض في الوقت الذي لا تكاد تظهر أي أعراض على الشخص.

- أما العزل فيعني عزل الأشخاص المرضى الذين تظهر عليهم أعراض كوفيد-19 ويمكنهم نقل عدواه، لمنع انتشار المرض.

- ويعني التباعد الجسدي الابتعاد عن الآخرين جسدياً. وتوصي المنظمة بالابتعاد عن الآخرين مسافة متر واحد (3 أقدام) على الأقل. وهي توصية عامة يتعين على الجميع تطبيقها حتى لو كانوا بصحة جيدة ولم يتعرضوا لعدوى كوفيد-19.

انظر الموقع الالكتروني الخاص بمنظمة الصحة العالمية.https://www.who.int

3 -/https://www.health.govt.nz.(الموقع الرسمي لوزارة الصحة بنيوزيلندا) (تاريخ آخر اطلاع، فاتح يوليوز)

4 -https://www.worldometers.info/coronavirus/country/new-zealand (تاريخ آخر اطلاع، فاتح يوليوز)

قامت بإجراءات فعالة، كالإغلاق الشامل للمدن التي تعرف تفشيا للفيروس وتمكينها من الإمدادات اللازمة على وجه السرعة في محاولة لحصر امتداد الفيروس وتقليل حالات الإصابة. وقد تمكنت في 10 مارس 2020 الصين من السيطرة على الفيروس، وهو الأمر الذي وصفته منظمة الصحة العالمية بالاحتواء الفعال والناجع، وقد سعت الصين إلى نقل نموذجها إلى الدول المصابة[1].

وكذلك نشير وحسب الإحصائيات المعلن عنها والتي تبين أن نسبة الفتك في دول العالم العربي والدول الإفريقية هي نسب قليلة مقارنة مع باقي دول العالم، وهذا يرجع إلى عدة أسباب أهمها، أن هذه الدول لم تصل بعد لمرحلة الذروة، لهذا الاصابات فيها لا تزال قليلة ولم ينتشر الفيروس في كل المدن عكس الدول الأخرى كالدول الأوربية لأن المواصلات بينهم سريعة، وهو ما يجعل التواصل بينهم بشكل مستمر وبالتالي كان الفيروس يتنقل بينهم بشكل سريع.

وتجدر الإشارة إلى أنه بداية من شهر يونيو 2020 بدأت دول عديدة في أوروبا وآسيا والمنطقة العربية تخفيف إجراءات العزل المتخذة لمواجهة انتشار جائحة فيروس كورونا بعدما أصبحت تشهدا انخفاضا في تسجيل عدد الإصابات، في ظل تحذيرات من منظمة الصحة العالمية من ذروة ثانية للمرض في الدول التي شهدت تراجع الإصابات بالفيروس، في حال خُففت الإجراءات بشكل أسرع من اللازم.

أما فيما يتعلق بالفئات العمرية الأكثر إصابة بفيروس كورونا حسب مختلف بلدان العالم، أشارت مجموعة من الأبحاث حسب ما أعلنت عنه منظمة الصحة العالمية أن المرض لا يستهدف فئة عمرية محددة، غير أن مضاعفاته الوخيمة تسجل بنسبة أكبر عند المسنين [2].

فحسب نتائج دراسة أجرتها منظمة الصحة العالمية على 56 ألف مريض "صيني" بفيروس كورونا كوفيد-19، لمعرفة نسب تأثير الفيروس على مختلف الفئات العمرية[3] والتي حددت نسب التأثير فيما يلي:

---

1 - اعلان الرئيس الصيني، شي جين بينغ، يوم 10مارس2020 على أنه "تمت السيطرة عمليا" على تفشي فيروس كورونا المستجد في مقاطعة هوبي بؤرة انتشاره وعاصمتها ووهان.

2 - منظمة الصحة العالمية، مرض فيروس كورونا (كوفيد-19): سؤال وجواب.

انظر الموقع الالكتروني:https://www.who.int (تاريخ آخر اطلاع، فاتح يوليوز)

3 - نُشر هذا التقرير في 27 فبراير 2020 على الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية

جدول3: معدل الوفيات حسب الفئات العمرية

الفئات العمرية	معدل الوفيات
فوق 80 سنة	14.8٪
مابين70و79 سنة	8٪
ما بين 60و69 سنة	3.8٪
مابين 50 و59سنة	1.3٪
مابين 40 و49 سنة	0.4٪
مابين10و39 سنة	0.2٪
مابين 0 و9سنة	0.0٪

يشير الجدول أعلاه إلى أن خطر الوفاة يكون أقل بالنسبة للفئة العمرية تحت 50 عامًا، ولكنه مرتفع بالنسبة للفئة العمرية فوق 50 عامًا، ويختلف هذا المعدل بين الجنسين، 4.7٪ رجال و2.8٪ نساء[1].

ثانيا: تطور الحالة الوبائية بالمغرب

منذ أن أعلن عن تفشي فيروس كورونا كوفيد-19 بجمهورية الصين الشعبية في 31 دجنبر 2019، عملت الدولة المغربية على ترصد الوباء من خلال المنظومة الوطنية للمراقبة الوبائية، كما هيأت كل ما يتعلق بوسائل التشخيص الفيروسي والوقاية منه، لتفادي انتشار هذا الفيروس بشكل خطير[2].

وبلغ عدد المصابين بفيروس كورونا بالمغرب منذ تسجيل الحالة الأولى يوم 2 مارس 2020[3] إلى حدود يوم 27 يونيو2020، ما مجموعه 11.877حالة مؤكدة وهو ما يشكل 0.1٪ من مجموع الاصابات بهذا الفيروس في العالم، وعدد الوفيات المسجلة بلغ

1 -https://www.breizh-info.com/(.Coronavirus – Quel taux de mortalité par âge et sexe ? Situation statistique au 17 mars((تاريخ آخر اطلاع، فاتح يوليوز 2020)

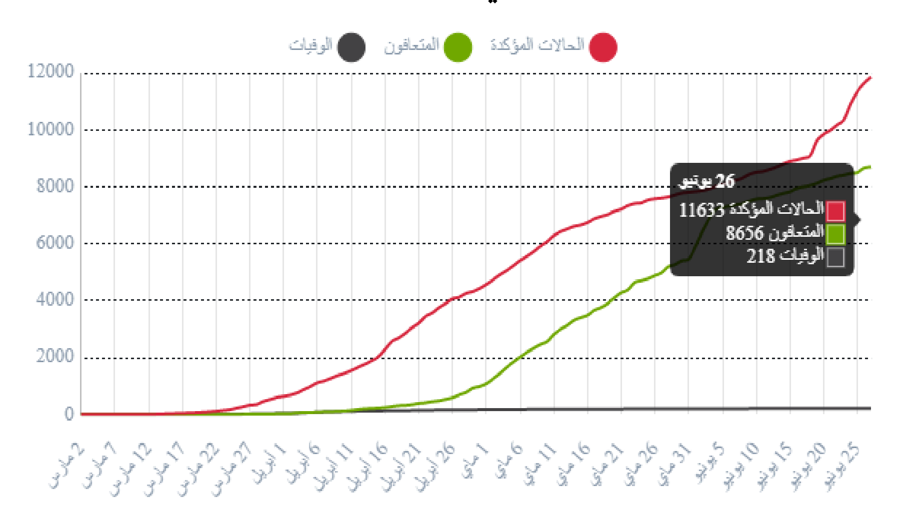
2 - بلاغ صحفي صادر عن وزارة الصحة، حول فيروس كورونا المستجد في الصين ، 24 يناير ، 2020.

3 - البلاغ رقم 10 الصادر عن وزارة الصحة أعلنت فيه إلى علم الرأي العام أنه تم تسجيل أول حالة إصابة مؤكدة بفيروس كورونا المستجد.

220 وفاة بنسبة 1.84٪ من مجموع الاصابات بهذا الفيروس في المغرب ، أما ما يتعلق بحالات الشفاء، فقد بلغت 8723 حالة شفاء أي نسبة 73.39٪ من مجموع الإصابات، وتبقى 2934 من الحالات النشطة التي تتلقى العلاج ونسبتها 24.83٪ منهم 2927 مصاب حالتهم مستقرة و7 مصابين يوجدون تحت العناية المركزة [1].

نتساءل إلى أي حد تعكس هذه الأرقام فعليا واقع انتشار الفيروس؟

مبيان1: تطور لحالة الوبائية في المغرب حسب احصائيات وزارة الصحة



من خلال المبيان أعلاه يتضح لنا مستوى تطور الحالة الوبائية بالمغرب، بدءا من تسجيل أول حالة إلى حدود يوم 27 يونيو 2020، والذي تميز بعدة خصائص أولها أن الأرقام والمؤشرات الصادرة من منتصف شهر ماي 2020 عن الجهات الوصية، توحي أن الوضعية الوبائية بالمغرب اتسمت بنوع من عدم الاستقرار، والخاصية الاساسية التي تميز الوضعية الوبائية بالمغرب، أنه لم يصل إلى مستوى مرتفع في تفشي الفيروس عكس ما عرفته عدة دول أخرى، كالدول الأوروبية القريبة منه جغرافيا كإسبانيا التي بلغت فيها نسب الحالات المؤكد إصابتها بفيروس كورونا كوفيد-19 إلى حدود 27 يونيو 2020 ما يقارب 294,985 حالة مؤكدة، توفيت منها 28,338 حالة وفاة ناجمة عن الإصابة بهذا الفيروس وبعد الدول العربية المجاورة[2] .

1- البوابة الرسمية لفيروس كورونا بالمغرب: /http://www.covidmaroc.ma (تاريخ آخر اطلاع، فاتح يوليوز 2020)

2 -https://www.worldometers.info/coronavirus/#countries.

وعلى المستوى المحلي يتضح أيضا من خلال مقارنة الارقام المسجلة بشكل يومي أن منحنى تطور الحالة الوبائية بالمغرب يتصف بالتذبذب، ويرجع هذا إلى ظهور مجموعة البؤر الوبائية في أوساط عائلية أو مهنية وصناعية حسب ما تعلن عنه الجهات الوصية في تقاريرها اليومية[1]، وقد سجل في الأيام الأخيرة من شهر يونيو 2020 ارتفاعا غير مسبوق وهو ما يعتبر غير عاديا خصوصا في هذه الفترة المتميزة بتخفيف إجراءات الحجر الصحي واستئناف الأنشطة الاقتصادية.

وما يفسر هذا الارتفاع هو ارتباط أو تموقع هذه الإصابات بهذا الفيروس ببؤر مهنية، إضافة إلى تطور جاهزية الرصد والاستقصاء الوبائي والكشف المبكر وهذا المعطى يتجلى في اكتشاف حالات بدون أعراض وإن كانت تكون خفيفة وحميدة[2].

وبالتالي ضبط منحنى تطور الحالة الوبائية بالمغرب والحديث عن التحكم في انتشار الوباء، يرتكز على معايير دولية موضوعة من قبل منظمة الصحة العالمية وهي كالتالي:

1- **الحالات النشطة:** من خلال الإحصائيات، يتضح أن الحالات النشطة بالمغرب، في انخفاض مستمر بداية من 26 أبريل، لتعود إلى الارتفاع مؤخرا خاصة مع نهاية شهر يونيو .2020 وحاليا تشكل نسبة الحالات النشطة 24.83٪ من إجمالي عدد الإصابات.

2- **معامل انتقال العدوى:** ان انخفاض مؤشر انتقال العدوى كما هو محدد في الضابط العملي (Ro)[3] الذي يرصد نسبة توالد الفيروس، ويبلغ معامل انتقال العدوى بالمغرب 0.76٪.

3- **نسبة الإماتة:** حيث وصلت 1.84 ٪ [4]

---

1 - يمكن الرجوع في هذا الصدد إلى التقارير الصحافية اليومية التي تقدمها وزارة الصحة.

2 - بلاغ صحفي صادر عن وزارة الصحة يوم السبت 27 يونيو 2020.

3 - رقم التكاثر أو إعادة إنتاج الفيروس و يرمز له ببساطة بالحرف الانجليزي "R" اختصارا لكلمة.Reproduction

ما هو الرقم"R" ؟

هو مختصر لرقم التكاثر، وهو مصطلح يستخدم في علم الأوبئة، (في إشارة إلى تكاثر الفيروس وإنتقاله إلى أشخاص جدد)، ويمثل طريقة لتقييم قدرة المرض على الانتشار.

4 - البوابة الرسمية لفيروس كورونا بالمغرب:/http://www.covidmaroc.ma

أما فيما يتعلق بتوزيع الحالات جهويا، تحتل مدينة الدار البيضاء الرتبة الأولى على مستوى هذا التصنيف بمعدل 19 حالة نشطة لكل 100.000 ألف نسمة، ثم بعد ذلك كل من (الرباط –مراكش –طنجة- فاس) بمعدل 5 حالات نشطة لكل 100.000 ألف نسمة، أما بالنسبة لباقي المدن يسجل معدل 2 حالات إلى حالة وحيدة نشطة لكل 100.000 ألف نسمة[1].

جدول 4:توزيع حالات الوبائية حسب الجهات:

الجهات	عدد الاصابات	نسبة الاصابة [2]
الدار البيضاء-سطات	3340	28,01 ٪
مراكش – أسفي	1884	15,89 ٪
طنجة - تطوان – الحسيمة	2078	17,54 ٪
فاس – مكناس	1196	10,09 ٪
الرباط - سلا – القنيطرة	1922	16,21 ٪
درعة تافيلالت	586	4,94 ٪
الجهة الشرقية	201	1,70 ٪
بني ملال – خنيفرة	150	1,25 ٪
سوس – ماسة	90	0,76 ٪
كلميم - واد نون	71	0,60 ٪
العيون - الساقية الحمراء	347	2,93 ٪
الداخلة - وادي الذهب	11	0,09 ٪

من خلال هذه المعطيات التي أشرنا لها سلفا، يبدوا أن الاستراتيجية الوطنية للتحكم في الوباء جنبت بلادنا الأسوأ والذي قدرته بعض الدراسات والتقارير في تفادي أزيد من 9.000 وفاة، واحتلال مراتب متقدمة في التصنيفات العالمية " لمؤشر الصرامة"

1 - المرجع السابق.

2- المرجع السابق.

في تعامل الدول مع الوباء، حيث يحتل الرتبة الثانية على مستوى شمال إفريقيا، والرتبة 51 عالميا في تصنيف شمل 122 دولة[1].

المحور الثاني: التدابير الوقائية للحد من انتشار الفيروس

عموما، تبنت دول العالم عدة استراتيجيات للتعامل مع انتشار وباء فيروس كورونا، فبعض الدول أغلقت مدنها بشكل كامل كالصين مثلا، وبعضها تركت الأمور اختيارية حسب حالة كل مدينة، والبعض الأخر حاول تبني سياسة مختلفة تقوم على ترك الوباء ينتشر بحثا عن مناعة طبيعية مكتسبة، وبعد مرور عدة أشهر على انتشار وباء كوفيد19، أصبح لدينا تصورا عن نتيجة كل إجراء، وقد قامت جامعة جونز هوبتكينز Johns Hopkins University بتقديم محاكاة لكل استراتيجية، وبالتالي معرفة كيف تؤثر كل استراتيجية على حالة البلد[2].

المحاكاة الأولى: في هذه الحالة سيتم ترك الأمور بدون ضوابط (يعني في حالة ما الدولة لم تقم بأي اغلاق أو حجر صحي بل تعمل على ترك الفيروس ينتشر ويأخذ المنحى الطبيعي الخاص به وهذه الاستراتيجية تسمى سياسة القطيع[3]، ماذا سيحدث؟

عندما يتحرك المريض المصاب بدون ضوابط يصيب الأخرين وفي فترة زمنية قصيرة، سيصاب أكبر عدد ممكن من الأشخاص، وسيتعافى البعض ويتوقف الأمر في النهاية أمام معادلة قدرة الدولة على علاج كل المرضى مقابل عددهم المتزايد بكثافة في نفس الوقت.

وهذه الاستراتيجية تصلح عندما يكون انتشار الفيروس بطيء، وليس له نسب وفيات مرتفعة ولا يترتب عنه ضغط على الأنظمة الصحية، وهو ما دفع عدة دول تبنت هذه الاستراتيجية إلى التراجع عنها.

المحاكاة الثانية: في هذه الحالة فرضت اجراءات مكنتها من فرض حجر جزئي، مما سمح للمواطنين التحرك بدون قيود (عدم وجود تباعد اجتماعي)، وفي هذه الحالة

1 - عرض وزير الصحة أمام لجنة القطاعات الاجتماعية بمجلس النواب يومه 28 ماي 2020." جائحة كورونا ببلادنا: تدابير التصدي وتصورات الخلاص".

2 -https://www.jhu.edu/.

3 https://www.jhu.edu/: (تاريخ آخر اطلاع، فاتح يوليوز 2020) The long road to herd immunity "Achieving herd protection can stop the spread of an infectious disease within a population, but as Bloomberg School experts explain, the U.S. is nowhere near that point with SARS-CoV-2, and getting there could prove difficult."

محاصرة الفيروس تبقى رهينة بدرجة وعي المواطنين وهذه التجربة حققت نتائج مهمة في عدة بلدان كألمانيا.

المحاكاة الثالثة: فرضت الدولة حجرا صحيا كاملا يهدف إلى خلق تباعد اجتماعي حيث بقي ثلاثة أرباع السكان في البيوت، كيف سيتغير الحال؟

في هذه الحالة تتاح للدولة فرصة جيدة للتعامل مع المرض والسيطرة عليه، الامر الذي يمكنها من أن تقدم الرعاية اللازمة للمرضى، لأن اعدادهم مناسبة للنظام الصحي. وهذه الاستراتيجية عملت 50٪ من بلدان العالم على تطبيقها، والتي فرضت حجر صحي كاملا وتباعدا اجتماعيا وحظرا للتجوال، بالإضافة إلى وعي المجتمع وهو ما يمكن الحكومات من ألا تشل اقتصادها بشكل كامل، حتى لا يتضرر بشكل كبير، وتضمن المحافظة على القدرات الأساسية والموارد الأساسية.

وبالتالي يبقى هذا السيناريو هو المناسب لمحاصرة الوباء لطالما هناك وعي مجتمعي، رغم أن هذا السيناريو إلى حد ما سيصطدم بعقليات الناس المختلفة، ويبقى الرهان على الحكومات حول كيفية إيصال الرسالة إلى شعوبها واتجاهاتها الفكرية.

المحاكاة الرابعة: في هذه الحالة لم يخرج إلا واحد من كل 8 أفراد، وذلك لضمان استمرارية المنظومة الاقتصادية. وهو مما سيؤدي إلى اصابة أقل عدد من السكان، ويبقى القطاع الصحي والمنظومة كلها قادرة على التعامل بسهولة مع اعداد المرضى وسيتعافى الناس بسهولة ولن تتضرر الحاجيات الأساسية. رغم أنه سيناريو قاصي وحاد لكنه سريع جدا في الحد من انتشار الفيروس.

فإلي أي مدى نجحت الدول في تطبيق هذه الآليات في تدبيرها لهذه الأزمة الوبائية؟

تعتبر الصين مهد فيروس كورونا، وخصوصا مدينة ووهان التي تعد بؤرة ظهور هذا الأخير في أواخر شهر دجنبر 2019، ومنذ ذلك الوقت اتخذت الحكومة الصينية إجراءات في محاولة للحد من انتقال المرض والتقليل من مخاطره على الصحة العامة، وإذا كان العالم اليوم يجمع على تصدي الصين لجائحة كورونا، رغم العدد المرتفع في حالات الإصابة، فإن تعاطيها مع الجائحة اتسم بنوع من الخصوصية مقارنة مع باقي دول العالم، حيث لم تشمل إجراءات التصدي فقط فرض الحجر الصحي، بل تعدته إلى اعتماد إجراءات غير مشروعة من أجل التحكم في الفيروس من قبيل مضاعفة عمليات مراقبة السكان

والتجسس عليهم وصلت حتى الاعتقال؛ إذ أن أول طبيب أشار إلى خطورة الفيروس تم اعتقاله بتهمة نشر أخبار كاذبة قبل أن يتوفى بفعل اصابته بالفيروس. كما عملت الصين على الاستخدام الأمثل للتكنولوجيا وذلك عبر خلق تطبيقات الكترونية لمراقبة تنقلات السكان الكترونيا، بالإضافة إلى أن شركات الاتصال تتعقب حركة السكان هي الأخرى، ويتم التعرف عن طريق الوجه على بعض الاعراض الأولية للمرض، كما لجأت بعض المدن إلى تشجيع الناس بجوائز للإبلاغ عن جيرانهم المرضى، كما اجرت الدولة عزلا صحيا واسعا وأغلقت عدة مدن[1]. وهو الامر الذي دفع منظمة الصحة العالمية إلى القول بأن دول العالم لن تملك القدرة على نهج خطى الصين في مجابهة فيروس كورونا، وذلك لعدة اعتبارات من بينها اختلاف الأنظمة السياسية ودرجات الديمقراطية واحترام حقوق الانسان.

وفي تجربة أخرى، تعتبر التايوان من الدول التي نجحت إلى حد كبير في التصدي لجائحة كورونا، فرغم قربها الجغرافي من الصين بؤرة ظهور وتفشي الفيروس، وبالرغم من كون تايوان ليست عضوة في منظمة الصحة العالمية، إلا أنها تمكنت من التعاطي بشكل جيد مع كوفيد-19، وذلك عبر إدراك الابعاد المحتملة للأزمة في الوقت المناسب، عبر استباق تطورات الموقف بخطوة أبعد، بالإضافة إلى استفادتها من تجربة وباء سارس 2003/2002 وإنشائها لمركز للقيادة الصحية الوطنية (CECC)، والذي وفر البيانات للحكومة من أجل التعامل مع الجائحة، كما قامت بدمج قاعدة بيانات التأمين الصحي الوطني مع بيانات الهجرة والجمارك للتعرف على المرضى المحتملين وفقا لسجلات سفرهم، وبحلول منتصف فبراير2020 كانت جميع المشافي والعيادات قادرة على الاطلاع على سجلات سفر المرضى، وفي وقت لاحق طورت الحكومة برنامجا يتيح للمسافرين العائدين إلى تايوان الإبلاغ عن خطوط سيرهم وتسجيل أي تغييرات تطرأ على حالتهم الصحية[2].

أما في الولايات المتحدة الأمريكية، فقد تم تسجيل أول إصابة بتاريخ 21 يناير 2020، وفي حدود 23 فبراير تم تسجيل 14 حالة إصابة مؤكدة جلها لمواطنين أمريكيين قادمين من الصين، ومع نهاية شهر ماي أصبحت أمريكا تسجل مستويات قياسية في

---

1 - إسماعيل عزام، الصين أم تايوان... أي تجربة يمكن الاقتداء بها لمكافحة كورونا؟، مقال منشور على الصفحة للرمسة لقناة DW الألمانية، https://www.dw.com/ar، اطلع عليه بتاريخ 2 يونيو 2020 على الساعة 16H30.

2 - ويليام يانغ، هكذا خاضت تايوان معركتها الناجحة ضد كورونا، مقال منشور على الصفحة للرمسة لقناة DW الألمانية، https://www.dw.com/ar، اطلع عليه بتاريخ 2 يونيو 2020 على الساعة 16H50.

معدلات الإصابة، بحيث أصبحت الأولى عالميا من حيث الإصابة؛ إذ تقترب من حاجز مليوني حالة إصابة.

وقد قامت الحكومة الفيدرالية بمجموعة من الإجراءات الوقائية ابتدأت بمنح منظمة الغذاء والدواء الإذن لمركز مكافحة الأمراض والوقاية منها من أجل انتاج أجهزة للكشف السريع عن الإصابات المحتملة بكوفيد-19، بالإضافة إلى الرفع من ميزانية تطوير اللقاحات بحوالي 8,3مليار دولار، وإحداث لجنة قيادة لمحاربة فيروس كورونا برئاسة Mike Pence نائب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية.

كما أعلن الرئيس الأمريكي عن حالة الطوارئ الصحية بتاريخ 13 مارس 2020، وتفعيل قانون 1960 المتعلق بحالة الطوارئ العسكرية وذلك من أجل مضاعفة الإنتاج فيما يخص وسائل الوقاية وأجهزة التنفس، بالإضافة إلى منح الإذن لعملاق السيارات GENERAL MOTORS من أجل انتاج أجهزة التنفس الصناعية ووسائل الوقاية. كما أقرت الحكومة الفيدرالية إمكانية اللجوء إلى القطاع الخاص من أجل الكشف عن الإصابات المحتملة بفيروس كورونا، وإقرار تأمين استثنائي للأطر الصحية ضد مخاطر الإصابة بالفيروس، كما عمدت أمريكا إلى غلق حدودها البرية والجوية باستثناء بعض مواطني كندا العاملين بالولايات الأمريكية[1].

أما على المستوى الاستشرافي، فقد أقرت الحكومة الفيدرالية برنامجا لما بعد كورونا يمر عبر ثلاث مراحل تهم الإجراءات الشخصية وكذلك تلك المتعلقة بمقرات العمل والأماكن الخاصة، وكيفية العودة التدريجية للحياة الطبيعية، وقد سمي هذا البرنامج ب "حماية"، ورصدت له ميزانية ضخمة لمواجهة تبعات هذه الجائحة في مختلف الميادين[2].

اما على المستوى الوطني، فمنذ ظهور فيروس كورونا عمدت الدولة على اتخاذ تدابير صارمة وشجاعة جنبت بلادنا الأسوأ، كما مكنت هذه التدابير المغرب من احتلال مراكز متقدمة في التصنيفات العالمية " لمؤشر الصرامة" في تعامل الدول مع الوباء (الرتبة 2 على مستوى شمال افريقيا، و51 عالميا في تصنيف شمل 122 دولة)، كما حظي المغرب بإشادة وتنويه عالميين بالتدابير المتخذة وغير المسبوقة.

1 -https://www.brookings.edu/research/the-federal-governments-coronavirus-actions-and-failures-timeline-and-themes/ الموقع الرسمي لمعهد BROOKINGS للأبحاث والدراسات.

2 - https://www.usa.gov/after-disaster الدليل الرسمي للاعلانات والخدمات الحكومية الامريكية.

1. الشق المتعلق بإجراءات وتدابير السلطات العمومية[1]

- **منذ الإعلان عن ظهور الوباء في الصين**

- تعيين مركز رئيس للتنسيق بين مختلف القطاعات والمتدخلين للتتبع والدعم اللوجستيكي الميداني؛
- إعادة تحيين خطة المراقبة والإعداد لمجابهة الأوبئة والجوائح؛
- تشكيل اللجنة العلمية والتقنية الوطنية؛
- الاعداد المسبق لبعض البنيات الاستشفائية وتأهيل الآليات والمعدات والوسائل الصحية بشكل احترازي؛
- الإسراع في إجلاء 167 مغربي من مدينة ووهان الصينية ووضعهم في تدابير الحجر الصحي لمدة 20 يوما؛
- رفع درجة اليقظة وتعزيز الرقابة الصحية في المطارات الدولية والموانئ الوطنية؛
- مراقبة جميع المسافرين القادمين من الدول الموبوءة عن طريق الكاميرات الحرارية؛

- **فور ظهور أول حالة مؤكدة بالمغرب (2 مارس 2020)**

- إغلاق المجال الجوي والبحري أمام المسافرين (15 مارس 2020) وإلغاء التجمعات والتظاهرات وتوقيف الدراسة وإغلاق المساجد والمحلات العمومية غير الضرورية؛
- إعلان حالة الطوارئ الصحية وتقييد الحركة في البلاد إلى أجل غير مسمى (20 مارس 2020)[2]؛

---

1 - عرض وزير الصحة أمام لجنة القطاعات الاجتماعية بمجلس النواب، بتاريخ 28 ماي 2020

2 - مرسوم بقانون 2.20.292 صادر في 28 رجب 1441 (23مارس2020) يتعلق بسن أحكام خاصة بحالة الطوارئ الصحية وإجراءات الإعلان عنها، جريدة رسمية عدد 6867 مكرر، بتاريخ 29 رجب 1441 (24 مارس2020)، ص.1782.

- مرسوم رقم 2.20.293 صادر في 29 رجب 1441(24 مارس2020) بإعلان حالة الطوارئ الصحية بسائر أرجاء التراب الوطني لمواجهة تفشي فيروس كورونا-كوفيد 19، جريدة رسمية عدد 6867 مكرر، بتاريخ 29 رجب 1441 (24 مارس2020)، ص1783.

- **إحداث حساب خصوصي "الصندوق الخاص بتدبير جائحة فيروس كورونا" لضمان محاربة وباء فيروس كورونا[1]؛**
- **التزام العزلة الصحية في المنازل كإجراء وقائي ضروري للحد من انتشار الفيروس من 20 مارس الى غاية 20 أبريل 2020؛**
- **رفع مستوى اليقظة من اللون الأخضر إلى اللون البرتقالي بالمركز الوطني لعمليات طوارئ الصحة العامة بمديرية علم الأوبئة ومكافحة الأمراض؛**
- **التنسيق بين مختلف المتدخلين والدعم اللوجيستيكي الميداني من خلال المركز الرئيس للتنسيق بين القطاعات؛**
- **الإعلان عن تمديد حالة الطوارئ الصحية وتقييد حركة البلاد إلى غاية 20 ماي 2020؛**
- **إلزامية وضع الكمامات الواقية بالنسبة لجميع الأشخاص المسموح لهم بالتنقل خارج مقرات سكنهم في الحالات الاستثنائية المقررة سلفا ابتداء من 7 أبريل2020 وتقنين أسعارها واتخاذ إجراءات توفيرها في كل نقط البيع بالمملكة[2]؛**
- **حظر التنقل الليلي طيلة شهر رمضان من السابعة مساء إلى الخامسة صباحا؛**
- **تطوير تطبيق الكتروني يسمى WIQAYATI قابل للتنزيل على الهاتف المحمول لتتبع تفاعلات الحالات الإيجابية بمخالطيها المحتملين؛**
- **تمديد حالة الطوارئ الصحية[3] بسائر التراب الوطني إلى غاية 10 يوليوز 2020،**
- **البدء في التخفيف التدريجي لإجراءات الحجر الصحي، عبر السماح بعودة الأنشطة الاقتصادية والمهنية تدريجيا وفي احترام تام لإجراءات السلامة،**

1- مرسوم رقم 2.20.269 صادر في 21 من رجب 1441 (16مارس2020) بإحداث حساب مرصد لأمور خصوصية يحمل اسم " الصندوق الخاص بتدبير جائحة فيروس كورونا كوفيد 19، جريدة رسمية عدد 6865 مكرر بتاريخ 22 رجب 1441 (17 مارس2020) ص. 1540.

2 - بيان مشترك لوزارات الداخلية، والصحة، والاقتصاد والمالية وإصلاح الإدارة، والصناعة والاستثمار والتجارة والاقتصاد الأخضر والرقمي، بتاريخ 7 أبريل 2020.

3 - مرسوم رقم 2.40.406 صادر في 17 من شوال 1441 (9 يونيو 2020) بتمديد مدة سريان مفعول حالة الطوارئ الصحية بسائر أرجاء التراب الوطني لمواجهة تفشي فيروس كورونا- كوفيد19 وبسن مقتضيات خاصة بالتخفيف من القيود المتعلقة بها، جريدة رسمية عدد 6889 مكرر، بتاريخ 17 شوال1441 (9 يونيو2020)، ص.3394.

- تقسيم التراب الوطني لمنطقتين مع تفاوت في إجراءات تخفيف الحجر الصحي، وذلك تبعا للحالة الوبائية للجهات والأقاليم، والعمل على تقييم هذه الأخيرة والإجراءات المواكبة لها أسبوعيا؛
- العمل على إجلاء المغاربة العالقين بالخارج، وتسهيل عودتهم لبلادهم وإخضاعهم لإجراءات الحجر الصحي؛
- السماح بعودة قطاع المواصلات بين الجهات والاقاليم التي صنفت ضمن المنطقة 1 والتي شملها تخفيف إجراءات الحجر الصحي؛

2. الشق المتعلق بالتدابير الاستثنائية للسلطات الصحية:

على مستوى الترصد واليقظة الوبائية:

- إصدار دوريات بطريقة مستمرة حول تعريف الحالة وطرق التبليغ عنها؛
- وضع برنامج لتكوين الأطر الصحية على مستوى الجهات والأقاليم؛
- مراقبة وتتبع الحالة الوبائية الدولية لهذا الفيروس بشكل متواصل من طرف منظومة الرصد والمراقبة الوبائية لوزارة الصحة؛
- تقييم يومي للخطر المشكل على البلاد مع التحديث المنتظم لإجراءات التصدي لهذا الفيروس؛
- تعزيز النظام الوطني للمراقبة الوبائية للأمراض التنفسية الحادة
- تفعيل خط هاتفي اقتصادي للتبليغ عن الحالات المحتملة والتواصل مع الأطر الصحية والمواطنين عامة؛
- تفعيل مراكز الاتصال الخاص بالتواصل مع الأطر الصحية والمواطنين عامة للتبليغ عن الحالات المحتملة؛
- على مستوى تعبئة البنيات والتجهيزات والطواقم البشرية
- تخصيص وتجهيز 72 مؤسسة استشفائية بطاقة استيعابية اجمالية وصلت إلى 13456 سرسرا؛
- تعبئة 1214 سرير خاص بالإنعاش بالمستشفيات العمومية؛

- التزام ارباب المصحات الخاصة بتعبئة 504 سرير اضافي للإنعاش
- تعبئة طاقم طبي من اختصاصي في التخدير والانعاش يبلغ 985
- اقتناء مجموعة من المعدات والتجهيزات الطبية
- إحداث وتجهيز مستشفيين عسكريين ميدانيين ببنسليمان والنواصر؛
- تشييد مستشفى ميداني مؤقت بمكتب أسواق ومعارض الدار البيضاء بطاقة استيعابية 700 سريرا؛
- تجهيز مختبر متنقل خاص بكوفيد 19 لمراقبة المخالطين والحالات المشتبه بها لتوسيع الاختبارات الفيروسية إلى أقصى درجة ممكنة وتقليص مدة ظهور نتائج التحليل خصوصا مع بلوغ 10 آلاف تحليلة يوميا؛
- تجميع الحالات النشيطة والحالات الإيجابية المستقبلية المصابة بكورونا بمستشفيين ميدانيين بكل من بنجرير وبنسيمان، بهدف فتح المجال في مستشفيات المملكة لعلاج الأنواع الأخرى من الأمراض، وحماية الحالات الإيجابية وكذا محيطها العائلي والمهني، وذلك مع توفير الرعاية اللازمة لها.
- على مستوى التكفل والرعاية
- تنظيم عدة لقاءات للجنة العلمية والتقنية الوطنية لمناقشة سبل التكفل بحالات كوفيد-19 وتطورات الحالة الوبائية بالمغرب؛
- إصدار دورية للخطة التنظيمية للتكفل بحالات كوفيد-19 المحتملة والمؤكدة بالمؤسسات الصحية بالمغرب وتحيينها حسب معطيات التكفل والبروتوكولات العلاجية في شأنها؛
- إصدار دورية حول التكفل بحالات كوفيد-19 باستعمال دواء الكلوروكين بعد المصادقة على ذلك من طرف اللجنة العلمية والتقنية الوطنية؛
- تزويد الأقاليم والجهات بوسائل الوقاية الفردية؛
- توفير مستلزمات ووسائل التشخيص الفيروسي؛
- تأهيل المختبرات الوطنية المدنية والعسكرية لتشخيص المرض؛

- توفير وتعزيز الرعاية الصحية في معزل بالنسبة للحالات المحتملة؛
- إعداد وتنفيذ استراتيجية وطنية للكشف المبكر عن حالات كوفيد-19 ووضع تدابير ومخططات للتعامل مع الجائحة.
- على مستوى التواصل
- التواصل مع الرأي العام الوطني بطريقة مستمرة حول مستجدات الوضع الوبائي العالمي والوطني عبر بلاغات صحفية واستجوابات عبر القنوات المرئية والمسموعة وكذلك الجرائد
- موعد رسمي يومي لإعطاء تصريح صحفي بالحصيلة اليومية للحالة الوبائية بالبلاد؛
- انتاج العديد من الوصلات التوعوية سواء المرئية أو المسموعة للتحسيس بتدابير السلامة والحماية من خطر انتقال العدوى بين المواطنين
- إجراءات لقاءات يومية تفاعلية من قبل أطباء مختصين بالوزارة على مواقع التواصل الاجتماعي التابعة للوزارة للرد على تساؤلات المواطنين؛
- تفاعل الوزارة مع جميع الأخبار الواردة من كل ربوع المملكة؛
- توزيع العديد من المناشير والملصقات التوعوية والتحسيسية المتعلقة بفيروس كوفيد-19؛

3. الشق المتعلق بالتدابير الاقتصادية والاجتماعية[1]:

- إحداث لجنة اليقظة الاقتصادية لمواجهة انعكاسات وباء فيروس كورونا على الاقتصاد وتحديد الاجراءات المواكبة؛
- تأجيل وضع التصاريح الضريبية للشركات إلى غاية نهاية يونيو 2020.
- تعليق المراقبة الضريبية للشركات الصغرى والمتوسطة؛
- تخفيض سعر الفائدة الرئيسي إلى 2٪؛

1 - عرض وزير الاقتصاد والمالية والإصلاح الإدارة أمام مجلس النواب حول التدابير المالية والاقتصادية لمجابهة لأزمة الناتجة عن جائحة كورونا كوفيد 19، بتاريخ 27 أبريل 2020.

- منح تعويض شهري إلى المنخرطين في صندوق الضمان الاجتماعي والمتوقفين مؤقتا عن العمل؛
- تأجيل سداد القروض البنكية إلى غاية 30 يونيو 2020؛
- دعم أرباب الأسر المتوفرين على بطاقة نظام المساعدة الطبية
- دعم الأسر التي تعمل في القطاع غير المهيكل؛
- تجنيب المقاولات الحاصلة على صفقات عمومية غرامات التأخر في الإنجاز الذي لا تتحمل مسؤوليته؛
- إقرار معالجة محاسباتية استثنائية للتبرعات والتكاليف المرتبطة بفترة حالة الطوارئ الصحية بتوزيعها على مدى 5 سنوات.

المحور الثالث: التجارب السريرية ورهان إيجاد لقاح لفيروس كورونا

إلى حدود كتابة هذه الأسطر لم تتم الموافقة على أي علاج أو ثبت أنه آمن وفعال لعلاج COVID-19، باستثناء Remdesivir، الذي تم منحه إذن استخدامه للطوارئ في الولايات المتحدة[1]، أو chloroquine الذي تم التصريح باستخدامه في معظم الدول على أساس استخدامه ضمن برتوكول علاجي للمصابين بداء كوفيد-19، أو كجزء من التجارب السريرية[2]. غير أن استخدام هذه العلاجات قد تكون له آثار ضارة خطيرة مرتبطة بهذه الأدوية، وأن هذه الآثار السلبية قد تتداخل مع المظاهر السريرية لـ COVID-19، وقد تزيد هذه الأدوية أيضًا من خطر الوفاة عند مريض كبير السن أو مريض يعاني من حالة صحية كامنة. على سبيل المثال: كلوروكين/هيدروكسي كلوروكين، أزيثروميسين، أوسيلتاميفير، ولوبينافير/ريتونافير يمكن أن يرتبطوا على الأرجح بزيادة خطر الموت المفاجئ[3]، كما يجب أيضًا مراعاة تفاعلات الأدوية مع الأدوية الحالية للمريض، وفي هذا الصدد ومن أجل التوصل لعلاج فعال أطلقت منظمة الصحة العالمية وشركاؤها تجربة Solidarity، وهي دراسة دولية كبيرة لمقارنة أربعة علاجات مختلفة (remdesivir،

1 - Sanders JM, Monogue ML, Jodlowski TZ, et al. Pharmacologic treatments for coronavirus disease 201 9 (COVID-1 9): a review. JAMA. 2020 April 13.

2 - McCreary EK, Pogue JM. Coronavirus disease 201 9 treatment: a review of early and emerging options. Open Forum Infect Dis. 2020 Apr;7(4):ofaa1 05.

3 - Kalil AC. Treating COVID-1 9: off-label drug use, compassionate use, and randomized clinical trials during pandemics. JAMA Mar 24.

lopinavir/ritonavir، lopinavir/ritonavir،interferon beta، أو hydroxychloroquine/chloroquine)[1]، ومن جهتها أطلقت سبعة دول أوروبية (بلجيكا، هولندا، بريطانيا، ليكسنبورغ، ألمانيا، إسبانيا وفرنسا) مبادرة Discovery و هي أيضا تجارب سرسرية لمقارنة أربع علاجات مختلفة و تضم هذه التجربة **3200** مصاب [2]. غير أن هذه المبادرات كلها لازالت بعيدة عن الوصول لأي علاج فعال ونهائي، واتسمت إلى حدود الساعة ببطء مخرجاتها و كدا تعثر جهودها التي اصطدمت بالإجراءات الإدارية و صعوبة الوصول للمتطوعين، كما تبقى أعداد الأشخاص الدبن شملتهم هذه المبادرات ضعيفة جدا[3] .

تميل الأدوية التي يتم اختبارها من أجل إعادة استخدامها في علاج COVID-19 إلى فئتين: تلك التي تستهدف دورة التكاثر الفيروسي، وتلك التي تهدف إلى السيطرة على أعراض المرض. في ما يلي سنجرد أهم العلاجات التي تم تداولها على المستويين الوطني والعالمي:

- **Chloroquine** و hydroxychloroquine:

إن chloroquine وhydroxychloroquine هي كوابح البوليميراز تستخدم بشكل أساسي كأدوية مضادة للملاريا. في الملاريا، تثبط الهيم بوليميراز، مما يتسبب في تراكم الهيم السام في الطفيلي، مما يؤدي إلى موته[4]. في حالة كوفيد-19 يعتقد أن الأدوية تبقي الفيروس بعيدًا عن الخلايا المضيفة أو خلايا جسم الإنسان عن طريق منع الارتباط بالجليكوزيل لمستقبلات المضيف وكسر إنتاج البروتينات الفيروسية عن طريق تثبيط تحمض الإندوسومال[5]، واعتمدت مجموعة من الدول chloroquine

1 - World Health Organization. WHO Director-General's opening remarks at the media briefing on COVID-1 9 - 1 8 March 2020. 2020

2 -« Lancement d'un essai clinique européen contre le Covid-19 », INSERM, 22 mars 2020 (consulté le 29 mai 2020).

3 - H. Morin Covid-19 : « Sur les essais cliniques, l'Europe est un échec ». Le Monde du 4 mai. 2020

-Jean-Yves Nau. COVID-19: la faillite annoncée de l'essai clinique européen discovery. Rev Med Suisse 2020; volume 16. 1062-1063. 20 mai 2020

4 -Wang M, Cao R, Zhang L, et al. Remdesivir and chloroquine effectively inhibit the recently emerged novel coronavirus (201 9-nCoV) in vitro. Cell Res. 2020 Mar;30(3):269-71

5- Cortegiani A, Ingoglia G, Ippolito M, et al. A systematic review on the efficacy and safety of chloroquine for the treatment of COVID-1 9. J Crit Care. 2020 Jun;57:279-83.

وhydroxychloroquine[1] كجزء من برتوكولها العلاجي وفي مقدمتها المغرب، حيث أصدرت وزارة الصحة بتاريخ 23 مارس2020. مذكرة باستخدام برتوكول علاجي يرتكز على chloroquine-hydroxy و Azithromycine [2] لتكون بذلك أول دولة إفريقية تنضم للدول التي أعلنت استخدامها لهذا العلاج (فرنسا، ايطاليا، أمريكا...)، لتحدو مجموعة من الدول الإفريقية حدو المغرب وأبرزها السينيغال والجزائر وغينيا و تونس وتوغو ونيجيريا.

غير أنه وفي إعلان مفاجئ، أعلنت منظمة الصحة العالمية، يوم الاثنين 25 ماي، إيقاف تجارب استخدام عقار هيدروكسي كلوروكوين المضاد للملاريا، في مواجهة فيروس كورونا المستجد (كوفيد- 19)، بسبب مخاوف تتعلق بالسلامة، واتخذت منظمة الصحة العالمية القرار، بعد نشر دراسة في مجلة The Lancet الطبية، الجمعة 22 ماي، والتي سلطت الضوء على خطورة العقار على مرضى فيروس كورونا، حيث أثبتت الدراسة تزايد معدلات الوفيات بين مرضى فيروس كورونا الذين تم منحهم العقار، بسبب أزمات قلبية.

بعد إعلان منظمة الصحة العالمية تعليق التجارب استخدام كلوروكين، أعلنت المنظمة الأوروبية أيضا إيقاف تجاربها والتي تندرج ضمن مشروع Discovrey[3]. في فرنسا، أصدر المجلس الأعلى للصحة العامة بيانا حول استخدام الكلوروكين لعلاج Covid-19 بعد هذه الدراسة، وبالتالي تم إلغاء المرسوم الذي يأذن بآستخدامه في المؤسسات الاستشفائية الفرنسية[4].

على الرغم من قرار منظمة الصحة العالمية بتعليق استخدامه مؤقتا قرر المغرب يوم الأربعاء 27 مايو 2020 الحفاظ على بروتوكول الكلوروكين ضد Covid-19، الوزارة الوصية وبعد استشارتها للخبراء والمختصين المغاربة وكدا أطرها باتت مقتنعة بالآثار الإيجابية لهيدروكسي كلوروكوين المرتبط بالأرتيميسينين. وبحسب إحصائيات رسمية، تم شفاء 4،841 حالة من أصل 7،554 من حالات الكوفيد-19 المسجلة في البلاد إلى

1- Gautret P, Lagier JC, Parola P, et al. Hydroxychloroquine and azithromycin as a treatment of COVID-1 9: results of an open-label non-randomized clinical trial. Int J Antimicrob Agents. 2020 Mar 20:105949

2 - الدّورية الوزارية رقم 22 الموجّهة إلى مهني الصّحة بتاريخ 23 مارس.

3 -Mandeep RM, Sapan SD, Frank R, Amit NP. Hydroxychloroquine or chloroquine with or without a macrolide for treatment of COVID-19: a multinational registry analysis. Lancet. 2020 May 22, DOI:https://doi.org/10.1016/S0140-6736(20)31180-6

4 -Avis relatif à l’utilisation de l’hydroxychloroquine dans le Covid-19, Haut conseil de la santé publique, France. Site web : https://www.hcsp.fr/explore.cgi/avisrapportsdomaine?clefr=837

حدود 26 ماي2020، أي بنسبة شفاء تبلغ 64٪، بعد البروتوكول المذكور. والباقي قيد المعالجة[1]. وتبقى المملكة المغربية بعيدة كل البعد عن كونها حالة معزولة في شمال إفريقيا، فجارتها المباشرة الجزائر حدت نفس الحدو بالإضافة لتشاد والسينيغال[2]. هذا الموقف الثابت والموفق من طرف الدولة المغربية سرعان ما قابله تراجع منظمة الصحة العالمية عن قرارها وقد جاء هذا القرار على لسان مديرها العام الذي صرح يومه 03 يونيو2020 على استئناف التجارب السريرية الخاصة بهذا العقار وذلك إثر سحب مجلة The lancet البريطانية الدراسة السالفة الذكر[3]. كما عززت المنظمة قرارها بنتائج برنامج " اكتشاف " الأوروبي و " علاج " البريطاني التي أكد أن علاج لا يسبب الموت المفاجئ كما زعمت دراسة The lancet السابقة قبل سحبها[4].

■ **Remdesivir**

يعمل هذا العلاج كمضاد للفيروسات بشكل واسع النطاق، وعلى المستوى المخبري أظهر نشاطًا ضد متلازمة الجهاز التنفسي الحادة الوخيمة (سارس 2) في الولايات المتحدة، حيث أصدرت إدارة الغذاء والدواء ترخيصًا للاستخدام في حالات الطوارئ من أجل علاج حالات COVID-19 المشتبه فيها أو المؤكدة في البالغين والأطفال[5]. ومؤخرا قامت الوكالة الأوروبية للأدوية (EMA) بإطلاق برنامج إعادة التصميم و تطوير هذا العلاج الذي كان في البداية يستخدم ضد الإيبولا. بعد خضوعه للتقييم و خاصة تقييم المخاطر، وفي هذا الإطار أصدرت الوكالة الأوروبية للأدوية يوم الخميس 25 يونيو 2020 ترخيصا

1 -https://www.sante.gov.ma/sites/Ar/Pages/communiqu%C3%A9s.aspx?communiqueID=629.

2 -Présentation du ministre de la santé

3- ندوة الصحفية للمدير العام لمنظمة الصحة العالمية يوم 03 يونيو 2020 بمقرها الرسمي بجنيف السويسرية

4 - Organisation mondiale de la santé, Informations actualisées sur l'hydroxychloroquine. Initialement postées le 27 mai 2020, mises à jour le 17 juin 2020. https://www.who.int/fr/emergencies/diseases/novel-coronavirus-2019/global-research-on-novel-coronavirus-2019-ncov/solidarity-clinical-trial-for-covid-19-treatments (تاريخ آخر اطلاع، فاتح يوليوز 2020)

5 - US Food and Drug Administration. Coronavirus (COVID-1 9) update: FDA issues emergency use authorization for potential COVID-1 9 treatment. https://www.fda.gov/news-events/press-announcements/coronavirus-covid-19-update-fda-issues-emergency-use-authorization-potential-covid-19-treatment (تاريخ آخر اطلاع، فاتح يوليوز 2020)

مشروطا لتسويقه في جميع دول الاتحاد الأوروبي ضد كوفيد-19، فيما ينتظر الخبراء الأوروبيون ترخيص المفوضية الأوروبي [1].

- **Lopinavir/ritonavir**

تمت الموافقة حاليًا على كابح الأنزيم البروتيني وهو مضاد للفيروسات يستخدم لعلاج عدوى فيروس نقص المناعة المكتسبة. تم استخدام Lopinavir/ritonavir في التجارب السريرية لعلاج كوفيد-19. وقد أظهرت دراسة أجريت على عينة صغيرة نتائج سريرية ملتبسة وغير جازمة بشأن استخدام هذا النوع من العلاج[2]. كما أوضح تتبع الحالة المرضية لـ 200 مريض يعانون من مرض مزمنة ومصابون بفيروس كوفيد-19 أن العلاج باستخدام lopinavir/ritonavir أو عدمه لم يغير نسبة الوفيات أو التعافي، وكان معدل الوفيات لمدة 28 يومًا مماثلاً في كلا الحالتين. إذن لا يوجد حاليًا أي دليل قوي على فعالية lopinavir/ritonavir في علاج[3] COVID-19. كما خلصت الدراسات إلى أنه يجب استخدامه فقط في سياق التجارب السريرية[4].

- بلازما النقاهة

تم استخدام بلازما النقاهة أو خلايا البلازما المستخرجة من أجسام المرضى الذين تعافوا من الالتهابات الفيروسية كعلاج في حالات تفشي الفيروسات السابقة بما في ذلك السارس وأنفلونزا الطيور وعدوى فيروس الإيبولا[5] . بدأت التجارب السريرية لتحديد سلامة وفعالية البلازما النقاهة والتي تحتوي على أجسام مضادة لـ SARS-CoV-2 في المرضى الذين يعانون من كوفيد-19 [6]. وقد خلصت دراسة مقارنة لخمس دراسات أن بلازما

1 - European Medicines Agency First COVID-19 treatment recommended for EU authorization https://www.ema.europa.eu/en/news/first-covid-19-treatment-recommended-eu-authorisation (تاريخ آخر اطلاع، فاتح يوليوز 2020)

2 -Young BE, Ong SWX, Kalimuddin S, et al. Epidemiologic features and clinical course of patients infected with SARS-CoV-2 in Singapore. JAMA. 2020 Mar 3;323(1 5):1 488-94.

3- Dashraath P, Jing Lin Jeslyn W, Mei Xian Karen L, et al. Coronavirus disease 201 9 (COVID-1 9) pandemic and pregnancy. Am J Obstet Gynecol. 2020 Mar 23

4- National Institutes of Health. Coronavirus disease 201 9 (COVID-1 9) treatment guidelines. 2020

5 - Chen L, Xiong J, Bao L, et al. Convalescent plasma as a potential therapy for COVID-1 9. Lancet Infect Dis. 2020 Apr;20(4):398-400.

6 - ClinicalTrials.gov. Anti-SARS-CoV-2 inactivated convalescent plasma in the treatment of COVID-1 9. 2020

النقاهة قد تقلل من الوفيات لدى المرضى المصابين بأمراض خطيرة، ولها تأثير مفيد على الأعراض السريرية، وتقلل من الحمل الفيروسي.

في الولايات المتحدة الامريكية، تقوم إدارة الغذاء والدواء الأمريكية بتسهيل الوصول إلى بلازما النقاهة كوفيد-19، وتشجع إدارة الغذاء والدواء (FDA) المرضى الذين تعافوا للتبرع بالبلازما [1]. لكن لا توجد حاليًا أدلة كافية للتوصية باستخدام أو ضد استخدام بلازما النقاهة[2] لعلاج كوفيد-19 لكن الدراسات لا تزال جارية من أجل تطوير لقاحات باستخدام هذه الخلايا ومضادات الأجسام التي تحتوي عليها[3].

- العلاج بالخلايا الجذعية

تقوم مجموعة من المختبرات في العالم بالتحقق من نجاعة الخلايا الجذعية في علاج مرضى كوفيد-19 في التجارب السريرية. ويُعتقد أن الخلايا الجذعية الوسيطة يمكن أن تقلل من التغيرات المرضية التي تحدث في الرئتين، وتمنع الاستجابة الالتهابية المناعية الخلوية [4].

- الغلوبولين المناعي، و يُسمى أيضًا الغلوبولين المناعي البشري العادي

يتم تجربة الغلوبولين المناعي (IVIG) في بعض المرضى المصابين بكوفيد المستجد[5] ، كما يتم تطوير علاج يعتمد على استخدام مزيج من الأجسام المضادة [6]. ووجدت دراسة بأثر رجعي لـ 58 مريضًا يعانون من كوفيد-19 الشديدة أنIVIG ، عند استخدامه كعلاج مساعد في غضون 48 ساعة من الإصابة، قد يقلل من استخدام التهوية الميكانيكية أو التنفس الاصطناعي، ويقلل من البقاء في المستشفى / وحدة العناية المركزة، كما يقلل من الوفيات قبل 28 يوما من الإصابة؛ ومع ذلك، كان لهذه الدراسة العديد من القيود التي أجبرت الباحثين على الإقرار أنه لا توجد حاليًا أدلة كافية للتوصية

1 - US Food and Drug Administration. Coronavirus (COVID-1 9) update: FDA encourages recovered patients to donate plasma for development of blood-related therapies. 2020 [internet publication].

2 - US Food and Drug Administration. Investigational COVID-1 9 convalescent plasma. 2020

3 - US Food and Drug Administration. Investigational COVID-1 9 convalescent plasma: emergency INDs. 2020

4 - ClinicalTrials.gov. Mesenchymal stem cell treatment for pneumonia patients infected with 201 9 novel coronavirus. 2020

5 - Jawhara S. Could intravenous immunoglobulin collected from recovered coronavirus patients protect against COVID-1 9 and strengthen the immune system of new patients? Int J Mol Sci. 2020 Mar 25;21(7).

6 - Regeneron. Regeneron announces important advances in novel COVID-1 9 antibody program. 2020

إما باستخدام أو ضد استخدام IVIG لعلاج كوفيد المستجد[1] من جانب آخر توصي لجنة المبادئ التوجيهية للمعاهد الوطنية للصحة الأمريكية بعدم استخدام IVIG غير الخاص بالسارس CoV-2 -لعلاج كوفيد-19 إلا في سياق التجارب السريرية [2].

- **لقاح Bacille Calmette-Guerin (BCG)**

يتم اختبار لقاح BCG في بعض البلدان، كهولندا، استراليا وجنوب إفريقيا، للوقاية من كوفيد-19، بما في ذلك العاملين في مجال الرعاية الصحية. وهناك بعض الأدلة على أن لقاح BCG يمنع التهابات الجهاز التنفسي الأخرى لدى الأطفال وكبار السن بواسطة تحريض الذاكرة المناعية. ومع ذلك، لا يوجد دليل يدعم استخدامه في كوفيد-19، ولا توصي منظمة الصحة العالمية بذلك للوقاية من كوفيد-19 [3].

---

1 - Xie Y, Cao S, Li Q, et al. Effect of regular intravenous immunoglobulin therapy on prognosis of severe pneumonia in patients with COVID-19. J Infect. 2020 Apr 10

2 - National Institutes of Health. Coronavirus disease 201 9 (COVID-1 9) treatment guidelines. 2020

3 - World Health Organization. Bacille Calmette-Guérin (BCG) vaccination and COVID-1 9. 2020

■ Bemcentinib

أظهر Bemcentinib سابقًا دورًا في علاج السرطان، ولكن تم الإعلان أيضًا عن وجود نشاط مضاد للفيروسات في النماذج قبل السريرية، بما في ذلك النشاط ضد السارس CoV-2.-إنه المرشح الأول الذي يتم اختياره كجزء من دراسة لمعهد تسريع البحث والتطوير في المملكة المتحدة ضد كوفيد-19 .(ACCORD) كما يؤكد المركز البريطاني أن هذا العلاج قد وصل للمرحلة الثانية من البحث[1].

■ مضادات الفيروسات الأخرى

تتم تجربة العديد من الأدوية المضادة للفيروسات الأخرى (العلاج الأحادي والعلاج المركب) في المرضى الذين يعانون من كوفيد-19 (على سبيل المثال، oseltamivir، darunavir، ganciclovir، favipiravir، baloxavir marboxil، umifenovir، ribavirin، interferon) [2]، قد يكون العلاج أحادي متفوقًا على لوبينافير/ريتونافير في علاج كوفيد-19 من حيث انخفاض تواجد الأجسام الفيروسية [3]، غير أنه شرع مجموعة من الخبراء في

---

1 - Department of Health and Social Care. COVID-1 9 treatments could be fast-tracked through new national clinical trial initiative. 2020

2 - Zeng YM, Xu XL, He XQ, et al. Comparative effectiveness and safety of ribavirin plus interferonalpha, lopinavir/ritonavir plus interferon-alpha and ribavirin plus lopinavir/ritonavir plus interferonalpha in patients with mild to moderate novel coronavirus pneumonia. Chin Med J (Engl). 2020 May 5;133(9):1132-4.

- Chinese Clinical Trial Registry. Randomized, open-label, controlled trial for evaluating of the efficacy and safety of baloxavir marboxil, favipiravir, and lopinavir-ritonavir in the treatment of novel coronavirus pneumonia (COVID-1 9) patients. 2020

- Chinese Clinical Trial Registry. Clinical study of arbidol hydrochloride tablets in the treatment of novel coronavirus pneumonia (COVID-1 9). 2020

- Chinese Clinical Trial Registry. Clinical study for safety and efficacy of favipiravir in the treatment of novel coronavirus pneumonia (COVID-1 9). 2020

- Li H, Wang YM, Xu JY, et al. Potential antiviral therapeutics for 201 9 novel coronavirus [in Chinese]. Zhonghua Jie He He Hu Xi Za Zhi. 2020 Mar 12;43(3):170-2.

- Synairgen. COVID-1 9. 2020

- ClinicalTrials.gov. Efficacy and safety of darunavir and cobicistat for treatment of pneumonia caused by 201 9-nCoV (DACO-nCoV). 2020

- Deng L, Li C, Zeng Q, et al. Arbidol combined with LPV/r versus LPV/r alone against corona virus disease 201 9: a retrospective cohort study. J Infect. 2020 Mar 11

3 - Zhu Z, Lu Z, Xu T, et al. Arbidol monotherapy is superior to lopinavir/ritonavir in treating COVID-19. J Infect. 2020 Apr 10

اختبار علاجات مركبة (الإنترفيرون بيتا 1 بلوبينافير/ريتونافير)، وهم الآن في المرحلة الثانية من البحث[1].

من جانب آخر نشرت مجلة Nature العلمية يوم 24 يونيو 2020 نتائج لأبحاث خلصت لرسم الخريطة البروتينية للفيروس[2] ، هذا الإكتشاف سيساهم بشكل كبير في فك شفرة هذا المرض و تسريع وتيرة البحث عن دواء فعال. لكن بالنسبة لأي دواء، يحتاج الباحثون إلى تجارب إكلينيكية أو سريرية صلبة، قبل استخدامها غير أن سرعة انتشار كوفيد-19 واجتياحه للعالم فرض سياسة استعجالية تقضي بإصدار تراخيص مؤقتة واستعجالية لاستعمال بعض العلاجات المقترحة. غير أن العالم اليوم حريص على عدم تكرار الأخطاء التي ارتكبت مع الكلوروكين وهيدروكسيكلوروكين، والتي أصبحت مفرطة بطريقة تعيق التجارب السريرية وإمدادات الدواء. فالأصل في تجارب البحث عن الدواء أن كل دواء قبل استعماله في المستشفيات أو طرحه في الأسواق يجب أن يمر من ستة مراحل ضرورية وملزمة حسب ما تقره منظمة الصحة العالمية[3]ومنظمة الدواء والغذاء الأمريكية وهي[4]:

- تصميم اللقاحات: يدرس العلماء أحد مسببات الأمراض ويقررون كيف سيحصلون على لقاح يسهل للجهاز المناعي للتعرف عليه أو سيقوم بالتصدي المباشر للمرض.
- دراسات على الحيوانات: يتم اختبار لقاح جديد في النماذج الحيوانية بحثًا عن المرض لإثبات أنه يعمل وليس له آثار ضارة شديدة.
- التجارب السريرية (المرحلة الأولى): تمثل الاختبارات الأولى في البشر واختبار سلامة اللقاح وجرعته وآثاره الجانبية. تسجل هذه التجارب فقط مجموعة صغيرة من المرضى.

---

1 - Hung IF, Lung KC, Tso EY, et al. Triple combination of interferon beta-1 b, lopinavir-ritonavir, and ribavirin in the treatment of patients admitted to hospital with COVID-1 9: an open-label, randomised, phase 2 trial. Lancet. 2020 May 8

2 -Nature, A finely detailed map reveals a viral protein’s Achilles heel. https://www.nature.com/articles/d41586-020-00502-w

3 - ClinicalTrials.gov. Efficacy and safety of darunavir and cobicistat for treatment of pneumonia caused by 201 9-nCoV (DACO-nCoV). 2020

4 -"Step 3. Clinical research". US Food and Drug Administration. 14 October 2016. Retrieved 1 February 2017.

- التجارب السريرية (المرحلة الثانية): هذا تحليل أعمق لكيفية عمل الدواء أو اللقاح بيولوجيًا. تتضمن مجموعة أكبر من المرضى ويتم تقييم الاستجابات والتفاعلات الفسيولوجية مع العلاج
- التجارب السريرية (المرحلة الثالثة): تشهد المرحلة النهائية من التجارب كمية أكبر من الأشخاص الذين تم اختبارهم على مدى فترة طويلة من الزمن.
- الموافقة التنظيمية: وتمثل العقبة النهائية وهي الحصول على الموفقة لاستعمال الدواء من الوكالات التنظيمية أو الوزارة المسؤول، وتمتل إدارة الغذاء والدواء الأمريكية، ووكالة الأدوية الأوروبية وإدارة السلع العلاجية الأسترالية أكبر المؤسسات وأشدها تدقيقا؛ حيث تلقي نظرة على الأدلة المتاحة من التجارب ونتائجها وتخلص إلى ما إذا كان يجب إعطاء اللقاح للجميع واعتماده كخيار علاجي.

خاتمة

إلى حدود الساعة لازال فيروس كورونا المستجد يسجل أرقاما قياسية في عدد الإصابات المؤكدة، حيث يتزايد تفشي الفيروس يوما بعد يوم ويجتاح مختلف بقاع العالم، وتتأرجح درجة التفشي حسب مستوى جهود الدول وإجراءاتها في التصدي لهذه الجائحة؛ إذ يتضح أن بعض الدول قد نجحت في التغلب على تفشي الفيروس، وذلك بناء على جدية إجراءات الحجر الصحي ومدى احترامه، في حين أن التراخي في فرض إجراءات الحجر الصحي والتباعد الاجتماعي، جعل دولا أخرى تعتبر بؤرا لتفشي الفيروس. وعلى المستوى الوطني، فقد تمكن المغرب من فرض إجراءات احترازية فعالة قلصت بشكل كبير من تفشي الفيروس، وجنبت البلاد سيناريو الانهيار أمام الفيروس، كما هو الحال بالنسبة لبعض الدول الأوروبية المجاورة.

أما على المستوى العلاجي، فإلى حدود كتابة هذه الأسطر لم تعلن أية جهة على أن علاجا قد تجاوز هذه المراحل كلها فأغلب العلاجات لم تتجاوز المرحلة الثالثة وبالتالي لا يزال الحديث عن علاج فعال ونهائي لهذا الفيروس بعيدا عن المتناول، رغم تضافر جهود المؤسسات الدولية ومؤسسات الصناعية وحتى العسكرية منها لتسريع وتيرة البحث، لكن وحتى في حالة اختراع علاج جديد يبدو أن إيصاله لملايين المصابين سيكون تحديا جديدا.

لائحة المراجع

لائحة المراجع بالعربية:

القوانين:

- مرسوم بقانون 2.20.292 صادر في 28 رجب 1441 (23مارس2020) يتعلق بسن أحكام خاصة بحالة الطوارئ الصحية وإجراءات الإعلان عنها، جريدة رسمية عدد 6867 مكرر، بتاريخ 29 رجب 1441 (24 مارس2020)
- مرسوم رقم 2.20.293 صادر في 29 رجب 1441(24 مارس2020) بإعلان حالة الطوارئ الصحية بسائر أرجاء التراب الوطني لمواجهة تفشي فيروس كورونا-كوفيد 19، جريدة رسمية عدد 6867 مكرر، بتاريخ 29 رجب 1441 (24 مارس2020)
- مرسوم رقم 2.20.269 صادر في 21 من رجب 1441 (16مارس2020) بإحداث حساب مرصد لأمور خصوصية يحمل اسم " الصندوق الخاص بتدبير جائحة فيروس كورونا كوفيد 19، جريدة رسمية عدد 6865 مكرر بتاريخ 22 رجب 1441 (17 مارس2020)
- مرسوم رقم 2.40.406 صادر في 17 من شوال 1441 (9 يونيو 2020) بتمديد مدة سريان مفعول حالة الطوارئ الصحية بسائر أرجاء التراب الوطني لمواجهة تفشي فيروس كورونا- كوفيد19 وبسن مقتضيات خاصة بالتخفيف من القيود المتعلقة بها، جريدة رسمية عدد 6889 مكرر، بتاريخ 17 شوال1441 (9 يونيو2020)
- الدّورية الوزارية رقم 22 الموجّهة إلى مهني الصّحة بتاريخ 23 مارس

المواقع الرسمية::

- البوابة الرسمية لفيروس كورونا بالمغربwww.covidmaroc.ma
- الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية المكتب الإقليمي لشرق المتوسط www.emro.who.int
- الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية www.who.int .
- الموقع الرسمي لوزارة الصحة المغربية /www.sante.gov.ma
- الموقع الرسميwww.worldometers.inf

- الموقع الرسمي لوزارة الصحة بنيوزيلندا:..www.health.govt.nzl
- الموقع الرسمي لجامعة هوبكينزwww.jhu.edu
- الدليل الرسمي للإعلانات والخدمات الحكومية الامريكية-www.usa.gov/after-disaster
- الموقع الرسمي لمعهد BROOKINGS للأبحاث والدراسات www.brookings.edu/research

تقارير وندوات:

- تقرير لمنظمة الصحة العالمية حول استراتيجية كوفيد 19 المحدثة ، صدر بتاريخ 14 أبريل 2020
- عرض وزير الصحة أمام لجنة القطاعات الاجتماعية بمجلس النواب يومه 28 ماي 2020." جائحة كورونا ببلادنا: تدابير التصدي وتصورات الخلاص.
- ندوة الصحفية للمدير العام لمنظمة الصحة العالمية يوم 03 يونيو 2020 بمقرها الرسمي بجنيف السويسرية

لائحة المراجع باللغة الأجنبية:

Articles :

- Sanders JM, Monogue ML, Jodlowski TZ, et al. Pharmacologic treatments for coronavirus disease 2019 (COVID-1 9): a review. JAMA. 2020 April 13
- McCreary EK, Pogue JM. Coronavirus disease 201 9 treatment: a review of early and emerging options. Open Forum Infect Dis. 2020 Apr;7(4):ofaa1 05.
- Kalil AC. Treating COVID-1 9: off-label drug use, compassionate use, and randomized clinical trials during pandemics. JAMA Mar 24
- Wang M, Cao R, Zhang L, et al. Remdesivir and chloroquine effectively inhibit the recently emerged novel coronavirus (201 9-nCoV) in vitro. Cell Res. 2020 Mar;30(3):269-71

- Cortegiani A, Ingoglia G, Ippolito M, et al. A systematic review on the efficacy and safety of chloroquine for the treatment of COVID-1 9. J Crit Care. 2020 Jun; 57:279-83.
- Gautret P, Lagier JC, Parola P, et al. Hydroxychloroquine and azithromycin as a treatment of COVID-1 9: results of an open-label non-randomized clinical trial. Int J Antimicrob Agents. 2020 Mar 20:105949
- Dashraath P, Jing Lin Jeslyn W, Mei Xian Karen L, et al. Coronavirus disease 201 9 (COVID-1 9) pandemic and pregnancy. Am J Obstet Gynecol. 2020 Mar 23
- Young BE, Ong SWX, Kalimuddin S, et al. Epidemiologic features and clinical course of patients infected with SARS-CoV-2 in Singapore. JAMA. 2020 Mar 3;323(1 5):1 488-94.
- Chen L, Xiong J, Bao L, et al. Convalescent plasma as a potential therapy for COVID-1 9. Lancet Infect Dis. 2020 Apr;20(4):398-400.
- Jawhara S. Could intravenous immunoglobulin collected from recovered coronavirus patients protect against COVID-1 9 and strengthen the immune system of new patients? Int J Mol Sci. 2020 Mar 25;21(7).
- Xie Y, Cao S, Li Q, et al. Effect of regular intravenous immunoglobulin therapy on prognosis of severe pneumonia in patients with COVID-19. J Infect. 2020 Apr 10
- Zeng YM, Xu XL, He XQ, et al. Comparative effectiveness and safety of ribavirin plus interferonalpha, lopinavir/ritonavir plus interferon-alpha and ribavirin plus lopinavir/ritonavir plus interferonalpha in patients with mild to moderate novel coronavirus pneumonia. Chin Med J (Engl). 2020 May 5;133(9):1132-4.
- Zhu Z, Lu Z, Xu T, et al. Arbidol monotherapy is superior to lopinavir/ritonavir in treating COVID-19. J Infect. 2020 Apr 10
- Hung IF, Lung KC, Tso EY, et al. Triple combination of interferon beta-1 b, lopinavir-ritonavir, and ribavirin in the treatment of patients admitted to hospital with COVID-1 9: an open-label, randomised, phase 2 trial. Lancet. 2020 May 8

- Mandeep RM, Sapan SD, Frank R, Amit NP. Hydroxychloroquine or chloroquine with or without a macrolide for treatment of COVID-19: a multinational registry analysis. Lancet. 2020 May 22.
- Li H, Wang YM, Xu JY, et al. Potential antiviral therapeutics for 201 9 novel coronavirus [in Chinese]
- Zhonghua Jie He He Hu Xi Za Zhi. 2020 Mar 12;43(3):170-2. Synairgen. COVID-19. 2020
- H. Morin Covid-19 : « Sur les essais cliniques, l'Europe est un échec ». Le Monde du 4 mai. 2020
- Jean-Yves Nau. COVID-19: la faillite annoncée de l'essai clinique européen discovery. Rev Med Suisse 2020; volume 16. 1062-1063. 20 mai 2020
- Nature, A finely detailed map reveals a viral protein's Achilles heel. www.nature.com
- Deng L, Li C, Zeng Q, et al. Arbidol combined with LPV/r versus LPV/r alone against corona virus disease 201 9: a retrospective cohort study. J Infect. 2020 Mar 11

Reports and seminars:

- World Health Organization. WHO Director-General's opening remarks at the media briefing on COVID-19 - 1 8 March 2020. 2020
- National Institutes of Health. Coronavirus disease 201 9 (COVID-1 9) treatment guidelines. 2020
- ClinicalTrials.gov. Anti-SARS-CoV-2 inactivated convalescent plasma in the treatment of COVID-19. 2020
- US Food and Drug Administration. Coronavirus (COVID-1 9) update: FDA encourages recovered patients to donate plasma for development of blood-related therapies. 2020 [internet publication].
- US Food and Drug Administration. Investigational COVID-1 9 convalescent plasma. 2020
- US Food and Drug Administration. Investigational COVID-1 9 convalescent plasma: emergency INDs. 2020

- ClinicalTrials.gov. Mesenchymal stem cell treatment for pneumonia patients infected with 201 9 novel coronavirus. 2020
- Regeneron. Regeneron announces important advances in novel COVID-1 9 antibody program. 2020
- World Health Organization. Bacille Calmette-Guérin (BCG) vaccination and COVID-1 9. 2020
- Department of Health and Social Care. COVID-1 9 treatments could be fast-tracked through new national clinical trial initiative. 2020
- Chinese Clinical Trial Registry. Randomized, open-label, controlled trial for evaluating of the efficacy and safety of baloxavir marboxil, favipiravir, and lopinavir-ritonavir in the treatment of novel coronavirus pneumonia (COVID-1 9) patients. 2020
- Chinese Clinical Trial Registry. Clinical study of arbidol hydrochloride tablets in the treatment of novel coronavirus pneumonia (COVID-1 9). 2020
- Chinese Clinical Trial Registry. Clinical study for safety and efficacy of favipiravir in the treatment of novel coronavirus pneumonia (COVID-1 9). 2020
- "Step 3. Clinical research". US Food and Drug Administration. 14 October 2016. Retrieved 1 February 2017.
- ClinicalTrials.gov. Efficacy and safety of darunavir and cobicistat for treatment of pneumonia caused by 2019-nCoV (DACO-nCoV). 2020
- « Lancement d’un essai clinique européen contre le Covid-19 », INSERM, 22 mars 2020 (consulté le 29 mai 2020)
- US Food and Drug Administration. Coronavirus (COVID-19) update: FDA issues emergency use authorization for potential COVID-19 treatment. https://www.fda.gov/
- Organisation mondiale de la santé, Informations actualisées sur l’hydroxychloroquine.
- Initialement postées le 27 mai 2020, mises à jour le 17 juin 2020. https://www.who.int

جائحة كوفيد - 19
و آثارها الاجتماعية والتربوية والنفسية

تشترك في مناولة هذا الفيروس كل العلوم الدقيقة والإنسانية والاجتماعية، ولربما لم تجتمع كل هذه العلوم في مناولة فيروس سابق أو حدث سابق إلا حول هذه الجائحة، ولعلّ هذا الملمح يعكسه هذا الكتاب من حضور علم الاجتماع والأنثروبولوجيا وعلم نفس الطفل، وعلم نفس معرفي.. وعلم السياسة وطب نفسي وبيولوجيا.. تتراوح فيه المناولة (المناولات) ما بين التشخيص وتفكيك المفاهيم وتحليل الخطاب، وخطاب الشهادة العلمية... فضلا عن خطاب معياري في بعض المُداخلات.

أحمد شراك

المشاركون

عياد أبلال
زبيدة أشهبون
محمد حدوي
وديع جعواني
نادية عاتقي
غزلان السليماني
عبد العزيز عبد الصادق
سعيد بنيس
ربيع اوطال
محمد القدام
إدريس بنعبد المالك
جمال والزين
أحمد الكرعاني
منير برقادي
امحمد مهدان
ادريس الدريسي
محمد راضي
المصطفى شكدالي
محمد السعيد الكرعاني
السعدية قجي
ربيع حمو

